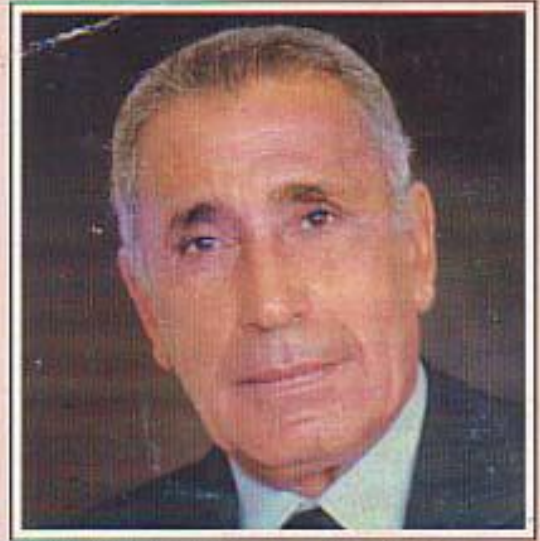


محمد حسنين هيكل



أكتوبر

٧٣

السلام

والسياسة





# أكنوبير

٧٣

## السلام السياسة



.....  
.....  
إن تدفق المعلومات ، أى المعرفة بالحقائق ،  
تضيف إلى حرية الرأي بعداً ثالثاً يجسم الصورة ،  
وهو أن يكون المتابع للحوار ، قارئاً أو سامعاً ،  
على علم بما يجرى من حوله الحوار بحيث يكون  
بدوره قادراً على المشاركة ، موجوداً فى الساحة ،  
على بينة تسمح له بأن يختار ... والاختيار جوهر  
الحرية .

نحن ننسى أحياناً أن أى وطن لا بد له أن  
يتحاور مع نفسه - بل يتفاوض مع نفسه - قبل أن  
يتحاور مع العالم ، أو يتفاوض معه !

وإذا غابت المعلومات والأخبار والخلفيات ،  
فإن الكتابة أو الحوار - كائناً من كان الكاتب أو  
المحاور - تصبح فى واقع الحال نوعاً من الإنشاء  
( جملاً مرصوطة ) - أو نوعاً من الإنشاء ( مديحاً  
فى هذا الطرف أو ذاك ! )

مركز الأهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الأهرام

التوزيع فى الداخل والخارج  
وكالة الأهرام للتوزيع  
ش الجلاء - القاهرة

طابع الأهرام للطباعة - القاهرة - مصر



الطبعة الأولى  
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م  
جميع حقوق الطبع محفوظة  
الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر  
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة  
تليفون ٥٧٤٧٠٨٣ - تكم ٩٢٠٠٢ يوان

تصميم الغلاف والانتداف الفني  
ماهر الدهب

صورة المؤلف بحدة  
فاروق إبراهيم

## المحتويات

صفحة	
٥	ملحة
٢٣	مشهد افتتاحي

### الجزء الأول : على طريق الحل

٥٣	الفصل الأول
٧٣	الفصل الثاني
١٢٥	الفصل الثالث
١٥٠	الفصل الرابع
١٦٧	الفصل الخامس
١٧٨	الفصل السادس
٢٠٤	الفصل السابع
٢٢٣	الفصل الثامن
٢٣٩	الفصل التاسع
٢٦٢	الفصل العاشر

### الجزء الثاني : على طريق الحرب

٢٩٣	الفصل الأول
٣٢٠	الفصل الثاني
٣٤٢	الفصل الثالث
٣٦٢	الفصل الرابع
٣٧٦	الفصل الخامس
٣٩٥	الفصل السادس

١٠ يوم : أكتوبر .....	الفصل الرابع
١١ يوم : أكتوبر .....	الفصل الخامس
١٢ يوم : أكتوبر .....	الفصل السادس
١٣ يوم : أكتوبر .....	الفصل السابع
١٤ يوم : أكتوبر .....	الفصل الثامن
١٥ يوم : أكتوبر .....	الفصل التاسع
١٦ يوم : أكتوبر .....	الفصل العاشر
١٧ يوم : أكتوبر .....	الفصل الحادي عشر
١٨ يوم : أكتوبر .....	الفصل الثاني عشر
١٩ يوم : أكتوبر .....	الفصل الثالث عشر
٢٠ يوم : أكتوبر .....	الفصل الرابع عشر
٢١ يوم : أكتوبر .....	الفصل الخامس عشر
٢٢ يوم : أكتوبر .....	الفصل السادس عشر
٢٣ يوم : أكتوبر .....	الفصل السابع عشر
٢٤ يوم : أكتوبر .....	الفصل الثامن عشر
٢٥ يوم : أكتوبر .....	الفصل التاسع عشر
٢٦ يوم : أكتوبر .....	الفصل العشرون

## الجزء الثالث : منحنى على الطريق

١٠ متغيرات من كل اتجاه .....	الفصل الأول
١١ عند الكيلو ١٠١ .....	الفصل الثاني
١٢ رحلة إلى واشنطن .....	الفصل الثالث
١٣ البحث عن ضمان .....	الفصل الرابع
١٤ كينسجر في القاهرة .....	الفصل الخامس
١٥ الساحر والسحر .....	الفصل السادس
١٦ « حوارات كينسجر » .....	الفصل السابع
١٧ ما بعد المهرجان .....	الفصل الثامن
١٨ المشى نحو السراب .....	الفصل التاسع

## الملحق الوثائقي





لقد خطر لى من البداية أن أهدى هذا الكتاب - وهو الرابع فى مجموعة . حرب الثلاثين سنة - إلى « جمال حمدان » ، ذلك العالم المصرى الفذ الذى أعطى المكتبة العربية أثره المتميز : « شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان » .

وفى تاريخ مصر مع بداية العصر الحديث كتابان لهما مذاق خاص ، وبينهما تقابل من نوع ما :

● الكتاب الأول هو : « تخلص الإبريز فى وصف باريس » ، الذى كتبه شيخ التنوير الجليل « رفاعه رافع الطهطاوى » فى أخريات النصف الأول من القرن التاسع عشر .

● والكتاب الثانى هو : « شخصية مصر » ، الذى كتبه العالم الراهب المعتزل « جمال حمدان » فى بدايات النصف الثانى من القرن العشرين .

الكتاب الأول يحكى رؤية أزهرى ريفى للحضارة الغربية . مصرى خام عبر البحر الأبيض إلى باريس ، وألقى نظرة على ما رأى ثم شفق مدهوشا منه ، ولا تزال شهيقته بالاجتهاد تعيد أصداءها حتى الآن بعد مضى أكثر من مائة وخمسين عاما على صوتها الأصيل . وكانت القيمة الكبيرة لهذه الشهقة التى أطلقها « الطهطاوى » أن صاحبها لم يقصر انبهاره على شكل ما رأى ، وإنما غاص فيه محاولا لمس أعصافه والتعرف على مبادئه .

والكتاب الثانى يقدم دراسة طالب علم مصرى عبر البحر إلى بريطانيا متحققا بجامعة « رينج » ، يقصد التخصص فى الجغرافيا . ومن هناك راح يتأمل وطنه ، ويعيد اكتشافه .

وكل مواطن يكتشف وطنه على أساس الميلاد والتربية مرة - ثم يعيد اكتشافه على أساس الحياة فيه والتجربة معه مرة ثانية . لكن « جمال حمدان » كان حالة استثنائية ، ذلك أنه تجاوز ذاته ، وجاء اكتشافه الثانى لوطنه على أساس حياة وتجربة هذا الوطن مع الدنيا والتاريخ .

□ أولهما - « الطهطاوى » - مسافر خارج من وطنه يبحث عن أفكار وروى دنيا جديدة ، وعصر بازغ تضوى وتتلقى فيه إشعاعات الثورة الفرنسية .

□ وثانيهما - « حمدان » - مسافر عائد إلى وطنه بمفتاح لفهم حياة وشخصية أمة تبحث عن نفسها فى أعقاب حرب عالمية ضروس هزت وزلزلت قارات ومحيطات !

وربما تقاطعت مسالك سفر الرجلين على أمواج البحر الأبيض ذهابا وعودة رغم انقضاء قرن ونصف من الزمان ، ثم تقابلت روى المسافرين العائدين من مواقع نظر متباعدة !

□

هناك من يقولون - بخفة - إن « العبقريّة » كبرت على موقعها وموضعها . وإذا كان تخصيصهم صحيحا ، فلعلها كبرت إلى درجة انحسرت فيه بعد أن ضاقت عليها ، وبالتالي بس حركتها !

- وهناك من يقولون - بقسوة - إن « العبقريّة » صغرت على موقعها وموضعها ، وهي تلك تتدحرج فوق ساحته لا يقر لها قرار . ولا أصدق أن يكون ذلك صحيحا ، وإذا كان ، فإني أتصور أنها مجرد لحظة ، لأن حركة التاريخ بالطبيعة إلى أمام ... أو ... أو لعلها لم تعد كذلك ؟

دعنا من « الخفة » ، و « القسوة » ، إلى ماهو أكثر موضوعية وعلمية - قل لي ماذا جرى « عبقريّة المكان » ، وعلينا في الزمن التاريخي للإنسان بكل ما يستلزمه من ضرورات الحركة والتغيير ، وهما الأساس في حيوية الوجود ! » .

كان « جمال حمدان » يسمّني ، وكنت مازلت أتساءل :

« قل لي ... أين المكان في هذا العالم الذي أصبح قرية ؟ وأين الزمان في هذا العصر الذي تنطلق فيه ومضة « ليزر » إلى القمر وتعود في ثانية واحدة ؟

قل لي ... هل تملك « عبقريّة المكان » أن تسافر منه أو تهاجر ؟ أو هل يمكن لها أن تزوي وتتكمش ؟

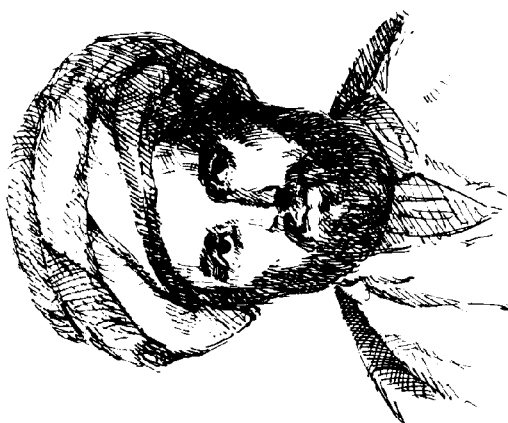
أعرف أن عبقريّة الأفراد يحدث لها مثل ذلك :

عبقريّة « سقراط » انتهت بكأس شراب مسموم . وعبقريّة « نابليون » جرى تفسيرها بالبحر إلى منفى في جزيرة « سانت هيلين » . وعبقريّة « نيتشه » وصلت في النهاية إلى بيت منعزل على حافة جبل في « سلتزماريا » قرب « سان موريتز » في سويسرا - أقام فيه العقل الشامخ بعد أن غام ضياؤه ولقه الضباب ...

لم أجد في أثينا أثرا باقيا للسجون الذي شرب فيه « سقراط » كأسه المسمومة ... ولم أرس بشرائح على شاطئ « جزيرة « سانت هيلين » ... ولكنني قمت بزيارة للبيت الذي قضى فيه « نيتشه » سنوات الغيام والضباب ، وطلعت بقاعاته وحدي صامتا منتظرا ، وكان الجدران يمكن أن تنطق بشيء سمعته في الماضي كلاما أو همسا !

قل لي ... هل يمكن لـ « عبقريّة الجغرافيا والتاريخ » التي صنعت « عبقريّة المكان » - على حد تعبيرك - أن يتعطل فعلها وأثرها ويبطل سرها وسحرها ؟!

قل لي ... هل يمكن للزمان أن يمضي بظهوره إلى المستقبل ؟! هل يمكن للعهد أن يتنازل بحسابه للسنين والحقب بدلا من أن يتصاعد معها بقوة الأشياء ، ويحملنا ولو بالقسر من قرن يودع إلى قرن يسلم ؟!



رفاعة الطهطاوى



د. جمال حمدان

وقد تحدثت مع « جمال حمدان » في مكنتي لآخر مرة قبل قرابة سنة ، وكنت في ذلك الوقت على وشك أن أبدأ كتابة هذا الجزء من « حرب الثلاثين سنة » ( عن معركة أليدار ١٩٧٣ ) ، وهو ينضم إلى كتّيب ثلاثة سبقته من ذات المجموعة : « ملفات السويس » ( معركة السويس ١٩٥٦ ) ، و « سنوات الغليان » و « الانتجار » ( وكلاهما عن معركة ١٩٦٧ ) .

ثم حل موعد هذا الكتاب الرابع ( أكتوبر ١٩٧٣ : « السياسة والسلاح » ) . وبطبيعة الحال فقد تحدثنا عن شواغلي فيه ، ثم توصلت مناقشتنا طويلا حول موزين يستدعى اهتمامنا نحن الاثنين وهو علاقة « الجغرافيا » و « التاريخ » ، ومصر في موزان الاثنين معا . وكان ذلك بالضبط محور كتابه عن « شخصية مصر » .

وأتذكر أنني أبديت له هواجس تراوحت ، وتساءلت :

« إذا قلنا إن المكان ليس مجرد موقع جغرافي ، وإذا قلنا إن الزمان ليس مجرد ليزر تغرب شمسها أو قرون تهل مطالعها - فكيف تفسر ما يجري أمامنا ؟

لقد حدث شيء ما لـ « عبقريّة المكان » ...

« عبقريّة المكان » بشكل من الأشكال تبدو لي معطلة هنا ... حتى الانشغال #

يعلمى وقلبي أعرف أن ذلك مستحيل . لكنى لا أستطيع أن أنكر بعض ما أراه !  
على نحو ما ، تساورنى هذه اللحظة هواجس :

لست متأكدا أن هذا المكان عارف بموقعه وموضعه ، واثق من هويته ، أو واثق من دوره فى محيطه الذى هو قطعة منه ؟

لست متأكدا أن هذا المكان قائد - حيث تؤهله الجغرافيا والتاريخ أن يقود ؟

لست متأكدا أنه المعلم ، والتموذج ، والمثال .

لست متأكدا أنه العالم ، والمعلم ، والمفتى ، والمجتهد .

لست متأكدا أنه المبدع ، والمصور .

بل لست متأكدا أنه المطرب ، والمغنى .

قصارى ما يمكن أن يجينك إذا مدت سمعك ذقات طبول بدائية وغريزية تكرر نفسها ، تعطيك إحساسا موحشا بأن الحقول الخضراء تتراجع أمام عملية تصحر بطيء ، ولكن خطاه منتظمة ومتتالية ، كأنه على موعد يقصد إليه بنشاط رتيب - ! - هناك على حافة الدنيا وعلى حافة العصر ! ، ، .



كان « جمال حمدان ، انسانا بالغ الحساسية ، شديد الكبرياء ، وقد زادت على ذلك أخيرا مسحة حزن ضنط انطباعها على قسماات وجهه ، وشاعت فى نبرة صوته ، وقد حاول أن يعزى نفسه - أو يعزىنى - قائلا : « إن حركة التاريخ دائمة ، ولكن اتجاهها ليس ثابتا ، وكان عهدنا بها أن تكون إلى أمام خطوتين وإلى وراء خطوة - ولعلنا الآن نرى بعدا مغايرا ، حركة إلى أسفل (١) ... نحن شهدنا انقلابا لأنه كان بين السكان من لم يقدر ولم يبرح حرمة وحق المكان . . »

وكما حاولت دائما ، فقد حاولت تلك المرة أن أقتعه بالخروج من دير العزلة والعودة إلى دنيا الناس ... ولم يقتنع مصرا على أنه ، اعتزل وحركة التيار إلى أمام ، فكيف يعود والحركة معاكسة سواء إلى وراء أو إلى أسفل ؟ ، ، !

(١) لقد ترددت لبعض الوقت فى استعمال هذا الوصف ، وقد بدا لى قاسيا بعض الشيء - لكنى اعتشفت أن ، جمال حمدان ، استعمله بحروفه فى مقدمته للطبعة الأخيرة من كتابه ، شخصية مصر .. دراسة فى عبقرية المكان - ، الصادر عن دار عالم الكتب ، للنشر ( صفة ٢٠ ) - وبالتالي أحسنت أن أخرج يرتفع عن استعماله لى .

والفرقا ، ولم أكن أعرف أنه فراق إلى الأبد ، وانشغلت بهذا الكتاب حتى فاجأتنى وأنا غارا فيها تلك النهاية المأساوية التى انتهت إليها حياة ذلك العالم الراهب المعتزل والمهموم بشخصية نصر وعبقرية مكانها ... الموقع والموضع !

وربما من هنا خطر لى منذ البداية أن أهدى هذا الكتاب إليه !



إن حرب الثلاثين سنة « موضوع ليس بعيدا عما كنت أحدث فيه مع ، جمال حمدان ، عن جغرافيا والتاريخ .. المكان والمكانة .. والشخصية والعبقرية . فهذه المجموعة من الكتب تحكى قصة صراع هذه الأمة العربية بقيادة مصر - ضد الهيمنة الأجنبية منذ منتصف القرنين الثامن عشر من هذا القرن العشرين ، بداية من وقتها الشجاعة ضد الألف العسكرية الغربية سنة ١٩٥٥ - حتى تأكد الهبوط حين تمكنت إسرائيل من احتلال عامة عربية هى بيروت فى النصف الأول من الثمانينات .

□ كان الفصل الأول من القصة هو التمرد ضد السيطرة ، وطلب الاستقلال والتنمية الاجتماعية . ووصل هذا الفصل إلى ذروته فى معركة السويس سنة ١٩٥٦ - وقد انتهت بلهوز عربى لا لك فيه .

□ وكان الفصل الثانى هو الصراع بين الحركة القومية العربية وبين نظم الهيمنة العالمية . ووصل هذا الفصل إلى ذروته فى معركة سنة ١٩٦٧ - وقد انتهت بتكسة عربية لا لك فيها .

□ وكان الفصل الثالث هو استماتة الأمة لاستعادة إرادتها . ووصل هذا الفصل إلى ذروته فى معركة سنة ١٩٧٣ - وذلك الفصل هو موضوع هذا الكتاب .

ولست أريد أن أحدث عنه مسبقا ، وإنما أؤثر أن أتركه لقاربه وهو صاحب الحق فيه ، وإن للبيت سماحا بإبداء بعض الملاحظات :

١- اعلى لمجرد التذكرة أعيد بعض ما سبق أن أشرت إليه فى أعمال سابقة من هذه المعبر « ملفات السويس » - سنوات الغليان - و « الانفجار » - وهو أتنى لا أكتب التاريخ والأحوال ذلك ، وأسبابى عديدة : فالتاريخ ليس اختصاصى ، ثم أن التاريخ تصعب كتابته فى زمن وقوجه ، ثم إنه لا يكتب التاريخ من عاشوا أو شاركوا فى وقائعهم - وكل هذه التطلعات تردنى !

٢- إن هذا الكتاب - ولو أنه جزء من مجموعة تحمل عنوان « حرب الثلاثين سنة » - لم فيها ركز على معركة أكتوبر ، وهى عمل عسكري باهر - فإن الجوانب العسكرية ليست غائبة فيه ، وذلك من منطق يلحق بين الحرب والقتال . فالحرب صراع سياسى بكل وسائل القوة ، فمن حين أن القتال مرحلة معينة من الحرب يكون فيها الاحتكام إلى السلاح .



وهكذا فإن دور القتال في الحرب ... عسكري .

في حين أن الحرب الشاملة ... سياسة ، وهذا مجال يغريني !

٣ - إن أقرب وصف إلى ما أحاوله في هذه المجموعة هو القيام بدور الشاهد . فقد أتاحت لي الظروف أن أكون قريبا من جمال عبد الناصر ، في معركة سنة ١٩٥٦ وفي معركة سنة ١٩٦٧ - ثم إنها أتاحت لي أيضا أن أكون قريبا من «أنور السادات» ، في معركة سنة ١٩٧٣ .

ولست أدعى أسبقية بوضع اليد على الحقيقة ، ولكني أقول - كما يقول التعبير القانوني - إن «الشاهد جزء من الدليل» ، وأضيف إلى ذلك تحفظا ضروريا وهو استكمال التعبير القانوني بملحق أزيد عليه «... إذا صدق» . ولأن الصدق قيمة إنسانية قد تتأثر بالغرض أو بالمصلحة ، فقد التزمت في هذه المجموعة من الكتب كلها بنظام في التوثيق طلبته صارما وسعيت إليه مصمما .

٤ - إن هدفي بالدرجة الأولى من كل مجموعة «حرب الثلاثين سنة» هو المشاركة - بقدر الطاقة والجهود - في صد الغارات الهمجية عن ذاكرة الأمة . والأمة مثل الفرد يصاب بالجرح فيشفي ، ويصاب بالصدمة فيفيق ، ويصاب بخسارة المال فيعوضه - لكن فقدان الذاكرة كآفة بلا حدود لأنه يودي بكل شيء بما في ذلك التاريخ والمستقبل ، ومن ثم يصبح الحاضر محاصرا ، يتم عزله وتطويقه على لوحة زجاج مسطح لا تحتفظ بشيء ولا تعي شيئا . ويصبح الفكر والثقافة صورا ملونة على شاشات تلفزيون ، وتصبح الحرية والديمقراطية حقا في الاختيار محصورا في المفاضلة بين سلع مستوردة معروضة على الرف في سوبر ماركت ، ويصبح مطلب العدل والمساواة مسيرة قطع تسوقه أجهزة إعلام واتصال تصيبها الأقمار الصناعية من فوق كل سطح على رؤوس من يتصادف وجودهم - ولا أقول حياتهم - تحته !

□

وربما استطردت بعد هذه الملاحظات إلى بعض الخواطر التي أتمنى لو مرت عليها باختصار :

● لقد قلت إنني كنت قريبا من «جمال عبد الناصر» فترة معارك ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، ومن «أنور السادات» فترة معركة ١٩٧٣ - وكنت قريبا إلى درجة اعتبرت نفسي معها «شاهدا» .

وقد أضيف أن اقتراب «الصحفي» من مواقع صنع «الحدث» ليس غريبا ... وليس فريدا .

□ ليس غريبا لأن متابعة الأحداث والاتصال بمصادرها - بالطريق الصحيح والمستوى

للائق - يدخل الصحفي إلى أجواء صناعة أخبارها . والتواجد في أي جو من الأجواء نوع من المشاركة ، ولو عن طريق حركة التنفس التلقائي من نفس الهواء .

□ وليس فريدا - في حالات أخرى غير حالتني مع «جمال عبد الناصر» ، و «أنور السادات» - وإنما التجربة لها نظائر مشابهة في بلاد كثيرة مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة (الصحفي الأمريكي «والتر ليبمان» مع الرئيس الأمريكي «فرانكلين روزفلت» - و «ويليام بيرى» رئيس تحرير «الموند» مع الرئيس الفرنسي «شارل ديغول» - و «ويليام ريس مويج» رئيس تحرير «التييس» مع «مارجريت ثاتشر» مثلا .. وعشرات غيرهم ) .

والناصل أن هناك تداخلا شديدا في كثير من الظروف بين السياسة والصحافة في العالم كله ، وتداخل هذه الظروف أشد في العالم الثالث حيث تتصل السياسة بصميم العمل الوطني من أجل الاستقلال والتحرر الاجتماعي والاقتصادي والفكري ، وتتشأ وتتواصل أحيانا رؤى متقاربة ، وفي أحيان أخرى تتجلى أحلام تبدو قابلة للتحقيق في أوطان قريبة سعى ، أو قريبة عهد بالاستقلال والحرية - يواجهها سؤال أساسي : تكون أو لا تكون ؟

وألم هذا السؤال تتداخل حدود ، وتتشارك مواقف ، وتبرز إشكاليات أهمها إشكالية الحرية - وهل البعد بضمنها ، أو هل القرب يصدها ؟

ولنني أقول والتجربة ورأني إنه ليس من الضروري أن يكون قرب العلاقة بين السياسة والصحافة قيدا على الحرية ، وربما تذكرنا أن الصيغة المثلى للبحث عن الحقيقة هي صيغة الحوار . بكل حوار رأيان بالاتفاق كما بالاختلاف ، خصوصا إذا كانت المرجعية أفكارا وأحلاما يجتهدوا لرفاق ، وليست سلطة يحكمها طرف واحد !

وبصرف النظر عن أي اعتبار فالذي حدث فعلا هو أنني اقتربت ، وهذا الاقتراب حقيقة لا أنافرها ولا أعتذر عنها . وفي كل الأحوال ، فقد كان يقيني دائما أن أي صحفي ، أو أي كاتب يستحق وصف مهنته كصحفي أو كاتب - مطالب من أول النهار بأن ياتمن قارئه على ما يفكر فيه - ومطالب قبل آخر النهار بأن يبوح لقارئه بكل ما يعرفه . فالقارئ هو القانون ، والصدقة عاطلة . والقانون مسئولية مجتمع ، والعاطفة مشاعر فرد . وفي جوهر الحقيقة فإن التناقض بين الاثنين في العمل العام مصطنع لا ينشأ إلا بالتعسف في الفهم أو بالبلع الهوى ، لأن الصدقات التي تنشأ في إطار فكرة عامة جامعة بظل ولاؤها النهائي للفكرة العامة الجامعة ، ولا تحول الصحفي والكاتب من صديق قضية إلى صاحب سلطان ، ومن دأب قلم إلى نديم بلاط !

.....

● ربما قيل - والقول صحيح - إن الفكرة والحلم الذي تمثله مرجعية ، جمال عبد الناصر ، تنتفخ عن الفكرة والحلم الذي مثلته مرجعية ، أنور السادات ، ، فكيف تأتي أن أكون

قريباً من الاثنين؟ والذي حدث هو أنني ظلت قريباً من جمال عبد الناصر، من بداية دوره إلى نهايته، وقد توثقت علاقاتنا مع الأيام، وانطلقت واختلقت رؤانا للحوادث والناس أحياناً، لكن الفكرة المرجعية، وهي المشروع الحضاري الذي قاده، جمال عبد الناصر، ظلت هي الحكم حتى بعد أن لحقها ذلك الشرح الصريح الذي أصابها سنة ١٩٦٧. وكان هذا الشرح نتيجة لأخطاء في التجربة، ونتيجة لضغوط من الخارج في ذات الوقت.

وكان دور «أنور السادات» أن يستكمل ما كان جمال عبد الناصر قد بدأه من محاولة لإصلاح هذا الشرح بتلافى الأخطاء في الداخل، ومواجهة الضغوط من الخارج. ولقد أسعنى أنني صاحب «أنور السادات» وهو يعاني هموم مسئوليته، ثم رأيته وقد ملك شجاعة قرار من أصعب وأخطر ما واجهته مصر في تاريخها، أعنى قرار أكتوبر ١٩٧٣.

ومن ناحيته فإني أستطيع أن أurd صचितه معي لأسباب منطقية:

- ربما كان يريد عنصر استمرار في السياسة يعرف عن ظروفها ما كان غائباً عنه ثم وجد نفسه فجأة يحمل مسئوليته.

- ربما كانت علاقة ود متبادل قام وظل قائماً لسنوات طويلة.

- ربما كان تعاطفاً من جانبه مع بعض ما كنت أنادي به من ضرورات للتغيير في وقت جمال عبد الناصر، وبينه مطلب تحييد الولايات المتحدة، وليس التناطح معها، وبينه دعوة إلى مجتمع مفتوح تطلو فيه سيادة القانون على مراكز القوة، وغير ذلك اجتهادات أخرى طرحها في أيام سابقة ولعل بينها ما صادف قبولاً لديه!

ربما ... وربما.

ولكن الذي أعرفه أننا تلاقينا، وأتينا اتفقتنا واختلفنا كثيراً، وظللتنا أصدقاء حتى جاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وانتهت، ثم تباعدت زوايا الرؤية لأن الرجل - وهذا حكمه - وجد بعد حرب أكتوبر أنه يستطيع تأسيس شرعية مختلفة تصدر عن مرجعية مختلفة. وهناك تباعدت الطرق، وكان طبيعياً أن تتباعد والانزلت العلاقة بين السياسي والصحفي من مستوى الصداقة لفكرة أو لمشروع إلى مستوى التبعية لرجل أو لسلطة!

.....

.....

● وقد يلاحظ قارئ هذا الكتاب أن المعلومات فيه أكثر من الآراء، وأن الوقائع أوسع من التحليل. وأتجاسر على القول أن ذلك مقصود، وموجبه أنني ألتزم إلى مدرسة تعتقد أن صميم حرية الصحافة هو ضمان تدفق المعلومات. فليست هناك قيمة لرأي إلا إذا كانت قاعدته من المعلومات والأخبار والخلفيات واسعة وكاملة وصحيحة إلى أقصى حد. وفي هذه المدرسة فإن المعلومات والأخبار والخلفيات هي البناء التحققي الذي يمكن أن تقوم عليه حرية الرأي من اختلاف الاجتهادات.

عبه إسرائيلي لا يطاق، ثم إن طول حالة الحرب يحجب عن هؤلاء الناس رؤى المستقبل ويتركهم مغرورين الأرض والسما!

وكانت المناغطة على الشعور العام هي اهتزاز الثقة، فأناس لا يعرفون ما فيه الكفاية عن القادة الذين تدبر مقاديرهم، وما يعرفونه عن بعض عناصرها ليس داعياً إلى الإحسان. وكانت تقهق - برغم صدمة ١٩٦٧ - مركزة في جمال عبد الناصر، وكان اعتقادهم أنه ما قادر على الوصول بهم إلى بر أمان، ولكن رحيله جعل بر الأمان ينتهد ربهت خطية.

رئي الأموال فإن هذه الجبهة الداخلية في حاجة إلى جرعات من الثقة. وعليه أن يشر على وسيلة:

٢- في القوة والسلطة: وأمامه عليها عدد من الرجال يسكنون في أيديهم مغائيرها بالكامل، سائر الحكومة أو في مجلس الأمة أو في التنظيم السياسي، وأسباب الاحتكاك بينه وبينهم كمنه. إذ حاول كل جبهة خلال الأيام التي مضت أن يثبت لهم نفسه، فقرأ كل ورقة أحوالهم إليه. برص على أن يضع تأثيراته على كل تقرير بخط كبير وواضح، ربما ليقتنع بأنه ليس لللائل الكسول الخامل الذي «عجزه وخبره»، (كما تصوروا)، وإنما هو رجل ولد من جديد، على استعداد كامل لأن يتعلم، بل وأن يتعلم منهم. ثم إنه حرص على أن يثبت لهم إخلاصه - فضلاً عن استعداده - حتى يمنع نشوء فجوة بينه وبينهم، أو يؤجل ظهور هذه القوة التي لا بد من نشوئها بطابع الرجال وطبيعة الأخوال.

ولقد شره أخذهم على غرة باختيار الدكتور محمود فوزي، لرئاسة الوزارة، لكنه راح يحولهم إلى أيديهم في أيديهم لا تزال - بصرف النظر عن رئاسة الوزارة - وقد ركز جهده في الزيادة - طبقاً لتعبيره - مع ثلاثة: «شعراوي جمعة» نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وأمين التعليم الطلعي في نفس الوقت، ثم الفريق أول محمد فوزي، وزير الحربية، ثم السيد سلفوف، وزير شئون رئاسة الجمهورية.

ولقد حارض الأعضاء القدامى من مجلس قيادة الثورة اختباره بدعوة إلى إعادة مجلس قيادة الثورة - كما واجه اختبارهم بهدوء، وصرفهم دون عناء كبير.

ثم إنه لم يراع مشاغبة زميله الكبيرين الذين نازعاه الرئاسة: السيد حسين الشافعي، والسيد طه سبي. استعمل مع الأول أسلوب الإلهاء والتسويق، واستعمل مع الثاني أسلوب الإزهاق والإغراق في مهام تبدو كبيرة في مظهرها لكنها في حقيقتها محصورة. وربما ساعده على ذلك أن أظن كان يمينين عن المواقع الحقيقية للنفوذ والانتشار.

وكذلك فأنسكن من التوصل إلى صيغة للتعاون مع الدكتور محمود فوزي، ومع مجموعة نوب رئيس الوزراء المدنيين الأكفاء، وكان هؤلاء مستقرين في مستويات العمل التنفيذي، بعيدين عن فائضة، ولأن ظلوا مهتمين بما يحتمل أن يجري عليها من تحركات.

لكن المواقع الحساسة في الدولة كانت في يد الرجال الثلاثة الأوفياء ، أو كانت تحت سلطتهم ، ابتداء من البوليس إلى المخابرات إلى الإعلام إلى الإذاعة ، ومن التنظيمات السياسية والشعبية ، وحتى القوات المسلحة والحرس الجمهوري . وكان هذا حريا بأن يؤثر قلته . لكنه اعتبرها قضية مؤجلة ، وإن لم يكن بوسعها أن تقطع : حتى متى ؟!

٣ - **جبهة إسرائيل :** التي تواجهه عبر قناة السويس ، وعليها يقف العدو الرئيسي الذي يتعين عليه أن يواجهه مهما تأخر يوم المواجهة ، وفي ذلك الوقت كانت إسرائيل تشعر أنها في أحسن أحوالها نتيجة لمجموعة من العوامل :

● قواتها المسلحة تنقف على موانع طبيعية في عمق الأراضي العربية على مشارف دمشق وعلى ضفاف قناة السويس .

● التأييد الأمريكي لها مستمر في تدفق لم يتوقف عسكريا واقتصاديا وسياسيا .

● وفوق ذلك فقد جاءت الأقدار وتطورات الحادث بهذين من السماء - على حد تعبير الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع الإسرائيلي :

- فقد اختفى من الساحة بالموت خصمها العتيق « جمال عبد الناصر » .

- كذلك فإن المقاومة الفلسطينية الوافدة على الساحة دخلت في صراع مع الأردن كان من نتيجته أن وجودها في هذا البلد أصبح مكشوفاً وضعيفاً ، وربما في طريقة إلى الخروج تماما من الضفة الأخرى للنهر .

ولم يكن هناك تعقيد من أي نوع في الاستراتيجية الإسرائيلية ، وإنما كانت خطواتها بسيطة وواضحة تمثل في عنصرين :

● مواصلة ترويض الشعب الفلسطيني على التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي كحقيقة واقعة - وربط الضفة الغربية وعزة يوما بعد يوم بجعلة الاقتصاد الإسرائيلي : موردا للعمالة الرخيصة ، وسوقا للضائع التي لا تجد لنفسها مجالا أفضل - وتعيين مناطق في الضفة والقطاع تنهياً للضم طبقاً لما أطلق عليه « مشروع اللون » أيامها . وفي ذلك الوقت الذي جاءت فيه لإسرائيل هدايا الأقدار والحادث فإنها بدأت ترسم الخريطة الأولى للاستيطان ، وانفتح الفك المستعد للقسام على آخره .

● استعمال الأرض المحتلة كأداة ضغط على أعصاب وكبرياء وأمن الدول المحيطة بإسرائيل ( مصر وسوريا والأردن ) ، وثبيت حركتها وشل فاعليتها حتى تخضع وتخضع معها بقية الأمة العربية لكامل شروط السلام الإسرائيلي . وبشكل ما فإن إسرائيل راحت تتصور أن الجبهة المصرية التي كانت عصية عليها وعلى الولايات المتحدة الأمريكية ، يمكن أن تتحول لتصبح الجبهة المرشحة لأول محاولة للنفوذ . ولعل ما ساعدا على تمثل ذلك التصور هو إحساس بدا برؤسها بأن مصر بعد « جمال عبد الناصر » لم تعد قادرة على قرار بالقتال ، وإذا تهور أحد فيها وأفهم ، فلن عجز عن إدارة معركة شاملة سوف يتبدى في ظرف دقائق قليلة .

( وفيما بعد أثبتت الظروف أن ذلك التصور بالتحديد كان أهم أخطاء إسرائيل حين جاء يوم التحدي ) .

لكن سنوات ثلاثا كان يجب أن تمر حتى يبيى هذا اليوم . وقد بدت السنوات الثلاث طويلة وثقيلة ، كأنها زمان بلا نهاية .

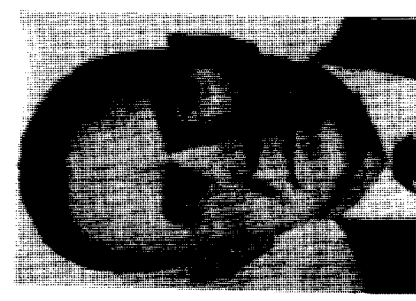
١ - **الجبهة السوفيتية :** وكانت هذه الجبهة إلى حد ما معروفة لدى « أنور السادات » ، فكان مؤلفي تلقى تحذيرات « نيكولاى بالاجورنى » ( رئيس الدولة السوفيتية ) و « أليكسى كوسيجين » ( رئيس وزرائها ) في الأسبوع الثاني من مايو ١٩٦٧ عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية . وكان هو الذي رأى بعد ذلك كيف تصل الاتحاد السوفيتي من مسئولية هذه التحذيرات عندما صارت الأمور إلى ما صارت إليه في يونيو ١٩٦٧ . وقد أتيح له أن يشهد جولات من المفاوضات بين القيادة السوفيتية وبين « جمال عبد الناصر » ، وكان يرى مدى الجهد الذي يبذله لخدمة الاتحاد السوفيتي نقلة محدودة بعد نقلة محدودة . وكان « جمال عبد الناصر » بنفذه في العالم العربي ، وفي آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، قلل على مساحة كبيرة من التأثير ، وكان من المتفكر فيه أن يستطيع أحد غيره أو بعده ملء مثل هذه المساحة . وفي الواقع العملي فإن الاتحاد السوفيتي بدأ يشعر بمزيج من التردد والقلق بعد رحيل « جمال عبد الناصر » . وحين جاء « أليكسى كوسيجين » إلى مصر لاداء واجب الغراء ، طلب أن يجتمع بما أسماه « القيادة المصرية » ( ١ ) . وبالفعل جلس مع مجموعة من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي وأعضاء مجلس الوزراء ، وراح يسوق لهم مجموعة من النصائح تحض : على التمسك بوحدة القيادة تجنب الخلاف - ثم على محاذرة المغامرات غير المحسوبة والبعد عنها - وأخيرا على التفكير الجدي في حل سلمى للصراع مع إسرائيل .

ربما كانت أهم إشارة تبنت بعد زيارة « كوسيجين » للغراء في « جمال عبد الناصر » - أن صفك إيجابية من السلاح سبق الإقفاق عليها وأعدت بالقفل في موانئ البحر الأسود للشحن إلى مصر - يرى تأجيل إرسالها . وكان مؤدى الإشارة لكل من يريد أن يفهم هو : أن الاتحاد السوفيتي يرضى أن يتشجع خلفاء « جمال عبد الناصر » ، ويروا زهمهم وتعزيز مركزهم في الداخل بالإلزام على غامرة قبل الأوان مع إسرائيل ١٠

ولم يترك « كوسيجين » شكاً لدى سامعيه ، فقد لخص كلامه كله بقوله : « نحن نريد أن نساعدكم على استعادة أراضيكم المحتلة ، ولكننا لا نعتقد أن الحرب المسلحة ضرورية لتحقيق هذا الهدف ، وإنما يجب أن تعطى الفرصة كاملة للعمل السياسي . وفي مطلق الأحوال فإننا نرجوكم أن نعرف أنفسنا على استعداد لمواجهة خطيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ونأمل أن يكون ذلك مهنوا لكم جيداً باعتباركم أصدقاء للاتحاد السوفيتي » .

(١) شارك في تلك الوقت في اجتماعين مع « كوسيجين » ، كما تحدثت إليه مطولا في السفارة السوفيتية . وذلك عندما كان كوزلوف يتردد بأن تكون رئيس البعثة المصرية المرافقة له أثناء زيارته لمصر .





كوسيجين



جونسون



نيكسون

٥ - الجبهة الأمريكية : وكانت هذه الجبهة منحازة بما لا يقبل الشك إلى إسرائيل ، فذلك سياسة ثابتة منذ نشأة الدولة اليهودية ، وقد جرى تكريسها في معركة يونيو ١٩٦٧ عندما شارك ليندون جونسون ، ( رئيس الولايات المتحدة من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٩ ) مشاركة أكيدة في التفكير والتخطيط والتنفيذ (٨) . وعندما تحقق انتصار إسرائيل في معركة الأيام الستة ، تحولت إسرائيل من تابع للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط إلى شريك كامل ، ومن ثم أصبح القرار الأمريكي في المنطقة مرهونا بما تريد أو لا تريد ، أي أن السياسة الأمريكية تبنت كل مطالب السلام الإسرائيلي . وعلى هذا الأساس تمكنت الولايات المتحدة من إحباط كل جهود المجتمع الدولي في الأمم المتحدة وخارجها ، بما في ذلك تعطيل تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ .

وبعد خروج « ليندون جونسون » من البيت الأبيض وبداية رئاسة « ريتشارد نيكسون » في يناير سنة ١٩٦٩ ، فإن واقع الحال لم يتغير كثيرا ، وإن كان الاستقراز الظاهر دوما في تصرفات « ليندون جونسون » وكلامه قد خفف بعض الشيء ، لكن الخطوط السياسية الرئيسية بقيت على حالها ، بل لعل هذه الخطوط السياسية أضافت إلى المشكلة لأن رؤية الإدارة الجديدة لـ « نيكسون » ، متأثرة في ذلك بنظريات مستشاره للأمن القومي « هنري كيسنجر » - راحت تنظر لمنطقة الشرق الأوسط من زاوية السباق بين القوتين الأعظم : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وبذلك فإن الصراع العربي الإسرائيلي أصبح مهددا بالاستقطاب الحاد الجاري على القمة الدولية ، والذي راح « كيسنجر » يعالجه بتجربة ما عرف بسياسة الوفاق ، وكانت هذه سياسة صفقات يتبادل فيها الكبار مطالب المصالح والأمن حتى ولو كان على الآخرين أن يدفعوا جزءا من الثمن . ومع أن الولايات

(٨) رجاء مراجعة كتاب « سنوات القليان » و « الانحياز » لـ محمد حسنين هيكل ، وقد صدر كلاهما عن مركز الأهرام للترجمة والنشر . أولهما سنة ١٩٨٨ ، وثانيهما سنة ١٩٩٠ .

السنة كانت لها مطالب استراتيجيية حيوية في المنطقة ، خصوصا مصالح البترول وفوائده - فلها كانت ممتددة إلى أن هذه المطالب مصونة ومحمية في نطاق الجزء الموالي لها في العالم العربي .

١ - الجبهة العربية : وكانت هذه الجبهة متمسكة على السطح متفكة تحته ، فقد بدا العالم العربي في حقيقة عدة عوالم : كان هناك عالم دول الخط الأول التي تعرضت لضربة سنة ١٩٦٧ بكل آثارها العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وأهم من ذلك آثارها الإنسانية ، وقد كانت هذه الدول «دول مصر وسوريا ، بؤر القوران الثوري الذي اجتاحت المنطقة بالنمو الظاهر والنشيط لحركة الثورة العربية بكل أحلامها الوطنية والاجتماعية . والان كان الجزء المتحرر والمقدم والسيط من العالم العربي يعاني وطأة النكسة ويستشعر مهما تظاهر - ذل الاحتلال . وربما أسوأ من ذلك أن هذا الجزء المتحرر والمتقدم والنشيط أصبح يعتمد بشكل أو بآخر على دعم عالم عربي ثل «دول علم التنظيم العربية التقليدية التي كانت مصنفة قبل أسابيع مضت كبقايا متخلفة من عصور فائرها» في زحمة الأزمة فلن الجزء التقليدي من العالم العربي وجد لنفسه توجه آخر طالما فكر فيه ، وهو التوجه الإسلامي . وقد برز فجأة مشروع المؤتمر الإسلامي ، وراح يسمى إلى دول الجوار : إيران - وباكستان - وتركيا .

وفي نفس الوقت كان هناك عالم عربي ثالث تشكله تلك الدول العربية البعيدة عن أرض المعركة ، وراح بعضها يتحدث عن ضرورات الحرب دون أن يتفهم تكلفة هذه الضرورات أو يشارك فيها .

إلى جانب هذه العوالم العربية فقد كانت هناك قوى وأحزاب فلت عيارها ، وانتقلت فجأة من لمسك لقومي إلى ممارسة نوع من الطفولة اليسارية ، تزايد بها على كل الناس وفي كل العالما ، في حين أنها لا تملك وسائل دفع من أي نوع تشتري بقيمتها ما تزايد عليه .

ومما زاد الأمر تعقيدا أن السنة الأخيرة من حياة « جمال عبد الناصر » شهدت ثلاثة نظم حكم جديدة في العالم العربي :

- نظم لحزب البعث في العراق ، كان جهده في ذلك الوقت منصرفا إلى تعزيز مواقفه في بغداد .
- ونظم شباب جديد في ليبيا ، توهج فيه جموح الشباب في وقت كان الجموح فيه مهوباسلا .
- ونظم في السودان ، لم يكن يعرف ماذا يريد ؟ وإلى أين يتجه ؟

وكان ذلك أمل في جبهة شرقية في آسيا العربية تنقف أمام إسرائيل بتعاون وتنسيق مع جبهة عربية في إفريقيا العربية - لكن هذا الأمل لم يكن قد تحقق بعد ، ورغم جهود معضنة فلن الهدف ظل عبثا وبعيد المنال .

وبالطبع فإن إسرائيل - والولايات المتحدة في موقعها وراءها ، والاتحاد السوفيتي في موقعه وراء العرب - كانوا جميعا يرون من الحقيقة ما هو أكثر من الظاهر على سطحها .

٧ - وأخيرا كانت هناك الجبهة العسكرية - أو بمعنى أدق كانت هناك القوات المسلحة المصرية : الجيش المصري .

كان الجيش المصري قد عاش حقبة حقيقية في ظروف سنة ١٩٦٧ ، ولقد تماثلت نفسه بعد انتهاء المعارك ، وساعدته القيادة المباشرة لـ جمال عبد الناصر ، في تلك الظروف على هذا التماسك ، كما ساعدته عليه أيضا عملية إعادة البناء والتسلح التي اعتبرها ، جمال عبد الناصر ، مهمة عمره وكرس نفسه بالكامل لها . ثم جاءت حرب الاستنزاف بوقائعها فأعادت لهذا الجيش جزءا من ثقته بنفسه .

لكن هذا الجيش كان لا يزال في حاجة إلى لوازم حيوية : سلاح أكثر تقدما - وتدريب أكثر كفاءة - وأرضية سياسية في الداخل والخارج أكثر تقبلا للتضحيات وأوسع كراما في المساعدات خصوصا إزاء تفوق على الخطوط المعادلة متزايدة مدلاته ووسائله .

وقد أدرك « أنور السادات » بذكاء أن هذه الجبهة الأخيرة - جبهة الجيش - هي الجبهة الرئيسية في كل ما يواجهه .

وقد عرض مجمل خواطره على النحو التالي :

□ إن الجيش هو الكتلة الحرجة في الفترة القادمة لأن الجميع سوف « يلبسون عليه » :

- إذا تخرجت الأمور في الجبهة الداخلية فالجيش هو العامل الذي يحسب حسابه .
- إذا نأوت جبهة القوة والسلطة أو شاغبت فأرجح الاحتمالات استعلاء الجيش كخطوة أولى تمهد - ربما - لعملية تغيير بالجراحة .
- إذا أرادت إسرائيل أن تدفع الأمور إلى حافة الهاوية فالجيش هو أول أهدافها تعيد تدمير سلاحه ، وتعيد تدمير معنوياته ، وأيضا توقيف قطعة كاملة بينه وبين قيادته السياسية .
- إذا أراد السوفييت أن « يخلعوا » - على حد تعبيره - فالأثر الأول واقع على الجيش بكل ما يمكن أن يترتب على ذلك من تداعيات تؤثر على المعنويات ، وربما تدفع بالإجباط إلى مغامرات .
- وإذا أرادت أمريكا أن « تتأمر » فالجيش قد يكون أقصر الطرق إلى القصد ، وهذه تجربة مارستها السياسة الأمريكية طويلا ، وحقت بها الكثير مع جيرانها في الجنوب : أمريكا اللاتينية . ثم إنها جربتها في المنطقة أيضا ، وبنجاح ، ضد نظام الدكتور « محمد مصدق » في إيران !
- وإذا أراد بعض العرب أن « يتسللوا » ، فقد تكون محاولتهم في الجيش إذا أمكن في لحظة ملائمة استغلال ما قد يطرأ من مشاكل في الداخل .

( وكان يحسب من « البعث » في سوريا أو العراق ، ومن « القذافي » في ليبيا ) .

● وفوق ذلك كله ، وربما قبله ، فإن الجيش من ذات نفسه يعيش تحت ضغوط سياسية وعسكرية ونفسية صعبة ، وقد كان انفجار ١٩٦٧ بكل شظاياه معنة مروعة ، كما أن مسئوليات لا ذنب للتشكيلات المعادلة فيها نزلت على أكتاف الجيش بدون وجه حق . ثم إن هناك فجوة بين الوسائل الموجودة في يد القوات والغايات التي تحدت لها ، وزاد على ذلك أن تواجد خبراء سوفيت في الوحدات حتى مستوى الألوية ، بقصد تكثيف التدريب ، أحدث دون قصد أسبابا للاحتكاك والحساسية .

هذا كانت جبهة الجيش متصلة بأنابيب مستطرفة على كل الجبهات ، وفي مطلق الأحوال « أدرك الرئيس » السادات « أن علاقته بالقوات سائرة حتما إلى اختصار :

١ - فهو في وقت من الأوقات لا بد أن يصدر أمرا إلى الجيش بالعبور إلى الضفة الأخرى ، وإلا يفل ذلك في وقت معقول ، فإن استمرار التوتر والتعلق ، بل وحتى العمل ، قد يدفع الجيش إلى الإرتداد إلى الوراء والعودة إلى العاصمة نفسها لتغيير نظام ثبت عجزه وتأكد فشله .

٢ - وهو لا يستطيع أن يصدر أمرا إلى الجيش بالعبور إلا إذا كان لدى قيادته ما يدعوها إلى الاعتقاد بأن هناك فرصة مناحة للنجاح . وإذا لم يستطع توفير هذا الشرط فإن المصيان ضده يترك .

٣ - والأخطر من هذا كله أن الجيش سوف يظل مشكلة حتى إذا تحقق انتصار ، لأن تفرغ من اللون وإعادته إلى حجمه الطبيعي سوف تكون مهمة محفوفة بمخاطر كثيرة ، خصوصا ما يربو الاستعداد التي يكون هذا الجيش قد بلغها ، ومع درجة التعينة المعنوية التي يكون هذا الجيش قد أمثل بها ، .



كل استعراض « أنور السادات » لكل ما يواجهه على مختلف الجبهات ، صحيحا ودقيقا . لكن على تنوع جبهاته واتساعها - كان جزءا من الموقف ، ولم يكن الموقف كله . ذلك أن حقائق لم ترق لا تتجلى عناصرها إلا عندما يتم التفاعل بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي ، لأن لهذه في النهاية إنسانية .

وكل ذلك بالصبغ ما عناه الرئيس « أنور السادات » في ذلك الأسبوع الأول من رئاسته ، كما كان مدركا له بوعي ، أو كان ناتيا عن الاعتراض به ولو باللا وعي في شعوره :

● كانت لديه قناعته التي تكونت من واقع تجربته في سنوات التكوين الأساسي قبل الثورة ، وكل كائن حي هو نتاج تجربته مهما نزل أو طلع .

● وبعد الثورة فإنه قام بتجميد نفسه (على حد تعبيره) - لأنه قبل بقيادة جمال عبد الناصر ، ووثق فيه ، وانصرف إلى قضاء بقية عمره في ظل صديقه يريد أن يعوض ما عانى منه وقاسى في حياته السابقة (وذلك أيضا وصفه) .

● لكنه حين وقعت المسؤولية على كتفيه على غير انتظار ، كان طبيعيا أن « ما تجد ، في مرحلة سابقة لا بد له أن » يذوب » ويستأنف حركته ، ويلتقى بها أو يصطدم مع الواقع والقائم . ولعل هذه الحالة الفريدة كانت هي المأزق الحقيقي الذي واجهه الرئيس « أنور السادات » . وكانت هناك مغالقات - لم تتحول بعد إلى تناقضات - بين ما اكتشفه أمامه من الموضوع - الواقع ، وبين ما استيقظ داخله من قناعات تجربته - الذات .

وبين المكتشف والمستيقظ كان الرجل - سياسيا وإنسانيا - مع بداية أزمة حقيقية :

- إنه لا يستطيع أن يقدم إلى الأمام - وهو ما يتطلبه الموضوع .
- وهو في نفس الوقت لا يملك العودة إلى الوراء - وهو ما توحى به تجربة الذات .
- وأخطر من هذا فهو لا يقدر على البقاء مكانه بغير حركة لأن ذلك مضاد للطبيعة ، مهما كان الموضوع ومهما كانت الذات .

ومع ذلك كان عليه أن يبدأ دوره ورئاسته وعصره ، وأن ينتظر المقادير تعطيه السبيل إلى مخرج من هذا الموقف المستعصى على الفكر والفعل .

ولم يكن في وسع المقادير إلا أن تعطيه أحد مخرجين :

- إما مخرج إلى حل ، وهو ما كان يفضلُه بالقطع - ومعه الحق .
- وإما مخرج إلى حرب ، وهو ما لم يكن منه مفر إذا انسدت كل المسالك إلى الحل - لكنه حكم الضرورات لا حيلة له فيه !

ولقد كان توجهه الأول وسط أوضاعه التي وجدها شبه مستحيلة - أن يبدأ بتجربة مخرج الحل .

وراح يفكر ويبحث ويتقصى .

## الفصل الثاني

### البحث من حل

١

لم يكن الرئيس « أنور السادات » في محاولته للبحث عن حل دبلوماسي - قبل مواجهة مبررات ومخاطر العمل العسكري - بادئا من فراغ . والحاصل أن تجربة البحث عن حل دبلوماسي للأزمة التي نشأت بعد نكسة ١٩٦٧ فرضت نفسها من قبل رئاسته بوقت طويل ، وكان بالدرجة الأولى - على حقيقة لم يكن هناك سبيل إلى إنكارها في ذلك الوقت ، وهي أن القوات المسلحة المصرية لم يعد في يدها سلاح قادر على الحرب ، على فرض أنها كانت معها - وعلى الفور - مستعدة لحمل السلاح . ومع أن صوت الرصاص كان لا يزال مسموعا على الخطوط فيما سمي بـ « معارك رأس العش » - فإن هذه المعارك كانت ذات هدف وأثر نفسي لدعم القوات ، ولتثبيت روح التعاسك والمقاومة في البنيان المشروخ للجهة الداخلية .

وعندما يكون القتال مستحيلا في لحظة من لحظات أوى صراع ، فإن النشاط الدبلوماسي لا يجمع مرد خیار ، وإنما يصبح كذلك خندقا لا بديل عن الاحتماء به لكسب الوقت لحين استعادة الزمام وإقناع الأطراف ، وإتاحة الفرصة لجهود عالمية تسمى في الأزمة سعيها لعل وعسى ، وكما هي تظل الأزمة في حالة حركة لا تموت قضيتها بالصمت الذي يولده العجز .

ولم الفترة ما بين أواخر يونيو سنة ١٩٦٧ إلى أوائل نوفمبر من نفس السنة كانت دبلوماسية الأمم المتحدة هي النشطة والظاهرة . لكن كل مشروعات القرارات التي عرضت على المنظمة الدولية في تلك الوقت اصطدمت بواقع التعهدات التي قطعتها الرئيس الأمريكي « ليندون جونسون » ، على نفسه وعلى بلده قبل بدء المعركة ، ومؤداه ، أن الولايات المتحدة تتعهد بمنع صدور أي



قرار من الأمم المتحدة يدين إسرائيل على عدوانها - وبالتصديق لأى ضغط يحاول أن يفرض عليها الانسحاب من الأرض التي تحتلها والعودة إلى المواقع السابقة على العدوان إلا بعد حل سلمي تتوصل إليه الأطراف - كما أنها تضمن تعويضها عسكريا عن كل ما تخسره في المعارك ، وبما يوفر لها باستمرار تفوقا عسكريا يتجاوز كل ما يحصل عليه جميع العرب من السوفيت أو غيرهم (١) .

وهكذا فإن قصارى ما توصلت إليه دبلوماسية الأمم المتحدة على امتداد خمسة شهور هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى شارك فى وضع عناصره مندوب الولايات المتحدة فى مجلس الأمن « آرثر جولديبيرج » ( وهو يهودى متعصب لإسرائيل ) - ثم تولي صياغته النهائية الدبلوماسى البريطانى اللورد « كارامون » ( وهو قانونى بريطانى متوازن فى تفكيره إلى الحدود التي تسمح بها السياسة البريطانية ) - وكان هذا القرار نموذجا « عبقريا » من نماذج الصياغات الدبلوماسية التي تعطي لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يستند إليه فى طلب الشيء ، ثم تعطي لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يتمسك به فى طلب نقيض الشيء !

ولقد قبل « جمال عبد الناصر » بهذا القرار لأنه نص على عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة ، ولأنه طالب بالانسحاب من « أراضى محتلة » سنة ١٩٦٧ - وفى نفس الوقت فإن « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل قبل بنفس القرار لأنه كان يربط ذلك بمفاوضات تأخذ الانسحاب إلى « حدود أمنة ومعترف بها » . وهكذا كان نصف القرار يبدو متعارضا مع نصفه الآخر ، وكانت هناك معضلة فى التوفيق بين التصفين ، أيهما يمثل نقطة البداية ؟ وفى حين أن الطرف العربى أعطى الأولوية للانسحاب تأسيسا على مبدأ عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة - فإن إسرائيل أعطت الأولوية للسلام داخل حدود أمنة ومعترف بها ، تأسيسا على أن التفاوض يقصد التوصل إلى حالة سلام هو المقدمة التي لا بد منها .

وكان « جمال عبد الناصر » يدرك أن النصوص لا تصنع الحقائق وإنما الحقائق هي التي تصنع النصوص ، وهكذا فإنه صاغ استراتيجيته كلها فى إعلانه ذلك الوقت أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير بالقوة » ، وراح يرتب نفسه لصراع سياسى طويل يصل فى مرحلة من مراحلها إلى حتمية السلاح .



كانت الشهور التي استغرقتها دبلوماسية الأمم المتحدة ، من يونيو إلى نوفمبر ١٩٦٧ ، فترة شديدة الكثافة والتركيز فى الفكر الاستراتيجى المصرى ، وبإذات فكر « جمال عبد الناصر » : - ظلت الاستراتيجية العليا هي التعبير الكامل للأرض العربية ، وتحقيق شكل ما من أشكال

(١) رجاء مراجعة الوثائق فى كتاب الانقلاب ١ ، محمد حسنين ميكل . .

الوجه فى منطقة توفرت لها كل العوامل الجغرافية والتاريخية لذلك - إلى جانب الضرورات المستقبلية .

- لكن استراتيجية العمل الآنى كان عليها أن تتواضع بعض الشيء بالنسبة للعدى الزمنى الذى يمكن أن يتحقق فيه هدف الاستراتيجية العليا .

وكانت تلك استجابة لا مفر منها مع التعبير الذى طرأ على حقائق القوة الوطنية والإقليمية والدولية - وقد راحت كلها تنصاع عن نفسها - خلال التحركات والأفعال وردود الأفعال التى ظهرت وتجلت أثناء ممارسة دبلوماسية الأمم المتحدة :

● من ناحية - كانت الطريقة التى حلت بها التكتية فى يونيو سنة ١٩٦٧ قد كشفت عن أوجه قصور أصابت ببناء النظام فى مصر . ومع أن الضربة كانت أساسا بفعل عوامل خارجية - إلا أن كان من المستحيل إنكار أن حجم ما جرى والشكل الذى جرى به ، كشف أسبابا للضعف لا بد من الاعتراف بها ، كما أنه لا بد من تلافيها . وهذه ليست مهمة سهلة . وما هو أخطر أن الضربة أثرت سياسيا ومعنويا على جزء كبير مما كانت مصر تمثلته حينئذ فى الحركة القومية العربية .

● ومن ناحية ثانية - فإن هذا التغيير فى القوة المصرية استدعى تقائيا تغييرا مماثلا فى الإصاع الإقليمية ، وأدى بدوره إلى تعديل فى الوزن النسبى للأنظمة التقليدية فى العالم العربى ، فهذه الأنظمة - وبصرف النظر عن سياساتها وتصرفاتها قبل سنة ١٩٦٧ - لم تكن ممنولة مباشرة عما وقع فى تلك السنة الكتيبة ، وبالتالي فقد كان فى وسعها أن تسحب نفسها بعيدا عن الواقع الجربية والدامية ، وتتخذ موقف المنفرج الذى مسه الأسف والحزن على ما جرى . وأصبحت إلى ذلك أن أهم ما أسفر عنه مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم ( أغسطس ١٩٦٧ ) هو إل التلم التقليدية ( دورل البترول ) تطرعت لمساعدة الدول المتضررة من العدوان الإسرائيلى بمساعدات مادية بلغت قيمتها بالنسبة لمصر وحدها ١٢٥ مليون جنيه استرلينى سنويا .

● ومن ناحية ثالثة - فإن الخلل فى الموازين بين الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية ، والامداد السوفيتى من ناحية أخرى ، راح يلعب دوره ، وإن لم يكن فى مقدور كثيرين فى ذلك الوقت أن يفهموا ويقدروا حجم الخلل . وقد بانث ظواهر هذا الخلل فى مؤتمر « جلاسبرو » الذى لعد ما بين الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » ، ورئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » - من ٢٣ إلى ٢٥ يونيو ١٩٦٧ ، وفى أعقاب توقف المعارك . ولقد تصور البعض فى العالم العربى أن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ( الصديق للعرب ) سوف يذهب إلى لقائه مع رئيس الولايات المتحدة ( الموالى لإسرائيل ) ، ثم يوجه إليه إنذارا على طريقة سنة ١٩٥٦ بضرورة انسحاب قوات العدوان الإسرائيلى - المعزز أمريكيا - من كل الأراضى العربية المحتلة .

لكنه بعد انتهاء لقاء « جلاسبرو » ، تبين أن أزمة الشرق الأوسط تحولت فيه إلى مقايضة أن « جونسون » لوح ل « كوسيجين » بمسقة تتعلق بتحديد إنتاج الصواريخ البعيدة المدى ، وكان

«كوسيجين» على استعداد لقبولها بسرعة لأنه هو رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي كان يدرك أن من غيره فداحة تأثير سلاح على الاقتصاد السوفيتي .

وانتهى الاجتماع إلى « تأكيد رغبة الطرفين في تخفيف حدة التوتر والتوصل إلى تسوية لازمة الشرق الأوسط » . ولم يوجه أحد إلى أحد إنذارات بسبب العنوان « الذي لا يطلق » - ١ - في الشرق الأوسط ، كما حدث في أزمنة سابقة .

إن « اليكسي كوسيجين » لم ينتبه إلى أن تخفيف حدة التوتر في الشرق الأوسط يقتصر دور الاتحاد السوفيتي في المنطقة ، ذلك أن الحاجة إلى الدور السوفيتي تنشأ من احتياج الدول العربية - ومصر بالذات - إلى سلاحه . فإذا خف التوتر ونقصت الحاجة إلى السلاح - تقلص الدور السوفيتي وانحصر .

والعكس صحيح بالنسبة للولايات المتحدة ( أو هكذا كان التصور وقتها ! )

ذلك أنه إذا كانت هناك فرصة حقيقية لتسوية سلمية ، فمثل هذه الفرصة تغطي المجال واسما للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الطرف الوحيد القادر على التأثير في سياسة إسرائيل التوسعية ، وبالتالي فإن الدور الأمريكي في ظروف البحث عن تسوية يزداد ويتسع .

وربما تنبه « كوسيجين » إلى أنه في « جلاسبرو » يعطى ميزة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، لكن أولوياته الاقتصادية سبقت في تقديره كل الاعتبارات الأخرى في « جلاسبرو » . والحاصل أن هذه المتغيرات الثلاثة على المستوى الوطني والقومي والدولي أعطت للولايات المتحدة مركزا خاصا في عملية البحث عن حل لازمة الشرق الأوسط ، وكانت تلك واحدة من مفارقات السياسة ومفارقات التاريخ - الصارخة !

□

إن واحدا من الباحثين المعروفين في دراسة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وهو « ويليام كوانت » (٢) - عين أربعة محددات للسياسة الأمريكية بصفة عامة ، وقد عددها على النحو التالي :

- ١ - المصالح الاستراتيجية من منظور المصالح الأمريكية .
- ٢ - اتجاهات العامل الداخلي المؤثر على السياسة الأمريكية .
- ٣ - الخطوات السياسية شبه الثابتة للبيروقراطية الأمريكية .
- ٤ - تصورات الرئيس الأمريكي نفسه ومستوى قيادته ونوع مستشاريه .

وإذا ما جرى تطبيق هذه المحددات للسياسة الأمريكية على الشرق الأوسط ، وفي ظروف أزمنة سنة ١٩٦٧ بالتخصيص - فإن الصورة العامة التي تظهر بعد ذلك تصبح رمادية غامقة :

(٢) رجاء مراجعة كتاب « ويليام كوانت » ، بعنوان « حقبة من المفاوضات ، الذي صدر عن جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٧٧ » .

٧٦

● ● فمن ناحية المصالح الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة يجم، الحفاظ على موارد البترول العربي أو لا - ثم يليه - ثانيا - إحكام السيطرة على المنطقة المحيطة بمناجمه والمؤثرة بها - ثم يلي ذلك - ثالثا - تقليل وحصر وإخراج النفوذ السوفيتي منها تماما .

ولقد كان الانتصار الإسرائيلي سنة ١٩٦٧ - وبدور « ليندون جونسون » ، القادى في إعداده « ديميه » - خدمة هائلة لهذه المصالح الاستراتيجية . فالقوى القومية الثورية في العالم العربي كانت تشكل خطرا - كما أن الاتحاد السوفيتي كان يمثل دعما لهذا الخطر - ولأن فلن عنصر الخطر وعصر الدعم لهذا الخطر ، كليهما يتراجع ، أو ينتعد على الأقل !

● ● ومن ناحية العامل الداخلي المؤثر على السياسة الأمريكية - فإن هذا العامل فيما يتعلق بإسرائيل يتركز في ثلاث قوى رئيسية :

● الكونجرس - وتعاطف أغلبية فيه مع إسرائيل واقع حال لا يحتاج إلى زيادة شرح .

● ووسائل الإعلام الأمريكي - وهما مع إسرائيل ظاهرا ، مقروء ، مسموع كل يوم .

● ثم جماعات الضغط اليهودي ، أو ما اصططح على تسميته بوصف « اللوبي اليهودي » - ودور قياداتها وتنظيماتها سر ذاتع ومشهور ! (٣)

وقد أدى انتصار إسرائيل بالطبع إلى تعزيز مركز كل هذه القوى الفاعلة في القرار الأمريكي . فقد ظهر أن هوامم - وقد كانوا يلامون عليه في بعض الأحيان - متوافق تماما مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية ، وقد وفر للولايات المتحدة كثيرا مما كان مطلوبا وكان صعبا صالة .

● ● ومن ناحية الخطوط السياسية للبيروقراطية الأمريكية فإن الانتصار الإسرائيلي أحدث نتائج ضخمة بالنسبة لتوجهات أجهزة رسمية أمريكية مؤثرة ونافذة .

كانت الأجهزة البيروقراطية الأمريكية تقليديا موزعة بين أغلبية مندفة إلى التعاطف مع إسرائيل ، وأقلية تحاول أن تفهم قضايا العرب لأن ذلك ادعى إلى تأمين المصالح .

وعلى سبيل المثال ، فقد كان المعروف تقليديا أن وزارة الطاقة في الولايات المتحدة شديدة الإبراك لأهمية البترول العربي ، وبالتالي أهمية الملائمة السياسية مع أصحابه ، وكانت شركات

(٢) إن تظهر اللوبي الإسرائيلي والممثل أساسا في منظمة « آيهك » الشهيرة تجلى وانتكف في المعركة الانتخابية الأخيرة ساه ١٩٦٧ بين « و . كلينتون » حين أُنِيع تسهيل نص محايدة تكنولوجية لتسليم « الآيهك » . « دافيد ستير » . تبين منها أن لمر على تعيين وزراء الخارجية والدفاع في إدارة « كلينتون » . وللتد على الإغلاء على أقطاب إدارة « بوش » . في لمر فورك . ثم إن مقايض كثيرة في مجلس الشيوخ وفي مجلس النواب تعتبر في جبهه !

التورول الأمريكية الكبرى في ذات الصف . كذلك فإن القيادة الأمريكية العسكرية ( البنتاجون كانت تحاول باستمرار أن تحذر من الانحياز الكامل لإسرائيل باعتبار أن معظم المطال الاستراتيجي الأمريكية - التورول والموقع - كلها مركزة على الناحية العربية في الشرق الأوسط وعلى مستوى آخر فقد كانت وكالة المخابرات المركزية منقسمة إلى معسكرين : معسكر يرى فائدة في التعاون مع العرب ( وكان يمثل في بعض الأحيان « كيريت روزفلت » ، معسكر الوكالة الشهير في الشرق الأوسط ، وكانت عيناه دواما على آبار التورول ) - معسكر آخر يرى أن الفائدة كلها في التعاون مع إسرائيل ( وكان يمثل هذا المعسكر في وقت من الأوقات « جيمس انجلتون » ، مدير العمليات الخاصة في الوكالة ، الذي كان بين دعاويه أن إسرائيل هي أكبر عون للغرب على جمع المعلومات عن الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية اعتمادا على جاليات يهودية كبيرة هناك ) .

وكانت وزارة الخارجية نفس الشيء : نصفها مع العرب ممن يسمونهم العروبيون ( لأنهم من تلامذة مدارس الاستشراق ، يتحدثون اللغة ويعرفون شعوبها ) - ونصفها الآخر يائس من التعامل مع العرب بتأثير نزعات تصل إلى حد العنصرية أحيانا !

وبانتصار إسرائيل سنة ١٩٦٧ - فلن الشئ كانوا يحاولون تلمس سبيل إلى التفاهم مع العرب تخافنت أصواتهم ، كما أن أصوات الآخرين علت ودوت .

● ● ● وأخيرا يجيء المحدد الرابع للسياسة الأمريكية ( طبقا لتشخيص « كوانت » ) - وهو تصورات الرئيس الأمريكي نفسه ، ومستوى قيادته ، ونوع مستشاريه .

وكان « ليندون جونسون » لا يحتاج إلى توصية كما يقال ، وقد تحول عداؤه لـ « جمال عبد الناصر » إلى قضية شخصية في بعض الأحيان ، كما أن سياسة إطلاق العنان لإسرائيل (to unleash Israel) كانت اجتهاده الشخصي . ثم إن مستشاريه جميعا وبدون استثناء كانوا من اليهود ، وأولهم « والت روستو » مستشاره للأمن القومي وشقيقه « بوجين روستو » مساعد وزير الخارجية المسئول عن الأمن القومي . بل إن أقرب أصدقائه الرجال ، وهو « أب فورتناس » ( محام شهير ) ، كان يهوديا . وكذلك كانت « مانتلة كيريم » ، وهي المرأة التي كانت مسئولة على عتله ومشاعره في تلك الفترة من حياته - يهودية هي الأخرى . ولم يكن هؤلاء جميعا من اليهود فقط ، وإنما كانوا من غلاة المتعصبين للصهيونية ولإسرائيل .

□

هكذا كانت الدواعي الوطنية ، والإقليمية ، والدولية كلها تفرض على مصر نقل التركيز من أهداف الاستراتيجية العليا ، والاكتفاء مرحليا باستراتيجية عملية تستدعيها مطالب علاج حالة طارئة .

( ٤ ) رجاء مراجعة كتاب ، سنوات الظلم ، و : الانفجار ، د . محمد حسنين هيكل .

٧٨

ركان ذلك بالوسط هو الذي جعل ، جمال عبد الناصر ، يعيد توصيف هدفه الاستراتيجي بالـ « إزالة عنوان سنة ١٩٦٧ » - لا أكثر ولا أقل !

ركان تقديره - كما سلف القول - أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه بالدبلوماسية وحدها . موما دبلوماسية الأمم المتحدة . وإذا كان صحيحا ما قاله من أن « ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسد إلا بالقوة » ، فلن احتياجه إلى الاتحاد السوفيتي يفرض نفسه كبد رئيسي في جدول أولوياته !

لأن كان الاتحاد السوفيتي أمامه موزعا بالفكر والاهتمام : ما بين أزمات مكتومة في العالم ، إلى أزمات ثقيلة في الخارج تمتد من حرب فيتنام - إلى سباق السلاح - إلى مأساة لمراجع الصين - إلى هموم العالم الثالث - ثم أزمة الشرق الأوسط التي انتكس فيها بالتهمة « ما جرى لسلاحه في معركة سنة ١٩٦٧ » . وقد زاد على ذلك أن أطرافا عربية راحت توجه له سلاح الاتهام بالخنوع ، وحتى بالتواطؤ ، بعد اجتماع « جلاسبرو » .

لما يكن في وسع « جمال عبد الناصر » أن يقبل بهذا الحال السوفيتي كأمر نهائي - إلا إذا كان على استعداد لقبول نتائج معركة ١٩٦٧ كأمر واقع .

لأنه كان يريد حلا ، لكنه وسط نخان ميادين القتال وحرقها ، ووسط ضباب دبلوماسية الأمم المتحدة ، كان يدرك في أعماقه أن أي حل يحتاج إلى السلاح . وأن الحاجة إلى السلاح تفرض ضرورة الحاجة إلى الاتحاد السوفيتي .

لأنه استطاع أن يضغط على الاتحاد السوفيتي بكل وسائل الإقناع المتاحة له لإعادة تموين له لمصرية في معركة ١٩٦٧ ، ولم يجد في نفسه حافزا يدعو إلى قبول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٣ إلا عندما أبلغه المارشال « زخاروف » رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية بأن قوات المصرية في السويس أصبحت قادرة بعتادها وتدريبها وروحها القتالية - على الدفاع في بها بما يحول دون اختراقها . وكان هذا التقرير من « زخاروف » مؤيدا بتقرير مماثل من طرف عبد المنعم رياض ، رئيس هيئة أركان الحرب المصرية والذي كان « جمال عبد الناصر » بهاديا معركة إزالة آثار العدوان - إذا ما عاد الاحتكام مرة أخرى للسلاح .

لأن المطلوب لاستراتيجية « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » ، لا يتحقق باستكمال مهام مهام جبهة قناة السويس وما وراءها ، وإنما يقتضي أكثر . وإذا فلن الضرورات تفرض شد الإحالة لوفيتي ، المهموم ، إلى درجة أكبر من التركيز على الشرق الأوسط وأزمته .

□

لأن احتياج إلى الاتحاد السوفيتي لم يكن من شأنه أن ينفى ضرورات أخرى تقتضيها أسباب الدفاع حل .

٧٩



□ فلم يكن من الممكن مثلا إهمال دبلوماسية الأمم المتحدة مهما كان الأمل ضعيفا في نجاحها .

وكان مجلس الأمن الآن قد عهد بقراره رقم ٢٤٢ إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ، الراهب البوذي من بورما وقتها ، « يو ثانت » - بمثابة تنفيذ .

ويُدوره قام « يو ثانت » بتعيين ممثل خاص له هو السفير السويدي لدى الأمم المتحدة ، « جونار يارنج » ، ليتولى الاتصال بالأطراف .

وكان الأسلوب الذي اتبعه « يارنج » هو السفر إلى العواصم المعنية بالأزمة وسماح آرائها ، وتسلم صياغاتها وعرضها على الآخرين . لكنه بعد أسابيع تبين أن هذا الأسلوب ، وقد وصفه « يارنج » نفسه بأنه أسلوب « سعاة البريد » - كسبح لا يقدر على بلوغ نتيجة .

□ ولم يكن ممكنا إهمال دور أوروبا ، وفرنسا بالذات ، فالنشاط في الآخر في الشمال من البحر الأبيض يريظه جوار تاريخي وحضاري وقافي مع الشواطئ العربية في الجنوب . وأوروبا - خصوصا فرنسا تحت قيادة الجنرال « شارل ديغول » - ليست في كل الأحوال على وفاق مع الولايات المتحدة ، كما أنها ليست على اتفاق إلى النهاية - مثل « جونسون » - مع إسرائيل .

وقد كان « ديغول » موقف مبدئي بالغ الصرامة قبل معارك سنة ١٩٦٧ ، حين أعلن أن فرنسا سوف تحدد موقفها من أطراف الأزمة التي بدأت بعد سحب قوات الطوارئ في مايو من تلك السنة ، على أساس أنها ضد الطرف الذي يبدأ بإطلاق الرصاص الأولى ، ومن ثم يشمل نيران الحرب . وكانت إسرائيل هي التي بدأت بالطاقة الأولى . وراح « ديغول » يباعد ما بين فرنسا من ناحية ، وإسرائيل والولايات المتحدة من ناحية أخرى (٥) .

وكان « جمال عبد الناصر » يريد موقف فرنسا المستقل - ولو نسبيا - كجسر إلى الغرب ، حتى لا يجد نفسه في النهاية « داخل صندوق واحد مع الاتحاد السوفيتي » . كان يريد بتلونا واسع المدى مع الاتحاد السوفيتي على الأرض ، ولا يريد لهذا التعاون أن يكون محصورا أو محاصرا داخل « صندوق واحد » - على حد تعبيره . وفي كل الأحوال فإن دورا أوروبيا - فرنسيا بالدرجة الأولى - كان كفيلا يمنع الاستقطاب في الأزمة بحيث تدخل إلى دائرة الاستعصاء في علاقات القوتين الأعظم .

□ بل إنه لم يكن ممكنا - مهما كانت الظروف - إهمال الناصر الأمريكي ذاته . ومهما كانت المرارة في الحلق من نتيجة سياسة « جونسون » ، المنحازة لإسرائيل وذات الطابع شبه الشخصي - فإن الولايات المتحدة تبقى على رأس القمة الدولية .

(٥) فيما بعد - سنة ١٩٦٨ - وصل الجنرال « ديغول » إلى حد حظر بيع السلاح الفرنسي لإسرائيل ، وكان ذلك بعد غارتها على مطار بيروت ، وقد اعتبرها « ديغول » إهانة لفرنسا ، بتأثير تصوراته للمعلاقة الخاصة بين لبنان وفرنسا .

رغم بدايات سنة ١٩٦٨ ، وكانت مهمة « يارنج » قد أنهكت على الطريق من القاهرة إلى لارب ، ومن عمان إلى نيويورك - خطا الجنرال « ديغول » ، خطوة جديدة . فقد بعث إلى « جمال عبد الناصر » برسالة يقول فيها ، إنه يرى - مع تعثر مهمة « يارنج » - أن تتعمل النول الكبرى للأمم المتحدة في مجلس الأمن مسئولياتها . فهذه الدول هي التي وضعت قرار مجلس الأمن الصادر نصفيين والذي تعذر تحقيقه حتى الآن .

رائن فالحل الذي يقترحه الجنرال « ديغول » هو أن تنتقل دبلوماسية الأمم المتحدة إلى الأرب الكبار ، بحيث يتولى ممثلوها - على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى المنوبين الدائري لدى الأمم المتحدة - عقد اجتماعات مع الأطراف يتوصلون فيها إلى خطوط حل ، ثم يمتطرحه على الجميع ، وفرض تنفيذه إذا اقتضى الأمر » .

ورد ، جمال عبد الناصر ، بالموافقة على دبلوماسية الأربعة ، وإن كان قد تحفظ فيما يتعلق بهم العمل .

كان « جمال عبد الناصر » يتوقع أن ترفض إسرائيل فكرة محادثات الأربعة الكبار « معاهم » ، وبالتالي ترفضها الولايات المتحدة . وكذلك كان . والذي حدث هو أن « جونسون » ، صانع القرار « ديغول » كان رده المتعالي هو : « محادثات بين الأربعة الكبار .. من هنا الامم الاخريين ؟ » ثم بعث إلى « ديغول » ردا قال فيه « إنه يفضل أن تبقى جهود العمل في إطار الأمم المتحدة حتى لا يبدو أن الأربعة الكبار يحتكرون القرار الدولي » .

كان هذا حقا يراد به باطل ، وفي كل الأحوال فإن الفكرة نامت مع استمرار رئاسة « ديغول » .

لكن هذه الرئاسة كانت في شهورها الأخيرة ، ذلك أن سنة ١٩٦٨ كانت سنة انتخابات رئاسية في الولايات المتحدة ، وكان مؤكدا أن « جونسون » سوف يخسرها إذا دخلها أمام المرشح للمهري الأوفر حظا في اختيارات حزبه ، وهو « ريتشارد نيكسون » .

« ربما أدرك « جونسون » أن فرصه ضعيفة ، وكان أن أعلن انسحابه من الترشح ، واختار له « ديكلا منه السناتور » هيوبرت همفري » ، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن « نيكسون » سوف يفكر الرئيس القادم للولايات المتحدة .

كان هذا تقدير « جمال عبد الناصر » .

وكذلك كان تقدير السوفيت .

□

رغم شهر يوليو ١٩٦٨ ، وأزمة الشرق الأوسط منهكة من كثرة السفر مع « جونار يارنج » ، لم تكن دبلوماسية الأمم المتحدة ، وفي وقت احتدمت فيه معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية بين

« ريتشارد نيكسون » و« هيوبرت همفري » - رأى « جمال عبد الناصر » أن يقوم بزيارة للاتحاد السوفيتي لحديث مباشر وصريح مع قيادته ، وكان الشك يساوره أحيانا بأن الاتحاد السوفيتي كان بأن مصر وصلت إلى حالة مقترعة الدفاع ، ولا يريد أن يتحرك بعدها أكثر ، وبالتالي فإن توريدات السلاح السوفيتي أصبحت محكمة بأمال ، أو أوهام ، في غير موضعها تتعلق بغيبية تسمى « الحل السلمي » ، في حين أنه مع اقتناعه بالحل السلمي إذا أمكن ، واثق في إعصافه بأن هذا الحل مستحيل بغير ضغط عسكري عربي وضغوط سياسية دولية .

كان هدفه من زيارة الاتحاد السوفيتي أن يفتح هذه الدوة العظمى بنفس النتيجة المنطقية التي وصل إليها من قبل - ومن ثم يتحرك بتوريدات السلاح إلى ما هو أكثر من مجرد توفير مقترعة الدفاع .

وكان لقائه الأول مع القيادة السوفيتية ، وقتها : « ليونيد بريجنيف » رئيس الحزب ، و« أليكسي كوسيجين » رئيس الوزراء ، و« نيكولاي بادجورني » رئيس الدولة - صباح يوم ٥ يوليو في قصر « زافيدوفا » على بعد ٦٠ كيلومترا من موسكو .

وقد بدأ حديثه فاستعرض أهداف ضربة سنة ١٩٦٧ وخطتها ، ثم ما حدث بعدها من جهود في مصر وفي المنطقة كلها لاستيعاب آثار الضربة ، ثم تطرق إلى الحديث عن دبلوماسية الأمم المتحدة قبل وبعد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ثم وصل إلى المأزق الذي وصل إليه السفير « جونار يارنج » .

ثم انتقل إلى الحديث عن سياسة الولايات المتحدة وسياسة إسرائيل وإصرارهما على بقاء الوضع الذي نشأ بعد معركة ١٩٦٧ كما هو وبدون تغيير ، حتى يضطر العرب إلى الخضوع الكامل لشروط الاثنين معا .

ثم وصل « جمال عبد الناصر » إلى النقطة المركزية في حديثه ، وفي زيارته كلها - فقال (٦) :

« إنكم معنا في الهزيمة سواء كنتم تريدون أو لا تريدون . سواء كان لكم دخل فيها أو لم يكن لكم دخل .

لقد كنا نحن الطرف الأقرب إليكم في المعركة .

وكنا نحمل سلاحكم سواء أحسنا استخدامه أو أسانا .

ومهما قلتم ، أو قال غيركم ، فإن هزيمتنا في جزء منها هزيمة لكم . ومهما كان أو يكون ، فإن هذه الهزيمة هزيمة لسلاحكم » .

(٦) محضر كامل لجلسة المحادثات ، وهو مكتوب بخط السفير ، مراد غالب ، ، سفير مصر في موسكو وقتها ، وقد أضيفت إليه تأشيرة بطلب إرسال نسخة منه إلى كل من وزارة الخارجية ووزارة الحربية .

ثم انتقل جمال عبد الناصر ، إلى نقطة أخرى كان يعرف مقدما أنها حساسة ، ولكنه شعر بمسرورة أن يقولها :

« إن العلاقات بيننا وبينكم لم تكن طريقا من جانب واحد . نحن لم تكن عالية عليكم ، وإذا كان ذلك فإن له عليكم ، فنحن على استعداد لتقلل الموضوع كله ، ونقل أصداءه ، ونعود إلى بلدنا عارلين أن المستقبل للولايات المتحدة الأمريكية وللذين يتعاونون معها .

هذا أسهل للحل ، وأما أصعبها فهو أن نواصل ما نفعله الآن لمقاومة الاستثمار والسيطرة الأجنبية .

لما لم ننتز أسهل الحلول ، وإنما اخترنا أصعبها ، وكان ذلك من إملاء مبادئنا . ولكني أريد أن أعمل لكم أيضا الاتحاد السوفيتي حقق لنفسه فوائد ضخمة من موافقتنا .

إن خلافا الأول مع الولايات المتحدة كان بسبب الأحلاف العسكرية ، ونحن رفضناها حرصا على استقلال سيلاتنا ، ولو كنا قبلناها لأدّى ذلك إلى تطويقكم ومحاصرتمكم من حلف جنوب شرق آسيا ، وحلف بغداد وحلف الأطلسي .

إن سياستنا السقطة فتحت لكم أبواب البحر الأبيض والبحر الأحمر إلى المحيط الهندي ، وكسب كل ذلك ، « بوسين » ، في البحر الأسود .

أنتم أيضا بيلاتنا المستقلة استطعتم الوصول إلى إفريقيا .

إن فوائد ذلك لم تكن استراتيجية فقط ، ولكن كانت سياسية ومعنوية وتجارية كذلك .

ولنا أيضا أن إياها إذا قلت بأمانة إن الاتحاد السوفيتي تمكن من بلوغ مرحلة القوة الأعظم الثانية في العالم بسياساته في الشرق الأوسط ، وليس بسياساته في أي منطقة أخرى غيره .

وبذلك كله يخطر الآن إذا سمعنا للولايات المتحدة ، أو لإسرائيل ، سياسة فرض الأمر الواقع بعد عوان ١٩٦٧ . .

قال المست كلالا ، وقطعه « كوسيجين » ، بقوله :

« به يرى أن مدينا الرئيس ناصر يائس من إمكانيات الحل السلمي . .

ورد ، جمال عبد الناصر : .

« بأنه لم يدار بعد إلى درجة اليأس الكامل ، ولكنه لا يريد أن يصل إلى هذه الحالة ثم يكشف له لا يملك بطلا غير الاستسلام لليأس . .

وعاد ، « كوسيجين » ، يسأل :

« أليس لم نصالات مع الولايات المتحدة ؟ » .

ورد « جمال عبد الناصر » :

« كلها سطحية لم تصل إلى أي عمق ، والسبب هو الانحياز الكامل لإسرائيل . .

وعاد « كوسيجين » يلح :

« إننا لا نتصور أن هذا الانحياز كامل . وعلى فرض أنه كامل الآن ، فإنه حالة غير قاب للاستمرار لسبب منطقي وهو أن مصالحهم الحقيقية كلها عند العرب وليست عند إسرائيل . التبرؤ أكبر مصالحهم . والعرب هم الذين يملكونه . »

وعندما ابتسم « جمال عبد الناصر » وهو يسمع هذا الشرح العقلائي للموقف الأمريكي استترك « كوسيجين » ، وقال :

« نحن نعرف أن جونسون على استعداد للتضحية بالمصالح الأمريكية في سبيل الشيطان لكن هناك الآن في أمريكا معركة انتخابية ، وجونسون سوف يخفي من على المسرح ، وكلا الدلائل تشير إلى انتخاب نيكسون ، وهو رجل له خبرة بالسياسة الدولية ويعرف أين مصالح أمريكا ، ونحن على اتصال ببعض المسؤولين عن حملته الانتخابية . »

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا « إنه يريد أن يلفت النظر إلى نقطتين :

□ الأولى - أن هناك مصالح أمريكية طائلة في الشرق الأوسط ، ولكن هذه المصالح مكتوفة أمام تقدم وصعود الفكرة الاستقلالية والوحدية للقومية العربية .

□ والنقطة الثانية - أن علينا ونحن نبحث عن المصالح الأمريكية في المنطقة أن نتأكد تماما أين تقع هذه المصالح على الخريطة ... فالعالم العربي مع الأسف الشديد منقسم في هذه المرحلة من تطوره الاجتماعي والسياسي ، ثم إن سعيه إلى نوع من الوحدة هو واحد من أهم أسباب العداء الأمريكي للحركة القومية العربية . »

ونخل « بريجنيف » في الحوار قائلا لـ « جمال عبد الناصر » :

« إنه يريد أن يسأله كصديق : هل أنتم بالفعل تريدون حلا سلميا للصراع في الشرق الأوسط ، أو أن الموضوع قد أصبح - في جانب منه على الأقل - موضوع انتقام من هزيمة لحقت بالعرب ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » بقرنه « إنه لا يتصور مسئولاً يستشعر أمانة مسؤوليته برفض بتعريض شعبه وأمنه لخطر الحرب إذا كان في استطاعته أن يجد طريقا مشرفا إلى سلام قائم على العدل . »

ولم يسكت « بريجنيف » ، وإنما راح يلح قائلا : « نحن نعرف أن الكرامة لها اعتبار خاص وضاعط عندكم أنتم العرب . فهل هناك اعتبار من وجهة نظر الكرامة يمنعكم من قبول حل سلمى ؟ »

٨٤

العمل . .

ورد « جمال عبد الناصر » ، أنه « ليس هناك محذور من الكرامة إذا توافر عنصر

ثم توجه بدوره إلى « بريجنيف » قائلا ، إن لديه سؤالين اثنين لا ثالث لهما ، وهو يريد من « بريجنيف » إجابة عليهما .

وكان « بريجنيف » يصغى باهتمام واستطرد « جمال عبد الناصر » :

« السؤال الأول هو : هل تتصور أننا نستطيع أن أتفاوض مباشرة مع الإسرائيليين نحت ضغوط الاحتلال ؟ »

وكان رد « بريجنيف » على الفور : « لا .. هذه نقطة أفهم موقفكم فيها . .

« استأنف « جمال عبد الناصر » حديثه :

« سؤالي الثاني هو : هل تتصور أن يكون من نتيجة مفاوضات أن أتنازل عن أرض

هربية لإسرائيل ؟ »

ورد « بريجنيف » على الفور أيضا : « لا .. وهذه نقطة ثانية أستطيع فهم موقفكم فيها . .

ورأى « جمال عبد الناصر » أن يعود بالحديث إلى المجرى العملي ، ففكر أن الجنرال « بيمول » كتب إليه يسأله رأييه في احتمال أن تقوم الدول الأربعة الكبار ذات المسؤولية الدائمة في مجلس الأمن بدور إيجابي أكثر في تنفيذ قرار مجلس الأمن .

وقال « بريجنيف » : « إن « ديجول » كتب لنا أيضا في هذا الصدد ، وقد وافقتا على أن يكون دور الأربعة هو مساعدة جهود « يارنج » وليس أن نحل محله .

إن « جونسون » رفض الاقتراح . ولكن « نيكسون » فيما نعرف يميل إلى قبوله . .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا لـ « بريجنيف » :

« إنني على استعداد لأن أقرح خطوة أكثر .

فلجأول « يارنج » ، ولتجاوز الدول الأربعة الكبرى إذا وافق « نيكسون » ، بعد نجاحه في الاستجابات . أما اقتراحي فهو أن تقوموا أنتم الاتحاد السوفيتي بالاتصال مباشرة مع الولايات المتحدة .

إن إجابات صديقنا « بريجنيف » على أسئلتنا أراحتنا . مادام أحد لن يطلب منا أن نتفاوض تحت وطأة الاحتلال ، ومادام أحد لن يطلب منا التنازل عن تراب عربي ، فإن الباقي كله يصبح سهلا من وجهة نظرنا .

نأزسوا أنتم مع الأمريكيين ، وابحثوا كما تشاءوا ، وإذا وصلتكم إلى حل فنحن جاهزون . .

ولفت « بريجنيف » إلى رفيقه « كوسيجين » و« بادجورنى » ، وكان أحدهما على يد الآخر على يساره ، ودار بين الثلاثة حديث باللغة الروسية استغرق ٧ دقائق ، وشارك المارش « جريتشكو » وزير الدفاع فيه بإجابة على سؤال وجهه إليه « بريجنيف » الذى عاد عبر الماء بوجه كلامه لـ « جمال عبد الناصر » قائلا :

« هل نستطيع إذن أن نتصل ونتفاوض مع الولايات المتحدة على أساس ما قلناه ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » بأنه هو الذى اقترح ذلك .

ثم استطرد مرتباً النتيجة المنطقية قائلا : « ولكنى لا أريد أن أجد نفسى مكشوفاً إذا نتوصلوا إلى نتيجة » .

وانتقل البحث إلى موضوعات السلاح ...



فى خريف سنة ١٩٦٨ كانت معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية على أشدها ، وكان اعتقاد كثيرين أن نتيجتها سوف تؤثر بشكل أو آخر على أزمة الشرق الأوسط ، ذلك أن أزمة الشرق الأوسط التى مضى عليها الآن قرابة العامين ، لا يمكن أن تنتظر أكثر من أربع سنوات أخرى - هى مدة الرئيس الجديد ، على فرض أنه لم يحاول أن يمد نفسه فرصة رئاسة ثانية - فالأزمة بكل ما يحيط بها بصعب حفظها فى ثلاثة تيريد عميق لسنوات ، وإذن فهى فى عهد الرئيس الجديد واصله إلى حل ، أو واصله إلى انفجار .

وكانت كل الدلائل - بما فيها استطلاعات الرأى العام - تشير إلى تفوق « نيكسون » وتراجع الحزب الديمقراطي المصنف عربيا فى معظم الأحوال باعتباره الأقرب إلى إسرائيل . وإن كان « ليندون جونسون » ذاهب إلى غياهب النسيان ، وربما يسبقه إلى نفس الظلمات مرشح حزبه « هيوبرت همفرى » الذى كان برنامجيه الانتخابى تكملة وإضافة لسياسة « جونسون » الذى كان « همفرى » نفسه نائيه !

ويوم ٩ أكتوبر ١٩٦٨ - أعلن « جونسون » فى مؤتمر صحفى أنه قرر بالاتفاق مع نائيه ومرشح حزبه - « هيوبرت همفرى » - تقديم خمسين طائرة من طراز « فانتوم ٤ » إلى إسرائيل .

كان « جونسون » قبل عام واحد - فى أكتوبر ١٩٦٧ - قد قدم لإسرائيل مائة طائرة - خمسين منها من طراز « فانتوم ٤ » ، وخمسين من طراز « سكاي هوك » - وكانت تلك هبة

السويش عن الخسائر ، والمكافأة على الأداء فى يونيو سنة ١٩٦٧ . والآن ، وفى تكرى مرور عام واحد تقريبا على الهدية الأولى - جاءت الهدية الثانية . ولعل أسوأ ما فيها أنها كانت تصرف رئيس يعرف أنه خارج من منصبه ومن مسئوليته ، وأنه بهذا التصرف يقيد رئيسا آخر وإدارة أخرى ، لأن موعد تسليم الهدية كان ربيع سنة ١٩٦٩ متندا إلى أوائل سنة ١٩٧٠ . وهى مدة واقعة فى ولاية رئيس غيره . وكان المزيج أكثر هو أن موعد التسليم المقرر للدفعة الأولى من هذه الطائرات - وهى دفعة من ١٦ طائرة « فانتوم ٤ » - تحدد له مارس ١٩٦٩ ، أى بالضبط وسط الأيام المائة الأولى من الرئاسة الجديدة ، وهى فترة تتحدد فيها عادة توجهات هذه الإدارة وتبين مظهرها العريضة .



إن كثيرين من الناس مقتنعون بالقول المأثور عن « دزرائيلى » فى وصف السياسة البريطانية حين قال : « إن بريطانيا ليست لها صداقات دائمة ، وليست لها عداوات دائمة ، وإنما لها سياسات نامية » . ثم إنهم يسحبون هذه القاعدة إلى مداها ويطبقونها على كل الحالات .

والقاعدة صحيحة إلى حد كبير ، لكنها فى حالة الولايات المتحدة بالذات تتطلب قدرا من المراجعة والتدقيق . ذلك أن عملية انتقال السلطة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبسبب ظروفها الدارجية ، تختلف كثيرا عما يجرى الحال عليه فى بريطانيا مثلا .

فى بريطانيا تنتقل السلطة من حزب العمال إلى حزب المحافظين مثلا ، أو العكس ، خلال ساعات . ذلك أن زعيم المعارضة فى مجلس العموم ورئيس وزراء الظل ليس عليه فى حالة فوز هر به إلا أن ينتظر ظليقونا من الملك أو الملكة يستدعيه إلى القصر ، ثم تكون خطوته الثانية هى الاسمال بكل وزارة الظل من مجلس العموم إلى مقر رئاسة الوزارة فى رقم ١٠ داوونج ملررب ، وتكون الخطوة الثالثة أن يلتقى برئيس الإدارة المدنية ، وهو فى العادة الوكيل الدائم لوزارة الخزانة ، ثم تصدر الأوامر إلى الوكلاء الدائمين لجميع الوزارات بأن يصموا أنفسهم وأهمدة الدولة كلها تحت تصرف الوزراء الجدد ، ويتم الانتقال ، وتتغير السلطة فى نفس اليوم .

وفى حالة الولايات المتحدة تختلف الأمور كثيرا ، ذلك أن فترة الانتقال تستمر عادة من الثلاثة الأول من شهر نوفمبر حتى يوم ٢٠ يناير حين يتولى الرئيس الجديد سلطاته ، أى أنها لمرابه ثلاثة شهور .

وحين توصف رئاسة أى رئيس أمريكى بأنها إدارة جديدة ، فإن الوصف صحيح . فهناك إلى جانب تباين السياسات ، حقيقة أن الرئيس الجديد له الحق بالقانون أن يعين اثنتى عشر ألف مسئول فى اثنتى عشر ألف وظيفة :

وزراء ، ومساعدى وزراء ، وسفراء ، ومستشارين ، وقضاة محاكم ، ومسئولى أجهزة أمن وما همها الأمن الخارجى الذى تشرف عليه وكالة المخابرات المركزية ، أو الأمن الداخلى الذى يترصد عليه مكتب التحقيقات الفيدرالى . والمعصب الحساس فى هذا كله هو تعيينات مجلس الأمن



القومى ، وهى لا تخضع لأى مراجعة من الكونجرس لأنها تعتبر - على خلاف الحال مع الوزراء والسفراء - تعيينات خاصة بالرئيس .

وبالقطع فإن الولايات المتحدة مثلها مثل أى قوة كبرى لها سياساتها الثابتة المحكومة بالجغرافيا والتاريخ . لكن إيقاع السياسات فى حالة الولايات المتحدة يختلف من إدارة إلى إدارة بحكم عملية التغيير الدائمة المستمرة بين الأفكار والرجال والأجيال . واختلاف الإيقاع فى الحالة الأمريكية كقيل بأحداث فارقي كبير بين عصر رئيس وعصر رئيس آخر . وتلك خاصية من أهم خواص الحيوية الدافقة التى تجعل من واشنطن مركزاً فريداً فى صنع القرار العالمى منذ بدأ القرن العشرين الذى أصبح بالفعل ، ولأفضل أو للأسوأ طبقاً لموقع الناظر إليه - قرناً أمريكياً !



وعندما أعلن فوز « ريتشارد نيكسون » برئاسة الولايات المتحدة ، بادر « جمال عبد الناصر » فأرسل إليه برقية تهنئة رفيعة - رد عليها « نيكسون » بقدر مماثل من الرقة .

كان الرجلان قد التقيا معاً سنة ١٩٦٣ ، فقد جاء « نيكسون » إلى القاهرة زائراً بعد فشله فى محاولته الأولى لترشيح نفسه رئيساً ، وفاز عليه « جون كيندى » سنة ١٩٦٠ . وحينما جاء إلى القاهرة كان يحمل معه رسالة من « كيندى » ، وكانت الرسائل بين « كيندى » و « عبد الناصر » (٧) قد انفصلت فى عصر بدا فيه أن السياسة الأمريكية يمكن أن تنفتح للحوار مع حضارات أخرى وتجارب مفعمة بالأمال مما ظهر فى العالم الثالث مع أواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات . وفى الرسالة التى حملها « نيكسون » كان « كيندى » يوصى « جمال عبد الناصر » أن يهتم بمنافسه الحزبى السابق ، وأن يلقاه كممثل شخصى له .

وفجئاً « نيكسون » بأن معاملته فى القاهرة جرت على مستوى رؤساء الدول . وعندما ذهب للاقاء « جمال عبد الناصر » أسعده أن سمع مضمينه يقول له : « إنه لا يحتفى به فقط بطلب من الرئيس كيندى ، ولكن أيضاً وقبل كل شيء لأنه كان نائباً للرئيس مع أيزنهاور فى الوقت الذى اختارت فيه الولايات المتحدة موقفها فى معارضة العدوان الثلاثى على مصر فى السويس سنة ١٩٥٦ » .

كان « جمال عبد الناصر » ينتكر لقاءه مع « نيكسون » لكنه كان يعرف بالخبرة أن آراءه التى سمعها منه وهو فى التيه بعد فشله فى الانتخابات لن تكون نفس آرائه عندما يدخل البيت الأبيض ويحيط به المستشارون ، وتحاصره المصالح ، وتدفعه الضرورات .

وهكذا فإن القاهرة راحت خلال شهرى نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٦٨ - تتابع مع غيرها من العواصم استقرار سياسة « نيكسون » من خلال الرجال الذين يختارهم للمناصب الكبرى المؤثرة

(٧) تبادل ، عبد الناصر ، و . كيندى ، سبعا وخمسين رسالة فى فترة أقل من ثلاث سنوات اغتيل بعدها ، كيندى ، .

فى إدارته . وكانت مجموعة الأمن القومى والوزارات المتصلة بها : وزارنا الخارجية والدفاع ، ومسب مدير وكالة المخابرات المركزية ، وشخص مستشار الرئيس للأمن القومى - هى المواقع الحساسة التى تركز عليها الاهتمام .

وكانت اختيارات ، نيكسون ، بصفة عامة مقبولة : فقد اختار « ويليام روجرز » وزيرا للخارجية ، و « ميلفين ليرد » وزيرا للدفاع ، و « ريتشارد هيلمز » مديراً لوكالة المخابرات المركزية - ولعل المفاجأة كانت اختيار « ل » هنرى كينسجر « مستشاراً للأمن القومى .

كان ، كينسجر ، يهودياً من أصل ألماني ، مهاجراً من الجيل الأول إلى أمريكا ، وكان - ولا يزال حتى هذه اللحظة - يتحدث الانجليزية بلكنة ألمانية . وفى فترة الحرب العالمية الثانية دعى إلى الجنية ، ولمعرفته بالألمانية فقد جرى إلحاقه بالمخابرات العسكرية وتولى عمليات اسعواب الأسرى من النازيين القادمى ، ثم حصل على منحة دراسية مما كان يقدم للمدنيين من مهابس القتال بعد انتهاء خدمتهم ، والتحق بجامعة « هارفارد » وأصبح مدرسا بها ، ثم أصبح أستاذاً بعد رسالته بعنوان « عالم يعاد بناءه » ، وكانت عن سياسة الحلف المقدس التى قاد « مينرنيخ » ، مارباتها بعد سقوط امبراطورية « نابليون » على الجسر بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر !

ثم ذاع صيت « هنرى كينسجر » بعد كتاب شهير له عن إمكانيات « الحرب النووية المدمرة » ، وراح يتحسس خطاه فى أروقة القوة والسلطة فى واشنطن مدفوعاً بطموح لبست له حدود ، وولاء يبحث عن أمير يستخدمه ولا يخدعه كما هو المفروض !

وكان ، كينسجر ، قد تنقل بين أمراء كثيرين ، فقد التحق بخدمة أسرة « روكفلر » ، فى البداية . ثم حاول مع « كيندى » لكن مستشار « كيندى » ، للأمن القومى « ماك جورج باندى » أبعد بهمه . بناء على معرفة سابقة حين كان « باندى » عميداً لكلية العلوم السياسية فى جامعة « هارفارد » ، و « كينسجر » مدرس مساعد فيها . ثم حاول « كينسجر » أن يقترب من « جونسون » ، ومضى فى ذلك شوطاً بعيداً خصوصاً فى حرب فيتنام . لكنه لمح نجمة المستقبل تلعب فوق معسكر « نيكسون » ، فاقصص قيادة حملته الانتخابية ، وأنهم من بعض زملائه بأنه ينتقل إلى « نيكسون » ، أهر أخبار الاتصالات الجارية فى باريس بحثاً عن حل فى فيتنام ، وذلك حتى لا ينجأ ، نيكسون ، بطور على هذه الجبهة الحساسة يكون من شأنه إرباك حملته الانتخابية والتأثير عليها لصالح « هيفرى » .

ولم يكن اختيار « كينسجر » لمنصب مستشار الأمن القومى للرئيس مفاجأة للآخرين فحسب ، وإنما كان مفاجأة للمحيطين بـ « نيكسون » ، وبعضهم كان يعرف « كينسجر » عن قرب وبعد فيه كفاءة لا شك فيها ، لكنه يراه شخصية بالغة التعقيد ترسبت فى وجدانها التجربة اليهودية فى ألمانيا النازية متأثرة بأجواء بلاط بيزنطى مستلهمة طول الوقت فكراً ميكائيلانيا . وقد ظن كثيرون من أعوان « نيكسون » أنه اختار كينسجر ، لمنصبه الحساس بجوار مجاملة لأبيه القديم « لسون روكفلر » ، الذى كان هو وعائلته أكبر مؤسسات الحزب الجمهورى وقتها وأغناها .

ومنذ اللحظة الأولى بدأ واضحا أن هناك خلافا بين «ويليام روجرز» ووزير الخارجية، ناحية، و«هنري كيسنجر» من ناحية ثانية. وعلى أي حال فإن «نيكسون» بدأ بحزم، وأجر عملية تقسيم للاختصاصات بين وزير خارجيته وبين مستشاره الأول في البيت الأبيض.

كان «نيكسون» يعتبر فيتنام مشكلة الأولى، وبعدها يحى سباق السلاح مع الاتحاد السوفيتي، ثم تلى ذلك مشكلة الشرق الأوسط. وكان جدول الاهتمامات هو الذي أوحى بنقش الاختصاصات.

وعلى هذا الأساس فإن «نيكسون» احتفظ لنفسه في البيت الأبيض، وبواسطة مستشار «هنري كيسنجر» بمنطقتين رئيسيتين: فيتنام - ثم الاتحاد السوفيتي، وهو الطرف الآخر في سباق السلاح.

وأما الشرق الأوسط والعلاقات مع أوروبا وآسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، فقد وقعت كله في اختصاص وزارة الخارجية ووزيرها «ويليام روجرز».

وكانت القاهرة مازالت تتابع.



وحتى من قبل أن تبدأ الإدارة الأمريكية الجديدة ممارسة مسئولياتها رسميا - فإن «نيكسون» أبدى اهتماما بالشرق الأوسط وأزمته، كذلك فإن وزير خارجيته المعين: «ويليام روجرز» اعتبر أن أزمة الشرق الأوسط هي أولى الأزمات المرشحة لاهتمامه المباشر.

وتاكيدا لاهتمام الإدارة الجديدة بأزمة الشرق الأوسط أعلن الرئيس المنتخب «ريتشارد نيكسون» - وهو لم يخط بعد عتبة البيت الأبيض - أنه قرر إرسال صديقه «ويليام سكرانتون» - حاكم ولاية «بنسلفانيا» - في مهمة لتقصي الحقائق في المنطقة بحيث تدخل نتائجها كعنصر في تحديد خطة عمل أمريكية لحل الأزمة فور بداية الرئاسة الجديدة دستوريا يوم ٢٠ يناير ١٩٦٩.

وقبل أن يتوجه «سكرانتون» إلى المنطقة، أعلن «نيكسون» أن إدارته سوف تحاول انتهاج سياسة متوازنة في المنطقة even-handed policy.

وبعث الرئيس المنتخب برسالة إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» يرجوه مقابلة مبعوثه الخاص «ويليام سكرانتون» والتحدث إليه بقلب مفتوح «كما لو أنكم كنتم تتحدثون إلى شخصيا» - بنص تعبيره.

ووصل «ويليام سكرانتون» إلى القاهرة، والتقى بـ «جمال عبد الناصر».

لكن المشكلة في مهمة «سكرانتون» أن الرجل جاء في مهمة لتقصي الحقائق - أي أنه كان يريد أن يسمع أكثر مما هو جاهر لأن يقول.

ولقد تحدث إليه «جمال عبد الناصر» بقلب مفتوح فعلا، وروى له قصة العلاقات مع

الولايات المتحدة من بدايتها وحتى نهايتها، وقد ركز في الختام على أنه يرحب بالإعلان عن السياسة المتوازنة even-handed policy - وطلب إعطاء هذه السياسة فرصة تقدم فيها نفسها إلى العالم العربي بما يدعو إلى الاطمئنان.

وأشار «جمال عبد الناصر» إلى صفة «الانتماء» التي قدمها «لينتون جونسون» إلى إسرائيل، والتي يحل موعد تسليم الدفعة الأولى منها في شهر مارس، وانتهى إلى «أن إتمام التسليم يمكن أن يسيء إلى فكرة السياسة المتوازنة من أصلها، فأسرائيل لها التفوق العسكري حتى هذه اللحظة، ومعنى أن تقوم الولايات المتحدة تحت إدارة جديدة بتسليمها شحنات إضافية من أسلحة مدعومة هو أن الانحياز لإسرائيل على حساب العرب مستمر. وأكثر من ذلك فإن معناه الاشتراك الصمى في استمرار احتلال إسرائيل للأرض العربية، وتلك هي المشكلة التي تمثل لب أزمة الشرق الأوسط».



وفي أول مؤتمر صحفي عقده الرئيس الجديد يوم ٢٧ يناير ١٩٦٩ - بعد أن تولي سلطاته - هال «نيكسون» تعبيرا في الغالب عن الفكر السائد في وزارة الخارجية: «إن الشرق الأوسط هو ملء بارود قابل للانفجار في أي لحظة، وقد يؤدي انفجاره إلى مواجهة بين القوتين الأعظم، علينا أن نقوم في هذه المنطقة بمبادرات جديدة».

ثم بدأ مجلس الأمن القومي بعقد سلسلة جلسات برئاسة «نيكسون» خصصت كل منها مساحة كاملة لمنطقة من مناطق الأزمات الساخنة.

وفي يوم أول فبراير كان الدور على أزمة الشرق الأوسط، وأعلن رسميا أن مجلس الأمن القومي بحثها بحثا مستقيضا من «القدم إلى الرأس».

وبدا أن الأمور في واشنطن تتحرك، فقد عاد الجنرال «ديجول» مرة ثانية إلى طرح فكرته بمل دبلوماسية الأمم المتحدة إلى محادثات بين الأربعة الكبار، وكتب إلى «نيكسون» في هذا الصدد مكررا مرة أخرى رأيه في إمكانية فرض الحل الذي يجري التوصل إليه بواسطة الأربعة الكبار، لأن أطراف الأزمة المحليين لا يقدرون على المفاوضات المباشرة، كما أنه يصعب على كل واحد منهم أن يقبل الاتزامات التي يمكن أن يرتبها الحل عليه. وفي حين أبدى «كيسنجر» معارضته، فإن «نيكسون» أعطى موافقته على محادثات الأربعة بصرف النظر عن إمكانية فرض سانمها - على الأقل من باب المجاملة للجنرال «ديجول» - وكان «نيكسون» شديد التقدير والاحترام له باعتباره الوحيد الباقي من جيل عمالقة الحرب العالمية الثانية.

وفي نفس الوقت فإن «ليونيد بريجنيف» بعث إلى الرئيس «نيكسون» برسالة حملها إليه المبعوث السوفيتي في واشنطن «أناتولي دوبرينين» يقترح عليه أيضا فكرة محادثات ثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ثم حدث في تلك الأيام تغيير على قمة السلطة في إسرائيل ، فقد كانت هناك انتخابات عام توأقت تقريبا مع موعد الانتخابات الأمريكية ، ومع أن نتيجة الاقتراع في إسرائيل لم تحدث تغيير كبيرا في أوضاع الحزب الحاكم ، وهو تحالف العمل ، إلا أن رئيس وزراء إسرائيل « ليفي أشكول » توفي فجأة يوم ٢٦ فبراير ، وأعلن أن تحالف العمل اختار السيدة « جولدا مائير » لرئاسة التحالف ، ومن ثم رئاسة الوزارة . وبالتالي فإن هناك تشكيلة وزارية مختلفة إلى حد ما في إسرائيل .

□

وفي تلك الفترة البكرة من سنة ١٩٦٩ ، وإزاء احتمالات مستجدة ينبغي استكشافها مع بداية رئاسة جديدة في الولايات المتحدة ، وبعد مفاتحات أمريكية عن سياسة متوازنة في الشرق الأوسط ، وبعد لقائه مع « سكرانتون » ، ومع فرصة محادثات رباعية ، وثنائية أيضا - كان رأى « جمال عبد الناصر » أن موقف مصر يلزمه بعض التحديد لأن الاتصالات المنتظرة قد تطرح صيغا لا بد فيها من التخصيص بعد فترة طويلة من التعميم ، وبالتالي عن شكل الحل الذي يمكن أن يقبله مصر لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وانتهى « جمال عبد الناصر » إلى الخطوط المحددة التالية :

١ - إن التفاوض المباشر مع إسرائيل مستحيل ، كما أن التنازل عن أرض عربية أكثر استحالة .

٢ - إنه من الجائز التفكير في ترتيبات سلام طبقا لقرار مجلس الأمن ، لكنه لا القرار ولا أى طرف من الأطراف الدولية طالب أو تحدث عن عقد اتفاقية سلام . وإنما كان الكلام عن « سلام تعاقدى » .

٣ - إن الطريقة المعقولة للوصول إلى هذا « السلام التعاقدى » هي أن يحدد كل من طرفي النزاع التزاماته طبقا لقرار مجلس الأمن ، وأن يسجلها في وثيقة لديه ، ثم يجتمع مجلس الأمن لإقرار الوثيقتين ، ويكون ذلك شكل « السلام التعاقدى » .

٤ - إذا أصرت الولايات المتحدة على ورقة واحدة يوقعها الطرفان ، فإنه يمكن النظر في صياغة وثيقة تعتمد على قرار مجلس الأمن توضع في مكتب السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهناك يذهب مندوبو الأطراف في مجلس الأمن - أو وزراء خارجيتهم - كل على حدة في موعد مخصص لكي يوقعوا الوثيقة .

٥ - إن القبول بعودة قوات الأمم المتحدة إلى المنطقة لا يمكن تجنبه ، وإن كان الأفضل في حالة عودة هذه القوات أن يكون تمرركزها على جانبي الحدود .

□

وفي يوم ٢٨ مارس ١٩٦٩ أعلن في واشنطن أن الجنرال « نوايت أيزنهاور » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس « نيكسون » السابق أيضا - وصبره في نفس الوقت - توفي بعد مرض طويل أقعده في مستشفى « والتر ريد » .

وفي نفس اليوم أعلن في القاهرة أن بعثة مصرية على مستوى عال برئاسة الدكتور « محمود فوزى » سوف تغصد إلى واشنطن للمشاركة في جنازة « أيزنهاور » وفي تقييم واجب الغزاء لأسره وللرئيس « ريتشارد نيكسون » .

وقبل أن يسافر الدكتور « فوزى » إلى واشنطن دعى إلى لقاء مطول مع « جمال عبد الناصر » وكانت لهما معا جولة طويلة حول الأفق حاولا خلالها تصور شكل ما هو قائم ، وأفضل الأساليب لملاقاته والتعامل معه .

وقد شرح « جمال عبد الناصر » وجهة نظره في مهمة بعثة الدكتور « محمود فوزى » ، وهي لأداء واجب الغزاء أولا ، لكنها بعد ذلك لعدة مهام :

● التواجد في واشنطن في هذه الظروف ، وإظهار « أننا لسنا في حالة مقاطعة للولايات المتحدة » ، وإنما كانت مقاطعة لطرف فرضت ذلك علينا بسبب مواقف الإدارة السابقة .

● ثم استكشاف طبيعة الأرض الجديدة في واشنطن في عهد إدارة جديدة ، « وقياس درجة حرارة الماء الذي يحتمل أن نخوض فيه قريبا » .

● وأخيرا فإن فرصة توجه كثيرين من ساسة العالم إلى واشنطن للاشتراك في جنازة « أيزنهاور » سوف تكون تجمعا دوليا واسعا يمكن فيه إجراء اتصالات مكثفة ، ومتابعة أفكار والمهامات من الظاهر أنها تتبلور .

ثم قال ، جمال عبد الناصر « في ختام اللقاء » إنها مهمة استطلاعية وليست مهمة مفاوضات ، مهم ليس بعد جاهزين لذلك ، وإذا كانت لديهم أفكار معينة فهي أغلب الظن لا تزال قيد الدرس والمراجعة . .

□

وصل الدكتور « محمود فوزى » إلى واشنطن ، وشارك في مراسم الجنازة ، وقدم الغزاء لأسره « أيزنهاور » ، ود « ريتشارد نيكسون » الذي أقام حفل استقبال في البيت الأبيض استقبال هم الأفراد الزائرة ، ولكنه خص عددا محدودا منها بلقاءات خاصة ومنفردة ، وكان بينهم رئيس الوفد المصري .

وكتب الدكتور « فوزى » أول تقاريره في هذه الزيارة من واشنطن بتاريخ ٣١ مارس (٨) : ١٩٦٩

(٨) كل رسائل الدكتور « محمود فوزى » من واشنطن في تلك الفترة بحوزتها ملك خاص في أرشيف رئاسة الجمهورية ، وبعد نسخة كاملة منه في أرشيف وزارة الخارجية .

« إلى السيد الرئيس(\*) »

من الدكتور محمود فوزي

١ - استقبلني الرئيس نيكسون اليوم الاثنين ( ٣١ مارس ) على حدة عقب الاستقبال أقيم في البيت الأبيض للوفود التي اشتركت في جنازة الجنرال أيزنهاور ، وقد علمت بذلك ١١ من رؤساء الوفود إما واحدا فواحدا أو في مجموعات اثنين أو ثلاثة .

وكان استقبالي لي دافقا ومتفقا . وسبدي الأيام القادمة مدى تعبه عن السبائيل للولايات المتحدة . أنهيت إليه من جديد تحية سيادتكم وعزائم إياه . وكان بالغ اليقظة سيادتكم أحسن تحية ، ولكن زيارته لمصر سنة ١٩٦٣ . وقال إن مسز نيكسون قبلتني لم تحضر الحديث الذي دار بينكما . ثم وجه كلامه لروجرز وكينجر الذين حضرا الاجتماع أن الرئيس رجل عظيم وله شخصية مؤثرة وجه النشاط . ثم أضاف قائلا لي إن لدي نصيحة والرئيس عبد الناصر شخصان يتفاهم مع بعضهما ، وهذا إحساسه منذ أن زار مصر . الرئيس نيكسون ، كما ردد روجرز وكينجر لي حينما لقيتهما من قبل ، القول بأنهم لم يجدهم وأنهم يريدون أن تبدأ سويا بداية جديدة . ثم قال الرئيس نيكسون إنه يود أن يتحدث مع مستفيضا في مقابلة قادمة قد تكون ( إن أمكنني التقاء في واشنطن ) في الأسبوع القادم من أبريلين (\*\*) وفلوريدا .

٢ - سبق استقبال الرئيس نيكسون لي حديث مع كينجر تلاه لقاء قصير مع روجرز ثمنا جميعا لمقابلة نيكسون . لغت نظري أن كينجر لم يتحدث معي (لا في شؤون ثلثي لينا على غير ما تردد من أنه ( بجانب ) الكلام عن الشرق الأوسط . لمس كينجر موبيل في الأريفة وما يقال عن فرض حل (\*\*) ، ونكرت أن كلمة ، فرض ، مسألة غير صياها . موافقا .

سأل عما إذا كان ممكنا تصور اعتراف الدول العربية بوجود إسرائيل ، فأجبت بـ « لا » لرئيس وزراء بريطانيا ولسون وآخرين من أننا مستعدون للاعتراف بحدود أمنه كما دأبنا مجلس الأمن ، ولا يمكن أن نعترف بحدود لشيء غير موجود .

سأل عن مدى فعالية الحل الذي قد يصل إليه الأريفة مبدئيا ، وعلمت على هذا بـ « لا » ونفذ الحل إذا كان مما يمكن أن نتقدم به إلى شعبنا ويقبله .

سأل كذلك عن إمكان إقامة حالة سلام دائم في المنطقة . فقلت له إن السلام يتوقف على الأطراف وما يوفر له من ضمانات . استفسر عن مدى تأثير المتطرفين العرب على الجانب . وعلمت بأننا والأردن متفاهمون فيما يتصل بالحل السلمي . ومستعدون للمضي به قدما إن أمكن .

(\*) صورة الصفحة الأولى من البرقية الأولى من الدكتور ، محمود فوزي ، إلى الرئيس ، جمال عبد الناصر ، في واشنطن ، وهي تتضمن تفاصيل لقائه المبني مع الرئيس ، نيكسون ، - موجودة في ملحق صور الوثائق رقم (١١) صفحة ٧٤٩ من الكتاب .

(\*\*) أبريلين ، هي مسقط رأس الجنرال ، أيزنهاور ، في ولاية تكساس ، وقد كانت وصيته أن يدفن فيها .

(\*\*\*) أشار المندوب الفرنسي في أحد الاجتماعات علما لاحظ أن محادثاتهم تنشر ، وأن الأريفة محصورة في التفتت .

التفتت . إلى أنه يمكن رؤية في استعجال الأمور أن يصل الأريفة إلى حل يلرضونه على الأطراف .

عادلا وأمنيا . وعند كلامه عن سوريا ومعارضتها ، تكررت له أن مشكلة سوريا متعلقة أساسا بالمرتفعات ، وأنه اتصالا بذلك لا يطل أن تعارض سوريا في اتساح إسرائيل .

(بمضاء)

محمود فوزي ،

وتلقى الدكتور ، محمود فوزي ، يوم ٢ أبريل رسالة من « جمال عبد الناصر ،

جاء فيها : « أرى بقلوبكم في واشنطن ، ومن المفيد أن تتلقوا مرة ثانية مع الرئيس نيكسون طالما

لديه الاستعداد وأبدى الرضبة .

(بمضاء)

جمال ،

وعاد « ريتشارد نيكسون » من أبريلين وفلوريدا كما قال ، وجرى إبلاغ الدكتور « فوزي » ، أنه تحدد له موعد في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١١ أبريل للقاء مع الرئيس في البيت الأبيض .

وفي يوم الأربعاء ٩ أبريل ، وبينما الدكتور « محمود فوزي » يقوم بسلسلة من اللقاءات مع عدد كبير من الشخصيات الأمريكية مثل وزير الخارجية « ويليام روجرز » ، و « ملفين ليرد » ، وزير الدفاع ، و « روبرت كيمارا » ، رئيس البنك الدولي ، إلى جانب عدد من الشخصيات الأجنبية التي « أعدت على واشنطن للزمراء ، مثل الملك « حسين » ، والجنرال « دييجول » ، وغيرهما - تلقى الدكتور « فوزي » تليفونا من الدكتور « هنري كيسنجر » ، مستشار الأمن القومي للرئيس « نيكسون » يقترح عليه أن يلتقيا في مكتبه في البيت الأبيض غدا (الخميس) تمهيدا لاجتماعه مع « نيكسون » بعد غد (الجمعة) . ورحب الدكتور « فوزي » بالاقتراح خصوصا بسبب ما كان بابا من أن « كيسنجر » يمسك بزمام الأمور فيما يتعلق بالسياسة الخارجية في الإدارة الجديدة ، طالما لما كان يشاع في واشنطن في ذلك الوقت - كما أن أخبارا متسرية متعددة المصادر راحت تسير في ذلك الوقت إلى أن « كيسنجر » عاكف على وضع تصور للسياسة الأمريكية في البؤر الساخنة في العالم ، بما فيها الشرق الأوسط .

وكان الدكتور « فوزي » قد سمع من السفير الهندي « علي ياور بونج » ( سفير الهند في واشنطن ) وكان سفيرها لها من قبل في القاهرة ) أن الإدارة الأمريكية الجديدة تتوقع من مصر بامرة عملية على الرغبة في تحسين العلاقات عما كانت عليه في عهد « جونسون » . وأن البادرة التي بتصويرها هي الإعلان عن عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، والتي انقطعت بسبب الموقف الذي اتخذته الرئيس السابق « جونسون » أثناء معركة ١٩٦٧ .

وخطر للدكتور « فوزي » ، أن « كيسنجر » قد يثير معه هذا الموضوع في لقاها غدا ، وهكذا بحث برسالة شفهية (٩) إلى القاهرة جاء فيها بالنص : (\*)

(٩) مطروقات وزارة الخارجية المصرية .

(\*) صورة هذه الرسالة من الدكتور ، محمود فوزي ، إلى الرئيس ، جمال عبد الناصر ، موجودة في ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٢) - صفحة ٧٥٠ من الكتاب .



الرئيس

من الدكتور محمود فوزي

قد لا ترون مانعا من انتهاج الأسلوب التالي في شأن العلاقات الدبلوماسية المصرية الأمريكية (إذا أثارها معي باهتمام وبشكل مناسب روجرز أو الرئيس نيكسون ، وذلك بأن أزد بأننا مساهمة منا في تحسين الجو بين دولتنا مستعرون الآن للاتصال في هذا الشأن إيجابيا مع الدول العربية الأخرى التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

وقد توافقون على أن هذا الأسلوب زيادة على ما يتوخه لنا من مقدرة أكثر على التحرك وقد تنفعنا - فإنه يبقى في بيتنا زمام الأمر ، باستطاعتنا أن نطلب أو نقصر مدة الاتصال مع الدول العربية ، وكذلك مدة تقدمنا باسم سفيرنا . كما يدع لنا الخيار في عدم التقدم باسم سفيرنا إذا ما حدث تردد جديد في مواقف الولايات المتحدة .

( امضاء )

محمود فوزي ،

وتلقى الدكتور ، فوزي ، في نفس الليلة ردا من ، جمال عبد الناصر ، جاء فيه : : تصرف كما ترى مناسباً ، وإن كنت أقترح علاج هذا الموضوع بأشد درجات الحذر حتى لا نطلي قبل الأوان شيئا بلا مقابل - تمنيت لك بالتوفيق .

( امضاء )

جمال ،

□

وبعد ظهر يوم الخميس ١٠ ابريل ١٩٦٩ توجه الدكتور « محمود فوزي » إلى لقاء « كيسنجر » في مكتبه بالبيت الأبيض . وكتب تقريره عن المقابلة وبعث به إلى القاهرة ، وجاء فيه ما يلي بالنص : (١٠)

إلى السيد الرئيس (\*)

من الدكتور محمود فوزي

قابلت كيسنجر مساء أمس الخميس بالبيت الأبيض . عبر عن سروره للا لقاء بي ، وقال إن الرئيس نيكسون مهم جدا ببناء علاقات ود وصداقة مع العرب . قلت إننا كذلك نريدها ، ونرجو أن نحل مشكلة الشرق الأوسط . سألني عما إذا كانت مشكلة الشرق الأوسط تنفك عقبة أمام تحسين العلاقات بيننا ، وردت بالإيجاب . ذكر أن واشنطن على أية حال ليست منزوعة من عدم إعادة التمثيل الدبلوماسي معها إذ أننا نحن الذين قطعناه . تساءل عما يمكن أن نعمله سويا . قلت إننا على الأقل نشترك في هدف واحد ، وهو الرغبة في إقرار الأحوال السلمية في منطقة الشرق الأوسط من أجل أن يعيش كل فرد فيه في أمان ، وأن يعمل لزيادة رفاهيته .

(١٠) محفوظات رئاسة الجمهورية ، وتوجد نسخة منه في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع .  
(٥٠) صورة من الصلعة الأولى لهذا التقرير من الدكتور ، محمود فوزي ، إلى الرئيس ، جمال عبد الناصر ، موجودة في ملحق صور الوثائق تحت رقم ( ١٣ ) صفحة ٧٥١ من الكتاب .

أشار إلى أنه منذ ستة شهور لم يكن يعرف أي شيء عن مشكلة الشرق الأوسط . وأنه برجو أن أصبح له صدري إذا بدا أن أسئلته ليست دبلوماسية ، مضيفا أن هذا ما فعله وبلغه مع الإمبراطور أيضا .

قال إنه سمع من الملك حسين ومنى أننا نرغب في السلام . فهل نحن مستعدون لنكر ذلك علنا ؟

قلت إن هذا لا يمثل أي مشكلة بالنسبة لنا ، فقد أعلننا قبولنا لقرار مجلس الأمن ، وهو يتضمن بكل وضوح عناصر إقامة الحياة السلمية في المنطقة ، ونحن مستعدون للتصريح به أمام مجلس الأمن . وأن الأسلوب الذي نلتزمه هو أن نكتب نحن وثيقة بارتاباطنا نوقعها ونقدمها لمجلس الأمن . ونعلم إسرائيل نفس الشيء بحيث يرتبط كل طرف من الأطراف فيما يخصه من التزامات أمام العالم . وعندما يتم كل ذلك ويقدم كل طرف الوثيقة المتعلقة به موقعها عليها منه ، فإن الوثيقة مجلس الأمن تصبح الوثيقة النهائية لإقرار الحياة السلمية في المنطقة .

أضفت أن التسوية الحقيقية هي التي يمكن أن تكون لها صلة البقاء ، وأن أي تسوية تريد إسرائيل أن تفرضها في ضوء الأحوال القائمة لن تتجوز لأنه لن يكون لها صلة الدوام .

قال إنه يتساءل إلى أي مدى يمكن لأحد الأطراف أن يتخلى عن عناصر أمنه المعتمدة على وجوده الفعلي على الأرض ، ويستعوض عنها بأقوال - لذلك فإن الإمبراطورين يتناولون بطك اتفاقية صلح أو معاهدة صلح إذا أمكن .

علقت بأن ما قاله بوزيد في الواقع منطقي لأنه ليست اتفاقية أو معاهدة الصلح - ليست هي التي تؤمن دولة من الدول ، إذ أن كل الحروب نشأت في الماضي بعد توقيع معاهدة صلح ، وأن المهم هو الضمانات التي تؤكد قيام حياة سلمية . أضفت أننا مستعدون للتوقيع على وثيقة تتضمن التزاماتنا وتقديمها لمجلس الأمن ، وهي طريقة يعتقد كثير من القانونيين أنها ملزمة أكثر من اتفاقية أو معاهدة صلح .

تساءل ما الذي يمكن عمله خلال الشهور المقبلة إذا ما أعلن كل طرف التزامه بما عليه بموجب القرار ، وهل سيؤدي ذلك إلى السلام ؟ تساءل كذلك عما إذا كنا سنفكر إسرائيل بالذات في إعلاننا . رددت بما سبق أن قلته عن أن الاعتراف بوجود إسرائيل سيصير حقيقة في ضوء تنفيذ عناصر القرار ، وأشرت إلى عدم اعتراف أمريكا بالصلح .

علق بأن الولايات المتحدة تعترف بوجود الصين . قلت نفس الموقف سينطبق علينا كذلك عندما تقوم إسرائيل بتنفيذ عناصر القرار .

سأل عما نطلبه من إسرائيل - تحدثت عن الانسحاب ، وعن الضمانات التي تكفل الحياة السلمية في المنطقة .

قال إنه لا يبقى بأي ضمان يعطيه مجلس الأمن .

تكررت أنني لا أتحدث عن ضمانات مجلس الأمن وحده ، ولكن هناك - وهو أقوى - ضمان أن الولايات المتحدة لن تسمح للعرب بشن حرب على إسرائيل حتى ولو كانوا على حق في ذلك . على بأن هذه نقطة وجهه Polmi . استغرقت ذاكرا أن الفرصة الوحيدة لإقرار الحياة السلمية في المنطقة هي التمثل والاعتدال ، وأنه لا يمكن الحصول على الأمن بالطريقة التي تتأدى

بها إسرائيل لأن هذا معناه فرض حل علينا تحت ظل الاحتلال العسكري . وأن الحل الذي يمكن تطبيقه هو الذي أصدره مجلس الأمن في قراره ، وهو الذي ستكون له صفة الدوام .

نذكر أن أي تسوية لا بد أن تحظى بموافقة الأطراف لكي تكون لها صفة الدوام . قلت إنه يجب أن يأخذ هذا من ناحيتنا كذلك ، وليس فقط من ناحية إسرائيل . أشرت أنه من الأطراف التي يجب أن يحصل على موافقتها هم اللاجئين الفلسطينيون ، وهم أهم عنصر في هذه المشكلة لأنهم يمثلون الناحية الإنسانية البشرية . قال إن هذا صحيح .

تحدثت عن أهمية السلام لنا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، وأنه سيوفر لنا أموالا طائلة نتسكن من إنفاقها على المشروعات العمرانية داخل أراضينا .

قال إن هذا حقيقي ، ولكنه يريد أن يقدم شيئا ملموسا لإسرائيل من أجل أن تتخلى عن الأراضي التي تحتلها خاصة بعد تجربة إخراجهم من سيناء سنة ١٩٥٧ ، على أساس ترتيبات لم يكتب لها البقاء .

سأل هل مستقبل مناطق منزوعة السلاح ؟ قلت إننا قبلنا إنشاء مناطق منزوعة السلاح ، وأنا كتبنا بذلك إلى السفير يارنج على أن تكون على جانبي الحدود .

سأل عما إذا كنا نشترط أن المناطق على الجانبين تكون بنفس العمق ؟ قلت إنه من الممكن النظر في ذلك في ضوء فوارق مساحات الأراضي القائمة على الجانبين عموما . رد بأن هذا مقبول Fair enough . أشار إلى سيناء ذاكرا أن إسرائيل تخشى أن تتسحب من سيناء وتبدأ مصر في تسليحها من جديد ، وبدأ تصوير مصدر تهديد لهم مرة ثانية . قلت إن إجابتنا على أسئلة يارنج توضح أن المناطق المنزوعة السلاح ستشرف عليها قوة من الأمم المتحدة ، وأن هذا يكفل الأمن . قال إن هذا حقيقي ، ولكن تجربة سحب قوة الطوارئ سنة ١٩٦٧ ما زالت ماثلة أمام أعيننا . قلت له بأن قوات الطوارئ هذه المرة سوف تكون على الناحيتين ، وبذلك لا يتمكن واحد منهما من إزاحتها بقرار منفرد إلا على ناحيته ، ولكن القوات سوف تبقى حاجزا على الناحية الأخرى .

سأل عما إذا كان من الممكن تحقيق السلام بالنسبة لكل جبهة على حدة ؟ أجبت بأن ذلك صعب لأن الأساس في الأزمة هو مشكلة تغني كل الأطراف في نفس الوقت ، وهي القضية الفلسطينية .

سأل عما إذا كنا نعرض على أي تسوية يمكن الوصول إليها في شأن الجبهة الأردنية ؟ قلت في الغالب نعم .

سأل عن سوريا ؟ قلت إن سوريا لن يكون لها الحق في الاعتراض إذا تمكنا من الوصول إلى انسحاب إسرائيل عن أراضينا كاملة وفق قرار مجلس الأمن . وما أظن أن السوريين سيرفضون أن تتسحب إسرائيل من المرتفعات السورية .

سألني ما الذي أتوقعه من مقابلتي مع نيكسون غدا ؟ قلت إنني آمل وأثق في أننا نستطيع سويا إخراجنا بولندي إلى الخروج من هذه المشكلة المتفجرة .

نذكر أنه يريد أن يقول بصراحة إن هناك تناقضا في موقفنا . فبينما نريد أن تقوم الولايات المتحدة بعمل ما ، نبدو مترددين من إعادة العلاقات الدبلوماسية معها . ومع ذلك فهذا لا يسبب مشكلة لهم ، إذ أنهم على أي حال يريدون العمل من أجل السلام بصرف النظر عن العلاقات الدبلوماسية .

قال إن هناك تناقضا آخر في موقفنا ، فنحن نريد إخراج إسرائيل من أراضينا ، ولا نريد في نفس الوقت أن نعطها شيئا محددا عن توافرها إزاءها بالذات في المستقبل .

علقت بأنني أستغرب هذا بعد كل ما شرحت له من وجهة نظري .

سألني وما الذي يمكن للرئيس نيكسون أن يفعله ؟ قلت يستعمل الوزن الكبير للولايات المتحدة من أجل سلام في الشرق الأوسط . قال وما هو برنامج السلام ؟ ذكرت أنه تنفيذ قرار مجلس الأمن .

سأل عما إذا كان السوفيت يريدون تسوية المشكلة حقيقة ؟ وردت بالإيجاب .

سألني لماذا ؟ وردت بأنني أعلم ذلك من أحاديثهم معنا ومن تصرفاتهم . كذلك فإنتي وأنتي أنهم يدركون أن من صالح الاتحاد السوفيتي وسياسة مجانبية التصادم مع الولايات المتحدة والوصول إلى تهدئة في الجو الدولي . ولاتصال الحديث أشرت إلى وجود الأسطول السوفيتي المتزايد في البحر الأبيض ، مضيفا أنني لا أشير إلى هذا على سبيل التهديد ، ولكن كنموذج لحالة التوتر في المنطقة . على موافقا ثم أضاف أن وجود الأسطول السوفيتي لا يقلقهم مطلقا ولا يسبب لهم أي ذعر . واسترسل في كلامه يسألني مرة أخرى عما يمكن أن أتوقعه من مقابلتي للرئيس نيكسون غدا ؟ قلت إنني أتوقع أن ينكر الرئيس نيكسون بوضوح أن الولايات المتحدة تريد انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة . وأتوقع منه كذلك أن يطلب منا احترام السيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة .

سأل وما الذي سيحدث إذا قال الرئيس نيكسون هذا ؟ قلت تكون بداية صحيحة لتأمين وصول عملنا المشترك إلى حل للأزمة .

قال إنني تحدثت عن عملنا المشترك ، فهل يستطيع أن يسألني إذن عما يمكن عمله في شأن العلاقات الأمريكية المصرية ؟ قلت إن هذه العلاقات عائدة بلا شك . والموضوع هو إيجاد التوفيق الملائم لذلك - إذ علينا أن نقول لشعبنا وللشعوب العربية الأخرى أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية بدأ يأخذ طريقا إيجابيا ، وبدأ يمكن إقناع الجميع بأن الفرص متاحة لإعادة العلاقات . أضفت أن الاتصالات على أي حال قائمة ، والحوار مستمر ، والتعاون في ميدان البترول كامل ونزجو له الاطراد .

نذكر في نهاية المقابلة أنه سيكون حاضرا في اجتماعي مع الرئيس غدا .

(إمضاء)

محمود فوزي ،



وفي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١١ أبريل كان الدكتور « محمود فوزي » يدخل المكتب البيضاوي في البيت الأبيض للقائه المنتظر مع الرئيس « ريتشارد نيكسون » . وكذب الدكتور « محمود فوزي » تقريره عن اللقاء<sup>(١)</sup> :

(١) محادثات وزارة الخارجية ورناسة الجمهورية ، وتوجد نسخة منها في وزارة الدفاع .

، إلى السيد الرئيس (\*)

من الدكتور محمود فوزي

استقبلني الرئيس نيكسون بعد ظهر اليوم الجمعة (١١ أبريل) وكان معه كيسنجر وبيسون وسوندرز (\*\*). وأصطحبت معي أشرف غربال ومحمد رياض (\*\*\*) .

قال عبارات ترحيب لطيفة ، وذكر أنها فرصة طيبة لتبادل وجهات النظر حول الموقف الحاضر .

قال إنه يهيم جدا تحسين العلاقات مع العرب والوصول إلى حل عادل Fair لمشكلة الشرق الأوسط ، إذ أنها عقبة في سبيل التعاون المستمر بين شعوبنا . وأضاف أنه لا يتكلم فقط من ناحية العاطفة التي يعتقد أنها موجودة ومتبادلة بيننا ، ولكنه يتكلم من ناحية المصالح السياسية للجميع . أشار إلى أنه زار المنطقة ويعرف ظروفيها ومكاناتها ، وهو لذلك لديه صورة واضحة عن المشكلة التي بها . أعربت عن الشكر لإتاحة هذه الفرصة لي لكي أتلق إليه بصورة ما يحدث في منطقتنا منذ عام ١٩٦٧ . قلت إنه يسعدنا نحن كذلك أن تكون علاقاتنا بالولايات المتحدة وشعبها قوية وطيبة ، (لا أن الأحداث التي مرت بنا منذ يونيو ١٩٦٧ تقف في وجه هذا الاتجاه ، كما تقف في وجه أقرار الأحوال السلمية في المنطقة . نكرت أنه قد أتجت لي خلال مقابلي مع المسؤولين الأمريكيين منذ حضوري فرصة التحدث عن المشكلة الحالية بكل تفاصيلها ، وعن الجهود التي قمنا بها في سبيل الوصول إلى تسوية لها ، والتي لا أشك في أنهم تلقوا كل ذلك إليه . (لا أنتي أود أن أتاول بعض النقاط التي لها أهمية خاصة .

قلت إننا نريد السلام العادل ، وأن هذا يتشعب مع برنامجنا في رفع مستوى معيشة شعبنا ، وأننا من أجل هذا قمنا بقرار مجلس الأمن الذي صدر بموافقة جميع أعضائه ، وأنه تبعا لذلك فلا بد على الأخص من انسحاب القوات الإسرائيلية إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ وحل مشكلة اللاجئين . وأضف أننا في نفس الوقت مستعدون تماما للالتزام بكل ما يخصنا وفق قرار مجلس الأمن .

ونكر أنه يدرك أن المشكلة الحالية تعوق فرص التعاون وتوثيق العلاقات بين الولايات المتحدة والعرب ، بالإضافة إلى أنها تقف أمام تقدم الشعب العربي اقتصاديا واجتماعيا ، وأنه لذلك - وحتى من قبل بداية عهده - كان دائم التفكير في كيفية حلها ، إلا أنه يأمل أن نقرر الصعاب التي أمامه والتي يروجو أن تظل على مر الوقت . وسأل عن أي شيء أقترحه بهذا الشأن أكثر مما تم فعلا من تحرك أمريكي ؟ قلت إننا نشعر أن حركة ما حدثت ولكن بنقصها التحديد . ومثال ذلك أن الولايات المتحدة أعلنت عن مساندتها لقرار مجلس الأمن ، ولكنها لم تحدد شيئا جديدا واضحا . وعند هذه النقطة طلب الرئيس نيكسون من سبيكو أن يتحدث عن التصور العملي إزاء تنفيذ قرار مجلس الأمن ، فتمدد سبيكو أن يقول إن القرار غامض وإلا لما تمت الموافقة عليه بالإجماع . والعرب يفسرون القرار على أساس أن يتم الانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو ، بينما تفسره إسرائيل على أنه

(\*) صورة من الصلعة الأولى لهذا التقرير من الدكتور ، محمود فوزي ، إلى الرئيس ، جمال عبد الناصر ، موجودة في ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٤) - صفحة ٧٥٢ من الكتاب .

(\*\*) كيسنجر ، كان مستشار الأمن القومي للرئيس ، وكان ، جوزيف سبيكو ، مساعدا لوزير الخارجية مختصا بالشرق الأدنى ، وهارولد سوندرز ، مسئول في مجلس الأمن القومي عن شؤون الشرق الأوسط .

(\*\*\*) كان السفير ، أشرف غربال ، وقتها مخرقا على شؤون المصالح المصرية في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء قطع العلاقات بينهما منذ يونيو ١٩٦٧ ، كما أن السفير ، محمد رياض ، كان مديرا لمكتب الدكتور ، محمود فوزي ، .

انسحاب لحدود أمية ومعترف بها . واستمر سبيكو يقول أنهم قدموا ورقة عمل أمريكية إلى اجتماعات الأزمة ، كما أنهم عرضوها للمناقشة في محادثاتهم الثانية مع الاتحاد السوفيتي . وهو يعترف أن ورقتهم لم تكن محددة بالكلر الواجب ، ولكنها على أي حال خطوة أولى .

قال نيكسون إن لديه موقفا في هذا الصدد ، ولكن قد يصعب الإعلان عنه بغير اختيار الوقت المناسب للإعلان لأن ذلك يمكن أن يعطل الوصول إلى تسوية . علق قائلا أنني لا أطلب أن تعلن الولايات المتحدة اليوم أو غدا موقف إدارتها الجديدة ، وإنما هي لها الحق في اختبار التوقيت المناسب الذي أروجو ألا يتأخر كثيرا ، وقد يكون من المفيد جدا أن نعلم به ولو بيننا . ثم تابعت الكلام قائلا إنه إذا قبل لنا كما جاء بقرار مجلس الأمن أنه لا يجوز الاستيلاء على الأراضي بالقوة ، ثم قبل لنا في نفس الوقت أن الاستيلاء على الأراضي بالقوة جائز بدعوى الخطوط الآمنة والمعترف بها ، فإن هذا كلام لا نقبل أن نشره .

قال الرئيس نيكسون إنه يريد أن يؤكد لي أن حل هذه المشكلة يجب أن يكون عادلا Fair ، وأنه يريد أن يؤكد لي أيضا أنه هو الذي سيتخذ القرارات ولا أحد غيره .

( أشار الدكتور ، محمود فوزي ، في تقريره بعد ذلك إلى أنه ذكر ، نيكسون ، بالموقف الرشيد الذي اتخذته الولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ - وقد دار بين الاثنين حوار حول توكريات (١٩٥٦) - ثم عاد الدكتور ، فوزي ، إلى صلب تقريره - فكتب يقول :

قال الرئيس نيكسون إنه يروجو أنه كان سنة ١٩٥٦ في محل يسمح له بمنع صدور القرار الأمريكي بسحب المساهمة من تمويل السد العالي . وأنه بعد زيارته سنة ١٩٦٣ لمنطقة أسوان تمنى لو أن الولايات المتحدة هي التي بنت هذا المشروع . سألني عما إذا كنا في القاهرة كالدوين من الناحية الداخلية على الموافقة على تسوية سلمية ؟ ردت بالإيجاب ، وأوضح أننا أعلننا قبولنا لقرار مجلس الأمن واستعدادنا لتنفيذه ، وبقينا كل ذلك كتابة .

أشار إلى العلاقات الثانية بين بلدينا ، وقلت له إنه يسرني أن أفكر أن التعاون في ميدان عديدة قائم ومستمر ، وخاصة في ميدان التبرول .

نكرت أنني كنت أزرع مستر مكنمارا اليوم ، وأنه أشار إلى الإمكانات الهائلة في مصر التي يروجو أن تتمكن من استغلالها . وقلت أنني أتمنى أن نجد تعاونا مشريا من الولايات المتحدة في مجالات التنمية . قال لي الرئيس نيكسون إنه سوف يصدر أوامره إلى معاونيه بالاستمرار في اتجاه تحريك الأمور . وبعد انتهاء الزيارة تفضل فنزل من مكتبه ، ونزل من الحديقة إلى باب الغربية ، وانتبهت الفرصة وقلت له في هذه الأثناء أنني والقي من أنه يوافق على وجوب التزاما جميعا بالخطوط العريضة الصعبة التي تقضيها الحكمة السياسية الكبرى ، وأن لا نستسلم للتهديدات والتهديدات والتهديدات ، بل نملئ على هؤلاء ما نريد أن نعلم ولا نتركهم يعلمون علينا ما يريدون هم أن نعلم . ردت مرتين أنه يلهم هذا تماما ويوافق عليه .

عند مغلق الباب وجد أمامه مستشاره العلمي فقدم لي ، وسأله إذا كان قد زار مصر ، فأجاب المستشار بأنه لم يتمكن بعد . فقال له الرئيس نيكسون إنه يود لو أنه - أي المستشار - زار مصر ورأى الإمكانات الصناعية التي أقيمت فيها ، وخاصة منطقة السد العالي بأسوان التي ازدهرت ازدهارا كبيرا .

استدعى التلغاتي ما يلي :

١ - في المقابلة مع نيكسون أو مع كيسنجر لم ترد أى إشارة إلى اجتماع ممثلى الدول الأربعة

٢ - استرعى انتباهى كذلك أنه تكلم عامة عن العلاقات بين هـلدينا ، ولم يقل العلاقات الدبلوماسية بالتحديد ، وإن كان قد ألمح لها ، وبدأ أن لهذا صلة برضى أسس على ما قاله كيسنجر بهذا الشأن .

٣ - كانت المقابلة أسس مع كيسنجر - وأكثر من هذا اليوم مع نيكسون متسمة بالنفـه ومحاولـة الإشـعار بأن هناك من جانب الإدارة الجديدة هنا بداية تحرك فى اتجاه سليم ، وإن لزمهم بعض الوقت حسب كلامهم .

٤ - إننى لا أريد التسارعة إلى التناول ولا أنصح به .

(امضاء)  
محمود فوزى ،

وسط هذه الأجواء وأحاديثها التى توحى بشئ من الأمل ، بدأت تتسرب أخبار عن المضى فى تسليم الدفعة الأولى من طائرات « الفانتوم » الجديدة ، وأن الولايات المتحدة تنوى أن تعطىها لإسرائيل بدعوى أنها عربون صداقة من الرئيس الجديد لتشجيعها على الاستجابة لمبادرته السلمية . وقد استقبلت القاهرة هذه الأخبار بدهشة . وتلقى الدكتور « محمود فوزى » وهو لا يزال فى واشنطن طلباً بأن يحاول تحرى الموضوع .

وبينما الدكتور « فوزى » يحاول بطريقته الهادئة أن يجس النبض جاءه التأكيد قاطعاً ، وعلى لسان الملك « حسين » ملك الأردن(\*) أثناء لقاء بينهما فى واشنطن . وبادر الدكتور « فوزى » مكتب إلى القاهرة رسالة جاء فيها ما يلى : (١٢)

« زرت الملك حسين اليوم الأحد - ١٣ ابريل - لكى نقارن ما لدينا منذ أن تلاقينا يوم الأربعاء . وفى بداية لقائنا ذكر الملك أن هناك بدايات تحرك أمريكى فى الاتجاه الصحيح ، لكن هناك صعبا قاسمة ويمكن أن تتفاقم . ثم أكد الملك علمه بما سمع من مصادره عن صفقة من طائرات الفانتوم تقدمها الولايات المتحدة إلى إسرائيل ، وأن الدفعة الأولى منها على وشك التسليم القطى . وأضاف الملك قائلا إن الفانتوم هى ست طائرات فى طائرة واحدة . وقد تحدث عن ذلك بأسف ، مضيقاً أن إسرائيل لديها من الصواريخ القوية الكثير ، كما أن لديها أجهزة حديثة لإفساد الرادار لدينا . وأضاف أنه علم أيضاً أن إسرائيل تنوى زيادة هجماتها على مواطن القوة والتجميع البشرى فى الأردن ومصر ، وأنه يعتقد أن هذه الأنباء صحيحة ، وأن ما يشغل باله هو عدم اكتراث العالم والدول الكبرى بما يحدث لنا من ضرب وتكبل .

(\*) صورة من الصفحة الأولى من تقرير الدكتور « فوزى » عن اجتماعه بالملك « حسين » موجودة فى ملف صور الوثائق تحت رقم (١٥) - صفحة ٧٥٣ من الكتاب .  
(١٢) محولات وزارة الخارجية والرياسة ووزارة الدفاع .

أعرب أيضاً عن اشتغاله أزاء البيئة والتفكك فى العالم العربى ، والمحادثات التى ترتكب على الأنص فى العراق مثل اعدامهم اليهود أخيراً(\*) . وقال إننا مهزون بزيد من كل ذلك أيضاً . تكلم أيضاً عن أعمال المقاومة الفلسطينية ، وأنها ليست بحال من الضخامة بالقدر التى تصورها التهوريلات العربية ووسائل الإعلام الأجنبية .

(امضاء)  
محمود فوزى ،

كان الدكتور « محمود فوزى » قد بدأ يجنح إلى التشاؤم ، وقد عبر عن ذلك بوضوح فى امر عبر له من واشنطن ، وكان تقريراً كتبه عن مقابلته مع نائب وزير الخارجية « البوت » سارسون ، . وقد جاءت بدايته على النحو التالى بالحرف :(\*)

« إلى السيد الرئيس  
من الدكتور محمود فوزى

قابلت نائب وزير الخارجية البوت ريتشارسون اليوم . أعرب ريتشارسون عن أمله فى أن تكون زيارتى هنا ممتعة ومثمرة . علقت بأنها قد تكون ممتعة ، ولكنها لم تكن مثمرة لأنها لم تكون مثمرة يجب أن تكون ناجحة ، وما أظنها كانت كذلك . . .

### ٣

عاد الدكتور « محمود فوزى » إلى القاهرة ، وحضر اجتماعاً بعد ظهر يوم ٢١ ابريل للجنة السعيدة العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، وأمامها عرض تقريراً شفوياً عن مهمته فى واشنطن . وبعد انتهاء الجلسة اصطحبه الرئيس « جمال عبد الناصر » معه إلى بيته ليمس منه أدق التفاصيل هو استباحتها . وكان الدكتور « فوزى » مقلاً فى العادة فى تقاريره أثناء الاجتماعات الكبيرة ، مؤثراً باستمرار أن يتوسع فى الجلسات المغلقة .

كان رأيه أن الاجتماعات الموسعة يحضرها كثيرون بحكم الاختصاص أو بحكم المنصب ،

(\*) كانت الحكومة العراقية قد أعلنت عن اكتشاف مؤامرة يقوم بها اليهود فى بغداد ، وقبضت بالمثل على عدد منهم ، ولم اهدام ١٣ من المتهمين فى شهر ديسمبر السابق .  
(\*\*) صورة للصفحة الأولى من تقرير الدكتور « محمود فوزى » عن مقابلته مع « البوت ريتشارسون » - موجودة فى ملف صور الوثائق تحت رقم (١٦) على صفحة ٧٥٤ من الكتاب .



وهذا وحده ليس ضمانا لحسن المتابعة أو لمقدرة الاستيعاب ، أو حتى للمساعدة على توجيه أسئلة أو إعطاء إجابات تجيء في صميم الموضوع الذي تجرى مناقشته . وأما في الاجتماعات المغلقة المحدودة ، فإن المشاركين فيها عادة هم المهتمون بجد في صميم الموضوع بالحوار أو بالرأى . وفي حديث تلك الليلة لم يكن الدكتور « فوزى » متشائما ولا متفائلا ، لكنه كان عمليا وإخباريا ، قاصدا إلى ما يريد بغير « التعويم » الذي كان يعتمد أسلوبا ، وبراها مفيدا ، في الاجتماعات الموسعة . وكان ملخص تقريره ، وقد بدأ به من أول لحظة : (١٧)

« إن الموقف في واشنطن لم ينجح بعد للكلام الجاد . فهناك عوامل استمرار من نظام « جونسون » تمثلت في قيام الولايات المتحدة بتنفيذ تعهده السابق بتسليم الدفعة الأولى من طائرات « الفانتوم » لإسرائيل ، لكن هذا التصرف وحده يصعب القياس عليه والخروج منه بنتيجة يعتد بها . وبالنسبة للإدارة الجديدة ، فإن تعهد « جونسون » يمثل التزاما على الولايات المتحدة بتخطي تباين السياسات بين إدارة وإدارة . ومن المحتمل أن إدارة « نيكسون » رأت أنها إذا تأخرت في تسليم الطائرات ، فإن هذا التأخير يضعها من اللحظة الأولى على خط صدام مع إسرائيل وأصدقائها في دوائر الكونجرس والإعلام وجماعات الضغط ، ومن ثم فهو يضعف موقفها - إذا كان لها موقف جديد - في أزمة الشرق الأوسط .

يضاف إلى ذلك أن الرأي السائد باستمرار أن إسرائيل الضعيفة سوف ترفض تقديم تنازلات ، في حين أن إسرائيل القوية تشعمر بدرجة من الثقة بالنفس لا تجعلها تمنع في تقديم تنازلات - وهذا الرأي ما زال معتقدا في واشنطن ، ومن المحتمل أنه كان حجة ضمن الحجج التي رجحت استمرار الإدارة الجديدة - « نيكسون » - في احترام تعهدات الإدارة السابقة - « جونسون » .

وإن فلان تسليم ١٦ طائرة « فانتوم » لإسرائيل لا يكفي وحده للحكم على توجهات الإدارة الجديدة » .

ثم مضى الدكتور « فوزى » يقول :

« إن الإدارة الجديدة ، شأنها شأن كل إدارة جديدة في الولايات المتحدة ، بدأت في قراءة الملفات ، ومعظم ما يصدر عنها حتى هذه اللحظة انطباعات لم تتحول بعد إلى سياسات ، ومن ثم فإنه لا يزال مكررا سواء للحكم على اتجاهات هذه الإدارة ، أو لبده عملية محافظات تمهد لمفاوضات معها ، ومن الأفضل ترك فسحة من الوقت حتى تستقر الأمور » .

ثم استطرد الدكتور « فوزى » يقول :

« إن أكثر ما يشغل باله هو ما أحس به من وجود خلافات - بدأت مبكرة أكثر مما ينبغي - بين مستشار الرئيس للأمن القومي - « هنري كيسنجر » - وبين وزير الخارجية - « ويليام

( ١٣ ) كانت لي فرصة حضور الاجتماع بين الاثنين .

« هرز » . . . ذلك أن ، كيسنجر ، ليس راضيا عن توجهات وزارة الخارجية خصوصا في أزمة الشرق الأوسط ، ولعل له في ذلك مقاصد :

● فهو لا يريد أن يترك هذه الأزمة لوزارة الخارجية وفق تقسيم الاختصاصات الذي وضعه « نيكسون » ، لنقص الاشتباك بين مستشاره ووزيره . وربما أن ، كيسنجر ، ليهويته يريد أن يلعب دورا في الأزمة يحلم ولا يجسر على المجاهرة به ، ربما ليهويته أيضا . وربما أنه لم يحزم أمره على شيء حتى الآن ، فأرجح الاحتمالات أن يلجأ إلى المروعة ، وقد بدأها فعلا بدعوى أن هذا العام ١٩٦٩ - ليس مناسباً للاقتراب جديا من أزمة الشرق الأوسط لأن هناك حكومة جديدة هي إسرائيل برئاسة جولدا مائير ، وكل حكومة جديدة في إسرائيل لا بد لها من وقت قبل أن تخرج جديا من أية مفاوضات ، خصوصا إذا كانت مفاوضات تدعوها إلى تقديم تنازلات .

ثم قال الدكتور « فوزى » :

« إن كيسنجر يرى أن أزمة الشرق الأوسط بدور الاتحاد السوفيتي فيها قد تحولت إلى بؤرة من بؤر المواجهة بين القوتين الأعظم ، ومن ثم فهي تحتاج إلى علاج في إطار العلاقة بين الاثنين » . وهذا ينطأ إلى اختصاصه . كذلك فإن اقتناعه بنظرية الترابط linkage بين بور التوتير ، ورجح طيه بأنه يستطيع أن يحولها إلى ورقة في يده عندما يبدأ التفاوض مع السوفيت في أزمة هينام .

والسوفيت طرف مطلوب في تسوية أزمة فيتنام ، لكنهم في نفس الوقت طرف طالب في أزمة الشرق الأوسط ، ولا بد لهم أن يحطوا هناك إذا أرادوا أن يأخذوا هنا ، أو العكس .

المهم أن هناك رابطة ، ولا بد - في رأي « كيسنجر » - من الاحتفاظ بهذه الرابطة واستغلالها . . .

ثم ذكر الدكتور « محمود فوزى » أنه ، قبل أن يغادر واشنطن كان اهتمام البيت الأبيض قد تحول مرة واحدة عن الشرق الأوسط إلى الشرق الأقصى بسبب حادث إسقاط طائرة تجسس أمريكية من طراز « اى . سى ١٢١ » أسقطتها مقاتلات كوريا الشمالية ، واعتبروا ذلك استفزازا والحداد لحزم الإدارة الأمريكية الجديدة ، وقد انصرف « كيسنجر » ، بالتكامل إلى هذه الأزمة ، واستطاع أن يجز الرئيس معه . « وقد سمع الدكتور « فوزى » بنفسه في واشنطن وشناعات والتهويل كثيرة عن احتمالات تطور هذه الأزمة في اتصالها بما يجري في فيتنام وحولها ، بما يشير إلى أن هناك مواجهة حادة قائمة في جنوب شرق آسيا .

ومعنى ذلك أن أزمة الشرق الأوسط قد تكون حاضرة في فكر وزارة الخارجية ، لكنها بالنسبة سوف تغيب عن فكر الرئيس .

والدلائل كلها تشير إلى أن البيت الأبيض متأثر « كيسنجر » ، سوف يعطل الشرق الأوسط في اسطار الشرق الأقصى . وبما أن البيت الأبيض هو مصدر القرار الحقيقي النافذ ، فليست لنا



عبد المنعم رياض

صنعه احسار هذه الخطوط ومحاولات التدريب عليها قد بدأت فعلا عندما تحولت معارك المدافع التي لم سوف على جبهة القتال إلى عمليات عبور محدود إلى الضفة الأخرى من القناة - تدخل إلى المواقع ، ونواجه تحصيناتها ، وتشبك مع قوات العدو ، وتعرض لدورياتها .

لكن ، جمال عبد الناصر « تلقى صدمة عنيفة باستشهاد الفريق « عبد المنعم رياض » في إحدى معارك المدفعية على الجبهة ، وكان يزورها في ٩ مارس ١٩٦٩ . كما أن الجنرال « لاشكو ، أصيب في ذلك الوقت بنبوة قلبية سافر بعدها إلى موسكو للعلاج .

□

كان ، عبد المنعم رياض « طرازا نادرا من العسكريين العرب ، فقد كانت له قدرة على الروية الاستراتيجية ، وكان واحدا من قلائل يملكون الثقة في إمكانية الانتصار في المعركة مع إسرائيل إذا أعطيت لها إمكانياتها المناسبة واختير توقيتها الملائم .

وكان إيمانه بحتمية القتال لاسترداد الأرض ثابته ، وكان رأيته في ضرورة القتال يمتد إلى ما هم أبعد من المطلب العسكري ، إذ كان يعتبره قضية شرف حتى على المستوى الفردي لكل من لم يكن يكف عن القول بأن ضرورة القتال أمر يتصل بكل رجل وكل امرأة ، في هذا البلد ، وكان يقول ، « إننا لو خرجنا من هذه الأزمة بحل دبلوماسي حتى وإن كان مقبولا ، فإن هذا البلد قد يتحول إلى مرتع للمعاصرة بالنهار ، ومرتع للغواني بالليل ! » (١٥)

(١٥) « أحاديث مع الفريق ، عبد المنعم رياض . . .

إن مصلحة في التفكير على أبواب وزارة الخارجية وحدها ، بينما نحن نعرف أن نفوذها حتى هذه اللحظة محدود .

ثم خلص الدكتور « فوزي » إلى أنه ، قد يكون من الأفضل في هذا الوقت إعطاء الفرصة للمحادثات الرباعية بناء على طلب « ديجول » ، وللمحادثات الثنائية بناء على طلبنا نحن من الاتحاد السوفيتي .

□

وكان هذا التحليل منطقيا ومتسقا مع شواهد الأحوال ، وقد أكد اعتقاد ، جمال عبد الناصر ، بأن الحل السلمي لا يمكن له أن يحقق مراميه إلا إذا توكلت مع فرصة للعمل العسكري النشط تساعد على تحقيق عدة أهداف :

- ١ - زيادة تعبئة الرأي العام المصري والعربي .
  - ٢ - لفت أنظار العالم إلى خطورة أزمة الشرق الأوسط واحتمالات انفجارها .
  - ٣ - الضغوط على إسرائيل وحكومتها الجديدة .
  - ٤ - تنظيم القوات المصرية بتجربة النار .
  - ٥ - التمهيد ، واستعادة دروس العمليات لصالح العملية الكبرى .
- وكان التفكير لهذه العملية الكبرى قد بدأ فعلا منذ عودة « جمال عبد الناصر » من زيارة الاتحاد السوفيتي في يوليو ١٩٦٨ ، وعندما بدأت شحنات الأسلحة السوفيتية تنتظم .
- وقد كتب « جمال عبد الناصر » خطوط توجيه استراتيجية لمعركة : (١٤)

- تقتضي عبور قناة السويس بالقوة والتمسك برووس كباري في الشرق .
- تؤدي إلى إلحاق خسائر بشرية كبيرة في القوات الإسرائيلية ( لأن تزيف الدم هو وحده الذي يزعج إسرائيل ) .
- تطول أسابيع ، ولا تنتهي في مجرد أيام لأن إسرائيل لا تحتل بقاء حالة التعبئة العامة طويلا .
- تعطى بطول مدتها فرصة لتعبئة الرأي العام العربي ، ولقت انتباه الرأي العام العالمي .

وكانت أمام « جمال عبد الناصر » منذ نهاية ١٩٦٨ بداية خطوط لعمل واسع على الجبهة وضعها الفريق « عبد المنعم رياض » رئيس هيئة أركان الحرب ، وشاركه في وضعها الجنرال السوفيتي « لاشكو » الذي كان كبيرا للخبراء السوفيت الملحقين بالقوات المسلحة المصرية ، وكانت

(١٤) الخطوط الأولى لخطة « جرائت (١) » . وهذا التوجيه محفوظ في ملفات رئاسة الجمهورية ، وتوجد نسخة واحدة منه في وزارة الدفاع .

وربما كان ذلك تقديرا متعسفا ، لكن « عبد المنعم رياض » كان شديد الاقتناع به ، كما كان شديد الاقتناع بأن هناك امكانيات قيادية لدى ضباط الجيش المصرى لا بد من إعطائها الفرصة « فالقادة العسكريون الكبار يصنعون ولا يولدون ، والذي يصنعهم هو العلم والتجربة والثقة والفرصة » .

ولم يكن فى حديثه يكف عن لازميتين لم نغيبا قط عن لسانه :

- العودة إلى سيناء حتمية .
  - ثم إن هناك جبهة شرقية ، وهى قائمة ويمكن أن تكون مؤثرة .
- وكان « جمال عبد الناصر » يعتبر لأسباب كثيرة أن « عبد المنعم رياض » هو « قائد المعركة الكبيرة المنتظرة ... ورجلها » .

وهكذا كان استشهاده صدمة حاول استيعابها ، وراح بعدها يتابع ويراقب ويفرز تصرفات القادة باحثا عن رجل جديد للمعركة الكبيرة القائمة ، وفى ذلك الوقت كانت تقديراته لها : ربيع سنة ١٩٧٩ .



وعندما لاحظت أمامه الشواهد تقف به بأن يترك أزمة الشرق الأوسط واحتمالات حلها سلميا فى نيويورك ، سواء للأربعة الكبار ، أو للاثنتين الأكبر على القمة الدولية - زاد اقتناعه بأن جبهة السويس - وليس جبهة نيويورك - هى الجبهة التى تستحق أكبر قدر من التركيز .

وتزايدت كثافة العمليات العسكرية واتسع نطاقها .

وفى الأيام الأخيرة من شهر ابريل ١٩٦٩ كانت الجبهة على مسافة ١٣٥ كيلومترا من رأس العش فى الشمال إلى خليج السويس فى الجنوب مشغلة بالنار ، ودخلت قوات وصل حجم بعضها إلى مجموعة كثيفة تحت القيادة المباشرة للعقيد « ابراهيم الرفاعى » ، القائد الأسطورى للعمليات الخاصة للصاعقة - حتى منطقة مصر مثلا .

كان عبور قوات بحجم كثيفة كاملة ووصولها إلى مصر مثلا إشارة واضحة للقيادة الإسرائيلية بأن الجبهة المصرية أصبحت الآن قادرة على ما هو أكثر من معارك المدافع التى أصبحت حياة كل يوم . كما أنها أخطر من عملية إغراق المدمرة « إيلات » ، بصاروخ بعيد المدى - فالقتال الآن يحدث عن قرب .. قوات تقاقل قوات على الأرض ، وليس مدافع يجرى الترشق بها من بعد مسافات ، أو صواريخ تتطلق من قارب سريع لا يكاد يظهر حتى يختفى . ومع الأهمية الكبرى لترشق المدافع وإغراق المدمرة « إيلات » ، فإن عمليات العبور إلى سيناء مثلت نقلة نوعية فى إمكانيات الجيش المصرى على القتال المباشر .

وطوال شهر يونيو كانت جبهة القتال حريقا لا ينطفىء ، وقد حاولت القوات الإسرائيلية أن ترد بعملية مفاجئة فصدت بها احتلال الجزيرة الخضراء على قناة السويس لتثبت أنها لا تزال قادرة

على مواصلة احتلال أرض مصرية - لكن الهدف هذه المرة كان عبور العقال ، واضطرت القوات الإسرائيلية إلى التراجع حاملة معها جنث أربعة عشر قتيلا وواحدا وستين جريحا .

ثم جاءت عملية هجوم للضفادع البشرية على ميناء إيلات بعد ذلك ، وقنقت البحرية الإسرائيلية ثلاث قطع فى ليلة واحدة بفعل أنغام نمكن ، الضفادع ، من السباحة ليلا إلى مراسيها ، الصاق الأنغام بهاكلها ، وتوقفت انفجارها قبل الصباح .

وبدأت إسرائيل ترد بعنف ، وقد اختارت تفوقها الجوى ليكون أداتها فى توجيه ضربات إلى مواقع الجبهة المصرية .

وهكذا بدأت المعركة الهائلة التى اشتهرت بـ « معركة حائط الصواريخ » .



كان التركيز الجوى الإسرائيلى على الجبهة المصرية مقلقا ، وقد أراده إسرائيل عنيفا لإقناع العاهة المصرية بعدم جدوى عمليات العبور إلى سيناء ، وأن الإصرار عليها يكلف القوات المصرية هائل مضاغة . وردت مصر بخطوة مضادة ، فقد راحت تبنى قواعد للصواريخ على طول خط العبهة حتى يمكن حمايتها من غارات الطيران .

ومرة ثانية ردت إسرائيل بنقل غاراتها من الجبهة إلى العمق المصرى ، فكانت الغارة على منسات الرى فى الصعيد ، وكان أبرز مثال لها استهداف جسر نجع حمادى الذى ركزت عليه الغارات الإسرائيلية عدة مرات وقصدت تدميره وإغراق مساحات شاسعة من الأرض الزراعية وراية .

ثم اقتربت الغارات أكثر إلى أهداف قرب القاهرة ، ربما لإقناع الرأى العام المصرى نفسه بأن النار وأصله إليه ، وهكذا ضربت منشآت فى طره ، كما جرى ضرب مصنع فى أبو زعبل ، وطالت القنابل مبنى مدرسة فى بحر البقر استشهد فيها أكثر من ثلاثين طفلا .

كان نطاق القتال يتسع ، على البر ، وفى البحر ، وفوق الجبهة ، وداخل العمق .

وكانت غارات العمق - التى أصابت المدنيين بالدرجة الأولى - هى أكثر ما حز فى نفس جمال عبد الناصر ، وما دفعه فى شهر يناير ١٩٧٠ لزيارته السرية التى ذاع أمرها فيما بعد - إلى موسكو للقاء حاسم وعاصف مع القادة السوفيت ، وقد حمل معه إلى موسكو همين فى نفس الوقت : غارات العمق ، وكيف يمكن صدّها ؟ ثم الطيران المنخفض فوق الأهداف المدنية ومواقع بطاريات الصواريخ ، وكيف يمكن التعرض له ، لأن صواريخ « سام ٢ » ، التى كانت لدى مصر ، وهما كان يمكن أن تتعرض للارتفاعات العالية ، ولكن ليس لما هو أقل من خمسمائة متر ؟



كان لقاء موسكو يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ من أكثر اللقاءات إثارة فى كل التاريخ الحافل للقاءات

المصرية - السوفيتية ، فقد كان جمال عبد الناصر ، يعتقد أن نتيجة أزمة الشرق الأوسط سوف تنقصر فيه ، ولقد وجد «بادجورنى» وه «كوسيجين» فى انتظاره على نهاية سفر فى المطار جرى توجيه الطائرة القادمة من القاهرة إليه بعيدا عن العيون المتحفرة للرصد فى المطار الرسمى - مطار « فينوكوفو رقم ١ » (١٦) .

وتوجه موكب من ثلاث سيارات من طراز « زيل » المخصص للقادة السوفيت ، والذي تنطلى الستائر الداكنة نوافذه وتجنب من فيها عن الناس - إلى ناحية « تلل لينين » المطلة على نهر « موسكوا » ، ثم دلفت إلى أحد بيوت الضيافة الرسمية الفخمة ، وقد خصص مقرا لـ « جمال عبد الناصر » أثناء زيارته ، كما خصص لإجراء المحادثات - مبنى مجاور له يطلقون عليه وصف « الجيمنازيوم » لأنه مزود بكل وسائل الرياضة والراحة ، ومعد للمقابلات غير الرسمية للقادة السوفيت .

وكان « بادجورنى » يعلم أن زيارة « جمال عبد الناصر » ثمانية وأربعون ساعة لا أكثر ، وقد سألته : « هل تحب أن نبدأ العمل على الفور ، أو تفضل فترة استراحة ؟ » ، ورد « جمال عبد الناصر » بأنه « يفضل البدء فور أن يتمكن « بريجنيف » من المعجزة المشاركة فى الاجتماع » ، ونظر « بادجورنى » فى ساعته وقال « إن الرقيق بريجنيف يمكن أن يجيء إلى هنا فى نصف ساعة » .

وفى الساعة العادية عشرة ، بعد وصول الطائرة بأقل من ساعة ، كان الاجتماع - فى صالة اجتماعات « الجيمنازيوم » - قد بدأ وانضم إليه « بريجنيف » ، ثم إن السفير المصرى فى موسكو الدكتور « مراد غالب » التحق بالقادمين سرا من القاهرة .

وبدا « جمال عبد الناصر » يشرح الأسباب التى دعت إلى المعجزة إلى موسكو (١٧) .

« تحدث عن جهود الحل السلمى المعطلة ، وأكد أن هذه الجهود إذا كان مقرا لها أن تصل إلى نتيجة ، فإن ذلك يصعب تحقيقه ما لم يصاحبه عمل عسكري يمثل ضغطا حقيقيا على إسرائيل ، وإلا فما الذى يدفعها إلى الانسحاب أو يدفع الولايات المتحدة إلى الضغط عليها ؟

ثم وصل إلى أنه ترك المجال الدبلوماسى للدول الأربع الكبرى وللقوتين الأعظم ، ولم تصل جهود الكل - مضافة إلى جهود السفير « جونار يارنج » - إلى نتيجة .

ولقد اشتغلت النار على جبهة المواجهة نتيجة للجمود واليأس من حل سياسى ، وأصبح الموقف معرضا لانفجار كبير فى أى لحظة .

( ١٦ ) كانت الطائرة التى حملت ، جمال عبد الناصر ، إلى موسكو تحمل أربعة رجال معه ، هم الفريق أول ، محمد فوزى ، وزير الحربية ، والجنرال ، كاتشكين ، كبير الخبراء السوفيت ، و محمد حسنين هيكل ، والسيد ، محمد أحمد ، مرافق رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت .

( ١٧ ) رجاء مراجعة التفاصيل كاملة فى كتاب ، الطريق إلى رمضان ، د. محمد حسنين هيكل . .

والجيش المصرى بسلاحه وعتاده ، وتدريبه واستعداده ، وروحه القتالية - معتمد على مهمه القتال على امتداد خط طوله قرابة ١٥٠ كيلومترا وعمقه قرابة ثلاثين كيلومترا . وعلى هذه الرعمة الصعبة من الأرض - فإن مصائر الشرق الأوسط وأقداره سوف تتحدد . وهو يعترف بأن الاتحاد السوفيتى بصفة عامة لم يقصر فيما هو مطلوب منه منذ محادثات يوليو ١٩٦٨ ، ولكن الصورة الآن تختلف ، فإمداد الطائرات الأمريكية المتقدمة ، خصوصا من طراز « فانتوم » ، يتدفق على إسرائيل ، والطيران المصرى لا يستطيع أن يواجه هذا التفوق حتى الآن .

ولقد راح الإسرائيليون يضربون الجبهة بعنف ردا على عملياتنا داخل أراضيها المحتلة فى سماء ، وحين بدأنا نقيم جدارا من الصواريخ نذ العدو إلى العمق وراح يضرب المدنيين .

ولقد لجأت إسرائيل إلى الطيران المنخفض فى ضرب الأهداف ، وهو ارتفاع لا يجدى معه استعمال صواريخ « سام ٢ » ، التى تسلمها الجيش المصرى من السوفيت ، وهو واثق أن السوفيت لديهم طراز آخرى من الصواريخ تواجه الطيران المنخفض .

ثم قال ، جمال عبد الناصر ، إن المعارك الدائرة على الجبهة الآن ومضاعفاتها لن تقرر مسعمل مصر فحسب ، وإنما سوف تقرر مستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها ، وهو يخشى أن يائسها سوف يمتد إلى التوازن العالمى فى مجمله .

ثم ختم ، جمال عبد الناصر ، بأنه قصد أن يجيء معه بكبير الخبراء السوفيت لكى نسمع معه العادة السوفيتية حقائق الموقف .



وبدا « بريجنيف » يتحدث ، ودارت مناقشات طالت ، ثم طلب الوفد السوفيتى فرصة للتشاور ، ثم عاد أعضاءه ليعلموا أنهم قرروا أن يقدموا لمصر صواريخ « سام ٣ » ، المعدة لمواجهة التطور المنخفض ، ودار حديث حول الكميات المطلوبة من هذا الصاروخ . وتقرر أن ينقضى الاجتماع السياسى الكبير لكى يفسح المجال لاجتماع عسكري بحث بين المارشال « جرينسكو » و«س الفريق » فوزى ، وكبير الخبراء السوفيت على ضوء استعراض للأهداف الحيوية المطلوب هملها ، على أن تستأنف المناقشة العامة فى اليوم التالى .

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى عاد الاجتماع الكبير إلى الانعقاد مرة ثانية ، وبدأ الحديث هو الكميات المطلوبة من صواريخ « سام ٣ » .

ثم تحولت المناقشة إلى مشكلة تدريب طواقم تشغيل هذه الصواريخ ، وتبين من المناقشة لى عملية التدريب سوف تستغرق ستة شهور ، وأنه من الضرورى أن يتم التدريب فى الاتحاد السوفيتى حيث الوسائل متوفرة له أكثر .

وبرزت فجوة خطيرة لخصها ، جمال عبد الناصر ، بقوله : « إننا كنا سنسحب مجموعات من العاملين على صواريخ « سام ٢ » لكى يتولوا تشغيل صواريخ « سام ٣ » ، والأن تبين لى أن



التدريب على الصواريخ الجديدة يحتاج إلى شهور بدلا من أسابيع كما كنت أظن ، ومعنى ذلك أننا سنكون في حالة عري كامل أمام الطيران الإسرائيلي لمدة ستة شهور تكون فيها قد سحبنا أطقم صواريخ « سام ٢ » للتدريب على « سام ٣ » ثم لا تكون أطقم « سام ٣ » مستعدة للعمل قبل ستة شهور على الأقل .

وبعد مناقشات شارك فيها الجميع حول مشكلة الفجوة الزمنية الحارية ، بدأ أن القادة السوفيت ينصحون بتهئية الموقف على الجبهة حتى يتوافر جو يسمح بحل المشكلة . وقال « جمال عبد الناصر » : « إن جبهة القتال لا يمكن أن تتحول لعبة بين الساخن والبارد على هذا النحو ، فهناك مغنويات جيش وشعب ، وأمال أمة ، ولو هذا الموقف دون سبب يقع الجميع بأن هناك تقدما أمكن إحراره ، فإن النتيجة سوف تكون ضياعا للثقة وللروح المعنوية للقوات وللجماهير . »

وتوجه « بريجنيف » بسؤاله لـ « جمال عبد الناصر » : « وهل لدينا حل آخر ؟ »  
والقى « جمال عبد الناصر » ما يشبه القنبلة وسط الاجتماع ، إذ قال :

« تعالوا أنتم بقوة صواريخ سوفيتية من طراز « سام ٣ » ، وتولوا مسؤولية الدفاع عن العمق حتى يتم تدريب الطواقم المصرية لهذا النوع من الصواريخ عندهم . »

وسأله « بريجنيف » : « هل تقصد قوات صواريخ سوفيتية تشارك في الحرب ؟ »

وقال « جمال عبد الناصر » : « إنه يريد قوات صواريخ سوفيتية ، ولكنه لا يريد لها تشارك في الحرب ، فالقوات المصرية كفيلة بحماية نفسها إذا تم بناء حائط الصواريخ ، وما أطلبه هو المشاركة في الدفاع عن العمق .. العمق المعنى بعيدا عن جبهة القتال . »

وكان « كوسيجين » أول من بادر برد الفعل قائلا : « إن ذلك يعتبر تصعيدا في المواجهة يمكن أن يؤدي إلى صدام بيننا وبين الولايات المتحدة . »

ثم أسر « جريتشكو » بشيء إلى « بريجنيف » ، وقال « بريجنيف » : « إن المسألة أيضا ليست مسألة صواريخ ، فإن قواعد الصواريخ تحتاج إلى حماية جوية ، فإذا فكرنا في إرسال صواريخ فمعنى ذلك أن نفكر في نفس الوقت في قوة جوية سوفيتية تتولى حمايتها . »

وقاطعه « جمال عبد الناصر » قائلا : « إنه يوافق أيضا على أن نجيء طائرات سوفيتية لحماية قواعد الصواريخ من طراز « سام ٣ » . »

وبدا أن مخاوف « كوسيجين » قد انتقلت عدواها أيضا إلى « بريجنيف » الذي قال « إن ذلك يعنى أننا نتحدى الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا . »

ورد « جمال عبد الناصر » : لماذا تعطى الولايات المتحدة نفسها حق التصرف بدون خوف في مساعدة إسرائيل ، في حين أنكم تترددون باستمرار قبل الإقدام على خطوة واحدة . .

ولم يكن القادة السوفيت على استعداد للمخاطرة ، فقد بنت لهم خارج نطاق ما يقدرون حتى على مجرد تصويره .

كان « جمال عبد الناصر » قد كف عن التدخين منذ شهور ، وفي هذه اللحظة مد يده إلى المائدة فتناول علبة سجائر أشعل واحدة منها ، وقد اكتسبت ملامحه بتعبير عكس مزيجا من العزم ، الحزن ، ثم بدأ يقول في صوت هادئ : ~

« إن كل الأصدقاء هنا يعلمون أنني في يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ أعلنت تنحي عن السلطة في مصر ، ثم اضطررت للدول عن قرار التنحي تحت ضغط شعبي مصري وعربي تصور أنني استطيع تحمل المسؤولية حتى تتم إزالة آثار العدوان . وبالمنطق الذي سمعته الآن منكم وتتأججه على جبهة القتال ، فإن هدف إزالة آثار العدوان لم يتحقق ، وبالتالي فمن واجبي أن أعود إلى الشعب في مصر ، وإلى الأمة في العالم العربي ، وأضع الحقيقة أمامهم وأصارحهم بأن الدنيا فيها قوة واحدة قادرة وهي الولايات المتحدة . وعليهم أن يقللوا ذلك حتى لو اضطروا إلى الاستسلام . وبما أني لن أكون الرجل الذي يقلل الاستسلام ، بل ولا يقلل منه الاستسلام ، فإني سوف أترك مكاني لرجل آخر يستطيع ذلك ويقل منه . »

وتكهرب جو القاعة ، وحاول الزعماء السوفيت ، وأصر « جمال عبد الناصر » على موقفه . ثم طلب « بريجنيف » مهلة إلى بعد الظهر .

ثم عرف الوفد المصري أن المكتب السياسي للقيادة السوفيتية دعى لانقصاد عاجل انضم إليه كل مارشالات الاتحاد السوفيتي - اثنا عشر مارشالا - واستمرت مناقشتهم من الساعة الثانية ظهرا إلى الساعة الخامسة والنصف . ثم دعى « جمال عبد الناصر » ووفده المرافق المحدود للمرة إلى قاعة الاجتماع .

وكانت القيادة السوفيتية قد اتخذت واحدا من أخطر قراراتها في عصر الحرب الباردة ، ولقد وافقت بالكامل على طلبات « جمال عبد الناصر » . وبدأ البحث في التفاصيل .



وصباح يوم ٢٤ يناير كان « جمال عبد الناصر » في طائرة العودة إلى القاهرة ، وقد قصد إلى مؤخرتها ، وراح يفضي بما يعتقد أنه استطاع تحقيقه خلال يومين حافلين في موسكو :

- ١ - حقق الدفاع عن العمق .
- ٢ - ركز الطيران المصري على الجبهة بحميتها من غارات الطيران الإسرائيلي دون قلق على الجبهة الداخلية .
- ٣ - وأهم من ذلك أن تصعيدا هاما طرأ على حركة المواجهة .

كانت المواجهة حتى الآن بين قوتين إقليميتين في الشرق الأوسط ، مع وجود القوتين الأعظم في حلبة الصورة .

● إن قوى العدوان لم تنفذ الأمل ، واعتبرت المسألة مسألة وقت تباشر فيه ضغطها السياسي والعسكري والاقتصادي علينا بكل الوسائل حتى يصل العدوان إلى تحقيق هدفه بفرض الاستسلام .

● إن قوى العدوان التي اشتركت في المخطط هي بالدرجة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية التي استعملت إسرائيل وأعدتها لتنفيذ مخططها .

( أضاف « جمال عبد الناصر » إلى النقط المكتوبة بخط « محمد حسين هيكل » عبارة بالقلم الأحمر بخط يده هو قال فيها : « كلام ايبان في التريبيون » ) .

● إن الولايات المتحدة أعطت لهذا الهدف كل تأييدها العملي لإسرائيل ، وكان ذلك عن طريق :

- تمويج ( أعاد « جمال عبد الناصر » بخط يده كتابة كلمة « تمويج » بالقلم الأحمر ) الموقف السياسي .

- تمويج مهمة « يارنج » لدرجة أن « يارنج » لم يستطع أن يقدم تقريراً حتى الآن لمجلس الأمن ، وكان ذلك أبسط ما هو منظر منه بعد كل المدة التي قضاه في مهمته . وقد قبلنا نحن بأشياء كثيرة في سبيل الحل السلمي . ولم تقبل إسرائيل بشيء .

● إن إسرائيل كانت في موقف يسمح لها بالتفتت متعمدة على إمدادها المستمر بأحدث ما في الترسانة الأمريكية : من طائرات « الفانتوم » إلى « السكاى هوك » ، ومن التجسس الإلكتروني إلى المساعدات المباشرة بالمعلومات . إن لدينا الدليل ليس فقط على أن المخابرات المركزية تعطى لإسرائيل كل ما لديها من معلومات ، ولكن معظم سفارات دول حلف الاطمان في القاهرة تجمع ما تستطيع من معلومات ، وكلها تصل إلى المخابرات المركزية الأمريكية ، وهذا كله يصل إلى إسرائيل .

يضاف إلى ذلك المساعدات الاقتصادية ، والمساعدات الدعائية ، والمعنوية .

● إن هذا الوضع تقاوم بعد الثورة الليبية بالذات ، ذلك أن ليبيا وموقعها على البحر الأبيض ، وليبيا ومواردها من البترول الواصل مباشرة إلى البحر الأبيض دون اعتماد على قناة السويس - جائزة شديدة الأهمية ، ووقوع الثورة فيها أدى إلى تغيير في موازين القوى الاستراتيجية في الشرق الأوسط وفي البحر الأبيض .

وقد اضطرت الانجليز في ظرف شهر من الثورة إلى الجلاء عن طبرق - قاعدة العظم .

واضطرت الأمريكان بعد ذلك إلى الجلاء عن طرابلس - قاعدة هويلس .

ولقد بذلوا محاولات لاحتواء الثورة الليبية ، ولكن تنبه قيادتها من ناحية ، ودعمنا لهم من

ناحية أخرى ، أبطل هذه المحاولات . وأنتم تعرفون أن ليبيا قوات برية وبحرية وجوية في ليبيا لأنها لن تسمح بسقوطها في أيديهم ، وهذا يزيد من الحرب المستمرة ضنا .

ونحن لسنا في حاجة إلى أن نشرح لكم أهمية ليبيا الاستراتيجية ، فهي ثلاثة آلاف كيلومتر على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض ، ويقع مماثل في الصحراء إلى حدود تشاد والسودان . وكانت قاعدة هويلس هي مكاناً الأسطول الأمريكي السادس في جنوب البحر الأبيض ، وكنا نعلم أن فيها أسلحة نووية ، وقد سحبها الأمريكيان من هناك بعد الثورة .

ونحن كذلك لسنا في حاجة إلى أن نشرح لكم أهمية ليبيا الاقتصادية ، فهي تنتج الآن فعلاً ما موسله خمسة ملايين برميل بترول يوميا ، وهو بترول جاهز بالنقل من البحر الأبيض إلى أوروبا ، لا يعرفه إلا علاقة قناة السويس ، ولا يضطر إلى الدوران حول رأس الرجاء الصالح .

وأضيف أن ثورة ليبيا معناها الآن شيء آخر إلى جانب كل ما شرحت : معناها أن التيار العمى مستمر في اندفاعه بقوة ، وأنه برغم التكلفة قادر على تحريك الشعوب العربية .

وباختصار كان إسقاط النظام في مصر قبل الثورة الليبية هدفاً .

والآن أصبح إسقاط النظام في مصر - بعد الثورة الليبية - ضرورة .

وهذا ما يجعل المعركة الآن ساخنة .

إن ذلك واضح من التصريحات الأخيرة للزعماء الإسرائيليين . كانوا من قبل يقولون إن النظام في مصر هو النظام الوحيد الذي نستطيع الاتفاق معه ونضمن تنفيذ الاتفاق ، ، ، ، وهم الآن يقولون إن ، أي اتفاق مستحيل ما دام هذا النظام موجوداً في مصر . وأمامي هنا في هذا الملف مصر بحاجات لجولدا مائير ، ولديان ، ولأبا ايبان . □

وانتقل ، جمال عبد الناصر « إلى نقطة أخرى فقال :

- « إن هناك جانباً آخر من الصراع لا بد أن تعرفوه وأن تصغوه باستمرار في حساباتكم ، وهو أن كل محاولات إظهار عجز العرب عن الصمود هي في نفس الوقت بداية لمحاولة واسعة تستهدف ضرب الاتحاد السوفيتي وإخراجه من البحر الأبيض ، ومن الشرق الأوسط كله .

ونحن لا نقول هذا من عندنا ، ولكن بقوله بصراحة أبا ايبان في حديثه إلى جريدة التريبيون . إن ايبان يقول في حديثه إن « الروس لأول مرة سواء في عهد القياصرة ، أو في عهد الدولة السوفيتية وصلوا إلى : الشرق الأوسط - وإلى البحر الأبيض - وإذا فتحت قناة السويس فلنهم ، وصلون إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي » .

إنني أريد أن أقول إن المعركة الدائرة الآن ليست معركة تحرير أراضينا فحسب ، ولكنها معركة تصفية الوجود السوفيتي في الشرق الأوسط والبحر الأحمر وإفريقيا .

وإذا لم تستطع مصر - لا سمح الله - أن تصفى آثار العدوان عليها وعلى الأمة العربية واضطرت إلى الاستسلام، فإن الاتحاد السوفيتي سوف يكون مرعضا على التراجع والخروج تماما من الشرق الأوسط والبحر الأحمر وكل إفريقيا .

وسكت « جمال عبد الناصر » لحظة ، ثم استطرد قائلا :

« هذا ما أردت أن أقوله فيما يتعلق بكم » .



ثم انتقل « جمال عبد الناصر » إلى نقطة التالية ، فقال :

- « إننى كنت كما تعلمون فى زيارة لليبيا أخيرا ، وهناك وصلتنى معلومات ونصوص عن مبادرة أمريكية جديدة يعرضها علينا « روجرز » ( وزير الخارجية الأمريكى ) .

وأنا أشعر الآن أن فى وسعى قبولها لثلاثة أسباب :

أولها - أن نتائج زيارتى الأخيرة لكم فى يناير أحدثت تغييرا فى الموازين الاستراتيجية بيننا وبين إسرائيل ، فالعمق المصرى اليوم مدافع عنه ، والجبهة فى وضع أفضل بكثير . وصباح اليوم قبل أن أجيء إلى هنا تلقيت تقريرا بأننا أسقطنا أربع طائرات إسرائيلية .

وعند هذه النقطة رفع المارشال « جريشكو » يده وقال لـ « جمال عبد الناصر » :

- « سيادة الرئيس ، إنكم أسقطتم هذا الصباح تسع طائرات وليس أربع . هذا ما جاءنا من الخبراء هناك » .

ورد عليه « جمال عبد الناصر » : « هذه أخبار طيبة » .

وتدخل « بريجنيف » بأحد تعليقاته قائلا : « يظهر أن الحرب الحقيقية بدأت فى مصر بعد أن سافر الفريق « فوزى » منها ؟ » وعقب « جمال عبد الناصر » ضاحكا : « إن نبيكم ليكم » على طول » .

ثم عاد « جمال عبد الناصر » يستأنف حديثه قائلا :

- « والسبب الثانى الذى يدعونى إلى القبول بمبادرة « روجرز » هو أننا لا نريد أن ننسب فى مواجهة بينكم وبين الأمريكيين . ف نحن لا نريد لأنكم أعطيتونا سلاحا أكثر ووضعتكم رجالكم فى خدمة الدفاع عن العمق - أن تصل المسائل إلى درجة من التوتر تفلت من زمام سيطرتنا . وهناك سبب ثالث وهو أننا بقول المبادرة وما تنص عليه من وقف لإطلاق النار محدود بثلاثة شهور - نريد أن نعطي لقواتنا فرصة للحشد والتكيز والقطا الأنفاس ، لأننا حين تنتهى هذه الشهور الثلاثة لا بد أن تكون فى وضع يسمح لنا بنوع آخر من العمليات . شئ آخر أكبر من عمليات المدافع والاستنزاف والدوريات المحدودة .

وهناك عامل آخر ، وأقوله بصراحة ، وهو أننا نريد استكمال إعداد حائط الصواريخ ليقدر على حماية قواتنا فى أى عمليات على الضفة الشرقية للقناة .

لهذا كله سوف نقل بمبادرة روجرز ...

وتدخل « بريجنيف » مقاطعا لأول مرة :

« صدقنا ناصر .. هل نقل مبادرة روجرز وهى تحمل علما أمريكيا ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » :

« إننى أقبلها بالتحديد لأنها تحمل علما أمريكيا .

فهذه أول مرة تدخل فيها الولايات المتحدة بخطوة تبدو جادة .

وهذه أول مرة تتحرك فيها تحت ضفط أوضاع متغيرة على الجبهة .

وهذه أول مرة يجيئنا فيها مشروع جرى بحثه بينكم وبينهم ، وقد عرضه على صديقنا

« جروميكو » حين جاءنا إلى القاهرة .

ثم إن هذه أول مرة ترد فيها كلمة الاستحاب صريحة فى وثيقة أمريكية . .

ثم دار بعد ذلك حديث عن إمدادات جديدة ومتطورة من السلاح ، وكان التركيز الأكبر على .. اب الحرب الإلكتروني ، خصوصا للقوات الجوية والدفاع الجوى والاستطلاع .

وقد أشار « جمال عبد الناصر » إلى أن قوات الصواريخ السوفيتية تستخدم أجهزة ليست مباحة لقوات الصواريخ المصرية ، وقال إنه « تلقى تقريرا عن جهاز يستعمله مدير العمليات فى لواء صواريخ سوفيتى ، وهو جهاز لاسلكى ، والقائد يملئ فيه أوامره والجهاز يتولى تحويلها إلى نعر . يمكن فكها لدى الملقى فوراً » .

ثم لمس « جمال عبد الناصر » موضوعا دقيقا ، وهو موضوع أجهزة حل الشفرة المتقدمة . ثم انتقل بعد ذلك إلى طلبات محددة من صواريخ « بشورا » و « ستريللا » وأجهزة إدارة المراسل ، والحملات الثقيلة المطلوبة لكثائب الصواريخ ، وقوة صواريخ مخصصة لحماية أهداف الصمد .

وأخيرا وصل إلى طلب ٨٠ طائرة من طراز « ميج M. F » ، وألح على أن يتم تسليمها جميعا قبل نهاية السنة ، لأنه من هنا إلى شهر ديسمبر المقبل سوف يكون لدينا مائتى طيار حرمى حديد . والتدريب على قدم وساق ، والجو فى مصر صالح للتدريب طوال السنة » .

وتدخل المارشال « جريشكو » بسؤال عن « عدد الطلبة فى كلية الطيران ؟ » ورد « جمال ناصر » : « ٤٥٧ » . ثم تلت ذلك كلمة قائمة تنوعت أصنافها على أفق عريض :

● ١٤٢ محرك لطائرات الـ « ميج ٢١ » .

● ٥٠ هليكوبتر طراز « س ١٨ » .

- قتابل ، نابالم ، ، و قتابل ضد الممرات ، و قتابل تلقى من الارتفاعات المنخفضة .
- سرب من القاذفات طراز ، T U 16 ، .
- قطع غيار لك ، ميج ١٧ ، لأن لدينا منها ١٦٠ طائرة وقطع الغيار الموجودة لا تكفى لغاية آخر هذه السنة .
- معدات قتال ليلي .

( لاحظ جمال عبد الناصر ، أن الحرب القائمة سوف تكون بالنهار الإلكترونية electronic وفى الليل بالأشعة تحت الحمراء infra-red ) .

وأضاف « جريشكو » عرضها على الخبراء السوفيت .  
المارشال ، جريشكو « عرضها على الخبراء السوفيت .

وانتهز « كوسيجين » الفرصة ليقول : « من الضروري أن تفكروا بسرعة الأجهزة الإلكترونية فى طائرات الفانتوم والسكاى هوك التى وقعت عندكم ، وأن ترسلوها لنا لدراستها ، فقد نستطيع مساعدتكم أكثر إذا عرفنا أسرارها . »



وكتب الفريق أول « محمد فوزى » بخط يده من موسكو حيث كان يحضر المحادثات خطابا إلى الفريق « محمد أحمد صادق » يشرح له أجواء محادثات موسكو ، ويقول بالنص : (١٩)

« عزيزى الأخ الفريق محمد  
أهديك سلامى وتحياتى ، وأبعت للرجال جميعا فى هذا الوقت الذى تفضونه العصب أطيب تحياتى ، كما أبعت بسلامى الخاص الحار إلى الأخ سامى وأرجو أن تطلعه على خطباتى إليك بصفة مستمرة .

١ - الانتصار الذى حنتوه ( كذا بخط يده ) فى إسقاط طائرات فانتوم وأربعة طائرات سكاى هوك رفع صوت الرئيس جمال تماما ، وسند كلامه وطلباته ، إن شاء الله دائما وباستمرار .

٢ - السيد الرئيس تأسف كثيرا على قائدك ( كتيبة ) شطا الذى قلبه فى اجتماع القيادة ، كذا على تيمور قائدك من ( كتيبة صواريخ ) .

٣ - السيد الرئيس بوسيك بوضع تغطية وحماية لك من المواسير على قدر الإمكان حتى تحميها من الواطى ، ولو أنتى أعدك اليوم أو باكر بفتح موضوع شديدا ( طراز من الصواريخ ) زيادة على الصواريخ ٧٥ أو رفع نسبة من يتشورا ( طراز آخر من الصواريخ ) زيادة على التجميع الذى اتضح أنه ناجح تماما .

٤ - ملحوظة أن اليهود جميعا عدا ديان عصاليين بصرخوا تماما ويستجدون بالأمريكان ، وحملة قوية ضد الروس .

( ١٩ ) صورة الصلعة الأولى من خطاب الفريق « فوزى » إلى الفريق « صادق » ، وفى بخط يده ، والأصل محفوظ فى ملفات رئاسة الجمهورية مع صورة منه فى وزارة الدفاع . والصورة منشورة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم ( ١٨ ) - على صلعة ٧٥٦ من الكتاب .

٥ - تلاحظ أن اليهود غيروا تك ( اختصار تكتيك ) بعدم الوصول إلى التجميع بالقلب بالقتال ، واستخدموا الصواريخ حتى لا يرتفعوا إطلافا ، وهذا يزيد تماما مهمة الاستريللا والشليبا إذا كانت موضوعه خارج التجميع بمسافة تجبر العدو على الارتفاع . وأنت من جانبك حاول الضغط على ششوروف ( كبير الخبراء السوفيت فى سلاح الطيران ) علشان يشد شليبا زيادة ولو من السقى .

٦ - لم يظهر الخبر هنا فى موسكو عن موضوع نقل ، البليخ ، كاتشكين ( كبير الخبراء السوفيت فى مصر ) ولكنه اكتشف فى القيادة هنا خصوصا بعد أن شرح السيد الرئيس لسكرتير اللجنة المركزية موقفه المخادع فى مصر وتقايره الخاطئة ، وأن جريشكو هب فيه مرتين أمامى . مرة أمام اللجنة الرئيسية فى المفاوضات الرئيسية ، ومرة أمام السيد وأمام السيد فى القيادة العامة . .

وفى نفس الوقت كان الفريق « محمد أحمد صادق » من القاهرة يكتب إلى الفريق أول « محمد فوزى » - تقريرا بخط يده عن أهم التطورات فى الموقف العسكرى ، ويقول : ( ٢٠ )

« السيد الوزير

تحياتى وأطيب تمنياتى لسيادة الرئيس حفظه الله ولسيادتكم ، وأدعو الله تعالى أن يديم توفيق سيادته ونصره .

أخبارى كالآتى :

١ - فى يوم ٧/٣ هاجم العدو بعد ١٢ طائرة فانتوم التشكيل بواقع ، طائرات همت من رأس البر ٨ طائرات بالمواجهة ، وكان الهجوم مركزا على كتائب الجنب اليسار وعلى التقهين المتقدمين والمواجهتين للغرب ، وقد تم إصابة هدفين أحدهما مؤكدا أنه فانتوم والآخر سكاى هوك ، ولكن كلاهما استطاع الوصول إلى الضفة الشرقية ورويت الفانتوم وهى تصطبم بالأرض ولم تحسب الكتاب التى قذفت بأى خسائر .

٢ -

أما خسائرتنا من بدىء المعركة أى منذ ثمانية أيام فهى ١ ك تدمير ، ٣ ك إصلاح ، والكتيبة الأولى معظم خسائرها الأفراد بها . أما باقى الكتاب فخسائر الأفراد بها بسيطة .

٣ - أمرت بضم ٢ ك جديدة من الاحتياط ، وقفلا ضمت للتشكيل واشتركت فى القتال وستضم الثالثة اليوم إن شاء الله ، وكانت هذه الكتاب مخصصة للمصورة . والغرض من قرارى هو الاحتفاظ بالتشكيل فى أقوى درجاته . وهذه المناسبة أنا أعطد بوميا مؤتمرا برئاستى بالجيشى يحضره من الجانب المصرى اللواء محمد على فهمى واللواء كمال القعاوى واللواء على بخادى ومن الجانب الروسى الجنرال ششوروف والجنرال جولوبوف وقائد الصواريخ بتشورا وقائد المقاتلات الروسى .

( ٢٠ ) صورة الصلعة الأولى من تقرير الفريق « محمد صادق » ، بخط يده ، وقد كتبت بخط بعض الفقرات من التكميم لأن ما فيها من معلومات يمكن اعتباره ، حتى هذه اللحظة . أسراا تستحق المحافظة عليها ، والأصل محفوظ فى ملفات وزارة دفاع مع صورة منه فى ملفات رئاسة الجمهورية . وصورة الصلعة الأولى منه موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم ( ١٩ ) - على صلعة ٧٥٧ من الكتاب .



سعد الشانلي

وكانت المهمة عسيرة بالفعل ، فإن « روجرز » اتصل بـ « هيكل » تليفونيا من واشنطن ليتأكد من سريان وقف إطلاق النار في المواقع في الموعد المحدد ، وجرى إبلاغه بأن كل شيء يسير وفق ما اتفق عليه ، وإن كانت هناك مشكلة واحدة يحاول تلليلها الآن ، تلك أن جبهة البحر الأحمر يقودها ضابط كبير مندفع وهو اللواء « سعد الشانلي » ، وهو الآن على الخطوط الأمامية مشترك في بعض العمليات بنفسه ، وهو يحاول الاتصال معه بكل وسيلة ليبلغه بقرار وقف إطلاق النار حتى يتأكد التزامه والتزام قواته فلا يواصل عمليات يعتبرها الآخرون استمرارا لإطلاق النار .

وعاد « روجرز » يتصل تليفونيا ، ويقول إن الجنرال « ديان » معه على الخط الآخر ، وأنه يريد أن يستوثق من التزام مصر بوقف إطلاق النار في الموعد المحدد ؟ وتم الرد عليه بأن « محاولة الاتصال بـ « سعد الشانلي » في المواقع المتقدمة على وشك أن تتم الآن . »

ومع استغلال « سعد الشانلي » الذي كان بالفعل خارج مقر قيادته يتابع مسار عمليات لقواته - أمكن كسب ساعات ثمينة وغالية .

وسرى وقف إطلاق النار متأخرا في الليل عن مواعده المقرر ، وإن كانت المسألة لم تدخل من تعقيدات لأن إسرائيل ، ووراءها الولايات المتحدة ، راحت تقول إن مصر حركت بطاريات صواريخ بعد الموعد المقرر لوقف إطلاق النار .

وفي وسط هذه الأجواء الخطرة والمشحونة كلها ، رحل « جمال عبد الناصر » . وتم اختيار « أنور السادات » رئيسا لمصر ، وانتقلت إليه مسئولية الحل أو الحرب ، وبدأ يواجه مسئولياتها كاملة وقد تبنت أمامه بكل حقائنها وبكل تفاصيلها وبكل احتمالاتها ، ولم يكن قد مضى عليه أكثر من أسبوع واحد منذ تولي سلطاته الدستورية .

وكان مستغرقا في التفكير .... داخلا إلى بحر ليس له قرار ، ولا يظهر له من على البيد شاطئ !

## الفصل الثالث

### البحث عن معجزة !

#### ١

بعد شهر واحد من بداية رئاسته ، وتسلمه لسلطاته الدستورية - كان الرئيس « أنور السادات » يستشعر ثقل المسئولية التي نزلت على كتفيه فجأة ، ولقد وجد نفسه يواجه مشاكل لم يمر له بها عهد - لكن رؤيته ظلت واضحة ومحددة :

مشكلته الأولى هي أزمة الشرق الأوسط ، وفيها لا خيار أمامه إلا بين أحد أمرين :

● حل سلمى : وهذا ما كان يتمناه .

● وحرب بالأسلحة : وهذا ما لم يكن يريده ، وإن أحس أنه قد يُكره عليه إذا لم يحدث ما يسماه .

وفي الحالتين - الحل ، أو الحرب - فإن القوات المسلحة هي البؤرة الحرجة سواء في العمل أو في الحرب ، وبالنسبة للأوضاع الداخلية أو الأوضاع الخارجية على حد سواء .

ولقد أحس بشكل ما أن هذه هي الدائرة التي سيتحدد فيها كل شيء بالنسبة له ، وراح يركز فكره عليها محاولا قدر ما يستطيع أن يحتفظ بأوراقه قريبة من صدره ، على حد التعبير المشهور ، وكان دافعه لذلك أنه لم يكن بعد وثقا من نفسه ، ولا وثقا أن عناصر القوة والسلطة في متناول يده أو قريبة منها .

وربما أحس أيضا أن هناك من يحاول حصر دورهِ وبالتالي سلطته ، ولعله من تأثير اسيفط فيه من تجربة حياته - لم يكن يمانع في ذلك ، في تلك الفترة ، فقد كان من أهدافه أن



وقال الفريق ، فوزى : : « إنه مهما كان القرار ، فإنه يريد أمرا مكتوبا موجها من القيادة السياسية إليه بكسر أو بمد وقف إطلاق النار » - ثم أضاف « إنه يناسبه بالتأكيد أن يمتد وقف إطلاق النار لشهر واحد » .

وقال « محمد حسنين هيكل » : « إذا كان مبدأ التأخير مقبولا ، فلنترك للجميع فرصة جديدة . ثم يبدو مستحيين للنداءات التي نسمعها من العالم يطلب تجديد مد وقف إطلاق النار . وهذا أيضا عتل بالنسبة للبلد والجيش ولكم جميعا ، وأنتم ومعمكم الرئيس السادات تمثلون القيادة السياسية الجيدة . ولا يمكن للرجل ، ومن قبل الاستفتاء على رئاسته بأسبوع ، أن يتحمل مسئوليا الحرب » .

ودارت مناقشات ، وعادت تدور ، ولكن الحقائق كانت حكمة فوق الجميع ، مهما كانت تصوراتهم ، ومهما بلغت درجة حماستهم .

واتخذ الاجتماع قراره على مضمون بقبول مد وقف إطلاق النار ثلاثة شهور أخرى .

وتنفس « أنور السادات » الصعداء لأن سيفا كان معقلا على رقبته - عاد إلى غمده .



وفي الساعة الثامنة من صباح يوم أول أكتوبر ، يوم تشييع الجنازة ، قصد « محمد حسنين هيكل » إلى دار السفارة السوفيتية في القاهرة ، فقد كان مكلفا بمرافقة رئيس الوزراء السوفيتي « نيكسي كوسيجين » الذي رأس وفد الغزاء الممثل لبلاده في تشييع الجنازة ، وكان « كوسيجين » جالسا في الصالون الرئيسى للسفارة وبجانبه وكيل وزارة الخارجية وقها « فلاديمير فينوجرادوف » (٣) ، وبالقرب منهما وقف بعض مرافقي رئيس الوزراء السوفيتي وعدد من رجال السفارة السوفيتية في القاهرة . وكان « كوسيجين » قد وصل إلى القاهرة قبلها بساعات ، وراعه مظاهر الحزن التي قابلها في طريقه من المطار إلى دار السفارة السوفيتية في الجزيرة حيث نزل أثناء إقامته ، فقد تعطل مركبه ثلاث ساعات أمام حشود باكوية وتجمعات جنازية ، وكلل بشرية ذاهلة تمشى في الشوارع على غير هدى . وكان أول تعليق قاله « كوسيجين » هو : « لا بد لكم أن تمسكوا بأعصابكم وتساعدوا شعبكم أن يمسك بأعصابه . أنتم بلد في حالة حرب ، ولا تملكون ظرف الإشراف في الحزن على النحو الذي رأيته . وأنا أول من يعلم فداحة خسارتكم ، لكن الرجال يموتون والأمم تبقى » .

ثم راح يتكلم في السياسة فسأل « عما إذا كنتم » وسط أحزانكم وهمومكم وجنتم وقتا كافيا لدراسة خطوطكم التالية بعده ؟ » ( وكان بصيغة الجمع يقصد القيادة السياسية التي آلت إليها الأمور بعد رحيل « جمال عبد الناصر » من المسرح ) .

(٣) عين بعدها مباشرة سفيرا لبلاده في القاهرة .

وكان الرد عليه : « إن الكل يفكر بفقر ما هو ممكن إنسانيا » .

وراح « كوسيجين » يتحدث عن وقف إطلاق النار الذي تقترح مدة نهايته قائلا « إن القيادة السوفيتية كلفتني قبل سفرى من موسكو بعد جلسة للمكتب السياسى أن أنقل إليكم نصيحتنا الودية » ، « الامهية بأن تمدوا وقف إطلاق النار دون أن تربطوه بأجل محدد . إن ربطه بأجل معناه أن كل المجهود لحل الأزمة تتحريك وهناك مسدس مصوب إلى صدرها .

أنتم في حاجة إلى وقت لإعادة دراسة موقفكم . وأيضا فإن تحديد أجل معين معناه أنكم تعلمون إنكم سوف تدخلون المعركة في ساعة معينة أو يوم معين أو أسبوع معين ، وهذا ليس في صالحكم » .

وسأل : « إلى من يستطيع أن ينقل رسالة المكتب السياسى ؟ » ،

وكان الرد عليه : « إن نائب الرئيس قد جرى ترشيحه للرئاسة ، وسوف يمر هذا الترشيح على بعض المؤسسات السياسية والدستورية . وفي هذه اللحظة بالذات من الأفضل أن يتحدث مع المرشح للرئاسة ويستمع إلى ما قد يشير به » .

وكان وقت الخروج إلى ساحة تشييع الجنازة من مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة ، « لم تكن هناك وسيلة للذهاب بالسيارات ، لأن الطرق كلها مغلقة بالجمامير مع قصر المسافة بين السفارة السوفيتية ومجلس قيادة الثورة . وكان الحل الوحيد هو عبور النيل بقارب كبير من شاطئ النيل أمام السفارة السوفيتية في الجزيرة إلى الشاطئ الآخر على طرف الجزيرة بجانب مبنى مجلس قيادة الثورة . وكان « كوسيجين » مذهولا من حشود الناس على ضفاف النيل أينما انفتحت من القارب الذى كان فيه ، وكان منظر الدموع منسكبا في مياه النهر أشبه ما يكون بلوحة أسطورية على جدران معبد شامخ !

وفي الساعة العاشرة والنصف يوم أول أكتوبر ، يوم تشييع الجنازة ، كان « أنور السادات » والها في مجلس قيادة الثورة في الجزيرة يتقبل عزاء الوفود ، وأخص بأعراض أزمة قلبية في الوقت الذى اقترب منه رئيس الوفد الأمريكى « البوت ريتشاردسون » وزير التجارة الأمريكى ( وقد أوفده الرئيس « نيكسون » ، نابيا عنه للمشاركة في الجنازة وتقديم العزاء ) . وحين قال له « ريتشاردسون » إنه ينبغي أن نتاح له فرصة لمقابلته ، قال له وهو يتندد على سرير طوارئ جى به إليه على جعل : « قابل هيكل وتحدث معه » .

ومساء نفس يوم الجنازة ، وسرايق الغزاء منصوب ، اتصل المستر « دونالد بيرجيس » القائم بأعمال المصالح الأمريكية - ب « محمد حسنين هيكل » يقول له « إن السيد أنور السادات وجه المستر البوت ريتشاردسون إلى مقالته والحديث معه » .

وبالفعل جاء المستر « البوت ريتشاردسون » في الساعة السابعة مساء إلى مبنى الأهرام لموعده مع « محمد حسنين هيكل » ، يصحبه الوفد الذى رافقه ، وضمن أعضائه « ريتشارد تشينى » ،

« من الانحطاط ، ويتحرى ما وراء الظاهر من الصياغات . وعلى أى حال فإن الوقت لهذا كله متاح مد يومين أو ثلاثة » .

٢

ومع الشهر الثامن من رئاسته كان « أنور السادات » قد بلور أفكاره أكثر ، وانضمت ألامه « طوط حركة وحدها أقرب إلى تحقيق أهدافه . وكانت خطوط تفكيره بسيطة ، وكان فيها من اتساق السلق ما يجعله يعتقد بإمكانية نجاحها :

١ - إنه يريد أن يتجنب ضرورة الحرب ، ويريد أن يستنفد كل إمكانيات الحل السلمى ، « لم يشعر أن الناس تريد ذلك منه . وإذا استطاع » أن يحل القضية بدون أن يملأ قناة السويس الدم بدلا من الماء » - فإنه سوف يدخل التاريخ باعتباره « رئيس السلام » .

٢ - وهو مطالب بأن يجد طريقا يؤدى إلى اتصال مباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية ، « هى التى تملك مقاييس الحل ، لأنها هى القادرة وحدها على إسرائيل ، وقد سمع بنفسمهمون » ، كوسيجين ، عندما رتب له اجتماعا مع القيادة السياسية الجديدة - قوله صراحة للجاسين أمامه : « يجب أن تقتنوا قنوات مع الأمريكان ، ويجب أن تتصلوا بهم » - ومعنى ذلك أنه حتى السوفيت حذروا أن الولايات المتحدة هى أهم عناصر الحل السلمى - إذا كان هناك سبيل إليه .

٣ - إن الوصول إلى الأمريكان أفضل ما يكون من باب السعودية ، فالسعودية هى البلد ليربى الوحيد الذى يمكن أن « يكون له خاطر عند الولايات المتحدة » . إن « المعلم » - يقصد جمال عبد الناصر - « لم يقترب من باب السعودية فى اتصالاته بالولايات المتحدة الأمريكية نتيجة سفريات طويلة فى علاقته مع ملوكها استغلت فى اليمن .

أما هو - « أنور السادات » - فإن علاقته بالسعودية طيبة وأوباه معها مفتوحة . وإن فان الطريق إلى الولايات المتحدة الأمريكية يبدأ بخطوة نحو الشرق فى اتجاه المملكة ليربية السعودية .

وإن خطط سيره يبدأ من القاهرة إلى الرياض أولا . ومن الرياض إلى واشنطن ثانيا . وبعدما أن واشنطن يمكن أن تتكفل بتل أبيب .

وقرر أن يرسل فى استدعاء السيد « كمال أدهم » ، وهو صهر الملك ، فيصل (٥) ، ثم إنه

٤. الملك . فيصل . متزوج من شقيقته الملكة . علت . .

( الذى أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع فى إدارة الرئيس « بوش » ، ومسئولا عن حرب الخليج ) ودارت مناقشة واسعة حول السياسة الأمريكية ، وحول أزمة الشرق الأوسط وتطوراتها المحتملة وبدأ « البوت ريتشاردسون » ( وكان « ريتشارد تشينى » يتولى كتابة محضر اللقاء ) بإعاد

تكرار الغراء فى « جمال عبد الناصر » ، ثم استفاض فى شرح سياسة « نيكسون » فى الشرق الأوسط ، وسعيه الحثيث لتطبيق سياسة متوازنة . ثم وصل إلى نقل رجاء من « نيكسون » إلى القيادة السياسية الجديدة يدعوها إلى مد وقف إطلاق النار ثلاثة شهور أخرى ، لأن الجهود المتوليد المكثفة لا تستطيع أن تؤدى دورها فى ظل موعد نهائى أوشكت مهلته على الانتهاء ، وقد ضا جزء كبير منها فى الادعاء بأن مصر أدخلت بطاريات صواريخ بعد الموعد المقرر لوقف إطلاق النار ، ثم ضاع وقت فى انشغافات عربية حول قبول « مبادرة روجرز » . كل هذا إلى جانب انفجار الموقف فى الأردن بين الملك « حسين » والمقاومة الفلسطينية . ثم عرض لبعض النقاط الوارد فى « مبادرة روجرز » ، وحاول الدخول فى تفاصيلها والصياغات المقترحة . ورجاه « محمدا حسنين هيكل » أن يلتقى بالسيد « محمود رياض » وزير الخارجية فهو المسئول عن مجرى المحادثات . وربما كان أهم ما بدا فى أولوياته هو التساؤل « عما إذا كانت القيادة الجديدة فى مصر تستطيع الاحتفاظ بموقفها المستقل من الاتحاد السوفيتى كما كان شأن جمال عبد الناصر » .

وأكد له « محمد حسنين هيكل » أن أحدا لا يستطيع أن يخرج عن استراتيجية مرسوما ومستقرة .

ثم أضاف : « إن مصر سوف تبحث تمديد (٤) وقف إطلاق النار ، وسوف تفعل ذلك أخذ فى اعتبارها نداءات دولية متعددة المصادر ، منها نداء الرئيس « نيكسون » نفسه ، وأنه إذا تقرر ذلك فهدفها أن تساعد المهلة الإضافية على جهد أمريكى وسوفيتى ودولى فاعل بحيث يمكن إيجاد مخرج من الأزمة المستعصية ، وإلا فهو انفجار فى الشرق الأوسط ، لأن الوضع القائم الآن غير قابل للاستمرار » .

وقال « ريتشاردسون » إن « المحادثات بين الأربعة الكبار وبين الاثنين الأعظم قد وصلت إلى حد يبعث على الأمل ، كما يتضح من الصيغ التى قدمها « يارنج » إلى الخارجية المصرية ، وأنه من سوء الحظ أن الرئيس « عبد الناصر » بمركزه التريد وقوته التى لا تنازع قد ترك المسرح فى اللحظة الحرجة - لكنه يثق أنه إذا استطاعت القيادة المصرية الجديدة أن تثبت نفسها وتؤكد قيادتها فى مصر ، وتأثيرها على بقية العالم العربى - فإن الأمور لاشك واصلة إلى وضع أفضل » .

وحاول « ريتشاردسون » أن يدخل فى تفاصيل الصياغات المتصلة بـ « مبادرة روجرز » ، وكان الرد « إن الوقت الآن غير مناسب ، فلا يمكن لأحد فى هذه الساعات أن يدقق فى الجمل ،

(٤) كان القرار قد اتفق فعلا لكنه لم تكن هناك ضرورة للبحث به فى هذا الوقت .

إلى جانب ذلك رئيس المخابرات السعودية، وصلة الوصل بين المملكة وبين المخابرات المركزية الأمريكية - وهو من قديم صديق له إلى درجة أنه - «أنور السادات» - كان الشاهد على عقد زواجه .

وكان بين الاثنين لقاء طويل في استراحة القناطر لم يكن الرئيس «أنور السادات» سعيدا بنتيجة لأن السيد «كمال أدهم» قال له ملخصه «إن الأمريكان منزعجون من الوجود السوفيتي في مصر ، وإن أي اقتراب لهم من أزمة الشرق الأوسط سوف يظل محكوما بهذا الانزعاج» .

وكان تعليق الرئيس «أنور السادات» بعد انتهاء مقابله مع السيد «كمال أدهم» :

- «إن السوفييتين عندهم عقدة من الروس ، وأنا لا أستطيع أن أجاريهم في هذا الطريق ، فالروس وحدهم يقدمون لي السلاح ويدونهم لا يعود في يدى شيء . ولقد قلت لكمال أدهم إننى أتعهد للملك فيصل بخروج السوفيت من مصر إذا خرج الإسرائيليون من سيناء ، أما قبل ذلك فأنا لست على استعداد لأن أعزى نفسي» !

وربما تصور السيد «كمال أدهم» أنه يستطيع أن يخدم «أنور السادات» بأن ينقل جزءا من تعليمه ، وهو أنه «على استعداد لإخراج السوفيت من مصر فور التوصل إلى حل للأزمة» - ورأى بعضهم في واشنطن أن تسريب هذا «الوعد الذى قطعه السادات على نفسه» يمكن أن تكون له فائدة في الحرب النفسية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وواجه الرئيس «السادات» مشكلة حقيقية :

● كان من حوله بعض الذين كانوا يشكون فيه من الأصل .

● وضائقتهم أن يقابل «كمال أدهم» دون تشاور معهم - مع أن أجهزة السلطة كانت قد رصدت العقابلة .

● واستغفروهم ذلك «الوعد الذى قطعه أنور السادات» على نفسه رغم تأكيد أنه جاء في معرض حديث عام مرسل .

● وكان الأخطر من ذلك كله أن السوفيت في مصر تزيد قلقهم من الأوضاع المستجدة في القاهرة .



وكانت علاقة السوفيت منذ البداية بـ «أنور السادات» علاقة مشوبة بظلال من الشك ، فهم وإن عرفوه لم يتعاملوا معه عن قرب ، وفي المرة التى تعاملوا فيها معه مباشرة ( مايو ١٩٦٧ ) وقع في ظنهم أنه أساء فهمهم بما نقله إلى «جمال عبد الناصر» عن معلوماتهم عن الحشود الإسرائيلية على الخطوط مع سوريا . وكان اعتقادهم باستمرار أنه ينتمى إلى «الجناح اليميني» في مجلس الثورة السابق ، واعتقادهم أنه بعيد عن فكر «جمال عبد الناصر» بتأثير تجاربه السابقة

في الثورة ، وحتى بعدما عندما رأس المؤتمر الإسلامى واتسعت صلاته نتيجة لذلك بالحليج ومن هم ، ما فيه .

يتوزع مع ذلك أن السوفيت أحسوا منذ الأيام الأولى بعد رحيل «جمال عبد الناصر» أن هناك صراعا على السلطة قادما بين أطراف القمة في التشكيكية التى برزت بعد غياب الرجل الوحيد هو . لم تكن سلطته بينهم موضع شك أو نقاش .

ولقد تصوره على نحو ما صراعا بين «اليمين» و «اليسار» ، أو بالتحديد بين «أنور السادات» و «على صبرى» . ولم يكن «على صبرى» رجلهم في القاهرة كما كان يشاع وقتها ، لكن الرجل كانت له توجهاته القتالية ، واعتقد «على صبرى» بعد «جمال عبد الناصر» أنه صاحب رسالة خاصة . وفي مثل هذه الظروف فإن علاقات السجال بين الأطراف تؤدي إلى زيادة ملطاف المواقف بحكم احتكاك الآراء وتصادم الاجتهادات .

ثم ثبت للسوفيت أن «على صبرى» ليس قائد جناح اليسار كما كانوا يتصورون - وإنما هاج اليسار في واقع أحواله مجموعة شيع متفرقة ، وجيوب متباعدة ، وراح إحساسهم بالتراجع والشك يزداد يوما بعد يوم تساعده طبيعة تكوينهم الإنسانى والسياسى .

وكان أسوأ ما في الموضوع بالنسبة لهم إحساسهم أن بعض العناصر من أجنحة اليسار - منهم من بدأ ليصبحوا طرفا في صراع لا علاقة له بالاعتقاد ولكن علاقته الأوثق هي بالتسابق على السلطة . وكان أكثر الذين أحسوا باحتماالات الانزلاق «فلاديمير فينوجرادوف» الذى احتل مقدمه الحساس سفيرا للاتحاد السوفيتي في القاهرة . وكانت نصيحته باستمرار لحكومته هي «الانتظار ولحادث موقف المراقب حتى تنضج الصورة لصراع القوة والسلطة الذى رآه قادما في القاهرة» . وفي بعض المرات شك «فينوجرادوف» بـ «رقة» من أن هناك من يحاولون إحاله فيما لا شال فيه للتفسير السوفيتي .

وفما بعد قال «فينوجرادوف» إنه لو كان استجاب لبعض المحاولات ، لكان محتلا أن لهم ط الاتحاد السوفيتي في مغامرة - مصيرية - شبيهة بالمغامرة التى تورط فيها بعد ذلك بمشتر بطرات في أفغانستان<sup>(١)</sup> ، وذلك حين اضططر إلى الدخول بقواته لمناصرة طرف على طرف في صراع داخلي على السلطة في كابول . وربما كانت الورطة في مصر - على فرض الاستعانة - لمطر لأنها ليست أفغانستان الملاصقة في حدودها للاتحاد السوفيتي . وفي حالة مصر فقد كان يمكن أن تؤدي خطوة سوفيتية خاطئة في مثل هذا الاتجاه المغامر - إلى صدام عالمي واسع المدى مع الولايات المتحدة !

(١) لا يوجد في هذا الكتاب أن أتعرض لقصة الصراع على السلطة في مصر من سبتمبر ١٩٧٠ إلى مايو ١٩٧١ - لقد فلتت يدى أحد من في كتاب . الطريق إلى رمضان . ثم إن الفرصة قد تسنح لكل التفاصيل من هذه القصة في مناسبة أخرى .

وجرى تفريغ شريط المقابلة في نفس اليوم وإرساله إلى من يعينهم الأمر . واكتفت المحادثات العامة ، لحساسية الموضوع وعراية ملاعباته ، بأن تبعث بنصه دون أى تعليق ، وقد استمر و تسع صفحات وضعت داخل ملف بحجم الفولسكاب ، وقد طبعت عليه بالحبر الأسود :

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس  
المخابرات العامة

ثم كتبت بالآلة الكاتبة وبالحبر الأحمر عبارة : « سرى للغاية » .

وفي وسط الملف طبعت كلمة : « الموضوع » . وفي الفراغ المتصل بعدها وقد امتد فيه سطران من النقط المطبوعة ، جاءت بالآلة الكاتبة وبالحبر الأحمر عبارة تقول :

« تفريغ لشريط مسجل بين المستر بوجين ترون واللواء بالمعاش عبد المنعم أمين ،

ثم بعد ذلك وبالآلة الكاتبة أيضا وبالحبر الأسود :

السيد/ سامى شرف  
« رجاء العرض

مع تحياتي ...»

إمضاء  
رئيس المخابرات العامة ،

ثم كتبت بالآلة الكاتبة مرة أخرى وبالحبر الأحمر فى أسفل الملف عبارة : « سرى للغاية » .

وأما صفحات الملف التسع ، فقد بدأت كل واحدة منها وانتهت بعبارة « سرى للغاية » ونحتها هبط بالآلة الكاتبة بالحبر الأحمر ، ثم تمهيد بالآلة الكاتبة بالحبر الأحمر نصه :

« حديث مسجل بين المستر « دونالد بيرجيس » ويزرمز له بالرمز (x) واللواء « عبد المنعم أمين » ويزرمز له بالرمز (-) .

بدأ التسجيل بأن أعرب « بيرجيس » عن أسفه لأنه لم يكن لديه علم مسبق بأن اللواء « عبد المنعم أمين » قائم ، وأنه ما كان ليتأخر دقيقة واحدة عن مقابلته لولا وجود المستر « ماسكى » (٩) ، الذى كان شغله الشاغل هنا ، وسافر فى اليوم السابق . وأنه يتطلع للقاء معه .

ثم دار الحوار طبقا للتسجيل على النحو التالي :

عبد المنعم أمين : وأنا أيضا كنت أنطلق لمقابلتك . وأنا قلت بدلا من أن أتصل بالسفارة تليفونيا وبمعين

(٩) « ماسكى » ، الذى كان مرشحا للرئاسة عن الحزب الديمقراطي .

الأمريكية تحت غطاء سياسى يضمه فى كشف أعضاء الهيئة الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكى فى القاهرة ( مكتب رعاية المصالح ) .



لم يكن الرئيس « السادات » وقتها يعرف ما فيه الكفاية عن القدرات التى بلغتها المخابرات المصرية ، والحقيقة أن هذا الجهاز الكبير كان قد حقق لنفسه مستوى عال فى مجال الأمر القومى (٧) ، وقد وصلت كفاءته إلى حد أنه تمكن من وضع أجهزة تنصت وتسجيل فى بيت ومكتب (٨) القائم على شئون المصالح الأمريكية « دونالد بيرجيس » ، وقد شملت الرقابة كل غرفا فيه ، بما فى ذلك مكتب ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية « بوجين ترون » ، ومسكنا أيضا . وبالطبع فإن السيد « عبد المنعم أمين » لم يكن يعرف .

وهكذا راح « عبد المنعم أمين » يتحدث مع « دونالد بيرجيس » وأجهزة التسجيل دائرة (٩) . ثم راح « عبد المنعم أمين » يتحدث مع « بوجين ترون » وأجهزة التسجيل دائرة . وقد ركزت المخابرات العامة بالطبع على حديث « عبد المنعم أمين » مع « بوجين ترون » ، وفى الظن أنه الحديث الأخطر ، ولو حتى لمجرد أن طرفة الآخر - مع ميعوث الرئيس « السادات » - هو ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى مصر (٩) .

كان السيد « عبد المنعم أمين » - مبالغة فى الاحتياط ! - قد تحسب إلى أن تليفونات السفارة - بعثة رعاية المصالح - مراقبة ، وهكذا أرسل عن طريق صديق مشترك له إلى « دونالد بيرجيس » يقول له إنه قائم للاقائه فى موعد معين . والذى حدث أن « دونالد بيرجيس » تأخر عنه قرابة ربع ساعة ، ربما ليتأكد من شخصيته قبل أن يقاه . ثم دار اللقاء والاثنا لا يعرفان أن أجهزة الالتقاط ووراءها أجهزة التسجيل تدور ... وتدور .

(٧) من سوء الحظ أن قضية الحراف الجهاز ومحاكمة بعض أفرادها فى وقت « جمال عبد الناصر » - غطت على الجانب الأهم من عمله فى عمل تخصصه الحقيقى . ويمكن أن يقال - ويعدل - إن هذا الجهاز « حتى فى عهد رئيسه الأول السيد صلاح نصر » ، قام بدور وظيفى ممتاز . ولا يقلل من هذا الدور أن الرجل الذى أسسه وقام عليه فى السنوات الأولى - نسي نفسه بحكم طول البقاء فى السلطة وطباع العمل السرى ، وتورط فيما لم يكن له أن يتورط فيه . لكن الرجل ظل له إسهامه - بصرف النظر عن سلوكه فى سنواته الأخيرة - ثم إن تلك الجهاز لم يكن كله « صلاح نصر » .

(٨) البيت هو نفس البيت الذى أصبح فيما بعد مقرا للسفير الأمريكى ، وهو البيت رقم ١٠ شارع طه حسين بالزمالك .

(٩) لم يعد هناك حرج فى ذكر ذلك الآن لأن الأمريكان عرفوا فيما بعد بالحقيقة ، وقلما بعنية إعادة بناء للبيت أدت إلى تنقيطه ، تماما من كل أدوات التسمع والتصتت التى كانت فيه .

(٩) فى ملحق صور الوثائق من الكتاب توجد ثلاث صور خاصة بتسجيل هذه الأحاديث :

- ١ - الملف الخارجى لتقرير التسجيل الذى تم فى بيت « بيرجيس » و « ترون » - صورة رقم (٢٠) - على صفحة ٧٥٨ من الكتاب .
- ٢ - صورة للملحة الأولى من تسجيل حديث اللواء « عبد المنعم أمين » مع المستر « دونالد بيرجيس » - صورة رقم (٢١) - على صفحة ٧٥٩ من الكتاب .
- ٣ - صورة للملحة الأولى من تسجيل حديث اللواء « عبد المنعم أمين » مع المستر « بوجين ترون » - صورة رقم (٢٢) - على صفحة ٧٦٠ من الكتاب .

ما يعرفون أنا عازز ايه(\*) ، أو يفكروا أن أنا واحد كدة والاكدة . فانا قلت أجيء بأفسر . ما يمكن .

دونالد بيرجيس : وأنا قلت فوراً أيضاً .

عبد المنعم أمين : كويس جدا .

دونالد بيرجيس : أنا كنت أحب أنك تحيط رئيس الجمهورية علما بأن المحافظين الثنتين تمتأ أخيراً مع الكثير

من الشخصيات الأمريكية ، وهما المستر وارين كروتايت(\*) والمستر ماسكى ، وإن الاثنين أعجبا جداً بالرئيس ، وهما شخصيتان أمريكيتان لهما أهميتهما . وإن الاثنين أعرب عن أطيب تمنياتهما للرئيس ، ويتمنيان له كل توفيق .

عبد المنعم أمين : حسنا . شوف الموضوع أثر الرئيس السادات بشأن ما قاله حول عداء أمريكا ، وأنا كنت يقول بأن أمريكا كانت دائماً ودية معنا . ويعين كنت بأنها لا هي عاززة حرب ولا هي عاززة الموضوع يتطور إلى ما هو عليه الآن . وهو رد وقال لا أنا أعتقد أنهم غير وديين وذلك من أفعالهم . ولا حتى محابيتهم . وأنا قلت له هم والقيين على جنب . ورد هو وقال لي كلا هم ليسوا محابيتهم لأنهم يريدون أن يقتلوا كل شيء لإسرائيل . ويعين أنا قلت مفيش دول صديقة من غير الدول الأربع تقدر تقوم بالتفاهم مع أمريكا . ورد على بقوله كلا - ويعين أنا قلت له إذا أنت أرسلت واحد من طرفك أو تجد أحد يسافر لأمريكا أو ما تسمح لهيكل(\*) أو أى إنسان آخر يتصل بهم ؟ ويعين هو قال لي : إذا كنت تحب تشوف انت بنفسك ايه الاحتمالات ، روح وقابل مستر بيرجيس أو ادعيه للحضور فى منزلك . وعشان كده أنا جيت وفكرت ان الأحسن تنقابل بطريقة غير رسمية بدل ما أتصل تليفونيا بالسفارة أو أتصل بهيكل أو بغيره ، وتكون النتيجة أنهم جميعاً يبدأوا فى التكهينات ويطلب عليهم حب الاستطلاع .

لونايد بيرجيس : ده كويس أن الرئيس وثق فيك .

عبد المنعم أمين : كل قصدي كويس . وأنا أستطيع أيضاً أن أحكم على الأمور كويس ولنى نظرة فى هذه المسائل . ونظرة لا هي عن تعصب ولا نظرة ملينة بالأمل . كلا أنا طول عمري واقفى وأنا مفكر مركزى تلمها ومفكر المهمة اللي أنا بيقوم بها . وعلى ذلك فانا عازز من سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٥٣ ما تستطيعون أنتم الدولة القوية القيام به وبدون حدود .

لكن لازال فى هذه الحالة عندما أمل ونرغب فى قيامكم باللور الذى يجب أن تقوموا به بدون أن يوجه لكم أى شىء لوم ، وأيضاً بدون أية حدود .

(\*) كان أصل الحديث بالإنجليزية بالطبع ، وكان فى وسع المترجمين الرسميين أن يترجموه إلى اللغة العربية القصصى ، ولكن لسبب ما اختار المترجمون أن تكون الترجمة إلى اللغة العامية - ربما بقصد مزيد من الواقعية .

(\*\*) المقصود على الأرجح ، والتر كروتايت ، مقدم البرامج التليفزيونية الإخبارية المشهور .

(\*\*\*) حدث فى مرات كثيرة أننى قمت بهمهم سياسية عديدة باسم الرئيس ، جمال عبد الناصر ، مع الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ، وفرنسا . وكان ، جمال عبد الناصر ، يفضل دائماً أن يجرى بحث الأساس والأطر فى أى قضية قبل أن تصل إلى مرحلة التفاوض الرسمى ، وعلى سبيل المثال فقد كان من بين هذه المهام مهمة سنة ١٩٦٤ ، وقد قضيت فيها خمسة أيام كاملة مع الزعيم السوفيتى ، نيكيتا خروشوف ، كما كانت هناك مهمة مع الرئيس الفرنسى ، شارل ديغول ، فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .

وأنا بتكلم معاه سألته ماذا عن ه لهرابور(\*) (ضحك المستر بيرجيس قليلاً) بعد ذلك هو قال ليهو نحن لا نستطيع الجلوس مكتوفى الأيدي ونعطيه من الة مرة بعد الأخرى فى الوقت الذى لا يخلصون هم فيه السلام ولا يعنون أن يكونوا حقيقة بأية تسوية لهذه المشكلة . وكل ما يخلصونه أنهم يحتفظوا بأراضينا ونظال معاهم . وإن إسرائيل تكتفرج بالأعذار من أول بارنج ، ومع بارنج يقول لا لا . لا نستطيع هذا . نريد أن نأخذ هذا ونفكره ذاك . وفى الحقيقة لا هم ولا بارنج حيسلوا حاجة بالطريقة هذه . . . والنتيجة ستكون بأن بارنج نفسه سوف يدرك أنهم (الإسرائيليين) لم يخرجوا عن نفس طريقتهم . وأنا على هذا الحال لن أستطيع البقاء هكذا . لكن أنا أشتيا أنا بأنهم حقيقة يريدوننا أن نعيش فى سلام ، لفى مثل هذه الحالة أنا على استعداد من ناحيتنا ومن جانبنا . إن بيان الفرح مفرحات . لكن هذه المقترحات لا تصلح . لارالت غير صالحة لأن معناها أنهم فى موقف يسيطرون منه على القناة . وحتى لو انسحبوا بعيداً عن ضفة القناة حوالى ٤٠ ميلا ، لفى هذه الحالة سوف يسيطرون على مواقع دفاعية هامة تشرف على القناة مثل منى مثلا أو غيره . إن ما اقترحه بيان نحن لا ننق فيه لآه معناه أنهم لازلوا يسيطرون على القناة . هو اقترح بأنه كلا الطرفين ينسحبوا أيضاً فكيف هذا ؟ - نحن فى أراضينا ولا نستطيع أن ننسحب ٤٠ كيلو مترا . خليههم هم ينسحبوا ٤٠ كيلو مترا - فى مثل هذه الحالة سوف يكون هناك وقف لإطلاق النار اجبارى . من ناحية لأننا لا نستطيع أن نصل لإسرائيل ، ومن ناحية ثانية أعتقد بأن هذا سوف يكون بادرة بالنسبة لنا على أنهم حقيقة يريدون السلام .

بعد ذلك يمكننا أن نجلس ٦ شهور أو سنة ، أو أى فترة تستغرقها هذه المحادثات . لكن الشئ الأساسى أنهم لازم ينسحبوا لمسافة ٤٠ كيلو متر علما بأنهم لن يخسروا أى شئ من بهذا الانسحاب .

يعين أنا قلت له ده كويس . أنا أروح أتكلم مع مستر بيرجيس ، وأنا أشوف هم جيلورا يعملوا ايه . بناء على افتراض أن بظيمة الحال بأن انسحاب القوات الإسرائيلية قد يتضمن أيضاً انسحاب قواتنا من القناة . هذا اعتقادى أنا(\*) . فى نفس الوقت أنا فكرت فى الحال بأنها تكون فرصة طيبة للبدء فى تطوير القناة وتعميقها ، وبعدا نستطيع أن نخدم الدول التى تستعمل القناة والأمور بعد ذلك تسير . لكن هذا من وجهة نظرى . ألم أكل لك بأننى رجاء واقفى ؟ عند هذا الحد من الممكن أن يحضر أحد من عندكم - أية دولة تتدخل . أو حتى الموضوع يروح لرياض(\*) . أو حتى واحد يهودى .

لونايد بيرجيس :

إن هذه الفكرة هزئت فكرة ثورية خصوصا عندما أتفكر ما كانت تفكر فيه حكومتكم من قبل . وأنا فى أواخر شهر نوفمبر أو ديسمبر وكنت فى نيويورك اتكلمت مع الزيات(\*) والفرحت عليه شئ من هذا القبول . وطلبت منه أن يبلغ هذا الاقتراح . ومن وقتها وأنا لم أسع شئ ، وكل الذى سمعته أنهم قالوا هنا بأن هذه مؤامرة أمريكية لفصل قضية القناة عن بقية القضية .

(\*) بلسد موعد انتهاء الة إطلاق النار .

(\*\*) فى هذه النغلة خرج السيد ، عبد المنعم أمين ، عن الخطوط التى رسمها الرئيس ، أنور السادات ، ولتى نكرها هو من قبل فى حديثه ل . بيرجيس . . .

(\*\*\*) بلسد السيد ، محمود رياض ، وزير الخارجية فى ذلك الوقت .

(\*\*\*\*) بلسد الدكتور . محمد حسن الزيات . وكان منلوبا دائما لمصر لدى الأمم المتحدة فى ذلك الوقت .



دونالد بيرجيس : أيوه . أيوه . الاقتراح الخاص باللقاء هذا چه منى أنا .

عبد المنعم أمين : أيوه . أيوه .

دونالد بيرجيس : أيوه . أيوه .

عبد المنعم أمين : خذ بالك الشيء اللى احنا خايفين منه انه بمجرد أن نبدأ فى تطوير القاعة بعد كده انتة تستريحون ولا يوجد شيء بقلكم . لكن على أية حال الاتصالات الشخصية تقوم بدور فعال . والتأكدات التى تقدمها حكومتكم . فإذا أنتم سحتم بتطوير القاعة فأنكم بعد ذلك سوف تبتلون قصارى جهنم فى اتمام عملية الاستحباب وغيره ومن سيناء وغيرها .

دونالد بيرجيس : أيوه . أيوه . سبق لنا ان احنا قمنا بجس القبض فى مثل هذا الموضوع ولم يصلنا أى رد .

عبد المنعم أمين : شوف . كل الجماعة المسئولين دول فى الحكومة يعنى من النوع المرتبط .

دونالد بيرجيس : ( مقاطعا ) أيوه . من الطراز القديم ( ضاحكا ) .

عبد المنعم أمين : ليسوا من الطراز القديم ، بل ... (\*) .

دونالد بيرجيس : ( مقاطعا ) ترجع الى موضوع الاستجابة حاليا ومدى استجابة الرئيس نيكسون للرئيس السادات . أنا وصلتني رسالة اليوم من الرئيس نيكسون وطلب منى أسلمها للرئيس السادات وأن أوجهه أن ينظر لها نظرة جدية . وأن الرئيس نيكسون يشارك الرئيس السادات فى مشاوره . لكن عدم الاستجابة العلنية سببها تهمة المشاعر التى ثارت فى أمريكا بسبب الهجوم على السياسة الأمريكية . نحن لم نبدأ من يقوله الرئيس السادات عنا أحيانا . ونحن نعلم بأن الرئيس السادات فى حاجة شديدة كى يقوى من سلطته فى البلاد . ونحن نعتقد بأنه صادق النية وأن يقوله عنا نتيجة لبعض المشاكل وهذه شكليات . وأنا أعتقد أنه فى استطاعة الرئيس السادات أن يجعل الرئيس نيكسون يقدر موقفه الحالى . وأنا باعتقاد بأن الرئيسين يشتركان فى الكثير من موقفيهما الداخلى . فكليهما تولى الحكم فى أعقاب هزيمة (\*\*) . ان ماسكى عندما كان فى القاهرة أخيرا أعجب به الى حد كبير . وأن الناس فى أمريكا بما فيهم الرئيس كانوا يتكهنون عما سوف يحدث فى مصر بعد وفاة الرئيس ناصر . ولكن الرئيس السادات تصرف بطريقة دستورية هائلة بغض النظر عما يقال . وأنا مقدر له تفضله باستقبالى فى اليوم السابق لميلاده . وأنا فى نفس الوقت مقدر لخوفه من أن يستمر احتلال سيناء وتصيح قضية مثل مسألة كشمير . وأظن أنه مهم بمسألة سيناء ويعتبرها قضية مستقلة بذاتها عن القضية الفلسطينية كلها .

عبد المنعم أمين : أيوه .

دونالد بيرجيس : وأنا بثلث قصارى جهدى كى أوضح ذلك لحكومتى ، وأنا سوف أستمع فى عرض وجهة النظر هذه .

عبد المنعم أمين : حسنا .

(\*) من الواضح أن السيد : عبد المنعم أمين ، كان يريد أن يتحدث عن الأوضاع داخل مجموعة الحكم ولم يبق ، بيرجيس ، أن يقدمه أحد فى ذلك .

(\*\*) يقصد سنة ١٩٦٧ بالنسبة لـ . السادات ، وفيتنام بالنسبة لـ . نيكسون . .

دونالد بيرجيس : الذى حفره لك هذا يمكن شيء فى منتهى الصراحة - أنا خدمت هنا زهاء ٥ سنوات من ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ . ثم عدت مرة أخرى فى عام ١٩٦٧ وكانت فيه مشاكل ضلعة واجهناها مع الرئيس ناصر . وكان دايمًا حاطط فى دماغه ان الولايات المتحدة تعمل ضده - أنا امتلك مع الرئيس ناصر فى عام ١٩٦٨ ، وهو قال لى بصراحة اننا نعمل ضده - بعد ذلك أنا أحضرت له خطاب من الرئيس جونسون . وكان خطاب شلصى موضح . ولم يصدقنا . ( ضحك الاثنان ) .

دونالد بيرجيس : لكن هذه مسألة راحت لحالها . وأنا أفكر ان الشك فى توليانا كان دايمًا عقدة الرئيس ناصر .

عبد المنعم أمين : العقدة التى كانت عنده انه كان شكاك جدا . شكاك فى كل شيء وفى كل واحد . كان شكاك جدا جدا - ولما تعرض عليه حاجة واضحة تمامًا ودوغرى كان يقول طيب ولية كده ، ولية القابضة التى ستعود على الشخص من هذا . أقصد بأنه كان عنده شك جدا . وليس هذا فقط فإنه أراد أن يجعل كل شيء لقابضته هو ومن أجل مكانته - هو اعتقد بأنه لو تحدث أمريكا بهذا الشكل فإن هذا يرفقه .

دونالد بيرجيس : ( ضاحكا ) .

عبد المنعم أمين : لأ . ده صحيح . هو كان رائد التحدى ، وهو استخدم هذا التحدى من أجل تنفيذ أغراضه الشخصية لمكانته . لم يفلح من أجل أغراض بلاده أو من أجل العرب أو للعالم أجمع ، ولكن فى سبيل رفعة هو شخصيا .

دونالد بيرجيس : حسنا . لكنه كان رجل عظيم .. عظيم جدا . أيوه .

عبد المنعم أمين : كان راجل عظيم لأنه جلب مشاكل ضخمة لبلاده (\*) .

دونالد بيرجيس : من نواحى عديدة فإنه يشبه ديجول وأنا أشير هنا إلى موقف ديجول من العلاقات الفرنسية الأمريكية . ديجول كان أيضًا يشك فى نوايا وسياسة الولايات المتحدة .

عبد المنعم أمين : نعم . نعم . ديجول رجل عظيم .

دونالد بيرجيس : ( مقاطعا ) فيه حاجة واحدة لو أنك أوضحتها للرئيس . أود لو كان عنده أدنى شك من ناحية أى شيء فيجب ألا يستكت عليه . إذا اعتقد أن المخابرات المركزية بتكر شيء ضد مصر مع السعودية أو مع أى دولة أخرى - يجب ألا يكتبه فى نفسه ويستكت . أنا مستعد أجيب رئيس المخابرات المركزية هنا فى مصر ويقعد مع رئيس الجمهورية ، ومعها رئيس مخابرات مصر ، ويجلسوا ويطرحوا الموضوع لأنه مهم فى مثل هذه الفترة الزالة الثواب .

عبد المنعم أمين : طبعًا . وأنا سوف أنقل هذا - بس شوف هو متحاط ، يعنى محظون عليه بالحكومة القذمية بتاعة ناصر ، والفنن كانوا متعودين على العدا . دانسا عداا عداا . وهم أراولوا أن يحالفوا على مواقفهم ومراكزهم .

دونالد بيرجيس : طبعاً فيه معارضين .

عبد المنعم أمين : معارضين أيوه . لكن لحسن الحظ هو عرف انه من الضروري أن يتخلص منهم واحد وراء واحد - لكن برضه غلطاتهم لا زالت تؤثر عليه . فمثلاً هم قالوا له بأن الأمريكين كانوا يفضلون زكريا محبي الدين . هو قال لي هذا - هو قال لي الأمريكين لن يقوموا بشيء من أجلنا لأنهم يفضلوا زكريا . بعد ذلك أنا قلت كلام لا يفضلون زكريا . هذه أشياء أنا أقولها لك ويجب أن نقلل بيننا .

دونالد بيرجيس : أيوه . لكن شوف ما قام به الرئيس السادات حتى الآن جاء بطريقة سليمة . وأنا في اعتقادي بأن اختياره للدكتور فوزي اختيار سليم . فهو رجل له أفكار ثاقبة وليس هناك شخص واحد يستطيع بالمرة أن ينهم الدكتور فوزي بأن له أية أخطاء شخصية . وكان اختيار الرئيس السادات له أول وأحسن فكرة .

عبد المنعم أمين : أيوه . الدكتور فوزي رجل إيجابي .

دونالد بيرجيس : هذا صحيح . أنا خابرت الدكتور فوزي زهاء سنوات طويلة .

عبد المنعم أمين : أيوه . مفيد موضوع واحد يمر عليه إلا إذا كان مدرّوس ويستحق .

دونالد بيرجيس : ( مقاطعاً ) على فكرة خذ بالك انه ديبلوماسي . ( ضاحكاً )

عبد المنعم أمين : أنا مش واحد بالي انتك انت كمان ديبلوماسي . ( ضاحكاً )

دونالد بيرجيس : ولا أنا .

( فترة علا فيها صوت موسيقى في الغرفة ) .

دونالد بيرجيس : المهم أن تبقى هذه العلاقة وأن تكون على اتصال .

.....  
.....

( كانت بعض مواضع الحوار مثيرة للجدل )

□

وكانت مقابلة السيد « عبد المنعم أمين » مع « يوجين ترون » أصعب ، لأنه في حين كان التحفظ بادياً في المقابلة مع « دونالد بيرجيس » - كانت المقابلة مع « ترون » أوضح وأصرح . ولعل السيد « عبد المنعم أمين » كان يعرف قواعد اللعبة . فالحديث مع القائم بالأعمال - أو غيره من رجال السلك الدبلوماسي - واصل إلى وزارة الخارجية ومكاتبها البيروقراطية ، وأما الحديث إلى مسئول المخابرات المركزية الأمريكية فهو واصل من رئاسة الوكالة إلى مجلس الأمن القومي - إلى مستشار الرئيس للأمن القومي - ومن ثم إلى الرئيس مباشرة .

وكان السيد « عبد المنعم أمين » ومعه « يوجين ترون » - يتحدثان وأجهزة الانتفاط دائرة ، وأجهزة التسجيل تلاحق .

«وضع رئيس المخابرات العامة تقريرا للشرط داخل ملف ، على نحو ما فعل في شريط

...حمل المقابلة مع « دونالد بيرجيس » ، وبعث به للعرض .

عندما بدأ التسجيل كان الحديث بين الاثنين قد اتصل فعلا . وهكذا يجيء الجزء المسجل من الحوار وكأنه اتصال بعبارة بعبارة من قبل :

«يوجين ترون : إلى أي مدى تستطيع السير ؟

«عبد المنعم أمين : إنها يستطيعان أن يناقشا المواضيع التي يطالبها(\*) من وراء ستار .

«يوجين ترون : بعد المناقشة ماذا يتم ؟

«عبد المنعم أمين : في الامكان مناقشة ذلك بعد الوصول إلى حل لوقف إطلاق النار . انه لا يريد أن يمد وقف إطلاق النار ما دام الموقف على ما هو عليه ، وبدون تسجيل أي تقدم في الموقف نحو حل ، وبدون أن يعرف إلى أي مدى سوف يرضى .

«يوجين ترون : لابد وأن يقدم كل طرف من أطراف النزاع تنازلات . وهذا ما طلبناه نحن من اسرائيل . ولقدنا لهم بأن هذه التنازلات يجب أن تصدر عنهم لأنهم هم المحتلين للأراضي . انني سوف أتكلم معك ، وإذا لم نستطع الاتفاق فائتي أطلب منك شيئا واحدا وهو أن يظل ما كنانا سرا بيننا . هل أنت على صداقة شخصية مع الرئيس ومع بقية أعضاء الحكومة ؟

«عبد المنعم أمين : أنا الآن كما كنت على اتصالات شخصية بالجميع .

«يوجين ترون : اتنا جميعا وحتى المستر بيرجيس لدينا أمل كبير في الرئيس السادات ، والبلاد في حاجة لحل مشاكلها الاقتصادية . ولقد كبير من ميزانية مصر يذهب إلى الدفاع الأمر الذي لا يتناسب مع أعباء البلاد الاقتصادية ، ولابد من اتخاذ اللازم نحو تقليل المصروفات الدفاعية والتي لا تتناسب مع دخل البلاد ومع احتياجاتها . ونحن سنسنا من الموقف الحاضر ، وكل ما نريده هو عقد السلام مع حكومة مستقرة وخاصة بعد أن تولت في مصر حكومة قديمة يمكن أن تقود الرأي العام إلى تسوية سلمية . والوضع الآن هنا أحسن مما هو في ليبيا أو في سوريا بالنسبة لتسوية سلمية . وكل ما نهدف إليه أمريكا هو السلام ومع حكومة مستقرة . وهذا الهدف ( هدف حكومة مستقرة ) هو ما ألقنا في الحقيقة عقب وفاة ناصر . ان المشكلة كلها تعتبر مشكلة عاطفية أخذت تجر أنيابها طوال ٢٠ عاما . وأحوال الفلسطينيين تزداد سوءا مما أدى إلى قيام المتطرفين منهم بأعمال كان من نتيجتها ما صارت إليه أحوال العرب في الوقت الحاضر . واللولايات المتحدة كانت خلافتها مع ناصر مطمئنة إلى أنه شخصية قوية . . .والآن نحن لا نعرف .

«عبد المنعم أمين : تطليق بعبارة غير واضحة ( في التسجيل ) .

«يوجين ترون : نحن لا بهيما مع من نتلقى . انما الذي بهيما هو أن يكون الاتفاق مع طرف قوى وكثير على احترام اتفاقه ، وكفاية ما حدث من نقض للوعود ، ليس فقط خلال الثلاث سنوات

١٠ لم يضح من هو الشخص الذي يناقش الموضوعات المطروحة من وراء ستار ، ومن المحتمل أن يكون المقصود هو بيرجيس .

الأخيرة وإنما طوال ٢٠ عاما . والحقيقة أن ذلك لم يكن من طرف مصر وحدها بل كان من طرف الجانبين . ( ضحك الاثنان ) .

إن السبب الرئيسي في أن نتفاهم الآن هو أن نعرف ما سوف يحدث فيما بعد . فقد أصبح أماننا موقف دخل فيه الروس ، وليس ذلك فقط بل دخولهم ، بقواتهم . وماذا هم يهفون من وراء ذلك كله ؟ أن الروس يستغلون المشكلة الاسرائيلية ، وهم يرتكبون مجازفات ومخاطر من أجل السير بالموقف إلى حافة الهاوية . وماذا بعد ذلك ، هل العرب قادرين على السوفيت ؟ وماذا وراء نفاذهم إلى البحر الأبيض يمثل هذا الوضع ؟ أن الطريقة الوحيدة لحصر نفوذهم هو السلام بين العرب واسرائيل . وأمريكا تستطيع وروسيا لا تستطيع أن تعمل لصالح العرب . هناك أعداد ضخمة من الروس هنا ، وهذا يطلق أمريكا جدا ويجب أن يلقى العرب . والروس يراوغون في المحادثات الثنائية أو في محادثات الدول الأربع الكبرى . وهم لا يحفظوا بأننا أثناء المفاوضات نتحدث معهم على أساس خروجهم . وماذا يحدث لو أن الروس رفضوا الخروج إذا ما تأخر السلام - طبعاً لن يكون الموقف مناسباً بالمرّة .

عبد المنعم أمين : أنا أريد أن أؤكد لك بأن الروس غير مرغوب فيهم هنا بالمرّة (\*) .

بوجين تسرون : هل هذا هو رأيك الشخصي ؟

عبد المنعم أمين : أنا لم أقابل شخص واحد في مصر يحب الروس .

بوجين تسرون : أنا أعتقد في صحة ذلك . وسعت من جهات مختلفة وليس فقط من مصريين . ولو أنا سمعت من شخص مصري فقط لاعتقدت أن المصري الذي يقول لي ذلك يريد أن يدخل على السرور . لكن أنا سمعت ذلك أيضاً من مختلف الجنسيات من يوغوسلافيين ومن هنود وغيرهم وغيرهم . وكذلك من مختلف التكتلات وهم جميعاً قالوا لي بأن مصريين قالوا لهم ذلك . طبعاً فيه للروس بعض نواهي لا بأس بها . لكن بعد أن وصل عددهم لمثل هذا الحجم فسوف يصبح من الصعب عليهم أن يتصرفوا بطريقة طيبة الآن ولا حتى بعد السلام .

نحن ساعدنا مصر كثيراً بعد الثورة وعرضنا عليها المساعدات العسكرية كذلك . لكن ناصر رفض أن ترسل مستشارين عسكريين كما هو الحال دائماً مع جميع الدول التي تتلقى مساعدتنا العسكرية . لكن ناصر رفض وخشى أن نتجسس على نظم دفاعه . نظم دفاعه إيه لو كانت أمريكية . كيف نتجسس عليها ؟ ( ضحك ) التدهور في علاقة بلدنا مع مصر بدأ منذ ذلك الحين . أنا لا أوافق على تقديرات الاسرائيليين فقد كانت موضوعية بطريقة لم تأخذ في حسابها دخول الروس عسكرياً بهذا الشكل . لكن دخولهم بهذه الطريقة يزيد صعوبة التسوية السلمية . أهم سبب يعوق التسوية السلمية هو التواجد الروسي ويمثل هذا العدد . هل مصر لا تزال تستخدم التشكيلات الروسية ؟

عبد المنعم أمين : ( أجاب بعبارة غير واضحة ولكن يبدو أنه عبر فيها عن وجود نقص لقطع القبار ) .  
بوجين تسرون : طبعاً نحن نعرف من ناحية قطع القبار فهذا من أيام ١٩٦٧ .

١٤٦ (\*)

١٤٦

عبد المنعم أمين : لا بد أن نعلموا شيئاً بوقف الروس من التسلل إلى جميع أنحاء القارة الأفريقية . ولابد أن نعلموا شيئاً بجعل اليهود يتوقفوا عن عدائهم للعرب .

بوجين تسرون : أنا أعلم أن أمريكا كانت على خطأ في تعاملها مع العرب وبدون عدل ومن سنة ١٩٤٧ أيام ترومان - لكن من ناحية لابد وأن تأخذ في الاعتبار ما عاتاه اليهود خلال ٢٠٠٠ سنة . هناك ظلم وقع على اليهود ولا يقرن بالظلم الذي وقع على العرب . بالرغم من ذلك فاشيء الذي تريده أمريكا هو الوصول إلى حل يرضى الطرفين ، وهذا لصالح المصريين . أنا أقول المصريين ضحايا لكن لو قامت حرب الآن وعلى نطاق واسع فإن اسرائيل هي التي ستنتصر . ربما هذا النصر سوف يكلفهم أكثر مما كلفهم حرب ٦٧ . وهذا صعب عليهم لأنهم دولة صغيرة ولا داعي لكل هذه الضخائم في الأرواح من الجانبين . والمنطقة في حاجة ماسة إلى كل هذه المصروفات التي تضعف في السلاح . ونحن في أمريكا مع كل ثروتنا نعلم مدى ما تكبدناه في حرب فيتنام . والرئيس نيكسون مهم بتحقيق تسوية لازمة في فيتنام لأنه ربما يعيد ترشيح نفسه في انتخابات ٧٢ . والرئيس نيكسون والسادات يستطعمان القيام بشيء في أزمة الشرق الأوسط ، ولو نجحنا فسوف يؤدي ذلك إلى ترقية مركزيهما في الداخل . ربما أن الرئيس السادات يفكر الآن متأملاً في وضع الامريكيين واحتمال مناورتهم . لكن لابد وأن يكون متأكداً أن حكومتنا جادة حالياً ، وكل ما نقوله تعنيه من ناحية مساعيها لحمل الاسرائيليين على الانسحاب وفق التسوية السلمية .

إن هناك نتائج طيبة كثيرة سوف ترتب على التسوية السلمية . فهذه سوف تؤدي إلى تقوية الدول العربية سياسياً . ثم أن أمريكا تهدف إلى التوسع في التعامل الاقتصادي مع العرب . وأنا أريد أن أؤكد بأن أمريكا اقترحت مد وقف إطلاق النار لأنها تعلم أن ذلك في صالح العرب أيضاً .

عبد المنعم أمين : نحن نريد تغيير الموقف لأن الشيء السوء فيه هو أن أمريكا تزود اسرائيل بالأسلحة في الوقت الذي تحتل فيه أرض عربية .

بوجين تسرون : أنا عارف هذا ، وإن اسرائيل قوية . وأريد أن أقول أن اسرائيل تطلب الصواريخ المتقدمة ويكثر عيون بأن روسيا تقدم لمصر كذا وكذا وكيت وكيت من أحدث الأسلحة . وهم يريدون أن يكون لديهم وفر من هذه الأسلحة على المدى الطويل ومن هذه الأنواع المتقدمة أيضاً . إن المصريين متأكدين من أنهم يستطيعون الاعتماد على التأييد السياسي للروس . لكن لازم تعرفوا أن لو أن الأمور سارت على غير ما نريد في الأمم المتحدة فالتنا سوف نستسلم حق القيتو في مجلس الأمن . إن أمريكا مستمرة في تزويد اسرائيل بالسلاح . وسوف تستمر حتى سنة ١٩٧١ لأن لنا معهم ارتباطات مستمرة حتى يوليو القادم . على أي حال لا يمكن ترك التسوية ليبارنج . يارنج حاول أن يسافر إلى تل أبيب دون مشاور مع أمريكا . واسرائيل رفضت طلبه . يكفى مضيقية للوقت . وعلى أي حال لابد من تسهيل تقدم في الشهر الحالي .

عبد المنعم أمين : إن الأمل على الأمريكيين في قيامهم بضغظ على الاسرائيليين كي يقوموا بشيء يمكن أن يؤدي إلى حسن التقاهم أو إلى تهينة الجو .

بوجين تسرون : يمكن أن يكون مثلاً بعد أن توافقوا على تبادل أسرى الحرب (\*) .

١) بعد الأسرى خصوصاً في معارك . أسبوع تساقط الطائرات السريع ، ( يونيو ويوليو ١٩٧٠ ) .

١٤٧

عبد المنعم أمين : لا ليس من هذا النوع - المطلوب شيء على الطبيعة بمجرد أن يبدأ مثلا انسحاب يمكن أن يبدأ تطهير القناة في وقت مبكر قبل أن يتم انتهاء المشكلة كلها .

بوجين تسرون : انتم مركزين كله على الانسحاب وعلى عمليات تطهير القناة ؟

عبد المنعم أمين : ولم لا ؟ أنا أؤكد لك بأنه لو استغرقت عملية الانسحاب نصف سنة أو سنة فخلال هذه السنة أو أية مدة ستكون أنا على استعداد لقبول بقية البند .

بوجين تسرون : أنا لا أعرف لماذا - إذا تم شيء متبادل أو شيء من هذا القبيل ؟

عبد المنعم أمين : شيء متبادل يعني زى ايه ؟

بوجين تسرون : الانسحاب إلى أربعين كيلومترا .

عبد المنعم أمين : ان هذا الانسحاب يعني انسحابنا نحن يبقى سر(٢) .

بوجين تسرون : يعني ما ينشر عنه هو انسحابهم فقط .

عبد المنعم أمين : ما يظن هو أن القوات الاسرائيلية انسحبت وحلت محلها قوات مصرية عند بورسعيد وغيرها ، ثم أن قوات أمريكية وروسية وبريطانية وفرنسية على الخطوط الآن بين هذه القوات المصرية والقوات الاسرائيلية .

بوجين تسرون : هل تعتقد بأن نشر شيء في البلاد عن أن القوات المصرية هي الأخرى انسحبت يكون له أثر سيء ؟

عبد المنعم أمين : نعم .

بوجين تسرون : وما هي الآثار السنية عن الاعلان عن ذلك ؟

عبد المنعم أمين : فيه بين الدول العربية الأخرى متعصبين سوف يعلنون إذا ما انسحبنا بأننا تغلبنا عن أرضينا .

بوجين تسرون : وهل سيقال هذا فين ؟ في العراق ؟ في سوريا ؟

عبد المنعم أمين : في العراق . لا في سوريا .

بوجين تسرون : هل يهمكم ما تقوله العراق ؟ وخاصة بعد ما نشره أخيرا ؟ هل عرفت ما قاله العراقيون منذ حوالي عدة أسابيع مضت ؟ أن صحف العراق كتبت تقول بأن محمد حسنين هيكل مخابرات مركزية أمريكية . ( ضحك ) بكل تأكيد أمانا الآن موقف لا تهتم المصالح المصرية فيه لما يقوله العراقيون لأنهم كل ما هناك يتكلمون وهم لا يعانون من أية خسائر ، وجميع العرب يعرفون ذلك ، ولم يأخذوا على عاتقهم تولي أية مسئولية ، وكل ذلك كان بسبب الخلافات التي وقعت بينهم وبين سوريا شغلوا أنفسهم فيها . الأردنيون يعمل حسابهم أكثر لأنهم هم الذين قاموا بعمل كبير . أعطت المهمة من هذه الاتاحية هم الليبيين وأنتم في حاجة إلى المساعدات المالية وربما أن القذافي أم هذا لا تحصلون همه أيضا ؟

عبد المنعم أمين : كلا لا أعطه ذلك .

بوجين تسرون : لست أفرى لماذا يتحدث الاسرائيليون الآن مرددين كلمة الحرب ، انهم يتكلمون عنها كثيرا الآن ، ولماذا يعلنون أمنية عليها ، ربما أن الموضوع خاص بعدد قليل من الناس ، هل تقترح حدوث أي اتمام شيء أو شيئين في وقت واحد ؟

عبد المنعم أمين : ولم لا ؟

بوجين تسرون : انهم يفكرون في ذلك كطريقة كما قالوا أنها تحسن الجو ، وكبدية لمحاادثات باراج . ومن تحرياتها نحن هناك عدد من الطيارين ( الاسرائيليين الأخرى في مصر ) في حالة صحية سيئة ولا يستطيعون العودة إلى الطيران وهذا سبب نكالي كبير ، وعلى ذلك ليس لمصر أن تعلق نتيجة لشيء من هذا . ومرة أخرى ليس على اسرائيل شيء تخسره كما قلت أنت ، وكذلك انتم لن تخسروا شيئا .

عبد المنعم أمين : نعم .. نعم .

بوجين تسرون : إذن أنت موافق على انسحاب الطرفين ؟

عبد المنعم أمين : أبوه . أبوه .

ولم يحدث شيء ، ولم يكن معقولا بهذه الوسائل والأدوات أن تتحقق أهداف أو غايات .  
لأنه فإن « أنور السادات » منذ البداية لم يكن مقتنعا بهذه التجربة ، ولعله سمح بها من باب الحركة في وضع الوقوف ، طالما التزم إلى الأمام صعب ، والعودة إلى الوراء مستحيلة !

• سرى للغاية  
موجز

اجتماع السادة :

- على صبرى
- عبد المحسن أبو النور
- محمود رياض
- شعراوى جمعة
- محمد فائق
- الفريق أول محمد فوزى
- سامى شرف

بقتصر القية يوم ١٩٧١/١/٢٠ من سعت ١٩٣٠ حتى سعت ٢١٠٠ ،

ثم بلى تلك صلب الموجز ، وهو على النحو التالى :

، فيما بلى أهم النقاط التى تحدث فيها السادة المجتمعون - مع ملاحظة أن التسجيل غير واضح ، والآتى ما أمكن تجميعه .

( تحدث ) الفريق أول محمد فوزى ( فقال ) :

- إذا تصدق بإعادة فتح النيران فسيادته سينفذ بالطاقة الكاملة الحالية .

إن المعركة القادمة لا يمكن اعتبارها محدودة فقط ، ويجب الأخذ فى الاعتبار أنها قد تؤدى إلى حرب شاملة .

( تحدث ) السيد محمود رياض ( فقال ) :

- إن تحركا سياسيا آخر لا فائدة فيه فقد بلل كل ما يمكن من جهود فى كسب الرأى العام العالمى حتى وصل إلى الذروة المتاحة والذى يتناقض بعد ذلك فى حالة تمديد وقف إطلاق النار ... وأى تحرك سياسى قادم سيكون المقابل له ، ما تمدوا وقف إطلاق النار كمان ، ... وأنه فى حالة فشلنا ( ولقينا بمد وقف إطلاق النار ) فسوف نخسر الرأى العام والجهة الداخلية وكل شيء . والجيش نفسه سوف لا يكون له قيمة .

- واقترح سيادته أن يعطى فى مناسبة ما قبل ه فبراير القادم بأنه لن يتم تمديد وقف إطلاق النار ، وأن الجيش متروك له أن يختار الوقت المناسب من أجل تحرير الأرض .

( تحدث ) السيد على صبرى ( فقال ) :

- ضرورة التجهيز تردع العدو فى حالة استئناف إطلاق النار .

( تحدث ) السيد عبد المحسن أبو النور ( فقال ) :

- لخص الموقف منذ ٣ سنة حتى الآن .. وتساءل فى حالة استئناف النار هل سيكون على شكل استنزاف كالمسابق أم هناك شكل جديد ... وطلب أن يوضع فى الاعتبار ردع العدو .

## الفصل الرابع

### الحرب بين القول والفعل

#### ١

كان الأسبوع الأول من فبراير يقترب ، ومعه الموعد المحدد المعلق فى الهواء كسيف خرج من غمده وارتفع ، وهو يوم ٦ فبراير ، موعد انتهاء الأجل المحدد لوقف إطلاق النار . وكان هناك فى مصر طرفان لكل منهما قول فى الأمر :

● قول يذهب إلى أنه لا مفر من كسر وقف إطلاق النار فى الموعد المرتقب ، مهما كان أو يكون .

وكان لأصحاب هذا القول أسبابهم ، وقد نشرحها ونبهة سجلوها بأنفسهم لهذه الأسباب . فقد عتقوا اجتماعا حضره السادة « على صبرى » - و « محمود رياض » - والفريق أول « محمد فوزى » - و « عبد المحسن أبو النور » - و « شعراوى جمعة » - و « محمد فائق » - و « سامى شرف » .

ولم يدع الرئيس « السادات » ، إلى اجتماعهم ، ولم يعرف عن تفاصيله شيئا فى وقته .

وتظهر أهم اتجاهات هذا القول فى موجز عن وقائع هذا الاجتماع فى ثلاث صفحات كتبها وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية بخط يده ، وكان نصه كما بلى :(\*)

(\*) صورة من المصنفين الأولى والثانية بمضمر هذا الاجتماع بخط يد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٧٣) - على صفحة ٧٦١ من الكتاب .



ومن الإنصاف أن يقال إن بعضهم وجدها هرطقة لا يمكن قبولها ، وربما أن البعض الآخر كان قد أعد ترتيب أوراقه ، وصف تحالفاته ، والاستعداد للمواجهة المؤجلة .

وكانت تحت أيديهم محاولته مع « كمال أدهم » - وقد عرف موقفهم منها .

وأضيف إليها تقارير تفريخ أشرطة الأحاديث مع « دونالد بيرجيس » و « بوجين ترون » - ولم يكن يعرف شيئا عنها .

والآن جاءت مبادرته ، وقد أضافت إلى الشبهات ما يرقى بها إلى درجة القرائن .

وكان المازق أن الذين راخوا يعدون له قائمة الاتهامات ، لم يكن لديهم - كما تظهر تسجيلات اجتماعهم نفسها - بديل يقدمونه له وللبلد إلا تصورات غائمة ، ولا زيادة في الاعتماد على الاتحاد السوفيتي في وقت لم يكن فيه الاتحاد السوفيتي جاهزا لأي مسؤولية إضافية ، وإلا حوائط جديدة من العزلة في مناخ شعبي كان يتشوق إلى نافذة مفتوحة تدخل منها نسمة هواء نقى .

وعلى أي حال فإن الرئيس « السادات » يومها تمسك بموقفه قدر المستطاع ، وقال ما أراد أن يقوله في معظه .



وفي يوم ٨ فبراير أعلن السفير « جونا بارنج » صيغة تقدم بها إلى الطرفين ، وكان تقديره - بتشجيع من الدول الكبرى - أن المواقفة عليها تفتح الباب لتسوية شاملة . وكانت صيغة « بارنج » كما يلي :

١ - إعلان من إسرائيل - بالتزامها الانسحاب إلى حدود مصر الدولية ومن غزة ليعود الوضع إلى ما كان عليه قبل حرب يونيو ١٩٦٧ .

٢ - تعهد من مصر - بتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل يتم فيه النص على إنهاء حالة الحرب ، والاعتراف بحقوقها في الوجود ، والاعتراف بحق كل دولة في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، والعمل على منع أي أعمال عنوانية من أراضي كل دولة ضد الأخرى ، وعدم تدخل أي طرف في الشؤون الداخلية للطرف الآخر ، وضمان حرية الملاحة في مضيق « تيران » ، بناء على ترتيبات خاصة بالنسبة لشرم الشيخ .

وفي ظرف أربع وعشرين ساعة أعلن السيد « محمود رياض » - وبعد مداوات شارك فيها كل الذين اعترضوا على خطاب الرئيس في مجلس الأمة - عن قبول مصر لصيغة « بارنج » .

وبالمر وزير الخارجية الأمريكي « ويليام روجرز » إلى اعتبار مبادرة الرئيس « السادات » - مصافا إليها رد السيد « محمود رياض » على « بارنج » - خطوط إيجابية . وتحرك « روجرز » بسرعة يحاول إقناع إسرائيل بأن تتروى قبل أن تبدي فيها رأيا ، وأن تلاحظ أن كلمة « اتفاق

... تم . - ترد لأول مرة في ورقة مقبولة من مصر ، وكان الكلام كله قبل ذلك عن « ترتيبات



ويستمر على النظر أنه في يوم ٤ مارس الذي حل فيه أجل الثلاثين يوما التي وردت في خطاب الرئيس « السادات » ( ٤ فبراير ) والتي وعد بالامتناع طوعا عن إطلاق النار - أحست الولايات المتحدة أن هناك من يقترح من طوبول الحرب إستعدادا لدورها . وهكذا طلب المستر « دونالد هيس » القائم على رعاية المصالح الأمريكية في مصر موعدا مع السيد « سامي شرف » وزير دفاعه لشنون رئاسة الجمهورية ، وتوجه إلى مقابله في نفس اليوم فعلا - في الوقت الذي أصدر فيه السكرتير العام للأمم المتحدة نداء إلى كل الأطراف بتأشدها ضبط النفس .

وكتب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية منكرة من خمس صفحات عن المقابلة (\*) ، قسم ما دار فيها إلى ١٤ نقطة جاء فيها على لسان « دونالد بيرجيس » قوله :

● إننا شخصنا رديك على بارنج بأنه إيجابي . ونحن لا نتخذ أن الرد الإسرائيلي إيجابيا .

● ونحن ننوى مواصلة جهودنا لتحقيق تسوية سلمية عن طريق مواصلة حوارنا مع الإسرائيليين .

● نريكم أن تعرفوا أن هذا سوف يستغرق وقتا ، ومن المهم أن ج.م.ع. (١) لا تغفل شيئا يستطيع الطرف الآخر اعتباره استغرابا .

وإن رديكم على بارنج - ولا بد أن تدرؤوا هذا - قد خلق انطباعا عالميا متنازلا ، ونظن أن ج.م.ع. لو قامت بعمل استغرابي أو عبرت عن عدم رغبتها في الالتزام بنداء من السكرتير العام بضبط النفس فإن هذا سوف يضر بقصد .

● لا يزال رأينا أنه إذا كان هناك تقدم يمكن إحراره لتسوية سلمية فيجب أن يجري هذا كنتيجة لعمل بارنج بالاتصال مع الأطراف .

● إن حكومتكم سوف تتذكر أننا أعربنا عن تحفظاتنا تجاه تحديد الثلاثين يوما للامتناع عن وقف إطلاق النار - وقد تعتقدون أن هذه التوقيعات مهمة لأنها تضع ضغطا علينا والعكس هو الذي يحدث .

● نحن نأمل أنه في الاستجابة لنداء السكرتير العام والقوى الأربعة الكبرى أن ج.م.ع. سوف تستجيب بطريقة ودية وتعد وقف إطلاق النار بدون توقيت محدد .

● نريكم أيضا أن تعرفوا أنه سوف يأخذ وقتا للقيادة الإسرائيلية والشعب الإسرائيلي

(١) صورة الصلعة الأولى من هذا التقرير بخط يد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية موجودة في ملحق صور الوثائق لغد رقم (٢٤) - على صلعة ٧١٣ من الكتاب .

(٢) مختصر لاسم . الجمهورية العربية المتحدة . ( مصر ) .

ليظهروا تماما معنى وقية موقف ع.ع.م. - فالإسرائيليين مازالوا تحت صمة الر الإيجابي ولا يدركون بعد معناه .

- هذا سيأخذ وقتا ، ولكن خلال هذا الوقت أتمنى أن تكونوا أنه طالما كانت مقرراتكم البناء قائمة - كما أنه ليس هناك رد إيجابي من الطرف الآخر ، فأنتم في الموقف الأولي لا يجب أن تشكوا في موقفنا بالنسبة لمضمون التسوية ، ونحن لا نريد إصدار لاداء ديستوبوسكية أو تونستوية ، وهذا سهل ، ولكننا نريد تحقيق نتائج .

وإننا نتمنى أمامكم بمسؤولية وسوف نفى بهذه المسؤولية ، وليس من الضروري أن نعطي بيانات خطابية وإنما نريد أن يتحقق نتائج لجهودنا ، والنتائج الذي نريدها ، التسحاب إسرائيل من كل الأراضي المصرية إلى الحدود الدولية وفقا لما جاء في مقررات بارانتج<sup>(١)</sup> .



وألبح الرئيس « أنور السادات ، بقوى هذه الرسالة - واعتبرها دليلا على نجاح مبادرته . وأكسبه ذلك ثقة بالنفس ، كما اعتبره دليلا على نجاح سياسته كفيل بإقناع الآخرين جيبا بأن يتفكروا له الفرصة لتجربة تصوراته عن إمكانيات الحل السلمي .

لكن ذلك الحال لم يدم طويلا ، لأن الصراع كان على السلطة ، ثم جاءت قضية الحرب والسلام وتربعيت وسط ساحة هذا الصراع . والذي حدث أن القضية أعيد طرحها من جديد منصفة بمجموعة من الاعتبارات ، وكانت في معظمها اعتبارات صحيحة ، وربما كان البعض مقتنعا بها بدوافع وطنية - لكن الموقف كان أكبر من مشاعر الوطنية ، فقد كان موقفا له - إلى جانب المشاعر - حقايقه السياسية والعسكرية .

وهكذا فإنه ما كاد شهر مارس ١٩٧١ يقترب من نهايته حتى بدأ الإلحاح مرة أخرى في موضوع كسر وقف إطلاق النار . وانعقد اجتماع لمجلس الأمن القومي يوم ٢٦ مارس ، ودارت فيه مناقشات واسعة .

مناقشات حول ما يفرضه الالتزام الوطني ، وحول ما تقتضيه الكرامة المصرية والعربية ، وحول سلامة النظام نفسه إذا بدأ تقاعسه عن مطلب تحرير الأرض ، مضافا إلى ذلك خطر أن تترد حرارة الأزمة بتأثير استمرار الهدوء على جبهة القتال .

وفيما بدأ من مسار الاجتماع فإن الرئيس « أنور السادات » وجد نفسه ضمن أقلية يمكن أن توصف بـ « الانهزامية » ، وقرر أن يجارى ، والنتيجة أن الاجتماع انتهى إلى قرار بكسر وقف

(١) الخط نعت هذه الجملة الأخيرة للتأكيد رسمه كاتب المذكرة وهو السيد ، سامى شرف ، وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت .

إطلاق النار في الأسبوع الأخير من شهر ابريل ، والبدء في عمليات عسكرية على طول الجبهة استعمال كل الوسائل ، المتاحة حاليا ، على حد تعبير الفريق أول ، محمد فوزى ، .

ورجد الرئيس « أنور السادات » نفسه في حالة حصار - كان تعبيره عنها بقوله ، إنهم حاولون تكتيفي باليدون والرجلين ، .

ولم يكن على استعداد لقبول السلاسل أو الحبال - وراح يتلفت حوله باحثا عن مخرج أو مهرب .



كانت حالة الحصار المحيطة بالرئيس « أنور السادات » وقها أكثر استحكما من مجرد مواجهة قرار بالحرب في وقت لم تتوافر له إمكانياته سياسيا وعسكريا ، وحتى نفسيا . فقد كان الصراع على السلطة يكاد يتحول إلى فتنة تلوح أشباحها في اجتماعات التنظيم السياسى ، وفي مجلس الأمة ، بل وفي مجلس الوزراء .

وكان « أنور السادات » قد راح يتحسب لموقف حسم قد يصطدم به في أى وقت من الآن ، وكان هاجسه هو : القوات المسلحة ، وماذا يكون موقفها في حالة انطلاق المدافع أو حالة سكوتها ! وساء يوم ٣٠ مارس دعا الرئيس « أنور السادات » - « محمد حسنين هيكل » إلى مقابلته في بيته بالجيزة ، وقد وجده « هيكل » جالسا في ركن من الحديقة أقيم عليه كشك صغير من الخشب ، وقد ردد أمامه كلبان ضخمان من كلاب الـ « وولف » ، من النوع الذى يطلق عليه « Black Jackel » بسبب سواد لون فروة الظهر . وحين همهم الكلبان لاقتراب زائرهم ، راح « أنور السادات » يربت على ظهرهما مطمئنا ، وقد بدا أنه مشغول بالخطر والبال .

وراح الرئيس « السادات » يتحدث عما جرى في اجتماع مجلس الأمن القومي ، ثم وصل في النهاية إلى هواجسه بشأن موقف القوات المسلحة وعرض له بصراحة كاملة . وطرح « محمد حسنين هيكل » رأيه ، ومؤاده :

- ١ - أنه قد يكون من المستحسن تطويق الفتنة بالحكمة ، وتهئية المشاعر وطمأننة القواطر ، لأن البلد لا يتحمل في ظروفه الراهنة صراعات سلطة عنيفة - وأن واجبه أن يحاول ولا يترك عن المحاولة - فإذا نجحت محاولته فهذا أفضل - وإذا لم تنجح فالشرعية في جانبه .
- ٢ - أنه ليس للرئيس - أغلب الظن - ما يخشاه من جانب الجيش ، فهذا الجيش أحد نفسه لهمة معينة ، ولن يقبل أن يذبح به في صراع داخلي خاصة وأن الصورة كلها معروفة خصوصا على مستوى القيادات .
- ٣ - أنه عندما يعرف موضوع الإشكال بينه وبين الآخرين ، وهو لابد معروف إذا استحكم الخلاف ، فإن القوات المسلحة التى تعاضل الحقيقة ، سوف تكون فاهمة لموقفه ومكدره ، وبالتالي فلن يسهل على أحد أن يلعب المشاعر والخواطر ، لأن الجميع يدرك أن الوطنية والشجاعة معا في

حاجة إلى ما هو أكثر من الشعارات ماداموا قد رأوا بعينهم أن القيادة المحاذرة والمخاطبة تلك الإرادة القادرة على التحضير والتنفيذ .

٤ - أنه من باب الاطمئنان فأنه من الواجب عليه أن يتحدث في الموضوع صراحة مع الفريق « الليثي » ناصف ، قائد الحرس الجمهوري ، فهذا الحرس لديه كتيبتان من الدبابات ، وهو يستطيع إذا تم بجوانب الموقف أن يحصى رئيس الدولة ، ويجعل أي تكبير في التعرض له بالقوة - عنده مكلفة .

٥ - أنه من باب الزيادة في الاطمئنان ، فإنه من الضروري له أن يتحدث في الموضوع صراحة مع الفريق ، محمد أحمد صافي ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، تلك أن ، صافي ، عارف بالأحوال ، ولن يخل بالقدام الجيش فيما لا دخل له فيه . وفي كل الظروف فإن وزير العربية لا يستطيع تحريك لواء واحد بدون أمر يصدره رئيس أركان الحرب .

٦ - أنه في مطلق الأحوال فإن البلد من حقه أن يلغز وينتهي من هذا النوع من صراعات القوى الخفية ، وأن يتجه قدر الإمكان إلى مجتمع مفتوح تتحقق فيه سيادة القانون فوق مراكز القوة ، وليست تلك منه أو منحه ، فقد أصبحت القوى الاجتماعية التي ولتها الثورة أكبر من كل السلطات التي تحاول تنظيم حركتها أو احتواؤها ، وهذا أمر تحدث فيه ، جمال عبد الناصر ، نفسه ، واقتنع الرئيس « السادات » بهذا المنطق ، وقد بدأ - من باب الاحتياط - بما هو حال وعاجل ، ورأى أن يتصل هو مباشرة بقائد الحرس ، وكانت صلته به حتى هذه اللحظة عن طريق وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية .

وأما فيما يتعلق بالفريق « صديق » فإن الرئيس « السادات » طلب إلى « محمد حسنين هيكل » أن يقوم بالاتصال به باعتبار صلات ود بين الاثنين سابقة ، ذلك أنه يخشى لو استدعاه أن تظهر نواياه ، في حين أن لقاءه مع الفريق « الليثي » ناصف ، سوف يبدو طبيعياً في إطار العلاقة بين رئيس الجمهورية وقائد الحرس الجمهوري .

وفي ظرف عدة أيام كان الرئيس « السادات » قد قابل الفريق « الليثي » ناصف ، الذي أئيب « رجولته » - على حد وصف الرئيس « السادات » - فقد قال له « إنه كجندى ملتزم سوف يقوم بواجبه مع الشرعية الدستورية ، ولئن كان يرجو من الرئيس أن يبذل كل جهده حتى لا تصل الأمور إلى درجة الصدام بينه وبين « الجماعة » . »

وكان موقف الفريق « صديق » قريباً من ذلك ، فقد كان يعرف حقيقة ما دار في اجتماع مجلس الأمن القومي ، وكان اتفاقاً أن أي عمل عسكري في هذه اللحظة سوف يؤدي إلى كارثة أسوأ من سنة ١٩٦٧ . وقد أراحه كثيراً أن يعرف أن الرئيس « السادات » وافق على قرار العرب « القورية » في مجلس الأمن القومي مضطراً - لكنه ( الرئيس ) في خاتمة المطاف أن يسمح لقرار يراه غير مسئول - بأن يجد طريقه إلى التنفيذ .

وكان السؤال الذي يلح على الفريق « صديق » هو : « ولكن كيف يمكن للرئيس أن يبذل عن موافقته على قرار الحرب وقد اتخذ بأغلبية ساحقة في اجتماع مجلس الأمن القومي ؟ »

كان الرئيس « أنور السادات » مناوراً بارعاً ، وكانت مهاراته السياسية تتفوق على نفسها حين تكون الحركة بالمناورة ، وفي المأزق الصعب الذي كان ينتظره على أول منحنى من الطريق في أواخر أبريل ١٩٧١ - توصل إلى خطة شديدة البراعة والكفاءة ، وكان هو يبين صاحبها « مبدعها » !

تذكر الرئيس « السادات » أن اتفاقاً من حيث المبدأ لإقامة وحدة ثلاثية بين مصر وليبيا وسوريا - نوقش وأعد له مشروع شبه نهائي في شهر يونيو سنة ١٩٧٠ ، وبحضور واشتركا « جمال عبد الناصر » ، حين كان يزور طرابلس - للمرة الأولى والأخيرة في حياته - ليحضر احتفالات الجلاء الأمريكي عن قاعدة « هوبس » .

وأثناء الزيارة ، وفي غمار الحماسة المتدفقة ، جرى حديث القوة العربية - واستدعى حديث القوة حديث الوحدة ، وهو حديث أثير لدى العقيد « معمر القذافي » ، الذي أعلن في مؤتمر شعبي أمام « جمال عبد الناصر » يوم ٢٢ يونيو ١٩٧٠ - « إن الوحدة العربية لم تعد مطلباً عاطفياً فحسب ، بل أصبحت ضرورة لقهر العدوان وتحريير فلسطين » .

وطرح العقيد « القذافي » فكرته على بساط البحث جدياً ، واقترح « جمال عبد الناصر » الانتظار حتى تنتهي الاحتفالات ومن ثم يعود الجمع بحديث الوحدة إلى بنغازي لمناقشتها جدياً هناك . وفي بنغازي كانت التصورات المبدئية أن تضم الوحدة كلا من مصر وسوريا وليبيا والسودان .

ولم يكن اللواء « جعفر نميري » رئيس السودان مستعداً لفكرة الوحدة ، واقتصرت مناقشة الموضوع على التول الثلاث المستعدة لمناقشته .

وكان « جمال عبد الناصر » - لأسباب متعددة - على استعداد لأن يقبل نوعاً من الإطار الودعوى . وبالفعل جرى إعداد الخطوط العريضة لمشروع طرح للدراسة والمناقشة ... ثم رحل « جمال عبد الناصر » عن الدنيا فجأة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .



حدث بعد ذلك في شهر نوفمبر ١٩٧٠ - وفي جو الوحدة والفراغ والإيجاب بعد رحيل « جمال عبد الناصر » - أن أعاد العقيد « القذافي » طرح الموضوع أثناء اجتماع مصري - سوداني - ليبي جرى عنده كمظاهرة تأييد لمصر وللرئيس « السادات » .

وكان الرئيس « جعفر نميري » لا يزال على رأيه كما جرى التعبير عنه من قبل - ثم إن الرئيس « حافظ الأسد » زادت حماسه للفكرة ولتنفيذها بسرعة ، وكانت له في ذلك أسباب شرعها ، بينها :

- أن اليأس والإجباط الذي أصاب الجماهير العربية باختفاء جمال عبد الناصر ، يتركز إعادة الأمل إليه بخطوة وحدوية .

- أن دور جمال عبد الناصر ، لا يملؤه رجل واحد ، وإنما يجب أن تتكاتف شعوب كل بلد لسد الثغرة وملء الفراغ .

- أن إقامة دولة الوحدة يحمل نوعاً من التكريم له ، جمال عبد الناصر ، وذلك بتحقيق شروط شارك هو بنفسه في وضع إطاره المبدئي .

وتشعبت الأحاديث ، وانفقت واختلفت ، وتأجل البحث إلى اجتماع قائم بين الثلاثة : السادات ، و الأسد ، و القذافي .



وفجأة وفي أواخر مارس ١٩٧١ - وبينما الرئيس « السادات » يواجه مأزق قرار الحرب ( في الأسبوع الأخير من أبريل طبقاً لما تقرر في مجلس الأمن القومي المصري ) - تنكر شرار الوحدة وإطارها الذي سبق وضعه ، وإذا هو بعيد الاتصال بالرئيس ، حافظ الأسد ، والفيلسوف القذافي ، ثم يتفق على اجتماع في طرابلس يوم ١٦ أبريل ١٩٧١ . ومع فجر يوم ١٧ أبريل - الساعة الثانية صباحاً - وقع الثلاثة ما أسموه « اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة » - زيد أن وقعوا قرأ الثلاثة الفاتحة دعاءً لنجاح الاتحاد ، وترحموا على « القائد الخالد جمال عبد الناصر » .

وجه الرئيس « أنور السادات » خطاباً إلى الأمة وهو مازال يعد في طرابلس قال فيه :

« إن إعلان قيام دولة الوحدة الكبرى خطوة عظيمة على طريق الوحدة ، وتدعيم للوئام خوض صراع المصير ، وتكريم للشهداء والأبطال الذين خاضوا معاركنا على مر التاريخ ، لم يتحقق لأهل كبير عمل من أجله واستشهد في سبيله بطل من أبطال هذه الأمة ، وهو جمال عبد الناصر » .

وعاد إلى القاهرة ومعه نصوص الاتفاق ، ومعه أيضاً الترتيبات الضرورية لتنفيذه .

وكانت في انتظاره عاصفة .



كان الرئيس « السادات » ينتظر العاصفة وقد توقعها ، وليس من المبالغة القول إنه كان على استعداد لأن يرحب بها ، وقد ساعدته على ذلك الظروف .

كان سبب العاصفة أن الذين كانت في يدهم مفاتيح القوة والسلطة في مصر أمروا أن يعلن قيام الوحدة وإجراء استفتاء شعبي عليها في مصر - كما في سوريا ولبنان في شهر سبتمبر المنفل -

- سوف تسبقه وتلحقه عملية انتخابات للتنظيم السياسي لمجلس الأمة على أساس أن دولة جديدة سوف نعمل ويصنع دستور جديد ومؤسسات جديدة .

ومعنى ذلك أن قواعد القوة والسلطة ، على الأقل في الجانب السياسي منها ، أي التنظيم السياسي والمجلس النيابي ، قد تطرأ عليها تغييرات نفس الموازين الراهنة ، وكلها في صالحهم . الآن ، والرئيس الجديد يتقدم ويتكلم أكثر بعد سبعة شهور في القصر الجمهوري - فلن حبل الأمور قد بليت .

وجرت مناقشات في اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ، وجرت محاولات لإرغامه على التراجع بقوة قواعد القوة والسلطة السياسية ، ولم يكن على استعداد للتراجع .

ومع أن القلق استبد بالرئيس « السادات » ، في بعض الأيام - إلا أنه كان يعرف أنها معركةه الكبرى ، يصعد بعدها إلى القمة بغير منازع ، أو ينزل ويختفي مع التسيان .

وفي اليوم الذي بلغت فيه العاصفة ذروتها ، غادر اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي وتوجه إلى بيته ، وليتها كان مأخوذاً بتوتر الموقف إلى درجة أنه لم يكن قادراً على مجرد الكلام !

لكنه في اليوم التالي تمالك أعصابه ، وكان المعسكر الآخر قد لجأ إلى المدفعية الثقيلة ، وهي القوات المسلحة والتلويح بها .

وقدم إليه وزير شئون رئاسة الجمهورية منكرة عطاها بخطاب مختصر بخط اليد ، جاء فيه بالحرف :

« السيد الرئيس  
احترامى  
أشرف بأن أرفق طيه تقرير رأى عام من القوات المسلحة برعاء التفضل بالنظر  
مع فائق احترامى .

سامى شرف  
١٧١/٤/٧٠

ثم توجه في الصفحات التالية نصوص التقرير على النحو التالي :

« تقرير رأى عام  
قوات مسلحة

( ١ ) تساؤل عام عن الحكمة في إعلان الاتحاد في المرحلة الحالية التي تتجاوزها بلادنا .  
( ٢ ) كيف يؤتمن البحث السوري الذي تسبب في الانفصال وهدم الوحدة الأولى ، وأفضل الوحدة الثلاثية مع العراق سنة ١٩٦٣ .

- (٣) سوريا مرتبطة بمخطط أمريكي يهدف إلى جرننا إلى معركة ونكسة أخرى .
- (٤) إن الرئيس القذافي صغير السن ويقتصر إلى الحكمة والخبرة . وقد برزت على نغمة مستقبلا جرننا إلى مشاكل داخلية وخارجية . وبالتالي إفشال الاتحاد .
- (٥) الإعجاب بموقف الرئيس نميري في تفضيله علاج أوضاع السودان الداخلية والخارجية يتلقى مع مصالح السودان أو لا قبل الانضمام إلى الاتحاد .
- (٦) هذه العملية فيها تحويل لاهتمامات الجماهير بما فيها القوات المسلحة إلى مواضيع غير المعركة .
- (٧) الانطباع العام أنه ليست هناك معركة قبل ٧١/١ .
- (٨) التطبيق على تاريخ ١٧ نيسان والفتاح من سبتمبر بما يمس هبة مصر . لأن هذه التاريخ لا تعتبر عن النطق المصري لها .
- (٩) ما تأثير هذه العملية على السودان وهو عام جدا لمصر .
- (١٠) واضح الشكل السوري على الأحكام ، وأن مصر لم تأخذ النطق الكافي في الوراثة .
- (١١) ليبيا ليس فيها قوات مسلحة .
- (١٢) خسارة السودان استراتيجيا .
- (١٣) كيف سينتجم العدو معني الاتحاد . وما تأثير الاتحاد على سيناء .
- (١٤) القيادة العسكرية ليست ظاهرة في الإعلان .
- (١٥) المظهر يراق والجوهر سيء .
- (١٦) نقل القوات .
- (١٧) إذا صدر قرار بالأغلبية سننفذ ، وما تأثير ذلك على توزيع قواتنا في إطار الدولة .
- (١٨) مصر هي التي تتحمل العبء كله .
- (١٩) لا ثقة إطلاقا في حزب البعث .
- (٢٠) ما جابوش ليه حق الهجرة ؟ ماذا استفادت مصر ؟
- (٢١) تساوى الأصوات ظلم على مصر .
- (٢٢) لمن ولاء القوات المسلحة ؟
- (٢٣) يفضل الاتفاق بعد المعركة .
- (٢٤) أصبحنا دولة تابعة ( الأغلبية في القرارات ) .
- (٢٥) سينتشر حماس القوات المسلحة .
- (٢٦) كثافتنا حانتعب من كثرة الشبهة .
- (٢٧) الدولة الاتحادية هي الإدارة الرئيسية للتحرير وإحنا وقمنا خلاص ، فالتحرير لن ينال إلا بد الاتحاد .
- (٢٨) ستحصل إسرائيل على حس هذا الاتحاد على أسلحة جديدة ونبقى لا ظلنا حل عسكري ولا حل سلمي .
- (٢٩) تطبيقا على المادة ١٣ .
- (٣٠) إذا يتم اتحاد بين دول متشككة في بعضها .
- (٣١) مصر أصبحت الآن ملتزمة بالدفاع عن البعث السوري ضد الشعب السوري .
- (٣٢) ليبيا والاتحاد السوفيتي .
- (٣٣) هذه الاتفاقية خداع استراتيجي .
- (٣٤) احتمالات تكتل عربي رجعي وسحب المعونة السعودية .
- (٣٥) سوريا تريد تدمير م.ع.م . ولأن تحارب معنا .

- (٣٤) سوف تتحمل مصر الخسارة وليس المكسب .
- (٣٥) لا مكاسب من هذه العملية في عالم يحسب كل شيء الآن بالمانيات .
- (٣٦) بصفة عامة الموقف يعتبر سلبى في مجموعه .
- كان ، تقرير الرأى العام من القوات المسلحة - ، شبه إنذار أولى بقتال النخاع والغاز المسيل للدموع ، ولكن الرئيس ، أنور السادات ، الذى كان واقفا من تأكيدات قائد الحرس الجمهورى الفريق ، الذى ناصف ، ، ووفقا أيضا من الاتصالات مع رئيس هيئة أركان الحرب الفريق ، محمد أحمد صادق ، - تلقى شبه الإنذار فى هدوء . وقد كتب على غلاف التقرير بخط يده تأشيرة طالت حتى أنه استكمل نهايتها فى أعلى الصفحة وفوق بدايتها ، ورسم سهما يقود من البداية إلى النهاية . كانت تأشيرته ، وأهمية نصها أنها كانت انعكاسا لثقته المتزايدة بنفسه ، بقول بالحرف :(\*)
- لا بد من حملة نوعية فورا تعتمد على :
- ١ - سوريا الجبهة الشمالية وفيها الطيران والردع .
- ٢ - هجمة الرجعية العربية فى المنطقة بقيادة الملك حسين المؤيد بسلاح أمريكا .
- ٣ - تأمر العراق والأردن والسعودية على سوريا كخطوة نحونا .
- ٤ - نظرية فكى الكماشة : سوريا ومصر لنين جوريون - حتى ولو لم يحارب السوريون (٥ فرق) خيال مائة .
- ٥ - الأمد موقوف به وليس كبقية البعث .
- ٦ - المستور سيأتى فيه الرد على كل شيء .
- ٧ - الإعلان الآن ضربة سياسية بعد أن ظنت إسرائيل أنها قد جمعت الوضع السياسى وتستعد لتشكيله .
- ٨ - لا يجب نكر شيء عن الهجرة ، ويجب أن لا يكون منطقنا هو السيطرة والتعالى .
- فى هذه الحدود
- أنور ،
- كانت ثقته بالنفس فى محلها . وفى كل الأحوال فقد كان أول من يعرف أنه ليست هناك وحدة على الأفق القريب أو البعيد ، وأن هدفه الحقيقى هو الالتفاف من حول الذين كانوا يحاولون تكديف يديه ورجليه ، ومحاصرته بمؤسسات سياسية ودستورية لا فاعلية لها إلا بمقدار ما توفره من غطاء لحقائق القوة والسلطة .
- (\*) صورة لتصلية تقديم التقرير عن الرأى العام فى القوات المسلحة إزاء مشروع الوحدة ، وقد وقعه وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية . وقب الرئيس ، السادات ، بخط يده تأشيرته الواقعة عليها - وفى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٥) - على صفحة ٧٦٤ من الكتاب .



٧ - أنه حتى في حالة توصل جهود وزارة الخارجية إلى تسوية ، فمن المشكوك فيه أن يستطيع السادات ، توقيع اتفاق وتنفيذ ، فهو ، بهلوان سياسى ، (نص تصوير ، كيسنجر ، فى ذلك الوقت) .

٨ - أنه وهذا مجمل الأحوال - فإن السياسة الأسلم هي ترك العرب يغرقون فى مشاكلهم ، وتلبية إسرائيل بحيث تقرر بتفوقها عليهم أن ترغمهم على التوصل إلى الولايات المتحدة بطلب حل . وفى هذه الحالة فإن واشنطن تستطيع فرض سلامها فى منطقة حيوية بالنسبة لها .



وكان « نيكسون » مستعدا للاقتناع بوجهات نظر مستشاره للأمن القومى ، ولكن « روجرز » أبلغ عليه أن يعطيه فرصة التجربة والاختبار ، لأن اقتراح الرئيس « السادات » يوم ٤ فبراير السابق لا يزال قائما . وإذا أمكن التوصل إلى تسوية مرحلية للأزمة ( على أساس انسحاب جزئى ، فتح قناة السويس ، والتفاوض لجول زمنى لإتمام الانسحاب ) - فإن الرئيس « نيكسون » يكون قد حقق شيئا كبيرا فى مجال السياسة الخارجية بحسب له ، كما أنه يستطيع أن يأخذ معه إلى موسكو واجتماع القمة بينه وبين « بريجنيف » - كورقة فى صالحه باعتبارها نجاحا حققته السياسة الأمريكية فى قلب منطقة يعتبرها الاتحاد السوفيتى بؤرة حساسة بالنسبة له .

كان « نيكسون » صديقا قديما لـ « روجرز » - وهو ينكر له بالفضل دائما موقفه منه فى ساعات محنته وبعد سقوطه أمام « كيندى » - فقد أحسن « روجرز » استقباله فى نيويورك وفتح له أبواب بيته ، ومهد له مع الصحافة الأمريكية وفى مقدمتها جريدة « واشنطن بوست » التى كان « روجرز » محاميا الرئيسى .

وفى نفس الوقت ، فقد بدأ « نيكسون » يشك فى أن « كيسنجر » يقوم بحملة علاقات عامة لنفسه بحيث يصور للجميع أنه قيصر السياسة الخارجية الأمريكية فى عهد « نيكسون » ، وربما معنى « نيكسون » لو أنه استطاع أن يحقق انتصارا فى السياسة الخارجية بعيدا عن قيصر إدارته ! وهكذا أعلن فى واشنطن أن وزير الخارجية « ويليام روجرز » سوف يقوم بنفسه بزيارة الشرق الأوسط بهدف البحث عن إمكانيات تسوية مرحلية ، أو حل جزئى كما كان يقال أيامها .



ومن المفارقات أنه بينما كان الإعلان عن زيارة « روجرز » إلى المنطقة يتم فى واشنطن ، كان الرئيس « السادات » يستقل زائرا دق باب بيته بعد منتصف الليل يحمل إليه تسجيلات ما يجرى فى بيته وفى مكتبه . وكانت الأمور تتطور إلى مواجهة حاسمة بين الرئيس الجديد - والذى لم يعد جديدا بعد سبعة شهور فى القصر الجمهورى - وبين مجموعة القوة والسلطة المحيطة به والممسكة بكل المفاتيح . وكانت المعركة التى عرفت فيما بعد بـ « مؤامرة مراكز القوى » على وشك أن تدخل مرحلتها الحاسمة .

لم يكن الرئيس « أنور السادات » يعرف وهو يكتب فى البند السابع من تأثيره، أن إسرائيل جمدت الوضع السياسى وتستعد لتشكيله ، - إنه قد اقترب من الحقيقة بأكثر مما تصور.

ففى تلك الأيام بالتحديد كان الصراع على عقل وقلب « ريتشارد نيكسون » قد بلغ ذروته « ويليام روجرز » وزير الخارجية ، و« هنرى كيسنجر » مستشار الرئيس للأمن القومى ، تركز الخلاف بالدرجة الأولى على الشرق الأوسط وأزمته ، فقد بدأ « كيسنجر » يلعب ضابط (٣) ١٩٧٠ على ضرورة الاعتماد على إسرائيل كحليف استراتيجى فى المنطقة ، و« كيسنجر » يضع خطوط هذا التحالف فعلا بالتعاون مع « إسحاق رابين » ، وكان يهاجم لإسرائيل فى واشنطن ، وكان من قبلها تلميذا لـ « كيسنجر » فى فصول دراسية الثالثة لاختبارها « هارفارد » . وكانت لـ « كيسنجر » وجهة نظر متكاملة عرضها على الرئيس الأمريكى - مؤداها :

- ١ - أن وزير الخارجية ووزارته ووطن الرئيس فى أزمة لم تتضح بعد للبل.
- ٢ - أنهم يركزون اتصالاتهم على مصر والأوضاع فيها غير مستقرة ، فهم يكادون ينادون على صراع سلطة .
- ٣ - أن معلومات كثيرة تشير إلى أسباب لسوء الفهم تتراكم بين العرب والاتحاد السوفيتى . فالعرب يطالبون باستمرار مزيدا من الأسلحة ، والاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يوافقهم . عدم اطمئنانه للأوضاع ، وبسبب عدم رغبته فى صدام مع الولايات المتحدة .
- ٤ - أن أى تسوية تساعد الولايات المتحدة على تحقيقها لابد أن تقصد إلى تولد عندها :

- تقوية الدور التقليدية فى العالم العربى ( وليس الأنظمة الثورية ) .
- إخراج الاتحاد السوفيتى ( تمهيدا لطرده من منطقة الشرق الأوسط تماما ) .
- ٥ - أن الرئيس « نيكسون » ، قد طلب التمهيد لعقد قمة بينه وبين « بريجنيف » ، و« بريجنيف » ، قد طلب لأسباب داخلية وخارجية ، ومن المنطقى الاحتفاظ بأزمة الشرق الأوسط وبنهار (١٩٧٠) العالمى لها .
- ٦ - أن هناك ترابعا linkage بين الأزمات ، فقد ، نأخذ فى أزمة ونعطى فى أزمة أخرى ، وبالتالي فإنه من المستحسن الاحتفاظ بأزمة الشرق الأوسط ( حيث موقف السوفيت مع ) والمقايضة عليها فى أزمة فيتنام ( حيث موقف الولايات المتحدة حرج ) .

(٣) بعد حوادث خطف الطائرات التى تكررت بواسطة جماعات المقاومة الفلسطينية - وبعد الأزمة بين سوريا والأردن سوريا بإرسال لجانها عبر الحدود الأردنية لمناصرة المقاومة الفلسطينية ثم اضطارها إلى التراجع بعد أن ارتكبت مجاز على التخلل المسلح .

(٤) رجاء مراجعة الجزء الأول من مذكرات « هنرى كيسنجر » بعنوان « سنوات البيت الأبيض » ، وأنها تقر بأن كوانت : : حقيقة من المفاوضات .

وكانت الطلقة الأولى فى المرحلة الخامسة هى أشرطة التسجيل التى جاء بها زائر مايد منتصف الليل وسلمها للرئيس .  
 وكان عجيباً أمر هذه الفترة من سبتمبر ١٩٧٠ إلى مايو ١٩٧١ فى حياة مصر ، قد بدأ الكل منهمكا فى التسجيل بضرورة ويغير ضرورة ، لسبب وطنى أو ليهوى شخصى ، وبلا داع وبلا سبب فى كثير من الأحيان .

## الفصل الخامس

### أجواء الشك !

١

كانت الطلقة الثانية فى المعركة بين الرئيس « أنور السادات » ومجموعة القوة والسلطة المسماة بكل المفاتيح - هى قرار الرئيس بإبعاد السيد « على صبرى » من جميع مناصبه ، وكان من سوء الحظ أن هذا القرار تصادف فى توقيته مع الموعد المقرر لوصول وزير الخارجية الأمريكية « ويليام روجرز » . وبدأ الإجراء - مع صداقة « على صبرى » المعروفة للاتحاد السوفيتى - وكأنه تضحية بكبش فداء على عتبة الباب قبل أن يخطو « روجرز » فوقها !

كان الخلاف بين الرئيس « السادات » والسيد « على صبرى » مستحكماً فى حياة « جمال عبد الناصر » لأسباب طويلة ومعقدة ، وبعد رحيله فإن هذا الخلاف زاد استحكماً ، وإن قضى واقع الحال على كل من طرفيه أن يكتم مشاعره ويدارى .

ومع الأجواء الملبدة فى الشهور الأولى من سنة ١٩٧١ - كان رأى كل واحد منهما فى الآخر سراً ذائعاً على كل لسان !

ولم يكن رأى أى من الرجلين فى الآخر منصفاً ، وإنما كان بينهما خلاف رؤى أضيف إليه صدام مطامح ، وربما كان هناك من استغل مشاعر التنافر بين الاثنين وغذاها بالشكوك .

ولما كان موقف القوات المسلحة - سواء بالنسبة للمعركة مع العدو الخارجى ، أو بالنسبة للصراع بين الأطراف الداخلية - هو عامل الحسم فى الحالين ، فإن مسببات ما تراكم بين الاثنين خلال شهري مارس وأبريل ١٩٧١ - كانت على نحو ما وثيقة الصلة بالقوات المسلحة .

كان ، جمال عبد الناصر ، قد أعطى للسيد ، على صبرى ، رتبة فريق جوى ، وكلفه بمناحه إبعاد سلاح الطيران وسلاح الدفاع الجوى للمعركة ، بما فى ذلك أن يكون ضابط اتصال مع السوفيت ، وبالتحديد فيما يخص احتياجات هذه القوة الصاروخية الحامية التى كانت لوزامها أهم البنى فى الاتفاقيات القائمة والجارية مع الاتحاد السوفيتى .

وفى تلك الأيام - وبعد رحيل ، جمال عبد الناصر ، - كانت النقطة الحرجة فى العلاقات بين البلدين هى إجماع السوفيت عن إرسال القاذفات الكبيرة من طراز ، البوشين ٢٣ ، والتى كانت فى حسابات الجميع سلاح الردع الأساسى الذى يمكن أن يتوافر للقوات الجوية .

فهى قاذفة ثقيلة . بعيدة المدى . وبالتالي فإنها قادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلى ، والبقاء فى أجوائه لفترات طويلة حاملة أضخم ما يمكن من قوة النيران .

وكان التكوّن السوفيتى فى تسليمها مكشوفاً لا يحتاج أكثر من نظرة على مواعيد متلاحقة تقررت للتسليم ، ثم جرى إخلافها بأعذار بدت فى بعض الأحيان متناقضة ، وفى كل الأحوال غير مقنعة .

وسافر ، الفريق الجوى على صبرى ، إلى موسكو ومهمته الرئيسية طائفة الردع ، وعاد دون الحصول عليها ، وقدم إليه السوفيت اقتراحاً غريباً مؤداه : « أن تظل طائرات الردع فى الاتحاد السوفيتى ، وأن تستعمل من هناك عندما نطلب القيادة السياسية المصرية ذلك فى حالة معركة . »

وأحدث هذا الاقتراح ردة فعل غاضبة لدى كبار قادة القوات الجوية ممن سمعوا به ، وكان سلاح الطيران فى ذلك الوقت تحت قيادة اللواء طيار ، على بغدادى .

وكانت حجج الغاضبين منطقية :

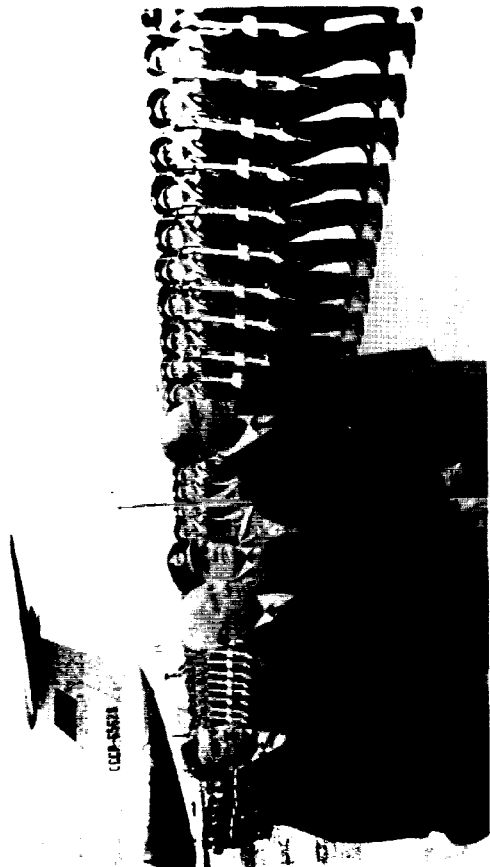
● أن عمليات الردع نجح ، ضمن حركة فعل ورد فعل ، وليس معقولا مع تصاعد درجات القتال أن تعتمد القوات المصرية على سلاح موجود على بعد آلاف الأميال منها .

● وفى حالة الاحتياج إلى الردع ، فإن الاتحاد السوفيتى سوف يعطى نفسه الحق فى مناقشة ضرورات استعماله سياسيا - وهذا مؤكد مادام السلاح فى أراضيه وتحت سيطرته .

● أن قيام طائرات من الاتحاد السوفيتى متوجهة إلى ضرب أهداف فى إسرائيل معناه اشتراك الاتحاد السوفيتى عمليا فى المعارك . وهذا أمر يستحيل على السوفيت قبوله . وإذا حدثت المعجزة وقبلوه ، فإن المعجزة لن تتكرر وتقبله الولايات المتحدة الأمرىكية .

● وإن كان استعمال سلاح الردع سوف يكون خاضعا للتوازنات بين القوتين الأعظم ، وهذا وضع لا يمكن التخطيط على أساسه فى مجرى قتال متحرك بين قوتين إقليميتين .

□



الرئيس السادات عند وصوله إلى مطار موسكو عام ١٩٧١ .

أحسن السوفيت أن هناك لغطا فى القوات المسلحة المصرية ، ويعتبروا برسالة من القيادة السوفيتة إلى الرئيس ، السادات ، تطلب اجتماعا لمشاورة عاجلة .

وهرز الرئيس « السادات » أن يذهب بنفسه إلى موسكو ، وأن يحمل معه غضب قيادة القوات المسلحة ، وعصبه هو أيضا ، ولتوى أن يتحدث بصراحة وإلى درجة القسوة ، فإذا نجح فى الحصول على ما فشل فيه « على صبرى » فهذا خير له وللمعركة - وإذا فشل فهى نريجة أخرى أمام هؤلاء الناس مطالبونه ويضغظرون عليه لاتخاذ قرار بكسر وقف إطلاق النار والمغامرة بمعركة لم تتوافر بعد فى تقديره - ضروراتها .

وسافر الرئيس « السادات » يوم أول مارس إلى موسكو فى زيارة قررها سرية حتى يغاضى الآخر بن النتائج كيما كانت ، وكان يحمل معه أهدافا أخرى غير طائفة الردع ، وأهمها أن يرى القائد السوفيت ، وأن يروه هم أيضا ويتعرفوا عليه فى وضعه ودوره الجديد كرئيس لمصر ، ثم لى بعد صيغة للتعاون معهم ، فإذا نجح استغنى عن دور « على صبرى » .

وعرف السيد « على صبرى » سر الزيارة رغم محاولات إخفائها عنه - ولكن المشكلة وقص على جهة أخرى لم يتحسب لها الرئيس « السادات » ، وهى رئاسة مجلس الوزراء .

فعلى يوم سفر الرئيس « السادات » إلى موسكو طلبه الدكتور « محمود فوزى » تليفونيا لأمره ، وقيل له إنه خارج البيت ، فترك له رسالة ، برجاء سرعة الاتصال به لأمر عاجل .

وحتى اليوم التالي لم يكن رئيس الجمهورية قد اتصل برئيس وزرائه ، ثم علم رئيس الوزراء بمحض مصادفة أن رئيس الجمهورية في موسكو . وكتب الدكتور « محمود فوزي » لوزيرته قائلاً إنه « لا يرضى أن يكون رئيساً للوزراء إذا كان رئيس الجمهورية يغادر بلاده إخطاره » . وجرى محاولات لإقناع الدكتور « فوزي » بأن الموضوع ليس على قدر خطوره . ولم يقبل الدكتور « فوزي » ومنطقه أنه « ليس لرئيس الجمهورية أن يخفى براثنه بوجوده أو بغيابه عن أراضي الدولة على رئيس وزرائه - وإذا لم يكن رئيس الوزراء « يثق لمعرفة السر ، فإن الواجب تجاه المسئوليات العامة يقتضي مجيء رئيس وزراء يتفهم أكبر من الثقة ، أو يتمتع بنوع من الجاد السميك يسمح له بالتفاوض عن الأعراف » .



وقصارى ما أمكن التوصل إليه هو إقناع رئيس الوزراء بأن ينتظر عودة رئيس الوزراء بعد ساعات ، ثم يذهب إلى لقائه ويتحدث إليه في الأمر ، ويقدم له استقالته إذا أصر بغيابه مع الاتفاق معه على كيفية إعلانها حتى لا تحدث هزة سياسية لا ضرورة لها في تلك الفترة.

وعاد الرئيس « السادات » بعد يومين من موسكو<sup>(١)</sup> واتصل بـ « مسدس هيكل » ( بعد الظهور يوم ٣ مارس ) يروي له تفاصيل محادثاته مع القادة السوفيت .

ومن حسن الحظ أن الذين كانت في يدهم مقاييس القوة والسلطة كانوا يضعون ثقلهم المراقبة<sup>(٢)</sup> من وسائل مراقبة الرئيس « أنور السادات » نفسه ، وهكذا فإن نصراً مسجل ضمن عدة ملفات لتسجيلات تليفونه يصل عند صفحاتها إلى ٣٢١٩ صفحة<sup>(٣)</sup>.

كانت نصوص هذا التسجيل بالذات تجري على النحو التالي :

« تقرير عن حديث تليفوني  
مكتب السيد محمد حسنين هيكل  
رقم التليفون ٩١٩٩٩٥  
الساعة ١٤:٢٠ يوم ٧١/٣/٧١ »

الرئيس السادات : أهلاً يا محمد ... أراي الحال ؟  
هيكل : الحمد لله كويس . حمداً لله على السلامة . أنت أخبارك إيه ؟

<sup>(١)</sup> دعاى الرئيس « السادات » لسفر معه في هذه الرحلة ، ووجهه قبول اعتذارى لأسباب بينها أننى لا أريد أن أترك أهله مع « جمال عبد الناصر » ، وقد تكلم كريماً .

<sup>(٢)</sup> لابد أن أعترف بالفضل لهم . ومع أننى كنت أحتفظ في منكرتى بإشارات سريعة إلى الأحاديث التليفونية هذه ، أو الشعور على التسجيلات فيما بعد أعاد رسم الصور أمامى بجميع تفاصيلها .

<sup>(٣)</sup> بعض الصور من تقرير رقابة التليفونات عن محادثة بين الرئيس « أنور السادات » و « محمد حسنين هيكل » بإحدى التليفونات ، تفاصيل زيارته التى عاد منها على عادته من موسكو . وصور هذه الصلحات ذات الأهمية القصوى فى ملحق صور الوثائق تحت رقمى (٢١) و (٢٧) - على صلفى ٧٦٠ ، ٧٦١ من الكتاب .

الرئيس السادات : أنا بقى لى يومين ما قرئت أخبار . أنا من يوم ما مشيت ما خدناش جراب الصبح . وامبارح بالليل جينا متأخر فمشيت فكرة الدنيا فيها إيه .

هيكل : بقى ده كلام ؟

الرئيس السادات : والله .

هيكل : بالطريقة دى بتضحك عليه .

الرئيس السادات : وحياة ربنا يا محمد ما قرئت حاجة خالص .

هيكل : طبيب قل لى أخبارك إيه .

الرئيس السادات : يعنى .. إيه أخبار الدنيا أولاً ؟

هيكل : لا .. إيه الأخبار اللي معاك ؟ الأخبار عندك أنت ( ضحك ) بقى ده مقول ؟

الرئيس السادات : اللي عندى أنا يعنى .

هيكل : آه ... آه .

الرئيس السادات : يعنى أنت عارف الله يرحمه<sup>(\*)</sup> هم كانوا إيه بيخبطوه ويقلقوه قمت أنا رحت ما خلتش لهم -

لعت سنسبل أبوه - وحطيت لهم صورهم بصراحة قدامهم - لكن زى ما أنت عارف هم مش عاوزين يعملوا بروبوكيشن<sup>(\*\*)</sup> للأمريكان أبدا . الطائرة اللي بالصواريخ بيوشقوها

الروس ويعطين عاوزين يخلوا تشينها من موسكو - قلت لهم أمال أنا رئيس البلد أراي -

لما ينضرب المعنى عندى أقوم أنا ما أرفض ؟ - دى حاجة عاوزين تنقل عليها من هنا . طب

بقية الضرب المعنى عندى ثانية ، لكن إذا الضرب المعنى عندى أمثالان موسكو ؟ - قالوا

يعنى تنقل قلت لهم لا - مش عاوزها - لأن طب إيه القايده إذن إذا التوجت عندى إذا الضرب

المعنى عندى يقول لى طبيب إذا انضربت شوية بيوت ولا حاجة يقول لى دا يصل موقف

دولى - قلت له آهه دا بقى أحنأ بقى ما بتتقدش ، قلت له لما الأمريكان أمروا القاتل

لإسرائيل قالوا لها تضربى وما تضربيش ، انتم فين ؟ - يعنى تسع ساعات يا محمد ، ثلاث

ساعات ونصف فى أول يوم وخمس ساعات ونصف فى تالتى يوم ما فى غير الدرج - وصلت

معاهم للدرج .

هيكل : باتهار .

الرئيس السادات : والله يا محمد .

هيكل : وبعدين .

الرئيس السادات : وبعدين خدنا شوية حاجات مش بطالة .

هيكل : الله ... والطيارة ؟!

الرئيس السادات : لا . لأ أصل دى يعنى أنا نظرتى فيها بقى ، يعنى أنا ببص لقدام شوية - أنا مقدرش أسجع

فى البلد عندى هنا بسطقتين يا محمد .

هيكل : لا طبعا تبقى حكاية .

الرئيس السادات : إطلاقاً يعنى .

هيكل : آه ... آه .

الرئيس السادات : دا مبدأ .

<sup>(\*)</sup> يقصد الرئيس الراحل ، جمال عبد الناصر . . .

<sup>(\*\*)</sup> لم يستطع رقيب الاستماع تمييز الكلمة الإنجليزية وهى provocation بمعنى الاستفزاز ، ولا استطاع تحديدها ليكتفيا

بالأحرف العربية على نحو صحيح .

الرئيس السادات : يس أنا يعني واتق أنا ها أصل معالم ترتيبات ويخصص لمستقبل أوع قدامنا  
هــ صـحـيـح : كل

أدى هذا المبدأ - الثلاثة وعشرين(\*) اعتزفوا بيها خلاص موجودة ولكن القهايز  
قلت له ابتعتها لي من غير جهازها ده اللي ناقصها . أنا عايزها زي ما هي للقهايز  
نخلص الجهاز مباشرة وعمر عارف وابه يعني ايه انت عارف برضه عيا لقهايز  
وخطوتين للخلف قلت له أنا طيب بنبتت بقي بيتنا وبين بعض كده للتاريخ كرمين  
انتم تخلووني خطوتين وراء اسرائيل ، وأمريكا بتدي لاسرائيل كل اللي هي عايزها  
انتم هاتصنعوها نفسكم ، والمشكلة مشكلة الوجود السوفيتي عندى فى لحظة لايها  
يعنى مسألة انتم مش قادرين تقدرنا أبعادها ومش قادرين تقدرنا النتاج . أنا بطايف  
عشان لما نبقى نرجع لبعض نبقى نكلم فيها . لكن جنبنا شوية حاجات مش بالقهايز .

هــ حاجات ( تراديشنال )(\*\*) يعنى .

الرئيس السادات : نعم ؟

هــ حاجات ( تراديشنال ) يعنى :

الرئيس السادات : الحاجات التراديشنال .

هــ كل : ما هو أصل التراديشنال مش ها يحل .

الرئيس السادات : مش يعنى فى المرحلة الحاضرة معدهمش أكثر من هذا يعنى .

هــ كل : طيب أمال ليه بقي عايزين conclusions(\*\*\*) على أعلى مستوى .

الرئيس السادات : أه . ما هو ده اللي أنا قلته . قلت له جايينى ليه طيب ما كل الكلام ده لانا يجاز  
طلبات وكان ممكن أن أحنا نبعته . أنا كنت جاي أكلم معاكم على استراتيجيا ليرانيه  
ماتنوش هنا وماتنوش سامعين . لا .. ماخلفش بقي لكن أصل انت مش عايزها  
الروس .

هــ عارفهم . عارفهم .

الرئيس السادات : يعنى المرحلة دى تمهيد للمرحلة الجاية ، للخطوة اللي جاية اللي بيعتق لينا لايها .  
بريجنيف ميل على بعد ما خالصنا بعد أنا ما اشتبعت مع كوسيجين اشتبكت ليرانيه  
مع جريتشكو اشتبكت معاه قلت له أنت أصل لو انضريت لك مدرسة وانضرا لينا  
ما كنتش تكلم الكلام اللي أنت بقوله ، دا كلام مش كلام عسكريين ده قفل بغير شيناي .  
بريجنيف بقي كان ممتاز بامحمد ، ممتاز ، أكثر من ممتاز ، ويعدين ميل على إناقنايز  
بعد ما خالصنا أنا طيبا قلت الموضوع بأن أنا بؤسلفنى أنا غير منكى معاكم لانا بيق  
تمام الاختلاف . بجينى بريجنيف من هنا يجينى من هنا قلت له لا كل منا له لانا بيق  
أحنا أصدقاء وصحاب صحبح ما يكش حاجة وينكر لكم معونتكم وكل حاجة لانا بيق  
معاكم بجينى قلت له ما تتعيش نفسك المناقشة أهى وأحنا موجودين أنا بيقنايز  
هل تخلفنى على قدم المساواة مع العدو بتاعى ولا لا ؟ هو ده اللي أنا بيقنايز لانا  
جاي أكلم . لا بقلوك ابتعت لى دبابه ولا ابتعت لى طائرة ولا ابتعت لى مدفع ولا ابتعت لانا  
اللى بيقتح هكل الأرقام ولا أنا ما بكمش فى تفاصيل ، أنا بكلم فى خط سياسى عيا لانا

(\*) يقصد الطائرة من طراز الـ ٢٣ ، وكان السوفيت يتكثرون دخولها إلى خطوط الانتاج حتى هذا لوك .

(\*\*) traditional بمعنى تقليدية .

(\*\*\*) أخذوا الرقيب الذى قام بتفريغ الشريط ، وكان يجب أن تكون الكلمة consultations ( أى مشاورات )

السياسية قاعدة قدامى تاخذ قرار سياسى . واحنا خارجين ، بريجنيف ، ميل على ، قال لى  
يعنى على مهلك عينا شوية أحنا كل اللي انت عايزه هانبعتوك ما تكشر كل اللي انتم  
عايزينه هانبعتو بلا تحفظ . وميلوا على مراد(\*) برضه واحنا خارجين قالوا له عشان بؤك  
لى الكلام ده ... بتاع بريجنيف نفسه ، يعنى قلت له أنا ما يعنى العملية هم زي ما أنا مقدر  
بالضبط انه ما لم بنخش أحنا المعركة هم مش مستعدين يقسموا أبدا وخالفين بلوقت لاصحن  
يعملوا ( بروبوكيشن )(\*\*) قلت له طيب لما أمريكا أنت القاتنوم دى مش بروبوكيشن لكم  
ما اتحركتوش ليه لما المصنع والمدرسة انضربوا ، مش ده كان مفروض أن الطائرة دى  
تيجى من وقتها وتقطع تحت أمرنا . طيب قلت له بلاش ، من لى أظلم الطيارات بتاهتى  
مع الطائرة بتاعة الصاروخ ، واطلع انت من النص . قال لى تاخذ أربع سنين ، قلت له لا  
ما تخفش أربع سنين . يعنى عمليات أنت عارف يعنى .

هــ كل : ايه ده ؟ دمهم تقيل قوى .

الرئيس السادات : لكن فى النهاية يعنى الواحد كان ممكن يقلب الترابيزة على دماغهم .

هــ كل : لا مليش داعى لا .

الرئيس السادات : ويمكن يعنى تاخذ أحسن ما نستطيع أن أحنا نخده وده اللي أنا كنت حا .. أنا كنت حاطط  
خط دفاع من ثلاث حاجات ، يعنى عامل سياسى على ثلاث نقط رئيسية . السياسة الأولاية  
استراتيجية عامة نرسمها سوا وأدخلهم ونخش فى استراتيجية كبيرة أقوم بالتفاصيل دى كلها  
كلوب سوا بالنسبة للقوات المسلحة أو بالنسبة لقروعا كلها سوا بالنسبة ... دا كله بدوب  
بدوب داخل الاستراتيجية .. الوقفة الثانية بتاعنى كانت انه طيب حظونى على قدم المساواة  
مع اسرائيل وده حتى لأن أنا مفروض أبقي خطوة قدام لأن أنا المعتدى عليه .. ما نفعتش  
دى . كمان كنت مجهز الثالثة اللي هي كل مواقف القوات المسلحة ومتاعب القوات المسلحة  
بما لديها التهاودة من أسلحة وحاجات استكمالات تكمليها الثالثة دى تمت بالفعل نتيجة أن  
أنا ضففت بس .

هــ كل : هل هليوكوبترز جت وحاجات كده؟

الرئيس السادات : كله جاي .

هــ كل : فيه هليوكوبترز ؟

الرئيس السادات : كله جاي .

هــ كل : خلاص .

الرئيس السادات : أه .. لا كله جاي بما فيه الحاجات الرقيقة اللي أتارى ماكنش عندهم فكرة عنها للاسف  
يعنى . يظهر الخبراء بيخافوا بيلغوا ولا ايه ، ودى مستكتم برضه مسحت بيهم البلاط ويلغوا  
يستكتوا فيه بأى شكل ، ويعتوا جابوا التشوهات وأنا قاعد وحاضر ده كذا وأظلم كذا وعددها  
كذا ودى كذا وآلات التنشين كذا وآلات البتاع كذا يعنى ما خلوش وأنا قاعد . التانين أخبارهم  
ايه بامحمد ؟

هــ كل : التانين أنا أقن لو تبص على الأخبار - حتى على شكل الأخبار - فيه خلاف بين أمريكا  
واسرائيل ليس هناك شك فى هذا ، يكفى قوى انك تقر الأهمام التهاودة . فعلا فيه خلاف  
بين أمريكا واسرائيل لكنه خلاف فى بدايته . ديان بيقول أحنا فيه مصاعب بيتنا وبين حليفنا

(\*) يقصد الدكتور ، مراد غالب ، سفير مصر فى موسكو .

(\*\*) مرة أخرى لم يستطع القائم على التسجيل أن يقطع كلمة provocation .



(\*) يقصد الأمريكان .

العرشي ، لكن مش هانسج الخلاف ده يتسع ولكن فيه انقسام في مجلس الوزراء الاسرائيلي . مؤكد انه فيه شيء وان أمريكا قدرت تاخذ بعض أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلي الى جانبها ، وجاليلي النهارده يقول بصراحة اذا كانت أمريكا مش معانا اذن لازم نفكر كويس . ممكن أن يقال ملخص الموقف فعلا انه فيه خلاف في بدايته في حاجة - والحاجة الثانية ان فيه خلاف داخل مجلس الوزراء الاسرائيلي - النهارده جاي كلام على احتمال فك الائتلاف وأن الأحزاب الدينية قطاع من الائتلاف . لكن ده حاويوصل لغين ويعمل ليه قبل ٧ مارس . هو ده المشكلة .

الرئيس السادات : لأ سبعة ده ما خلاص .  
 هم : كل : آه هو ده الموضوع . وذلك أنا مش عارف تصورك ايه بالطريقة دي لسبعة مارس .  
 الرئيس السادات : هم ما رنوش (\*) .  
 هم : كل : لا هم شوف ايه ، هو أنا باعتبارهم لسنة ما رنوش رد حاسم لكن أنا لما جيت « بيرجيس » أول امبارح قال لي أنا ما اترجاك - قلت له أنا عارف بس الموضوع مش اقناعي أنا - للموضوع اقناع ناس كثير قوي هنا في مصر - قلت له حتى بما فيها اقناع الجيش .  
 الرئيس السادات : بالضبط .  
 هم : كل : عارف .  
 الرئيس السادات : والاتحاد السوفيتي على فكرة أنا راضي تمام الرضا عما تم يعني مش بصرف النظر عن اللي جرى .  
 هم : مفهوم .  
 الرئيس السادات : تمام الرضا يا محمد ، حقيقي يعني ، ولو اتى عسلتها زحلة وخارج زحلة ، وأثبت أن أنا غير متعلق ولا بواقف ولا بسلام بوجهة نظرهم ، ويعني وفجرت اللي ما كتش الله برحمه يعني حرصا منه بيلجره .. هو كان دائما يحاسب . لأ أنا فجرت الى النهاية ماكتش يعني . لا راضي تمام الرضا من الناحية دي والناحية دي moving برضه بس طيب ما هو المخرج في النص اللي هو سبعة . هو ده السؤال يا محمد .  
 هم : كل : طيب ألا ترى ان الناس بقصدوا يبحثوا ويشوفوا ايه ؟  
 الرئيس السادات : ما احنا قعدين بكرة .  
 هم : كل : مين اللي قاعد بكرة ؟  
 الرئيس السادات : هالجبلك . لا هالجبلكم خير . أنا داعي اللجنة العليا مع مجلس الدفاع الاثنين . داعيهم بكرة وحايقعدوا . قلت لرياض النهاردة الصبح بفكر في دعوة مجلس الأمن والجمعية العامة والصورة كلها ونستعرض الدنيا كلها .  
 الرئيس السادات : مجلس الدفاع واللجنة التنفيذية العليا .  
 الرئيس السادات : مشتركين - داعيهم بكرة عندى الساعة ١٢ .  
 هم : كل : هل هاتقول لهم حاجة عن الرحلة ؟  
 الرئيس السادات : طيبا .  
 هم : كل : ها تقول لهم ؟  
 الرئيس السادات : وهاتقولها . وآه نسبت أوتلك تجهز لي يوم ٦ اللي هو يوم السبت - تجهز لي خطاب ليوم ٦ .  
 هم : كل : عايز تقول ايه ؟

رئيس السادات : مبدئيا ان أنا خلاص مش ملتزم بولف اخلاق النار بس ولكن الأساس فيه هو شرح موقفنا كله وادانة اسرائيل بقى من غير شنيمة لا بالقائع . يعني ايه كشف موقفها أمام العالم كله .

هم : كل : هل عاوزة مكتوب ؟  
 رئيس السادات : لازم .  
 هم : كل : اذا كنت عاوز تكلّم الناس ...  
 رئيس السادات : لأن هاقوله في التليفزيون أنا مش رايح أي أجهزة (.....) (.....) (.....) (.....) . ها اقله في التليفزيون للأمة كلها . لا لا ومش ها أقول تاني الا للأمة يا محمد . ويعدين فيه فترة على الاتحاد السوفيتي اتلفت معاهم اتنى أقولها عليهم ، أنا ها أقول في الخطاب ان احنا عملنا محادثات يوم ١ و ٢ مارس وعازرين القكرة دي والله تجهزها عشان بكرة أو بعده نبحثها لهم لأنه عشان هم عازرين يطعنوا يعني لأن كان محمود رياض لما نده السفير وادى له الكلمتين اللي في عضمه دول ما تتصورش جرى ايه في موسكو اتقلت موسكو رأسا على عقب ، وأنا كنت سعيد قوي لأن كلام محمود رياض كان ممتاز . فا عازرين نقول كلمتين ان احنا عملنا محادثات وبروح الأخوة والصداقة وان الاتحاد السوفيتي بيقدّر مسؤولياته وبيقدّر التزاماته وكصديق .  
 هم : كل : طيب تعتبر أنفسنا غير ملتزمين بقرار وقف اطلاق النار لكن بعديها ايه ؟  
 رئيس السادات : بس .. بعديها لسنة ها نتفق .  
 هم : كل : all right  
 رئيس السادات : أنا بديك الهيكل الأولي اما أنا لسنة مارستش يمكن مش ها أرسى الا يمكن يوم .. الا الجمعة .  
 هم : كل : مؤكد مش ها ترسي الا الجمعة بالليل .  
 رئيس السادات : مش ها أرسى الا الجمعة . اما عشان تخطط أنت العملية وتجهز نفسك ، وبعدين تكمل العنة دي .. المهم ان أنا خلاص مش ملتزم .  
 هم : كل : لا أصلها هي دي ... المسألة الأساسية هي الاتجاه ... يعني هي الكتابة a not la problem (.....) .. أنا ها أفكر في الهيكل كله وأجهزه لكن الحقيقة النقطة دي بتحدد كل لهجة الخطاب لأنها مرتبطة بالقرار .  
 رئيس السادات : طيب لغاية بلوقت فكر على أساس ان أنا مش ملتزم .  
 هم : كل : all right  
 رئيس السادات : وبعدين هل يكون فيه داعي أن أنا يوم الجمعة أجيب بيرجيس وأكلمه كلمتين ؟  
 هم : كل : لأ - بعدا .  
 رئيس السادات : بعد الخطاب ..  
 هم : كل : بيتنهائي .  
 رئيس السادات : آه ممكن الحد الصبح . والخطاب ها أعمله السبت بالليل .  
 هم : كل : طيب ليه عاوز تعله السبت ليه مش الحد ؟  
 رئيس السادات : السبت عشان ..  
 هم : كل : طيب لكن كويس أنا موافق لكن ليه ما تعلهوش الحد ؟

(\*) وصل حد تصعب كتابته وطبعه .

(\*\*) نفس الوصل الحاد .

(\*\*\*) ليست مشكلة .

الرئيس السادات : ولية أعله أنا على القفل على وقف اطلاق النار ؟  
 هيكل : طيب ما هو أصلك الواقع عارف ايه يتسبب العالم فى قلق شوية ويعدين يقول لهم أنا مش ملتزم . لو قلت قبلها انك مش ملتزم يبقى انت يوم ٧ مضطر تقول حاجة لما يحل الميعاد نفسه .. توقيتته يعنى .

الرئيس السادات : أه مش ملتزم .  
 هيكل : اذا كنا هاتقول مش ملتزمين نقولها يوم الحد احسن .

الرئيس السادات : ما أنا عارف .  
 هيكل : بنسبب العالم كده شوية قاعدة يستنى موقفنا ونقول انك هاتكلم يوم الحد .. على أى حال نفكر فيها كلها ..

الرئيس السادات : طيب يامحمد .  
 هيكل : لكن والله كويس دى حاجة بقت خطيرة جدا - نزلت فين ؟ ( ثم تحدث السيد الرئيس كيف أنه كان يقفم فى المنزل الذى كان ينزل فيه الرئيس الراحل . وشرح سياسته كيف أن الجو هناك كان برد جدا وكانت لا توجد تدفئة ) .

الرئيس السادات : على أى حال يفكرنا هم كمان .  
 هيكل : لا كويس أنا ريت خلاص ورثت على أساس يعنى أنا بديلك توقعاتى - الخطوة اللى جاية ها أطلب الطيارات بتيجي هتأخذ أوامر من عندى أنا عارف - قلت لهم دانا رئيس دولة دانا ما يلعبش انتم جرى لكم ايه انتم ناسيين ولا ايه مفيش حاجة عندى فى دولتى أبداً تخرج على أوامرى اطلاقاً - أنا لا أقبل هذا المبدأ على الإطلاق يعنى .

الرئيس السادات : طيب سياسياً تحليلهم ايه هم .  
 هيكل : طيب معاناه بالتحليل تماماً فى كل شيء يا محمد وفى كل خطواتنا السياسية الأخيرة قالوا مفيش أجمل من كده - تحفظ لا يمكن يكون أروع من كده ، بس ببينوا نقطة من ناحية ما هو القيادة الجماعية أولاً .

الرئيس السادات : ويعدين هم عندهم مؤتمر حزب .  
 هيكل : ويعدين عندهم مؤتمر الحزب فى ٢١ .

الرئيس السادات : ويعدين صراع كبير قوى .  
 هيكل : ويعدين بروضه فيه صورة مش قوى .

الرئيس السادات : يعنى عمليات .. انت عارف لما تلاقى حكم كده مهزوز أهه أنا اللى حسيته ده مش يعنى والله الله مسيه بالخبر خرتشوف خسارة - القيادة الجماعية على الطريقة البعثية دى بقى يعنى أمريكا هاتكلمهم .

الرئيس السادات : أه بس تكلمهم هم لوحدهم لكن ماتكنيش أنا كمان معاهم ، أنا نسبت أقول لهم كده أمبارج ان كنتم عاجزين تتكلموا اتكلموا انتم بس أن ما ليش دعوة .

الرئيس السادات : طيب كويس هاتقول انك انت مش ملتزم بوقف اطلاق النار ويعدين الناس تبقى مستتية منك عمليات .

(\*) لم يستطع الرقيب الذى قام بتفريغ الشريط أن يلفظ اسم ، جورباتشوف . . .  
 (\*\*) sky rocketing أى منطلق مثل الصاروخ .

الرئيس السادات : أه ها اعصل ايه يعنى طبعا ما هونش فى يوم ٧ ولا يوم ٨ بصح يوم ٩ يوم ١٠ يعنى لكن فى نفس اليوم حتى يعنى أدنى فرصة للعالم أن الخطاب يتأص بكرد .. يكروا الخطاب يتأص وعشان كده أنا بكونك عاجزين تجهز عشاقان نسط العالم كله أمام مسئولياته ونقول أحننا موقفنا أهو وأدى الموقف أهو كده بالتفصيل وبالاجابات وبالتاريخ ويتأص .. ويعدين بعد ذلك خلاص على ما بهضموه هم يبقى لابد مش ممكن لان بلدنا هنا والعالم حتى مامو لو طالت أكثر من كده تعرف يا محمد اسرائيل هاتقول لامريكا مش قلنا لكم دا لا هاتقنعوا ولا هاتنبهرو ولاهم نالوين سيبوهم لنا زى ما كانوا يقولوا لهم زمان سيبوهم لنا احنا هاتخلص بيننا وبينهم .. علما بأن اسرائيل لن تفتح العظلة يا محمد ، اسرائيل مش عاجزه اطلاقاً فتح نار ..

ده تقديري أنا يعنى .

الرئيس السادات : معقول قوى .. ده صحيح معقول .  
 هيكل : لأن أسعد وضع بالنسبة لها انه أه أمتنع أنا أقول ان أنا مش متأكد لكن مفيش حاجة ويعدهوا ما هو ده أسعد وضع لهم .

الرئيس السادات : طيب ... نبقى على اتصال ...  
 ( وانتهى الحديث )

كان مجرى الحوادث وتدافعها يتجه بسرعة إلى عنق زجاجة - ووصلت الأمور إلى درجة الاحتقان وارتفعت حرارتها إلى درجة الحمى عندما بدأ السيد « على صبرى » ينتقد موقف الرئيس « أنور السادات » فى مفاوضات موسكو . ذلك أن الجميع عرفوا بما جرى بينه وبين الزعماء السوفيت ، فقد رواه هو بنفسه فى اجتماع القيادة السياسية المصرية .

وكانت وجهة نظر السيد « على صبرى » - وهى متسقة بالطبع مع موقفه هو فى مفاوضاته السابقة فى موسكو - أنه كان يجب على الرئيس « السادات » أن يقل بطائرة الردع « اليوشين ٢٣ » ، حتى وإن كانت سوف تظل فى الاتحاد السوفيتى ، وحتى إذا كانت سوف تعمل من هناك . ولم تفلح معه كل الحجج التى أبدأها له الرئيس « السادات » لإظهار استحالة هذا الوضع . وقد رتب على ذلك تقديرات راح يشيعها فى التنظيم السياسى وأيضاً فى السلاح الجوى - مؤداها :

- ١ - أن الرئيس « السادات » رفض طائرة الردع .
  - ٢ - ومعنى ذلك أن مصر فى موقف لا تملك فيه وسيلة للرد البعيد المدى على إسرائيل .
  - ٣ - ويترتب على ذلك أن الرئيس « السادات » لا يريد أن يقتل ، وإنما هو يتلمس الأعذار ليلقى بالمسؤولية على الآخرين ، وأولهم السوفيت .
  - ٤ - وأنه فيما يتعلق به لن يقل هذا الحال ، ولو أدى به الأمر إلى معركة مثقولة مع الرئيس « السادات » ، أمام الشعب وأمام الجيش .
- كانت أزمة اتحاد الدول العربية قد ملأت أجواء السلطة العليا بالغاز المضغوط .  
 والآن أضيف إليها بمشكلة طائرة الردع - عود تقاب .  
 واعتزم الرئيس « السادات » أن يأخذ المبادرة فى يده ، وأن يسبق .

## زهام من الأزمات

١

ومع نهاية شهر إبريل وبداية شهر مايو ١٩٧١ - كانت هناك أزمستان مقاطعتان :

● أزمة مشروع الاتحاد الثلاثي : اتحاد الدول العربية الذي شاركت في الإعداد له مصر وسوريا وليبيا ، وكان ينطوي على استفتاء ودستور ومجالس نيابية وأجهزة تنفيذية - وكله جديد .

● وأزمة الشرق الأوسط : وكانت قد تركزت الآن حول « مشروع روجرز » الذي لحقته مبادرة « السادات » باقتراح حل جزئي يتضمن انسحاباً تقوم به إسرائيل في سيناء ، ويتم تطهير قناة السويس بعد ذلك ، وأثناء عملية التطهير يجري التفاوض على جدول زمني للانسحاب من الأرض العربية في مقابل سلام تعاقدي .

ولم يكن تقاطع الأزمات حول مبدأ أو حول موضوع أو حتى حول توقيت ، وإنما استعملت المبادئ والموضوعات والتوقيتات ذرائع في صراع على السلطة .

فالذين طالبوا بالحرب القورية - كانوا أول من يعلم استعانتها في ذلك التوقيت . والذين رفعوا شعار الوحدة - لم يكونوا طلاباً للوحدة حقاً واقعاً ، وإنما كان التوقيت فرصة لتغيير البناء السياسي الداخلي وإعادة تركيب موازينه .

كانت هناك أزمستان مقاطعتان . وكان هناك أيضاً في نفس اللحظة رجلاً يختلف اتجاههما ، أحدهما يخرج ، والثاني يدخل ، وإن لم يتلاقيا ولا تصادما ولا عرف أحدهما الآخر !

في تلك التوقيت :

- كان « على صبرى » يخرج من قرب قمة تركيب السلطة في مصر بسبب تعقيدات وملابسات مشكلة طائرة الردع ، ثم أضيفت إليها أزمة قيام اتحاد الدول العربية - وكان على وشك أن يخسر رهانه ضد خصمه « أنور السادات » .

- وكان « وليم روجرز » يدخل إلى منطقة الشرق الأوسط يحاول أن يجد ثغرة ينفذ منها إلى الحل الجزئي لأزمة الشرق الأوسط - وكان من أهم أهدافه أن يكسب رهانه ضد منافسه « هنري كيسنجر » .

□

كان الرئيس « أنور السادات » قد أعفى السيد « على صبرى » من جميع مناصبه أثناء خطابه في احتفال عيد العمال أول مايو .

وكان إعلان الإقالة وسط هذا الاحتفال ، عيد العمال ، قصدا مقصودا ، فهذا هو الحفل الذي ينظمه الاتحاد الاشتراكي الذي يتولى السيد « على صبرى » أمانته العامة . وحضور الاحتفال هم جماهير العمال ، أي أكبر مستفيد من الاشتراكية التي كان السيد « على صبرى » من غلاة الدعاة لها .

وكان الإعلان مفاجأة كاملة لكل من يعينهم الأمر ، وكان النص الأصلي للخطاب قد أرسل إلى سكرتارية رئاسة الجمهورية لطبعه على أوراق الرئيس وبالحروف الكبيرة - لكن الفقرة الخاصة بإعلان إقالة السيد « على صبرى » لم تذهب إلى السكرتارية ، وإنما كتب نصها في ورقة بخط اليد أخرجهما الرئيس « السادات » من جيبه عندما وصل إلى موضعها ، ثم ألقى بقنبلة الإقالة . ولم يكن السيد « على صبرى » على وفاق بالكامل مع الآخرين من الذين يملكون في يدهم مفاتيح القوة والسلطة - فقد كانت التناقضات مستبدة أيضا داخل الجماعة الواحدة - لكن إقالة « على صبرى » المفاجئة كانت بمثابة جرس دوى ، وإشارة نور حمراء أضيئت وبان معها أن لحظة حسم الصراع على الأبواب .

مكنا فإن كل القوى تحولت بسرعة إلى خندق واحد تحارب فيه المعركة الأخيرة الحاسمة ، وكان هذا الخندق هو خندق زيارة « روجرز » .

ومن حسن الحظ أن أجهزة التسجيل كانت لاتزال تدور في بيت « دونالد بيرجس » ومكتبه ، بما في ذلك المكتب الذي يعمل فيه « يوجين ترون » ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . والواقع أن تقارير تفريغ الشرائط تكشف أمام الباحث المدقق كثيرا من الواقع والتفاصيل - حية ، وبالأولان . كما أن نتائج الصور يكاد يقدم فيلما تسجيليا لزوايا هامة من زوايا السياسة في تلك الأيام السابقة على زيارة « روجرز » والمواكبة لها . ( مع ملاحظة أنها - في معظمها - كانت تدور حول المبادرة التي قدمها الرئيس « السادات » ، يوم ٤ فبراير ١٩٧١ ، والنشاط

البلوماسى الذى أعقبها ، إلى لحظة وصول وزير الخارجية الأمريكى « ويليام روجرز » إلى القاهرة ) .



● ● ● تقرير برقم ٢٤٨٣ عن تفريغ شريط تسجيل بمنزل المستر ، دونالد بيرجيس ، رئيس البعثة الأمريكية بالقاهرة (١) .

.....  
.....

حديث مسجل بين المستر ، بيرجيس ، ويرمز له بالرمز ( × ) وبعض الضيوف الأمريكين .

يدخل ضيوف ويقول أحدهم إنه سوف يذهب لإسرائيل يوم الثلاثاء . برجو له الآخر رحلة طبية . ويقول إنه سوف يحضر حفلة شاي يوم الخميس .

حديث عن موضوع مياه النيل .

تطور الحديث وسأل أحد الضيوف المستر ، دونالد بيرجيس : : ما دام أمر الانسحاب منصوباً عليه ، فلماذا لا ينسحب الإسرائيليون وتوضع قوات الأمم المتحدة ثم تبدأ المفاوضات بعد ذلك ؟

دونالد بيرجيس : : هذا الموضوع أثارته مقترحات روجرز وكان محل احتياج من عدة قطاعات .

أصبحتا ملتزمين بأن نساند موضوع إجراء المفاوضات (أولاً) . ولكن المصريين يسألهم الروس برون الالتزام بالجدول الزمني (للاتسحاب) وأن يقبلوا قرار الدول الأربعة .

يعود شخص آخر إلى تكرار الالتزام بإجراء مفاوضات ويقول : : إن المصريين عجبين في موقفهم ، وهم يجمعون الأمور ومعهم الروس . وهم لا يريدون أن يقبلوا رأينا ولا يريدون إلا الانسحاب . ولا يستطيع الروس مخالطة ذلك لأنهم يشكون شكاً عميقاً . ويجب علينا أن نعيد كرامة الولايات المتحدة .

يرد أحد الموجودين : : إن هذا يعتمد على طريقة الاتصال بالأمريكان ، إما عن طريق اللطف ، أو عن طريق العنف . فهم أحياناً يشيرون الفزع في نفوسنا وفي نفوس الإسرائيليين عن طريق هذه الأسئلة التى يوجهونها ، والتاريخ مملوء بهذا النوع من السلوك .

شخص آخر يسأل : : لقد سمعت على نحو ما أن ليندون جونسون وافق على هجوم ١٩٦٧ ، فهل لديك دليل على هذا ؟

دونالد بيرجيس : : إن هذا الأمر حقيقى جداً . وقد ذكر أبا إيبان منذ حوالي سنتين في حديثه للتليويديوك تايمز ما يؤيد هذا . وفي الواقع كانت وزارة الخارجية في ذلك الوقت في أسوأ أوضاعها . فقد كان الوزير مريضاً ، والوقت ضيقاً ، والأمور التى تواجهه كثيرة ، ولم يستطع أن يفعل شيئاً . ( ضحك ) .

يسأل أحد الأشخاص : : ماذا سوف يحدث الآن في رأيك ؟

(١) ترجمة الأحاديث المسجلة عن أصلها الإنجليزي هذه المرة إلى اللغة القبطى أو شرة قريب منها . ويظهر أن الترجمات السالفة إلى العامة أصبحت صعبة عند قراءتها ، أو لعل هناك داعياً آخر لدى الجهات صاحبة الاختصاص .

دونالد بيرجيس : : أرجو أن يكون الإسرائيليون قد أعطوا يارنج القدر الكافى بحيث يستطيع أن يقوم بالخطوة الأولى . وأعتقد أن يارنج رجل نبيه مفكر وسوف يستطيع أن يفعل شيئاً

.....  
.....



● ● ● تقرير برقم ٨٢٧٠ عن تفريغ لحديث تليفونى مسجل بين المستر ، دونالد بيرجيس والسيد ، محمد رياض ، (الوزير المفوض بوزارة الخارجية وقتها ومدير مكتب وزيرها السيد ، محمود رياض ) .

.....  
.....

الحدث يبدأ :

دونالد بيرجيس : : هالو محمد .

محمد رياض : : نعم يا سيدى ، هل تسمح من فضلك لو لم تكن لديك أية موانع بالطبع وتقبل الوزير باكر ؟

دونالد بيرجيس : : الساعة كام ؟

محمد رياض : : هل لديك أية موانع ؟

دونالد بيرجيس : : كلا . أتت الذى تحدد الموعد . لا يمكن أن تكون لدى موانع .

محمد رياض : : الساعة الواحدة والنصف .

دونالد بيرجيس : : الساعة الواحدة والنصف .. أو كى سأكون هناك .

محمد رياض : : وهو كذلك .

دونالد بيرجيس : : شكراً يا سيدى .

محمد رياض : : ستسر على أى الأحوال .

دونالد بيرجيس : : ماذا تقول ؟

محمد رياض : : حكتبسط .

دونالد بيرجيس : : أنا دائماً مسرور .

محمد رياض : : وهو كذلك .

دونالد بيرجيس : : هل أحضر أى أحد معى ؟

محمد رياض : : ايه .. كلا كلا مفيش حاجة .

دونالد بيرجيس : : أو كى .

محمد رياض : : وحاول أن تقرأ ما سوف تكتبه الصحف باكر .

.....  
.....

(كان وزير الخارجية السيد « محمود رياض » يريد إبلاغه بأن مصر ردت إيجابيا على « بارنج » ، ووافقت على وثيقته التي تشير إلى عقد اتفاقية سلام مع نهاية المفاوضات ) .



●●● تقرير برقم ١٨١٠ عن تفريغ لحديث تليفوني مسجل بين المستر « دونالد بيرجيس » و « بيرمز » له بالرمز (X) والسيد « محمد حسنين هيكل » و « بيرمز » له بالرمز (-) :

هيكل : لدى تعليق سريع على ذلك الرد المؤقت الذي أبلغك . أو ما تسميه أنت بالملاحظات .

دونالد بيرجيس : بل أسمىه ردا .

هيكل : لدى تعليق سريع ، وطلب مني أن أبلغه لك لتعليقه لنفس السيد ( روجرز ) ، انك اتصلت

بك تليفونيا لأني لا أريد ازعاجك . إنك تعرف حقيقة أنه (\*) لا يزال يعتبر أن مبادرته قائمة .

وانك تعرف حقيقة أنه كان يعتبر هذه المبادرة بمثابة أساس ضروري لموقفنا وموقفكم أنتم ،

وموقف العالم كله . وأنه شيء عملي ومثابة اختبار . وإذا استطعنا تحقيقها فإن بارنج

يستطيع اتخاذها كجزء من الجدول الزمني ، ويستطيع الاستمرار في الاستعانة بها لمد وقف

إطلاق النار .

دونالد بيرجيس : ( مقاطعا ) يعني أستطيع وضع هذا في عبارة على هذا النحو :

« إنها جزء من الجدول الزمني » .

هيكل : كل : ( مقاطعا ) إنها يمكن أن تكون فترة أولى للجدول الزمني ، وبعدها نستطيع مد وقف إطلاق

النار لمدة ٦ شهور كما اقترح هو ( بارنج ) وكما اقترحتم أنتم من قبل .

دونالد بيرجيس : أجل يا سيدى .

هيكل : كل : إن هذا الانسحاب الجزئي يجب أن يتم إلى وراء العرش كما قل . وعندها كما نعرف يمكن

أن نقل قوة طوارئ دولية ترابط للحفاظ على منطقة ليست ملكا لأحد no man's land على

مسافة ٩ كيلو مترات من كلا الجانبين .

دونالد بيرجيس : ٩ كيلو متر ؟ أجل يا سيدى .

هيكل : كل : وبعد ٦ شهور ، وبعد ما ينسحب أولئك الناس ، يكون الجدول الزمني قد تم أو جارى إتمامه .

هل فهمت ما أريد ؟

دونالد بيرجيس : نعم يا سيدى . سوف أبلغ ذلك . شكرا .

هيكل : حسنا . خطا سعيدا . . .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

●●●● تقرير برقم ١٣٢٠٨ عن تفريغ لحديث مسجل بين المستر « بوجين ترون » بمنزله وبين زميله المستر « هاو بيكر توماس » :

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(\*) من الواضح أن « توماس » واحد من مساعدي « ترون » . فذلك من الواضح أنه على اتصال بمصادر تنطيه كثيرا جدا من الخطأ .



يوحنا لرون : من المهم أن هذا لم يتم - أقصد أن هذا وضع بحيث يكون معد وجاز في انتظار الأوامر عندما يبدأ الهجوم .

هـاو بېکر توماس: کلا . ان هذا جاهر الآن - كله مكتوب الآن .

هائو پیکر ترومان: لیست واضحه . لکن هذا واقف علیہ السوفیت هناك .  
یوجین ترون : فی موسكو (\*)

یوچین ترون : هل محمد فوزی ذهب الى موسكو ؟  
 هار یوکر توماس : لا أعرف .

يوجين ترون : الكاية دى أنا عاوز أستوضحها . .

.....

● ● تقرير برقم ١٤٧٠ عن تفريغ لسجل بمنزل المستر « دونالد بيرجيس »  
المثلة الأمريكية ، وكان معه السناتور « كلايد لونج » عضو مجلس الشيوخ الأمريكي

والمستر « آرثر هوتون » الموظف بالسفارة الأمريكية ، والمستر « يوجين ترون » ضابط المخابرات الأمريكية - وزوجاتهم .

.....

« بدأ التسجيل والسناور كلارس يولي بحديث عن مشاهدته في دول قام بزيارتها في آسيا كالفلين

وفيتنام . وأبدى أنه لم يجد تأييدا يمكن الاعتزاز به لموقف أمريكا ولا لسياساتها . وكذلك لم يجد ذلك أيضا كما سمع في وادي النيل .

زوجة السناتور : ( مؤيدة ما قاله زوجها ) إن أمريكا بهذه الطريقة تحاول تكمير مناطق عديدة في العالم وتوسعها بالحب . التل له إذن أصدمة أن مص منظمة مناعا . هذه الطريقة

زوجة يوجين ترون : إن التقم في المشروعات الضخمة ظاهراً تماماً في أسوان . وكلها مشروعات اقتنصتها  
روسيا .

لوتال دير جيس : انهم تقدموا كثيرا ولهمين الآن يوضع استخراجه من منطقة السمس . وهناك  
المناتور لوتج : اننى فعلا مندهش من تطور الصناعة فى مصر .

السناقر لونج : قبل قيامي بهذه الرحلة استدعاني الرئيس نيكسون وطلب منه أن أعود إليه بقرار عن احتمال وجود احتياطي في المياه بخليج السويس .

هل سأقوم بأى برنامج رسمي هنا فى القاهرة ؟

دوئالد بیورجیس : إذا كنت تريد زيارة ضريح عبد الناصر ...

(٥) **بفصد رحلة الرئيس** : السادات ، الى موسكو في يوم ١ مارس ، وقد سبقت الإشارة الى تفاصيلها برواية الرئيس

السادات ، نفعكم في حياتكم كلها مع محمد حسين هيكل .

●●● تقرير برقم ١٢٥٧٥ عن تسجيل حديث تليفوني بين قرية : دونالد بيرجيس :  
سيدة أخرى :

زوجة بيرجيس : لقد سرى موقف فولبرايت .  
السيدة الأخرى : لقد أعجبتى جدا .  
زوجة بيرجيس : إنه كان ممتاز . أعتقد أن العقبة هو كينسجر .  
السيدة الأخرى : من ؟  
زوجة بيرجيس : كينسجر - عارفة ؟ هو مستشار خاص في البيت الأبيض . إنه رجل صهيوني يميل للصهيونيين في الواقع .  
السيدة الأخرى : نعم . هذا صحيح .  
زوجة بيرجيس : ولكن كينسجر هو الرجل الذي قالت المجموعة إنهم سوف يقومون باختطافه .  
السيدة الأخرى : أوه .  
زوجة بيرجيس : هل تذكرين تلك المجموعة والقمس الذين اشتركوا في تلك العملية ؟  
السيدة الأخرى : كلا . لا أتذكر ذلك .  
زوجة بيرجيس : لقد كانت قضية كبيرة وكانوا ينوون أن يختطفوه - هذا ما قيل ، وهم لا يزالون محبوسين في السجن إلى الآن .  
السيدة الأخرى : كم كنت أتمنى لو أنهم خطفوه . .

●●● تقرير عن حديث مسجل بين المستر ، دونالد بيرجيس ، وزوجته ، والمستر ، بوجين ترون ، والمستر ، تشارلز ولتون . :

زوجة بيرجيس : ( موجهة الحديث لزوجها ) هل سألت عن رد المصريين ؟  
دونالد بيرجيس : إنهم غير متازلين عن انسحاب إسرائيل عن جميع الأراضي التي احتلتها قواتها بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .  
زوجة بيرجيس : هذا لن توافق عليه إسرائيل .  
تشارلز ولتون : نحن تركنا جميع الأبواب مفتوحة بما يسمح بالوصول إلى تسوية سلمية .  
دونالد بيرجيس : الرئيس السادات اعترف لي فعلا أننا تحركنا ، وأعرب عن شعوره بالأمل وفق ذلك ، وكان ذلك ضمن محادثة بحضور هيكل والدكتور فوزي . وهيكل قال إنه لم يتبقى إلا ثلاثة أيام .  
تشارلز ولتون : هل قال ذلك ؟  
دونالد بيرجيس : إنه قاله فعلا .

( وصل بعد ذلك المستر بوجين ترون ومعه أوراق وتحدث بهمس غير مسموع مع بيرجيس ) .

دونالد بيرجيس : إذا كان هذا هو كل ما يريده الإسرانيون فإننا لا نستطيع التفاوض .  
بوجين ترون : ما هو نوع الضغط الذي يطلبه المصريون .  
دونالد بيرجيس : هيكل أبلغني ، وأنا أبلغت واشنطن بمنكرة أنهم على استعداد لمد وقف إطلاق النار ٦ شهور إذا نفذت إسرائيل انسحابها جزئيا إلى العريش . وإذا تم ذلك فإننا أقن أنه يمكن أن نعيد العلاقات الدبلوماسية معهم .  
بوجين ترون : ليس هذا مشجعا . هذا كافيا ليوقع ديان حتى يوقع حكومته . ديان قال تعليقا على الانسحاب الجزئي في المطار عندما قاللته ( .... ) ماذا يحدث لو أننا انسحبنا من هنا ونقل المصريون صواريخهم إلى هذا الجانب من القناة .  
دونالد بيرجيس : فتح قناة السويس يساعد الموقف .  
بوجين ترون : إنني تعتقد لو أن القناة فتحت فسوف ينتهي احتمال الحرب .  
دونالد بيرجيس : نعم .. أعتبر ذلك و لو لفترة قصيرة . لكنها في الحقيقة سوف تنتهي - أنا لا أعتقد بأن المصريين ينامون الآن بالحرب كما كانوا أيام ناصر .  
بوجين ترون : هو نفس الشيء .  
دونالد بيرجيس : لا تأخذ بالظاهر . فسوف ترى بعد فتح القناة .  
بوجين ترون : ماذا سيكون الفارق ؟  
رونالد بيرجيس : سوف ترى ما سوف ينشأ بين المصريين والفلسطينيين .  
بوجين ترون : ( ضاحكا ) أيوه . أيوه . .

●●● تقرير برقم ١٣٨٤٥ عن حديث مسجل بمنزل المستر ، بوجين ترون ، ضابط المخابرات الأمريكي ، بين ، بوجين ترون ، وزوجته ، وصيف أمريكي :

بوجين ترون : أنا تحدثت مع شخصية كبيرة في السفارة السوفيتية ، وقد حاول أن يهمني أنه لم تحدث مناورات . وعندما عدت إلى هنا اجتمعت ببرهام وكلايد وطلبت منهما مراجعة ما كاله لي صاحبتا عن تخفيض في القوات السوفيتية ، وطلبت المراجعة على الصور الفوتوغرافية . وأنا أفضل الآن أن نعتقد أكثر على أصدقاء من سفارات محايدة . صاحبتا السوفيتي حاول أن يقول لي إنهم يريدون تسوية سلمية ، وأنهم هم والعرب ضالقا لراعا من استمرار الموقف كما هو بدون تسجيل أي تقدم . هو أيضا هاجم المصريين ، وأنا عسري ما رأيت ولا سمعت عن واحد من السفارة السوفيتية يتكلم بمثل هذه الطريقة



الأمريكية وموقفها في الانتخابات الأمريكية . ثم دار حديث عام عن المساعدات الأمريكية الخارجية . ثم دار حديث عن الأحوال في وزارة الخارجية ) .

إن المشكلة في البيت الأبيض حيث خليف عجيب من بيروقراطية فظيمة بعضهم من أصل أوروبي ( يقصد ، كينسجر ، مستشار الرئيس للأمن القومي ، و . اريكسان . و . هالتمان ، وجميعهم من أصل ألماني ) وبين وزير الخارجية ، ويليام روجرز . ( وهو من أصل أنجلو ساكسون ) - إن ، روجرز ، أفضل منهم جميعا . أما ، جوزيف سيسكو . فهو بيروقراطي .

دونالد بيرجيس : إن سيسكو لم يعطل أي شيء - بل على العكس . لكنه كان يحب ناصر وكان يتفق معه في الكثير .

مايكل سترنر : سيسكو مقتنع بأنه يمكن أن نخرج بشيء في موضوع فتح قناة السويس ، وسوف يقول للإمبراطورين إنه لا بد من تسوية سلمية جنية بشأن الجبهة المصرية .

دونالد بيرجيس : أيوه .

مايكل سترنر : ربما يكون في مقدورنا أن نجعل المصريين يقبلون ذلك .

زوجة بيرجيس : ما هو الواجب علينا أن نقوم به ؟

مايكل سترنر : نحن نريد من ، دون ، ( يقصد ، دونالد بيرجيس ) أن يمهّد لذلك ، ونعد افتراضات ومقترحات لا نخرج كثيرا عن مشروع روجرز . ولكن يجب وضع قدر كبير من القيود من ناحية ترتيبات الأمن .

دونالد بيرجيس : أيوه .

مايكل سترنر : روي ( يقصد روي آرتون رئيس قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية (\*) ) - يعتقد أن المصريين ربما لا بد أن يوافقوا على نزع السلاح الكلي في سيناء . ماذا تعتقد عن رأيهم في هذا ؟

دونالد بيرجيس : كلا . والوضع هكذا يحتاج - وأنا باستعمل هذه الكلمة مجازا - إلى شيء من الحرب لما على أمريكا من التزامات . والأمر يحتاج إلى حرب صغيرة لذلك ، وهناك أمل من وراء هذا في رأيي .

مايكل سترنر : نحن لا زلنا نعمل على التوازن ما بين ذلك النوع من الأفكار التي تسلطت على واشنطن أثناء فترة الضجة الخاصة بالصواريخ .

دونالد بيرجيس : هل رأيت كل الوثائق التي أرسلتها ؟

مايكل سترنر : اسمع يا دونالد .. سيبك من كل هذا الموضوع لأنه أنا عارف كل ما تقصده . وإذا كنت يتعامل ناس معقولين معقولين . لكن يا الهي لقد مكثت شهرا بأكملة حتى جعلت أشرف يتوقف عن الكلام ( يقصد السفير أشرف غريال رئيس قسم رعاية المصالح المصرية بواشنطن ) - أشرف كان ناوي يعرض على الحكومة عندنا أشياء زى الزفت من ناحية احتياجات على طائرات الفانتوم . ويعين الإمبراطورين كانوا ناويين يخرجوا بضجة أخرى مثل تلك الضجة التي قاموا بها في الصيف الماضي - متذكر ؟

دونالد بيرجيس : أيوه .

(\*) أصبح بعد ذلك سفيرا للولايات المتحدة في القاهرة وهو السفير الجديد آرتون .

مايكل سترنر : واخذ بالك ؟ ليست هذه هي الطريقة لعرض موقف حكومتك وجعل واشنطن تأخذ براءك . إن هذا أحدث أضرارا بالغة أكثر مما تتصور .

دونالد بيرجيس : من أي ناحية ، وأين الأضرار ؟

مايكل سترنر : بالنسبة لموقف روجرز قلنا أنها أحدثت فعلا تأثيرا عليه . إنها أعادت مرة أخرى موضوع السوفيت كله . وفي البيت الأبيض نظروا إلى هذا الموضوع بكل جدية وخطورة . وأنا أعتقد إذا عدنا بالموقف كله مرة أخرى إلى إطلاق النار كأننا عدنا بكل ماوصلنا إليه ضمن مشروع روجرز ، وألقينا به من النافذة ونقضنا أيدينا ونعود مرة أخرى إلى مواجهة السوفيت بسخونة .

دونالد بيرجيس : كلا . لا أعتقد بأننا كنا نزيد كلاما من هذا النوع .

مايكل سترنر : لا . لا . كلا لا أعتقد ذلك .

دونالد بيرجيس : الآن نحن نعطهم السلاح ونقول أنها الإمبراطورين قوما بما يجب ضد الاتحاد السوفيتي . وذلك نتيجة أضرار بطبيعة الحال .

مايكل سترنر : لا ليس ذلك هو المقصود .

دونالد بيرجيس : حتى إذا حدث ووجدت تهديدا سوفيتيا مباشرا ضد إسرائيل .

مايكل سترنر : لم نواجه هذا .

دونالد بيرجيس : قلنا لكم منذ عام بأن صواريخ ، سام ٣ ، جاءت إلى مصر .

مايكل سترنر : أنا أخشى أن الحكومة سوف تعرض الإمبراطورين بشكل زائد عن الحد من ناحية الأسلحة والأموال .

دونالد بيرجيس : لن يقتصر الأمر على أسلحة وأموال .

مايكل سترنر : نقصد أننا سوف نتدخل إلى جانب الإمبراطورين ؟ إنهم لن يحتاجوا إلى شيء من ذلك .

دونالد بيرجيس : أنا متأكد ، وأراهمك .

مايكل سترنر : لن تكون هناك حرب خلال عشرة سنوات . أنا لا يهمني مدى رزائة السادات ، لكنه لن يتغير في موقف لا أمل فيه . وأقصى ما يمكن هو أن يكون هناك تراشق على نطاق واسع بالمدفعية .

دونالد بيرجيس : أنا أعتقد بأنك مخطيء في هذا . فالإمبراطورين سوف يستمرون في تهديدهم ، وسوف يجطون السوفيت مخططين للتدخل المباشر في الموضوع . وهنا تصل الحقيقة إلى النيران . وهنا أيضا سوف نتراجع نحن لأننا سوف نصل إلى قرار يقول بأننا لن نمرق نيويورك لننقذ تل أبيب . أنا أعتقد أنه لن يكون هناك سلام إلا إذا عرف الإمبراطورين بأن هناك حدودا ونهاية لالتزاماتنا .

مايكل سترنر : أنا موافق . لكن لا أعتقد بأن هذه هي الطريقة للقيام بذلك .

دونالد بيرجيس : أنا لا أعتقد بأن هذه هي الطريقة ، ولكنني أعتقد بأن هذا الطريق هو الذي سيحدث .

مايكل سترنر : وأنا أعتقد أن كل واحد في الكونجرس باستثناء فلولبريت ومعه واحد أو اثنين سوف يوافقون بإعطاء إسرائيل كل شيء . إن هذا الموقف يختلف تماما عن الموقف في فيتنام . علما قام المصريون ببعض المخابرات ما الذي حدث ؟ ففتح البوابات وجرى طوفان من الأسلحة وكميات مذهلة من السلاح ذهب إليهم ولم فصل إلى شيء .

دونالد بيرجيس : كينسجر استغل الموقف وعاد إلى طريقة الحرب الباردة القديمة .

مايكل سترنر : ويخون ؟

دونالد بيرجيس : أنا أعتقد بأن الشيء الوحيد الذي سوف يحرك الإمبراطورين هو الضغط الأمريكي أو التهديد باستئناف الاشتباكات العسكرية .





ارسلت هولنج : ماذا يستطيعون عمله إذا كسروا وقف إطلاق النار ؟  
 مارشال ويلي : أنا أعتقد أن السادات سوف يبدأ بشطين : الأول إرسال قوات كورنيلز للام بانه  
 هجومية الغرض منها نصب كامران على الضفة الأخرى لقتل وأسر أكبر عدد ممكن من  
 الدوريات الإسرائيلية الموجودة عند أقرب النقط . والخطة الثانية : هي به هجوم على  
 القنصاة عملها مرة أخرى ضد أفراد إسرائيليين .  
 دوتالد بيرجيس : أيوه . وهم مهرة في ذلك .  
 مارشال ويلي : أيوه هم مهرة فعلا . وأعتقد كخطوة أولى يبدأ المصريون إطلاق مدافعهم الثقيلة  
 القنصاة .  
 ارست هولنج : أنا أتعجب . لماذا لا يترك المصريون شرم الشيخ لأنها أنفع للإسرائيليين منها . بل  
 مقابل ذلك يترك الإسرائيليون القناة ويظهرونها ويعيدون فتحها ويحصلون على رايها  
 مارشال ويلي : لماذا لا يترك الإسرائيليون سيناء أو لا ؟  
 دوتالد بيرجيس : هذا هو المطلوب . . .



● ● ● تقرير برقم ١٨٣٩٢ عن تفريخ لحديث مسجل بمنزل السيد : دوتالد بيرجيس (الذي  
 البعثة الأمريكية في حضور زوجته والكولونيل ، ويليام ويترز ، مسئول الأمن الخاص للرئيس  
 روجرز ، لترتيب إجراءات أمنه في القاهرة - والسفير ، أشرف غريال . . .

« يبدأ شريط التسجيل بصوت مسئول الأمن الكولونيل ، ويترز ، يقول :  
 كولونيل ويترز : كل ما يهمني هو الموافقة على احتياطات الأمن التي أريد اتخاذها هنا .  
 زوجة بيرجيس : من هذه الناحية لا تقلق لأن الأمن هنا بطبيعته مكثف . والسلطات هنا تبتل قضاياها  
 كي تضمن سلامة الزوار الأجانب . وكل مرة يأتي زائر كبير عندنا تتولى الحكومة تأمينهم  
 وترسل وراءهم سيارتين للحراسة وحتى في الاسكندرية أيضا . وأنا كنت تترك في  
 ضابط برتبة ققيب قابله هنا أثناء زيارة سيسكو ، وبالأمس وجتته داخل الجنازة  
 من أنت وماذا تفعل هنا ؟ وهذا من روعي قانلا : نحن هنا من أجل سلامتنا .  
 كولونيل ويترز : أنا أريد أن أعرف بالضبط ما هي الأبواب التي تريدونها مفتوحة والأخرى التي  
 نغلقها تماما .  
 دوتالد بيرجيس يسأل زوجته : ما هو عدد المدعوين الذي تستطيعين استيعابه على مائدة واحدة يبدأ  
 كل من عليها أن يتحدثوا مع بعضهم ؟  
 كولونيل ويترز : أنا لا أريد أكثر من ٢٠ فقط .  
 ( حديث عن احتياطات الأمن التي سوف تتخذ ) .  
 زوجة بيرجيس : على أي حال الأحسن الاحتياط من جانبكم .  
 كولونيل ويترز : الزيارة محدودة ، وهي زيارة عمل وليست زيارة فيها مواعيد سرية .

زوجة بيرجيس : على أي حال أنا غير متوقفة وصول نتيجة .  
 كولونيل ويترز : لماذا ؟  
 زوجة بيرجيس : لأن الإسرائيليون لن يستجيبوا لأي مطالب من هنا .  
 كولونيل ويترز : أعتقد أنهم الآن موضوعين في ركن كما فعل ناصر معهم ذات مرة .  
 زوجة بيرجيس : إنهم يتكلمون بمطالب . وإذا ما وجدوا أن بعض هذه المطالب تستجاب ، نخدم فجأة  
 يتسألوا ويجيبون بمطالب جديدة .  
 ( ضحك ) وعلى أي حال نحن مستعدين من ذلك . فينون علاقات دبلوماسية ، دون ، وأنا  
 في مصر مسوطن . وإذا عادت العلاقات يمكن يعينوا سفير آخر .  
 ( آثار الكولونيل ويترز موضوعات بشأن إقامة مجموعة الحراسة ومشاكل غسل وكى  
 ملابس الوزراء ومرافقيه ، وأنه غير مطمئن لها في الفندق . وطلب قائمة بأرقام التليفونات  
 التي يستطيع الاتصال بها عند الضرورة ) .

استاذن الكولونيل ويترز وخرج . ثم دخل شخص أمريكي آخر ودار بينه وبين بيرجيس حديث قصير قال  
 فيه الأمريكي الآخر : المطلوب تسليم هذه المنكرة للوزير . وقد أرسلنا نسخة منها إلى البيت الأبيض .

دخل السفير ، أشرف غريال ، وسأله ، بيرجيس ، عن متى وصل من واشنطن ؟ ورد : أشرف غريال ،  
 بأنه وصل فجر الجمعة على الخطوط العربية ، وتوقف ساعات في لندن زار فيها السفير . أحمد حسن الفقي . .  
 ودار حديث عن برنامج الزيارة ، وعن تأخير موعد وصول طائرة ، روجرز ، لمدة عشرين دقيقة .  
 أشرف غريال : من سيكون في المقابلة مع الرئيس ؟ من مع الوزير ؟ أفن أنت ، جو ، ( سيسكو )  
 وباترسون ومارشال .  
 دوتالد بيرجيس : لا . ستكون أربعة بما فيها الوزير . الوزير وسيسكو وأنا وباترسون .  
 أشرف غريال : كفاية ( سانلا بيرجيس ) : أنت اجتمعت أخيرا مع هيكل ومع رياض ( بقصد وزير الخارجية  
 السيد ، محمود رياض ) . وكانت النتيجة لا بأس بها .  
 دوتالد بيرجيس : أيوه . دى كلها كانت اجتماعات صحية ومفيدة . وتبادل وجهات النظر في مثل هذه المرحلة  
 مفيد .  
 أشرف غريال : أيوه . دى كانت مقابلات حساسة بالنسبة لك .  
 دوتالد بيرجيس : أنا قلت لهم هذه المرة في وزارة الخارجية المصرية أن أنا أرسلت تقارير ومذكرات وتحليل  
 للموقف وشرحت فيها كلها وجهات نظركم . وها هو الوزير ( روجرز ) ووكيل الوزارة  
 ( سيسكو ) قدامين والفرصة سانحة لكم لعرض وجهات نظركم . والموقف بالنسبة للقضية  
 القنصاة مختلف جدا هذه المرة . وأنا قلت لهم أن الموضوع هذه المرة بهم الرئيس السادات  
 أكثر من أي شخص آخر . والمسألة يلزمها وقت .  
 : إن الرئيس السادات يريد فعلا أن يصل إلى شيء عملي ، وهو يريد أن يفعل ذلك بطريقة  
 مفتوحة ولا يخفى شيء . ويقول لك بكل أمانة وصراحة ما يريد وما هو في حاجة إليه .  
 دوتالد بيرجيس : أفن . نصلى لله .

أشرف غريبال : أنا رأيت تقاريرك وأحب أقول لك أن الناس في واشنطن مسرورين جدا منها ، ويقولون تقاريرك تغطي كل شيء ولطيفة فيها روح الغفران . وانت بتقول وتترى الأشياء بطريقة محبوبة - عاوزك تعرف أن عامل الوقت ولطائف نحن في العمل في هذه القضية . والناس أصبحت قلقة .

دونالد بيرجيس : أنا لاحظت على الرئيس السادات اللطاف . وهذه هي المشكلة . وهو رجل طيب لا يستحق هذه المشاكل .

أشرف غريبال : أنا أحب أقول لك شيء هنا . هذا الموقف لا يمكن معالجته بالتسليم والتزويق والشهادة لنا بحسن السير والسلوك .

دونالد بيرجيس : أيوه . هيك كتب نفس العبارة وقال إنه سمعها من الزيات .

أشرف غريبال : لا . هو العبارة من محض تعبيرى أنا . وحصل أن الزيات سمعها وقالها لهيك .

أشرف غريبال : أه .

أشرف غريبال : أيوه . هو قالها لهيك . لكن اسمع ، لو سبحت طريق فرصة يجب أن تقتصر وتتهدر ، والنوم وليس اليوم فقط بل هذه اللحظة . أنا عارف كيف تسير الأمور في واشنطن ، والإسرائيليين يحاولون بذل كل جهد لإقناع واشنطن ، ويقولون لهم : شايين ؟ انتظروا لأن كل شيء يسير لصالح أمريكا - فلننتظر إذن لنرى - ما عليكم إلا الانتظار والفرصة سانحة . والشيء المثير للعجب والذي قاله لي كيسنجر . رسيق أن قاله لي ، جو ، أيضا ، هو أن الشرق الأوسط هي المنطقة التي فيها فرص تقلت وتضيع - وها هي فرصة القادة .. لماذا تتركها تقلت ؟

دونالد بيرجيس : أنا اتكلمت مع محمد رياض ، واقتربت عليه أن يوافقوا بمرونة على أى مقترحات في الخطوات الانتقالية .

أشرف غريبال : ايه رأيك انت بالنسبة لقناة السويس ، وهل هناك أية أفكار معينة تلوح لك وربما بود الوزير التحدث فيها ؟ - أنا أؤكد لك أن الجميع سوف يسمع له هنا .

دونالد بيرجيس : كلهم يعرفون موقف الوزير من القضية . ومن رأينا انه يجب أن تحل كل .

أشرف غريبال : أيوه . هو قال هذا في السعودية .

دونالد بيرجيس : أما فيما يخص بالإسرائيليين فحقا هم زودوها - لكن لا نجعل عامل الوقت يضغط علينا . وأنا قلت للوزير في آخر تقرير : المصريين مصرين على الصور إلى الضفة الأخرى باتفاق أو من غير اتفاق .

أشرف غريبال : تقصد تقول إن المصريين سوف يعبرون تحت أى ظروف ؟

دونالد بيرجيس : أيوه . مفيش شك عندى في ذلك . والمسألة مسألة تجهيزات والإعداد لمدفعية ثقيلة ، وما شابه ذلك .

أشرف غريبال : على ما فهمته من ملخص التقارير الصحفية لإسرائيل هو أن المصريين لن يقوموا بعملية عبور شاملة ، لكن ربما تتم عمليات عبور بالطعاعى وليست شاملة .

دونالد بيرجيس : هذه مشكلتكم أنتم .

أشرف غريبال : أيوه . وأنا هنا أحب أفهم .

دونالد بيرجيس : هم على أى حال يقولون إن خط بارليف هذا أقوى خط تحصينات . على أى حال المهم هنا أن يغادر روجرز مصر ومعه تفسيرات شاملة لكل موقفكم . كل ما تستطيعون قبوله وما لا تستطيعون .

أشرف غريبال : أنا أؤكد لك أن الناس هنا سوف يبذلون كل جهد . وأمل أن يأتى بشيء جديد . وزى ما أنت عارف ، الكثير يتوقف على هذه الزيارة .

دونالد بيرجيس : أنا عاوز أقول إن أنا وصلت إلى أنى أليفتمهم في واشنطن بأن أنا طول عصرى أعمل في مصر ، وعمرى ما لقيت مصر تتصرف بمثل هذه المرونة في مواقف مأسمة مباشرة بها وبأمنها وبناء على طلبنا . وهذا موقف كريم من المصريين .

أشرف غريبال : أنا أعتقد أنه سوف تكون هناك تعليقات بين أمريكا وإسرائيل .

دونالد بيرجيس : الإسرائيليون غير مسرورين بالمره من صدق مقترحاتهم بأمريكا ، ونحن كلنا لهم إن ما قدموه ليس ردا . وطلبنا منهم أن يردوا على الترتيبات التي أوضحتها السادات كي ننقل إلى غيرها .

أشرف غريبال : أيوه . الترتيبات فعلا التي أعطتها الرئيس ، ما رأيك فيها ؟

دونالد بيرجيس : أنا أوضحت لهم أن الرئيس السادات لم يقدم بهذه التقطع من عنده . لقد تقدم بها بعد أن تشاور مع الكل : مدنيين عامة وعسكريين خاصة .

أشرف غريبال : ما هو رد فعل واشنطن عن هذا كله ؟

دونالد بيرجيس : لم يصلنى من واشنطن رد فعل حاسم .

أشرف غريبال : هل أشاروا إلى الجانب الآخر ؟

دونالد بيرجيس : إلى الإسرائيليين ؟ كلا ياسيدى . الموقف يا أشرف زى ما هو كما تحدثنا آخر مرة معا يوم ٢٨ .

أشرف غريبال : الناس مهمة جدا بالزيارة .

دونالد بيرجيس : أيوه . بمعنى جدا أن يسمع الوزير . ويعين أن أكتم معا .

أشرف غريبال : هذا شيء جميل . وأعتقد بأنها فرصة ، وإن يأتى وزير خارجية أمريكا عندنا هنا كل يوم - دى فرصة وسنحت مرة قبل ١٨ عاما لما جه دالاس من ١٨ سنة . لكن الفرصة ضاعت .

أشرف غريبال : شوف يا أشرف أنا عاوز أقول لك حاجة ، ناصر كان لديه الشجاعة متوفرة بشكل لم أراه . على فكرة ، هل الوزير سوف يقابل هيك ؟

أشرف غريبال : هو يريد .

دونالد بيرجيس : أنا قايلت هيك أمس ويبدو أنه غير مبسوط .

أشرف غريبال : هيك صريح ويتكلم الحقيقة .

دونالد بيرجيس : أيوه . وهذا أحسن على المطروح - أحسن طريقة .

أشرف غريبال : أنا عارف روجرز تمام ، وأنا متأكد أنه حتى إذا لم يتكلم هنا ، فسوف يتكلم هناك بينه وبين نيكسون في البيت الأبيض .

أشرف غريبال : هم هنا يتكلمون على المطروح ، وليس عن خوف بل عن تقدير للعود التي نسمعها منكم . ( حديث عن الضيوف على مائدة العشاء غدا وأنهم ٢٠ )

أشرف غريبال : على أى حال اسمع يا دونالد .. اتجدهن تمام ( قالها باللغة العربية التي يلهمها ، بيرجيس ، إلى حد لا بأس به ) لأننا في آخر المشاور ، وأنا وانت يمكن أن تكون سفيرين إذا عادت العلاقات .

دونالد بيرجيس : ولم لا ؟

زوجة بيرجيس : أنا بعد العشاء سوف آخذ السيدات إلى الصالون الآخر ، وسوف أشرحهم ببعض المعروضات حتى تستطيعوا أنتم الحديث بحرية .

● ● ● تقرير برقم ١٨٣٨٠ عن تفريغ لحديث مسجل بمنزل المستر . دونالد بيرجيس  
رئيس الهيئة الأمريكية بينه وبين مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي (\*) . وزوجة . دونالد  
بيرجيس .

.....  
.....

« مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي ، روجرز ، بدأ يتحدث عن الإرهاق الذي واجهه هو والوزير وجميع  
أعضاء الوفد أثناء المراحل السابقة من جولتهم في الشرق الأوسط ، لدرجة أن البعض مرض فعلا .  
زوجة بيرجيس : أن سيسكو يشعر بالإرهاق فعلا .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : أن هذه الجولة في الأصل كانت سوف تقتصر على الأردن وإسرائيل ومصر  
فقط .

زوجة بيرجيس : كيف يمكن أن ترتبوا هذه الجولة وتتسبون لبنان ؟ خاصة وأن أهم الفلسطينيين موجودين  
الآن في لبنان ؟  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : فعلا . وكان هذا هو الهدف . لكن في لبنان لم نسمع اقتراحات في  
الصميم .

دونالد بيرجيس : أن الوزير يحاول الآن في الفلنق إعداد شيء نهائي يبحثه مع السادات في موضوع القناة ،  
لكن أنا أحب أقول لك إنه لابد من التركيز على مسألة مشروع قرار مجلس الأمن في ضمانه  
لنشوية . إنكم سوف تسمعون باكر أسئلة في الصميم من كل من سوف تقابلهم .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : إننا سمعنا أسئلة كثيرة قبل ذلك ليس في لبنان فقط بل في السعودية أثناء  
مطالبتنا للملك فيصل ، وأنا لم أعجب بشيء مما قاله بلكر ما أعجبت بملابسه ، ذلك الشيء  
الضفائض الذي ظهر به . إنه ثقيل في مثل هذا الوقت من السنة . والغريب أنه ليس هو  
وحده فلفظ الذي يرتديه بل كل من حوله من الوزراء والخدام والحرس وغيرهم .

لوناك بيرجيس : اه . إنها الصبابة .  
( دار حديث طويل حول فيصل والملابس والصبابة . ثم انتقل الحديث إلى أن الوزير متعب  
جدا . ثم ناقش مدير المكتب مع بيرجيس طريقة استقبال الوزير ) .  
السطل كان من المفروض أن يلعبه وزير الخارجية لأن القادم وزير خارجية .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : من فضلك لا تخبر الوزير بشيء من هذا لأنه يكره جدا مثل هذه  
التصرفات .

دونالد بيرجيس : ( يتحدث عن السطل الذي سيقبمه هو عنده للوزير ، وعن المدعوين إليه ) .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : الوزير يجب أن يقابل شخص واحد على افراد في ركن مثلا .  
دونالد بيرجيس : من ؟ - هيكل ؟  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : هيكل .  
دونالد بيرجيس : لدينا أماكن كافية في هذا المنزل .  
زوجة بيرجيس : يفتخروا بذهابها إلى فوق .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : فيه تكهات كثيرة بشأن أي شيء يدور في هذا المنزل .

(\*) من المحتمل أن يكون الزائر المعنى في هذا التسجيل هو المستر . ريتشارد باركر . ، وقد كان في ذلك الوقت من أشهر  
مستشاري . روجرز .

دونالد بيرجيس : أنا حسيت بشيء في هذا الموضوع .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : إنني ستكون مراقبين بمنتهى الدقة .  
زوجة بيرجيس : إنني منذ كام يوم هنا دعيت بعض مراقبين بمنتهى الدقة .  
دعوتهم بمناسبة وقد سيوات أمريكيات زائرات ، حوالي ٣٧ . وقد ظهر عليهم منتهى  
الاحتياط . ( ثم موجهة كلامها إلى زوجها قائلة ) : في كل حللة سيكون فيه واحد  
مخصوص من المدعوين مهمة مراقبة ما يجري .  
زوجة بيرجيس : أيوه أنا عارف هذه الأشياء ... أيوه . نحن مراقبين تماما من قبل البوليس ، وهذا أخطر  
شيء واجهته هنا . وأنا أقول هذا دائما لأصدقائي جميعا ، وأبنتك ذلك لشعراوي  
جمعة (\*) .

دونالد بيرجيس : أيوه أنا عارف هذه الأشياء ... أيوه . نحن مراقبين تماما من قبل البوليس ، وهذا أخطر  
شيء واجهته هنا . وأنا أقول هذا دائما لأصدقائي جميعا ، وأبنتك ذلك لشعراوي  
جمعة (\*) .

دونالد بيرجيس : أيوه أنا عارف هذه الأشياء ... أيوه . نحن مراقبين تماما من قبل البوليس ، وهذا أخطر  
شيء واجهته هنا . وأنا أقول هذا دائما لأصدقائي جميعا ، وأبنتك ذلك لشعراوي  
جمعة (\*) .

( بيرجيس موجهة كلامه لمدير مكتب وزير الخارجية ) : على أي حال الشيء المهم هو  
أن السادات يريد إنهاء حالة الحرب والحالة الموجودة الآن - وهو مستعد لذلك من هذه  
الحللة .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : حقيقى السادات يريد ذلك ؟ ( في دمهشة )  
دونالد بيرجيس : هناك بداية طيبة .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : أنا كنت فاكى شيء آخر .  
دونالد بيرجيس : نعم . أقل فيه حاجات كثيرة ، وسوف نرى عند الاجتماع غدا بالسادات .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نحن منذ أن أرسلت إسرائيل ردها كنا فاكين أن مصر نأخذت بدوا .  
دونالد بيرجيس : اسمع يا ، ديك ، . الوزير أصدر أوامر ألا نتقدم بهذه الورقة .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : أيوه عارف . لكن الإسرائيليين قالوا لى بأن هذا هو الرد . ووجهتهم  
محضرين خريطة . وعلى ذلك اعتقدت أن موقفهم نهائى .  
دونالد بيرجيس : خريطة .. هذا كلام ليس له معنى . كيف نحن ننقل قرار مجلس الأمن وهم لا ينفذوه . هل  
رأيت المقترحات الأخيرة التي أرسلتها ؟ إنها هي التي يجب أن تنقل وهي التي يجب أن  
نصر عليها ، وما يجب أن نفعله . إن الشيء الذي يجب أن نفعله الآن هو هذا الاقتراح  
الذي يؤدي إلى تخليص المنطقة من الروس في الوقت الحاضر . وفي هذا التكلية .

دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نعم . أنا فاهم كلامك .  
دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التي تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب  
وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟

دونالد بيرجيس : المهم هو الهدف .  
مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : هناك أيضا اختلاف كبير من ناحية قوة الطوارئ الدولية ....  
المشكلة شرم الشيخ .

(\*) كان بيرجيس كما يبدو من كلامه يتصور أن الرقابة عليه بواسطة المباحث وبالتالي فهي رقابة على التليفونات ومنابعه  
في الداخل بشكل ما يجري عن طريق مزودج . هذا بينما كانت الرقابة في الواقع من المخابرات العامة ، وعلى كفاءة تستطيع  
مهما أن تتنقل كل هسة .

دونالد بيرجيس : الإسرائيليون كانوا أغبياء من ناحية إصرارهم على مرور السفن التي تحمل العلم الإسرائيلي . وكيف ذلك في مياه مصرية ؟ وبدون اتفاق ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : ياساتر ، ألا تذكر ما كان يحدث لنا نحن ... كنا ننتكز في نيويورك أخيراً . خلال عشر سنوات كانت سفننا وبوارجنا العربية وطراداتنا والتي تحمل العلم الأمريكي تصدر لها الأوامر قبل قيامها من أمريكا بالتوقف عند أول موقع مصري قبل مرورها في مضائق نيران وتقدم بتقريرها عما كانت تحمله ونوع البضاعة .

دونالد بيرجيس : أيوه . لكن لم يحدث شيء .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : أيوه . لكن كنا نتوقف على أية حال ويجري تحقيق سفننا .

دونالد بيرجيس : إنها أشياء تحدث دائماً ، وأشياء تاريخية أي مبنية على أسس تاريخية .

زوجة بيرجيس : يظهر أن علاقتنا بهذا البلد سوف تمر بمرحلة طويلة طوية .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : ربما تحدث تغييرات . الوزير يشن أن يجد الجو متغير .

دونالد بيرجيس : السؤال الأهم هو هل نحن الأمريكيين نستطيع تحريك إسرائيل ؟ هل نستطيع أم لا ؟

ديك ، ما هو اعتقادك ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : كما أعتقد فإننا تمكنا من تحريكهم بالنسبة لأشياء - نقطة الانسحاب ، والكيفية ، ومراتب القوات ، وحدود تسليح هذه القوات .

دونالد بيرجيس : من ناحية الانسحاب فقد ملتزمين بشيء معين . من ناحية هذا الانسحاب ملتزمين بمعنى ملتزمين بالانسحابهم إلى الحدود كما كانت عليه قبل ٦٧ . فهل هذا صحيح ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : أيوه ملتزمين بأن إحنا نضمن حدود بنسحبوا إليها وتكون مضمونة وأماناً . ويمكن حدوث تغييرات ، لكن لا بد أن يؤدي ذلك إلى تحسين الموقف بعد ذلك .

زوجة بيرجيس : هل شرم الشيخ ينطبق عليها هذا الوضع ؟ انظر إلى ما نقوله جولدا .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : نحن علمنا على تحريك جولدا من ناحية الانسحاب - وحركناها من ناحية الإصرار على نقطة المفاوضات المباشرة .

زوجة بيرجيس : إن ما أسأله كمواطنة أمريكية ، ما هي التزاماتنا نحن بالنسبة لهذا كله ؟ نحن التزمنا بالانسحاب مع ترتيبات أمن .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : هذا صحيح .

زوجة بيرجيس : وشرم الشيخ ، هل لا تدخل ضمن التزامنا بالانسحاب ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : بطبيعة الحال تدخل . لكن ليس في مذكورنا أن نأخذ منهم شرم الشيخ بالقوة ونعطيها للجانب الآخر .

زوجة بيرجيس : أنا لا أقول بالقوة ، لكنني ( بشدة وبحدة ) كمواطنة أمريكية لي الحق أن أتساءل ، ولا تقل لي أقللي فمك لأيي لست مواطنة مصرية مثلاً .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : بطبيعة الحال بالنسبة لشرم الشيخ نحن لا نوافق أن يحصل الإسرائيليون على كل ما يريدون ، وهذه مسألة متفقين عليها .

دونالد بيرجيس : انت سوف تسمع غداً .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : اسمع .. ليس كل ما يطلبونه في مصر في نقطة شرم الشيخ سوف تستجيب له . ( مستطرداً ) هل السادات سوف يوافق على مسألة إعادة العلاقات إذا أثارها الوزير معه غداً ؟

دونالد بيرجيس : إنه يريد لو تمكن من ذلك . لكن لابد من شيء أولاً .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكي : أبدو ملاحظات عن صعوبة التحدث تليفونيا من الطائرات لأنه أراد أن

يتصل بزوجه من طائرة الوزير ولم يتمكن . وسأل إذا كان يستطيع أن يتصل بها ( من هنا ) .

● ● ● تقرير برقم ١٨٥٧٠ عن تفريغ حديث مسجل بمنزل المستر ، دونالد بيرجيس ، رئيس البعثة الأمريكية .

بدأ التقرير بالعبارة التالية : (\*)

، بدأ التسجيل بحقل به عدد كبير من المدعوين - حديث الجميع في حلقات ، وفي إحدى الحلقات الجانبية كان هناك حديث يدور بين شخصين أحدهما أمريكي وهو المستر « روجرز » ، وزير الخارجية الأمريكي ، والآخر مصري وهو السيد ، محمد حسنين هيكل ، .

هيكل : الحقيقة لست أدرى ما سوف تتطور إليه العلاقات بيننا ، وهل هي قطعية تشبه الطلاق ؟ أو هل هذا الانفصال إلى حين ؟

ويليام روجرز : إن كل هذا رهن بالموقف الآخر . وحقا نحن أمام فرصة لا نعوض .

هيكل : اعتقادى أن كل شيء يتوقف عما إذا كان إسرائيل سوف تقوم بالخطوة التالية . لابد لهم أن يقدموا رداً إيجابياً على مقترحات الرئيس السادات . هو بدأ بمبادرة لفتح قناة السويس ، وكل ما طلبه هو انسحاب إسرائيل إلى ما وراء العريش ، ثم يتولى بارنيت عملية الاتصالات

ويليام روجرز : لوضع أي ترتيبات يقترحها الطرفان .

لأننى أرى تقدماً في موقفهم ، لكن نظراً لأن هذا التقدم يتم على دفعات وأيضاً خلال فترة طويلة من الوقت فقد لا يكون ملموساً ، لكن إذا تأمنا الموقف بدقة عقب حرب ٦٧ لوجنا الموقف الإسرائيلي متحرك . فإسرائيل كانت مصرية على عدم القيام بأى شيء إلا بعد الاستجابة لمطالبها وأولها الدخول في مفاوضات مباشرة . ولم تكن ترد على أى شيء وتقول إنها لن تتصلح عن شيء إلا في مفاوضات مباشرة مع العرب بدون وساطة وبدون طرف ثالث . وكان العرب جميعاً من جانبهم يصرون على عدم الدخول في أية مفاوضات ، وأن المطلب الوحيد هو الإصرار على الانسحاب الكامل .

هيكل : نحن فقلنا ما فوق الطاقة للوصول إلى تسوية سلمية . لا أحد يطلب الحرب للحرب ، ولكننا مصرين على تحرير أراضينا . وإسرائيل لها مطالب في أجزاء من هذه الأراضي والعقيدة واضحة أمامكم .

ويليام روجرز : أقهم ما تقول .

(\*) ليس واضحاً لماذا قام مترجم المخابرات بتفريغ هذا الشريط إلى لغة عربية أشبه بالفصحى خلافاً لما فعل في الشرطة سابقة حيث ترجمها بلغة علمية .





وحين تستبد به المشاكل والهواجس فإن تحية الصباح عنده كانت تتراوح ما بين : « صباح ناعم » ، « صباح النور » ، وأحيانا يبلغ السوء مداه فإذا هو يرد تحية صباح الخير قائلا : « ومن يأتي الخير - هذا صباح الزفت والقطران » !

وعندما راح يستعد لمقابلة وزير الخارجية الأمريكي - القادم لزيارته - « ويليام هرز » - كان يقدر تماما أن اللقاء نقطة تحول ، فهذه أمامه فرصة لاستكشاف التوايا الأمريكية - له مباشرة ، فهو أخيرا وجهاً لوجه وبدون وسطاء أو رسل - أمام وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية التي كان يعلق عليها وحدها في الأزمنة قيمة كبيرة لأنها القوة الوحيدة القادرة على ممارسة أي نوع من أنواع الضغط على إسرائيل ، فمساعدها « شيك على بياض » ( حسب معمره ) لإسرائيل ، وكل ما لدى إسرائيل من قوة : السلاح والعناد - أمريكي المصدر - فإذا قالت « انتظن : ولا » - فإن إسرائيل ليس أمامها غير أن تقول : « نعم » .

ومع ذلك فقد كان عمليا يدرك أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ليست بسيطة ولا هي هينة ، لهذا فقد كان على استعداد لأن يمشى إلى منتصف الطريق إذا رضى الطرف الأمريكي أن يمشى بدوره إلى منتصفه الآخر ، بحيث يمكن أن يتحقق لقاء في التوايا والأفكار ، وفي المقترحات ، الصياغات ، وفي الحلول والترتيبات .

وكانت تحية الصباح في هذه الفترة متحفظة ، فلم تكن « صباح الفل » أو « الورد » - ولم تكن أيضا « صباح الزفت والقطران » .



وعندما اقترب موعد لقائه المنتظر مع « روجرز » ، كان الرئيس « السادات » في حالة من النسيه بلغت أقصى درجاتها .

ومن حسن الحظ - مرة أخرى - أن تسجيلات الأحاديث التليفونية بينه وبين محمد حسين هيكل تعطي صورة حية لمدى استعداده لأي فكرة وأى حركة .

وفي تقرير عن تسجيل تليفوني بتاريخ ١٩ إبريل ١٩٧١ - نموذج واضح :

« تقرير عن تسجيل تليفوني

منزل السيد / محمد حسين هيكل

رقم التليفون ٨١٩٢٩٢

( كان الرئيس يتحدث عن ترتيباته للموقف ، وخصوصا ما يتعلق بترتيب الجبهة العربية قبل

أن بجيء المستر ويليام روجرز ) .

ووردت في الصفحة التاسعة من التقرير - فقرة في الحوار نصها كما يلي :

« كل : أنا كان نفسي تعمل حاجة إضافية .

الرئيس السادات : له ؟

كل : تهت رسول للملك فيصل .

## الفصل السابع

### البيضة والمجر

#### ١

كان الرئيس « السادات » شخصية مثيرة بكل المعايير ، وكانت شخصيته متعددة الجوانب بحكم تكوينه الإنساني ، وتجربته الحافلة ، والثقافة التي ترسبت عنده من العنصرين : عنصر التكوين ، وعنصر التجربة . وقد علمته الأيام أن يقابل الصعاب بصدر رحب . وفي السنة الأولى من رئاسته فإن أحلى ما كان في شخصيته تجلى ونال .

كان رجلا تحت الاختبار - وكان يدرك ذلك بعمق .

وكان رجلا يواجه تحديات خطيرة - ولم يقلل من شأنها .

وكان رجلا يريد أن ينجح في مهمته الرئيسية ، وهي مازق الحل والحرب ، وقد راح يجرب ويتعلم بقلب مفتوح وعقل منفتح ، وكان مستعدا لسماع كل الناس ، وجاهزا للتفكير حتى فيما كان التفكير فيه ضربا من المستحيل .

وفوق ذلك فإنه راح يمارس هذا كله ببساطه ، وأحيانا بمرح إذا سمحت له الظروف .

وكان هناك معيار لحالته النفسية يعكس نفسه في الطريقة التي يلقى بها تحية الصباح أو يرددها .

وحينما يكون راضيا وسعيدا فإن تحية الصباح عنده كانت تتراوح ما بين : « صباح الفل » - « صباح الورد » - أو « صباح القشطة » .

الرئيس السادات : أحصل إيه بكى يا محمد ؟ قلت للسفير النهارده أنا حابيت للشاه رسالة نصصها للفرعاني عيسى ونصصها للتحفاني فارسي علامة على أننا حضارة واحدة ومصير واحد .

بعد كده جه السفير الإنجليزي كان بيسلم رسالة من هيثا\* .  
وبعدين جالى السفير الأفغانى ، كان جايب عينات رخام من الضريح بتاع جمال الدين الأفغانى - ده ضريح صمصم ظاهر شاه\*\* بنفسه . وأنا سنة ٥٥ هناك الملك الملك واللى التصميم اللى هو عمله وقال لى حفناده . واتنقذ . فبعت لى بكى صورة للموقع كله . والشارع اللى قدام الضريح مباشرة وفى وسط جامعة كابول سموه شارع جمال عبد الناصر . الرخام الأفغانى طبعا انت عارف أحسن رخام فى العالم . بعقولى النهاية ١٥ عينة وببطلوا بكى إيه ؟ انهم عاوزين يشتركوا فى ضريح الرئيس برخام أفغانى . فيعتقوا العينات . فانا قلت للجماعة أهيته للست والولاد يشوفوه ( ... ) .

هو : طبيب والله دى حاجة نظيفة . رخام ، وجوابات نصصها عيسى ونصصها فارسي .  
الرئيس السادات : يعنى جعلك إيه يا محمد ، ما أنا بلبس بالبيضة والحجر . . .

هكذا استعدادا لمقابلته المنتظرة مع « ويليام روجرز » بعث الرئيس « أنور السادات » مجموعة رسائل تصور أنها تساعد فى تهيئة أكثر لموقف إيجابى يجىء به إلى مصر ويؤثر فى السائح الذى يمكن أن تسفر عنها الزيارة : رسائل إلى الملك « فيصل » ، والرئيس « بومبيدو » ، « ساه إيران » . وقد أضافت التطورات السياسية الأخيرة فى مصر إلى هذه الرسائل - رسالة لانتقل أهمية وإن لم تكن مكتوبة أو موجهة . ذلك أن قراره بإقالة السيد « على صبرى » من جميع مناصبه فى تلك اللحظة كان رسالة لا يمكن أن يخطئها باحث مدقق فى سياسات الشرق الأوسط ، وفى الطريقة التى يمكن أن تعبر بها هذه السياسات عن نفسها برموز وإشارات تعطى معانيها دون حاجة إلى كلمات .

كانت إقالة السيد « على صبرى » فى هذا التوقيت - مع أنها لم تكن مقصودة لهذا الهدف - رسالة تحمل عدة معان ظاهرة ومحددة :

١ - كانت إشارة تقول لكل من يعينهم الأمر إنه - أى « أنور السادات » - ممسك بعزم برام الأمور فى مصر حتى وإن كانت هناك مراكز أخرى للقوة والسلطة .  
٢ - أنه إذا كان السيد « على صبرى » معتبرا فى رأى كثيرين من المراقبين الأجانب للمسرح المصرى باعتباره الصديق الأول للاتحاد السوفيتى فإنه هو - أى « أنور السادات » - أراحه بقرار منه ، ومعنى ذلك أن حربه فى الحركة ليست مقيدة بما يريد أو لا يريد الاتحاد السوفيتى .

(\*) . انوار هيث ، رئيس وزراء بريطانيا .  
(\*\*) ملك أفغانستان وقتها .  
(\*\*\*) بلسد حرم الرئيس ، جمال عبد الناصر ، ولؤوده .

الرئيس السادات : ( مستقريا ) ليفصل ؟  
هو : كل ... ليوه ... المعلومات اللي عننا أن الملك زعلان من مسألة إعلان اتحاد الجمهوريات العربية . ولم يشاوره فيها أحد . وربما يتصور أنها عودة إلى ما كان يشتكى منه باستمرار عندما قامت وحدة بيننا وبين سوريا . انت عارف موضوع أى وحدة فى العالم العربى هم حساسين منه جدا .

الرئيس السادات : أنا كنت باعت رسول لنمبرى . . .  
هو : كل : المنبرى أمره سهل . لكن فيصل مسألة أساسية ، خصوصا تأثيره عند الأمريكان .  
الرئيس السادات : والله معاك حتى .  
هو : كل : هو يختلف عن الآخرين فى وزنه .  
الرئيس السادات : معاك حتى . معاك حتى . على طول والله ، معاك حتى . . .

وفى الصفحة ١٢ من نفس التقرير ترد الفقرة التالية :

هو : كل : أقول حاجة كمان . أنا شاييف الفرنساويين قلقانين أيضا من مكانية الاتحاد . والمسألة تساوى أنك تضمنهم قبل ما يجى روجرز . أنا شاييف بيان فرنساوى طلع من أيام يتكلم على أنهم يفكرون فى موضوع الميراج لليبيا ، ولا داعى لأن تتركهم حتى يصلوا إلى قرار يمكن يؤثر على تسليم الميراج لليبيا فى المواعيد المقررة .  
ويمكن تشوف أن المسألة تساوى أنك تستدعى السفير الفرنساوى يأخذ رسالة منك إلى بومبيدو تقول له فيها اتنا سوف نظل على تشاور معهم ، وأنه لا داعى أنهم ينهضوا اللعبة الإسرائيلية ويتسرعوا دون لزوم . فنحن فى موقف الدفاع عن النفس . ومن الضروري عليهم أن يتفهموا موقفنا . ففرنسا كان لها دائما موقف مستقل ، وهى لا بد أن تحافظ عليه . وعلى أى حال نلتفح الخط معاهم أكثر .  
الرئيس السادات : صح . لا صح يا محمد . حبيب السفير الفرنساوى بكرة . . .

ثم يجىء تقرير عن تسجيل حديث تلفونى آخر يوم ٥ ابريل . فى الصفحة الثالثة منه تجىء فقرة بدور فيها الحوار كما يلى :

الرئيس السادات : يا باى يا محمد ، بس لو يصدقوا الأمريكان ... هما غايظينتى . وبعدين النهارده كان يوم صعب كله سفراء - شلت سفير إيران ، بعثت له للشاه يعنى النهارده قلت له يتحرك تانى . هو كان اتحرك فى المرة اللتى فاتت . قلت له لا اتحرك تانى .  
هو : بعثت له شعرا والا نثرا ؟ (\*)

(\*) إشارة إلى صدام بين الشاه وبين الرئيس ، أنور السادات ، حينما كان نائباً لرئيس الجمهورية وحضر معه اجتماعا للجنة فى الرباط فى إطار المؤتمر الإسلامى . وقد أبدى الشاه فى هذا الاجتماع ملاحظة غلب عليها الرئيس « السادات » ، ببنت شعر فارسي . وروى الملك ، الحسن ، فى مذكراته أخيرا أن شاه إيران قال له إنه لم يرد لأنه لم يفهم كلمة واحدة مما قاله الرئيس « السادات » - لكن الرئيس ، أنور السادات ، كان مصمما على اقتناعه بأنه درس بعض الفارسية على يد أستاذ إيرانى كان يدرس الفارسية ضمن قسم اللغات الشرقية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة .

٣ - أنه إذا كان قد أعطى نفسه حرية التصرف تجاه واحد من أقوى الأقوياء في تركيبة السلطة في مصر في ذلك الوقت ، فمعنى ذلك أنه حتى وإن لم تكن في يده المفاتيح - فإن الباب كله ليس عصيا عليه .



وبرغم كل استعراضات القوة التي قام بها الرئيس « أنور السادات » ، وتمثلت بشكل درامي في إقالة السيد « على صبرى » - فإن الرئيس « السادات » كان يستثمر أسبابا للقلق هذه الساعات . وكان السبب الأكبر في قلقه أنه استطاع أن يعرف مسبقا طبيعة - بل ونصوص المقترحات التي كان « روجرز » يحملها إليه . وقد درسها بعناية وتحديث فيها مع الفريق أول « محمد فوزي » وزير الخارجية الذي أبدى معارضة شديدة لها ، وصاغ معارضته في تقرير مكتوب كان يحمل في ثنايا عباراته إشارات غير مطمئنة .

مساء يوم ٣ إبريل ١٩٧١ - كان « محمد حسنين هيكل » ضيف عشاء على مائدة السيد ريتشارد بومونت ، السفير البريطاني في مصر . وكان المستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية في مصر أحد المدعوين إلى ذلك العشاء . ودأب بين الاثنين حديث اعتبره « هيكل » مهما ، واتصل بالرئيس « أنور السادات » صباح يوم ٤ إبريل ، وكانت المكالمة التليفونية بالطبع مسجلة وجري تفرغ الشريط بنصوصه الحرفية ، وبدأ التقرير كما يلي :

مكتب السيد / محمد حسنين هيكل  
رقم التليفون : ٩١٩٩٩٥  
مساحة : ١٤٠٠  
تاريخ : ١٩٧١/٤/٤

محمد حسنين هيكل : امبارح على العشاء عند السفير الإنجليزي ، بيرجيس كان قاعد جئى . وكان كلامه أنهم بلوروا اقتراحات يجرى بها روجرز ، وأنهم بدأوا في الاتصال بأسرائيل والضبط عليها بحيث يجرى روجرز بمقترحاته وهو يعرف أن قبول إسرائيل لها ليس مشكلة .  
أنا قلت له اسمع ، أنا عايز أقول لك إن أنور السادات عمل مخاطرة كبيرة بمبادرته عن قناة السويس . ولغاية دلوقتي لم تظهر منكم أى استجابة لها قيمة وفكر يعتد عليها . ولزام أقول لك إنه بدأ يفقد ثقته حتى فيه انت شخصيا even in confidence The President is losing confidence .  
you . ورحت أعد له الأسباب .

قلت له نمرة واحد أنتم تحاولوا أن تجتروا مبادرة فتح قناة السويس كما لو أنها موضوع مستقل ولوحده ، ولا علاقة له بالأزمة نفسها ولا بالحل النهائي الشامل . هو لما قم بمبادرته قدمها باعتبارها جزء من الحل يساعد على فتح الطريق للحل كله . لكن الراجل شاليف شواهد تجعله يقن أنكم أختمت مبادرته باعتبارها قناة السويس . ده اللي بابين على أى حال في بعض تصرفاتكم .  
نمرة اثنين أنتم بتراوخوا ، وكل اللي بنسمعه منكم ما هوش متشوق ولا هو واضح .

والمواقف بتتغير وحتى الصياغات بتتغير من غير ما تعرف إيه الأسباب ؟ وأنا لا أفن أنه يستطع ينتظر بهذا الشكل ولا حتى لموعد مجيء روجرز .  
وبعدين بيرجيس قاططنى وقال لى ، أنا عايز أؤكد لك إنه فيه اقتراحات محددة ، وإن إحنا عرضنا ما على أصدقاء إسرائيل أولا . عرضناها على جافيتش وعلى غيره من زعماء اليهود في أمريكا علشان إسرائيل لا تستغل المواقف وتسحق وتحرضهم على الإذابة . وأنا حتى طلبت اتى أنور المقترحات الجديدة قبل ما تعرض على أى حد ، ولعلا شقتها واقتربت أفعال تعديلات عليها amendments ، وبعدين سببوا سلمها لرايين وقال له ده اللي إحنا نفكره ، والوزير عايز يروح مصر وهو عارف انكم لن تتروا اعتراضات كبيرة .  
أنا ربيت عليه وقالت له انتم بتتداولوا مع إسرائيل وتاركين القاهرة في حالة ظلام كامل . وعوامل سوء الفهم ماشية تتراكم واحد وراء التاني . وأنا أستغرب أنكم تستغلوا رأي إسرائيل في المقترحات ، وأما إحنا فالمقترحات تأتى لنا مفاجأة ، ونبقى مضطرين لنقل أو نرفض وروجرز قاعد أمامنا . وهذا الأسلوب في التفاوض إحنا جربناه قبل كده . وأنا أعتقد أنه سبب كثير من المشاكل .

السفير الإنجليزي كان قاعد قريب مننا وكان متابع المناقشة . ووافق معى في بعض اللي قلته . وبعدين أنا لقيت بيرجيس يقول لى أنا أقول لك الخطوط الأساسية في المقترحات ، لكن أنا باعمل كده على أساس شخصي بحت وبغرض أن الرئيس لا يفقد الثقة .  
أنا مش قادر أصدله في أنه تصرف شخصيا وعلى مسئولية ، وفي الغالب تلقى تعليمات انه يقول لنا المقترحات بشكل ما . وهو وجدها مناسبة وإحنا بنكتكم .

المقترحات أه زى ما هو قالها لى امبارح :  
١ - القوات الإسرائيلية تتسحب ٤٠ كيلو ، يبقى ٢٥ ميل ، والمفترض أن انسحابها يستغرق ٦ شهور .

٢ - إحنا نبدأ في عمليات تطهير القناة .

٣ - في نفس الوقت إحنا نطلع بيان باعتزازنا في حكمهم باستخدام قناة السويس في مقابل تعهد من جانبهم بعدم ممارسة هذا الحق إلا بعد التسوية الشاملة .

٤ - هذا الترتيب المؤقت جزء من قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

لكن بقى فيه شرط بعد كده أنه لا تكون هناك إشارة للانسحاب الكامل في هذه المرحلة .  
بغنى نشير للقرار من غير ما نقول أنه نص على الانسحاب الكامل ، لأن نص بهذا الشكل ممكن يعمل لهم مشكلة داخلية .

٥ - عدم عبور قوات مصرية إلا قوة بوليس محدودة .

٦ - يبقى فيه مراقبين دوليين في المنطقة اللي هينسحبوا منها .

الرئيس السادات : رأيك إيه يا محمد ؟ ما أنت قلته له تمام إنهم ترتيبات الفتح قناة السويس . رأيك إيه يا محمد ؟

الرئيس : الحقيقة إنها عاوزة بحث خصوصا من ناحية ربطها مع بقية الجبهات .. بغنى مع الأردن ومع سوريا .

الرئيس السادات : وأنا حابث مع العسكريين .

الرئيس : ضرورى . وأنا حابث مع العسكريين .

الرئيس : كل : ده طبيعي . أنا كنت تاوى أقترح كده بالضبط .

الرئيس السادات : ماعتديش غير العسكريين .

الرئيس : ضرورى العسكريين بيكونوا معاك في الصورة .

الرئيس السادات : أه بغنى تفكر نفسك ونفوس أبعادها .

وقام الرئيس «أنور السادات» بعد أيام من التفكير العميق بدعوة الفريق أول «محمد فوزي» إلى مقابلته، وطلب إليه دراسة الخطوط الرئيسية للمقترحات التي سوف يحملها وزير الخارجية الأمريكي «ويليام روجرز» كما وصلت إليه، على أن يقتصر البحث داخل أضيق نطاق.

ويوم ١٠ أبريل أرسل الفريق «محمد فوزي» إلى الرئيس «أنور السادات» مذكرة مكتوبة بخط اليد من ١٦ ورقة بالحجم الصغير مغطاة بغلاف من نفس النوع يحمل العبارات التالية:

### «سري للغاية»

#### مذكرة

#### مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية

#### عن رأي القوات المسلحة في المشروع الأمريكي

#### سري للغاية

وكان أول ما لفت نظر الرئيس «السادات» وهو يتصفح المذكرة هو ما ورد في عنوانها عن أنها «رأي القوات المسلحة» وليست رأي وزير الخارجية نفسه أو عدد من مستشاريه. كانت المذكرة تحوى مجموعة من الملاحظات الصائبة بلا جدال - لكنها في نفس الوقت أعطت الانطباع في بعض بنودها بأن وزير الخارجية لم يحتفظ لنفسه فقط بحق الكلام عن القوات المسلحة ككل، وإنما هو في نفس الوقت احتفظ لنفسه بحق رسم الاستراتيجية العليا للدولة.

كانت المذكرة على النحو التالي:

#### «سري للغاية»

الجمهورية العربية المتحدة  
وزارة الخارجية  
١٩٧١/٤/١٠

#### مذكرة

#### مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية

#### عن رأي القوات المسلحة في المشروع الأمريكي

(في الصفحة الأولى والثانية سرد الفريق «فوزي» في مذكرته بنود المشروع الأمريكي المقترح كما نقلت إليه. وكان سرده دقيقاً. ثم وصل إلى القول بالنص: «(\*)

(\*) صورة للاف تقرير الفريق «فوزي» بخط يده عن رأي القوات المسلحة في المشروع المقترح من الجانب الأمريكي، وكذلك صورة من الصفحة التي بدأ فيها الفريق «فوزي» يناقش هذا المشروع - وهما موجودتان تحت رقمي (٢٨) و (٢٩) - في ملف صور الوثائق. على صفحة ٧٧٧ من الكتاب.

٢ من وجهة النظر العسكرية فإن القوات المسلحة ترفض هذا الاقتراح للأسباب التالية:

- أ - وضع أفراد شرطة مدنية في الشريحة التي ستستحب منها القوات الإسرائيلية، مغارة نزع سلاح سيناء مقنناً - إذ أن أفراد الشرطة ليس لهم فاعلية قتالية.
- ب - هذه الشريحة لا تجعل مدن القناة في مأمن عن أسلحة العدو الأرضية، وبالتالي سوف لا يعود المهجرون إليها.
- ج - سوف لن تتمكن القوات المسلحة من التركز في أو استخدام المطارات الأمنية في صا الحجر، الصالحية، الاسماعيلية، أي صوير وقايد لوقوع هذه المطارات تحت تأثير ثيران بعض أسلحة العدو.
- د - منطقة رأس سدر والمدقات الجديدة المؤدية إليها تعتبر جزءاً من المواجهة وبقاء القوات الإسرائيلية بها يؤثر على مدينة ومنطقة السويس.
- هـ - لا يؤمن هذا المشروع تركز القوات في غرب القناة بعيداً عن نيران العدو بسبب:
  - (١) وجود مدفعية للعدو عيار ١٧٥ مم يبلغ مداها ٣٢,٧ كم.
  - (٢) وجود الميزر وتمادا ومناطق السيطرة والشوشرة في أم خشيب وأم مرجم في يد العدو.
- و - الساحل الشرقي لخليج السويس لم يدخل في المشروع علماً بأنه جزء من المواجهة بجبرنا على:
  - (١) الصراع البحري في الخليج.
  - (٢) وجود المطارات في أبو ديبس والطور وهي تعتبر مطارات أمامية للهجوم.
  - (٣) الإبقاء على قواتنا المتمركزة في البحر الأحمر كما هي.
- ز - إذا شمل الاقتراح عبور سفن إسرائيلية رافعة أعلامها في القناة فسينشأ عن ذلك الاتي:
  - (١) مخالفة تفسير قرار مجلس الأمن الذي يربط بين مرور السفن وتسوية مشغلة اللاجئين.
  - (٢) ستتطلب إسرائيل في تأمين عبورها في خليج السويس، ممراً مشتركاً بينها هو في الواقع جزء من المواجهة العسكرية بيننا وبينهم.
- ح - ومن الناحية المعنوية فإن هذا الحل قد يكون له التأثير التالي:
  - أ - القوات المسلحة معية معنوية الآن تعبئة تسمح لها بالقتال في هذا الشهر الحاسم طبقاً لما سبق أن أعلنه السيد رئيس الجمهورية.
  - ب - سوف لا يقلل أفراد القوات المسلحة أن بوضع أفراد من الشرطة المدنية في وضع هو أشبه بنطاق الأمن بالنسبة لهم مع العدو.
  - ج - هذا الوضع سيقلل القوات المسلحة الاتصال مع العدو، فلك الاتصال الذي يحافظ على وجود

ولم يكن ، أنور السادات ، مقتنعا بما قاله الفريق ، فوزى ، فى منكرته عن ، استراتيجية الجبهة  
محددة متفق عليها مع الاتحاد السوفيتى . .

وعلى أى حال فإن الفريق ، فوزى ، أضاف إلى أسباب « رفض القوات المسلحة للمشروع  
الأمريكى » - تعديلات يقترح إدخالها على المشروع ، ثم وصل فى ختام منكرته إلى أن قدم  
ما أسماه « مشروع مقترح من القوات المسلحة » . وكان مشروعه فى تقدير الرئيس ، السادات ،  
خارج سلطته أولا ، ثم إنه كان ، فى تقديره ، إغفالا للحقائق الموضوعية وموازين القوى .  
المقترحات التى قدمها يصعب قبولها إلا نتيجة لحرب تخوضها مصر وتتصير فيها . وكان الوقت  
لا يزال مبكرا لتلك فى حسابات الرئيس « السادات » .

ومع ذلك فقد أقتنع ببعض النقاط العسكرية التى وردت فى تقرير الفريق « فوزى » . وظهر  
ذلك فى تقرير عن حديث تلفزيونى بينه وبين « محمد حسنين هيكل » مساء يوم ١٥ ابريل . نصه  
كما يلى :

منزل السيد / محمد حسنين هيكل  
رقم التليفون : ٩٨٠٠٤٤٨  
من سمعت : ١٩٥٠  
يوم : ١٩٧١/٤/١٥

( فى الصفحة الثالثة من هذا التقرير يرد الحوار التالى : )

الرئيس السادات : محمد ، أنا حسبته كويس . حكاية الـ ٢٥ ميل - ٤٠ كيلو - مش حاتفك . أنا أصلى كان  
عندى الخريطة النهاردة - ما أنا الخريطة عندى - جيب خريطة سيناء وكل شىء باين طوبة  
طوبة - يعنى لما تيجى تشوفها عندى حاتذهل - أى طوبة فى سيناء باينه فيها - ٢٥ ميل  
أبقى سايبهم فى المضائق .

هيكل : لا . صعب . ما أفطنش . صعب قبوله . مش ممكن .  
الرئيس السادات : لما قستها يا محمد لغيت المشروع مخيلنى على خط وخص - فيه خطين كونتور . عندنا فى  
العسكرية نقول كونتور على المرتفعات ، فقيه كونتورين . فيه كونتور ٢٠٠ متر ، وفيه  
كونتور ٣٠٠ متر - لما حسبته على الخط بتاعهم لغيت على الكونتور أبو ٣٠٠ - يعنى أنا  
سأبب لهم حجة فى المضائق بروضه . دى حاتبكي ميزة استراتيجية لهم . واخذ بالك ؟ أنا مش  
عاوز أقول لا . لكن عاوزه يتحركوا أكثر . أنا كنت دائما أقول عاوزه ولو ١٠ سم على الضفة  
التانية . لكن ١٠ سم بالقحام . لكن إذا كان بتسوية ببقى لازم الخط ينحسن . ولازم بروجوا  
ورا العريش علشان يلاقوا خط طبيعى .

هيكل : على أى حال نحاول . وأمانا وقت لغاية ما يوجي روجز .  
الرئيس السادات : هو أنا ناولى أعمال concessions ( تنازلات ) بس أخش الضعة الشرقية .  
هيكل : طبعاً .  
الرئيس السادات : وأنا قوات بوليس أو إدارة مندية . ما أنا أقدر أنيس قوات منى . ما هو أنا أصلى متقدم  
مقدم . فلما أخذ فرصة اتى أودى الإداريين بيقولوا ستارة قداسى - screen يا محمد علشان  
المودر أبقي أنا الكسان . وأعتبر اتى ما عايش concessions ( تنازلات ) .

روح القتال ، وستبقى القوات فى سكوت لحين فتح القناة ، الأمر الذى قد يسبب انفجار فى  
القوات المسلحة وفى الموقف الداخلى على السواء .  
٥ - أما من وجهة النظر السياسية والاستراتيجية فلن الحل المقترح قد يكون له التأثير  
التالى :

أ - هذا الاقتراح مخالف للاستراتيجية الموحدة المتفق عليها مع الاتحاد السوفيتى ، الحليف الوحيد  
لنا ، والذى نعتمد عليه عسكرياً . وقد يعطى انطبعا سينا للاتحاد السوفيتى مما قد يترتب  
عليه :

(١) تولد انطباع لدى المسؤولين السوفيت بعدم رغبتنا فى القتال .

(٢) تبرير فى قطع سبل الدعم العسكرى .

ب - ستظهر ج.ع.م. أمام العالم بقبول الاقتراح المقدم من أمريكا والذى يمثل وجهة النظر  
الإسرائيلية ، مما يظهرنا وكأننا قد تنازلنا عن أهدافنا الوطنية ( تحرير الأرض ) .

ج - هذا الوضع يمثل انحراف عن الخط العربى مما يضعف مركزنا .

د - هذا الوضع يجعل أمريكا تستعيد مكانتها فى المنطقة مما يؤثر على الموقف القيادى للقاهرة  
وتقوئها فى العالم العربى .

هـ - تنتج ج.ع.م. حاليا بعطف العالم على قضيتنا . والرأى العام العالمى مهيباً لتقبل أى عمل  
عسكرى نقوم به .

فإذا وافقنا على هذا الحل ، وطال الزمن ، وتمتعت قضيتنا ثم عدنا للقتال مرة أخرى فسوف  
لا تكون فى موقف أفضل ، وسيصفنا الرأى العام العالمى بالتردد ، وعدم الثبات على الرأى ،  
وبأن القوات المسلحة لا ترغب فى الحرب .



كل : والله يارب .  
الرئيس السادات : لازم أعبر بالقوات الإدارية .  
كل : ما هو أنت ضروري تغير - وأظن لازم يبقى فيه ناس كثير قوى حتى بضرورة تأمين أعمال  
الرئيس السادات : رأيك إيه ؟ نود ازاى ؟  
كل : أنا خايف أن المسائل حاتبين تعقيدات تانية . أنا خايف مثلا يطلبوا تخفيض قوات من  
التاحيين . إذا كانوا مستعدين يرجعوا مسافة بعيدة للغاية العرش يبقى ممكن يطرحوا مسألة  
تخفيض القوات تاجيتك انت .  
الرئيس السادات : لا . أنا التخفيض ما يهينيش . لكن اللي يهمنى انه ما بقوليش ارجع ورا . التخفيض - ده  
أنا يا محمد حا انتهر هذه الفرصة . أنا لو أرجع للاجئين فى الاسماعيلية والسويس . طيب  
ما أنا أخفض قواتى . أنا علوز ثلاثة أرباع مليون عسكري أعمل بهم إيه ؟ فلانم أبتدى  
ساعتها partial demobilization ( فك تعبئة جزئية ) .  
كل : ياه . مش صعب دى بلوقى ؟  
الرئيس السادات : لا . ما أنا حا أخفى القوات المحاربة . حذراعمل فك تعبئة جزئى لا يؤثر على التسهيلات  
ملا حاطع أساتذة الجامعة اللي بيحضروا رسائل مكتوره - حا أطلع دفعة من المؤهلات  
لا عمل لهم ، إنما اتى أطلع من القوات المدرعة ، طيبا لا . يبقى قدام العالم أنا عملت  
demobilization - وأعلن . لكن فى واقع الأمر حا أبقي مخطى الـ core الأساسى ( الجسم  
الأساسى ) بناع القوات المسلحة لا يمس .  
كل : يبقى معقول .  
الرئيس السادات : اسبح . أنا صاحبهم وحناور كويس .

### ٣

صباح يوم الخميس ٦ مايو كان الرئيس « أنور السادات » متأهبا ، وقد سمع أصوات دخول  
موكب وزير الخارجية الأمريكى « ويليام روجرز » لموعده معه ، وخرج إلى الردهة الخارجية  
ليكون فى استقباله . وبرغم كل مظاهر الثقة التى وضعها على وجهه ، فإنه فى أعماقه كان قلقا :  
١ - كانت من حوله أزمة داخلية . فبعد إقالة السيد « على صبرى » أحس أن هناك تحركات  
واتصالات تجري من وراء ظهره - ومع أنه كان وثقا من صحة قراره بالنسبة للسيد « على  
صبرى » - إلا أن تداعيات هذا القرار لم تكن قد ظهرت بعد خصوصا فى دوائر الحكم والتنظيم  
السياسى . وعلى مستوى الرأى العام العادى كان يعرف أن قراره لاقى قبولا حسنا ربما بأكثر  
مما كان يتوقع .

٢ - إنه مقبل على محادثات حيوية مع القوة الأعظم التى تؤيد عدوه - وأما القوة الأعظم  
الثانية التى تؤيده هو - فإنه لم يكن وثقا من موقفها ، وكان يعتقد أنها تعطيه السلاح بالقطارة ،

ما أنها فى نفس الوقت تتفاوض مع الولايات المتحدة وتنشئ لو تمكنت من الاتفاق معها على ترتيب  
حفظ لها بمزايا التواجد فى الشرق الأوسط دون أن يكون عليها أن تدفع ثمنها باهظا فى مقابلها .  
٣ - وكانت المقترحات التى يحملها « روجرز » معروفة لديه . ولم يكن قادرا على قبولها .  
فى نفس الوقت لم يكن يريد أن يرفضها صراحة . وكان السؤال الأكبر الملح عليه هو ما إذا  
كان فى استطاعته أن يوقع « روجرز » بخط أبعده فى سيناء - العرش مثلا - تنسحب إليه القوات  
الإسرائيلية . ولم يكن وثقا مما إذا كان ذلك فى سلطة الإدارة الأمريكية بالكامل ، بما فيها  
« روجرز » . ومع أنه كان يعرف حجم النفوذ الأمريكى على إسرائيل ، فإنه فى نفس الوقت كان  
يعرف حجم التأثير اليهودى على الإدارة الأمريكية .

وبشكل ما فإنه حاول أن يطمئن نفسه فى النهاية باحتمال أن يتمكن من التأثير على  
« روجرز » . وبالتالي فإنه يستطيع على الأقل أن يأخذ الإدارة الأمريكية فى صفه .

٤ - إضافة إلى ذلك فإن هناك حاجسا بدأ يلح عليه فى الفترة الأخيرة ، وقد جاءته المعطومات  
عنه من مصادر متعددة راحت جميعا تؤكد له وتقيم الشواهد عليه . و كان هذا الهاجس يتلخص  
فى أن « ويليام روجرز » لم يعد شخصية مؤثرة فى صنع القرار الأمريكى ، وإنما انتقلت سلطة  
القرار إلى البيت الأبيض ، والذي يمارسها فعلا وعملا هو « هنرى كيسنجر » .



لسوء الحظ فإن وثائق الدبلوماسية المصرية كلها ، سواء فى رئاسة الجمهورية أو فى وزارة  
الخارجية أو فى وزارة الحربية - لا تحتفظ بأى نوع من أنواع المحاضر لوقائع ما دار فى الاجتماع  
بين الرئيس « أنور السادات » و « ويليام روجرز » قبل ظهر يوم ٦ مايو ١٩٧١ . بل إنه لسوء  
الحظ - أيضا - لا توجد تسجيلات تلفزيونية تظهر فيها رواية عن تفاصيل ما جرى .

لكن الذى يمكن القول به طبقا للقاء مع الرئيس « السادات » جرى عصر نفس اليوم الذى  
قابل فيه « روجرز » - أن بعض الخطوط الرئيسية تتكشف على النحو التالى :

١ - تحدث « روجرز » فى البداية عن حسن النوايا الأمريكية تجاه مصر وتجاه الرئيس  
« السادات » . وقام بعرض لتطورات الحوادث منذ توصل هو إلى خطوط مبادرته فى ديسمبر  
١٩٦٩<sup>(١)</sup> .

٢ - ثم نقل « روجرز » إلى الرئيس « السادات » رسالة من الرئيس « نيكسون » يعبر فيها

(١) لم تنشر نصوص رسمية كاملة لمبادرة « روجرز » فى ديسمبر ١٩٦٩ . ولكن طرحت للبحث خطوطها العريضة . كما  
أنه ظهرت تجميعات لبعض الأفكار تمثل الهيكل العام للمبادرة . وذلك لأن هذه المبادرة كانت مجموعة اقتراحات طرحت لى  
تتشكل على صيغة نهائية تنهية للاتصالات والمعاملات مع الأطراف .



الرئيس السادات أثناء استقباله ويليام روجرز في شهر مايو ١٩٧١

عن عزمه على الوصول إلى تسوية شاملة وعادلة لأزمة الشرق الأوسط خلال رئاسته ، وأنه -  
 أي الرئيس « نيكسون » - لا يزال ملتزما بال even - handed policy ( السياسة المتوازنة ) التي  
 أعلنها منذ بدأت رئاسته .

٣ - تحدث « روجرز » عن الجهود الدبلوماسية التي بذلها ممثل الأمم المتحدة الصغير  
 « جونار يارنج » - ومحادثات الدول الأربع الكبرى في نيويورك - والاتصالات الدائرة طول  
 الوقت بين موسكو وواشنطن .

٤ - عرض « روجرز » للجهود الأمريكية ، وأشار إلى أن الولايات المتحدة تجد في نفسها  
 القدرة ، وتجد لديها حجم الإهتمام الكافيين لدفعها إلى أداء دور مباشر في أزمة الشرق الأوسط ،  
 خصوصا بعد أن أصبحت على اتصال مباشر بالقاهرة . وأشار بسرعة : « إننا لم تكن حتى وقت  
 قريب نسمع صوتكم في أذاننا ، وإنما كنا نسمع صوت جروميكو ( وزير خارجية الاتحاد  
 السوفيتي ) - وصدقني ياسادة الرئيس أن صوت جروميكو ليس بالضبط صوت كاروزو<sup>(١)</sup>  
 ( وقهقهه الرئيس السادات ضاحكا ) .

<sup>(١)</sup> معنى أوبرا إيطالي شهير ، وله أشهر الأصوات في القرن العشرين . وقد روى الرئيس ، السادات ، هذا التفصيل في  
 لقاء لاحق .

٥ - أشار « روجرز » إلى أن الولايات المتحدة لا تريد أن يجرى دورها بحيث يحجب دور  
 الأمم المتحدة ، أو دور أوروبا ، أو حتى دور الاتحاد السوفيتي . وإنما هي ترى أنه في مقدرها  
 ، حدها أن تقوم بدور العنصر المساعد catalyst ، وأنه إذا ما جرى التوصل في جولته هذه إلى  
 اتفاق مبدئي ، فإن الأمور سوف تحول إلى « يارنج » ، لكي تتدخل الأمم المتحدة على الخط .

٦ - عرض « روجرز » لمقترحاته بما لا يخرج عما كان الرئيس « السادات » ، قد عرفه وقام  
 بدراسته ، وتوصل إلى صعوبة قبوله .

ودارت مناقشات كان واضحا منها أن « روجرز » لا يملك مجالاً واسعا للمناورة . وعندما  
 عرض الرئيس « السادات » لتصوراته في مقابل ما طرحه « روجرز » - فإن وزير الخارجية  
 الأمريكي لم يخف شكوكه في إمكانية قبول إسرائيل الانسحاب إلى خط يقع عند العريش .

وكانت هناك نقطة خلاف أخرى ظاهرة حتى داخل إطار الأربمين كيلو مترا التي عرضها  
 « روجرز » كمدى للانسحاب - وهي نقطة عبور حجم إداري مصري مؤثر إلى الضفة الأخرى  
 من القناة ، والقيود التي تريد إسرائيل فرضها على حجم هذا العبور وعلى حرية حركته ، وحتى  
 على ملابسه . واللافت للنظر أن « روجرز » ، قال للرئيس « السادات » ، إن « ديان يرفض أي زى  
 رسمي للجموعات الإدارية المصرية التي يسمح لها بالعبور » ، وقد قال لنا إنه لن يسمح حتى  
 بزى « عمال فنادق » . وكان مبعث الدهشة أن الرئيس « السادات » نفسه كان قد استعمل هذا التعبير  
 في جلسات مغلقة أدى فيها أنه يريد أن يعبر بأى حجم من الناس وبأى زى رسمي موحد حتى  
 ولو كان زى عمال فنادق .

وقد اتجهت المباحثات إلى إمكانية الوصول إلى خط انسحاب وسط . وأحس « روجرز » ،  
 أن المضائق هي النقطة الحساسة في تفكير الرئيس « السادات » . كما أن الرئيس « السادات » بدأ  
 يعطي الانطباع بأن خط ما وراء العريش قابل للنقاش . وكانت النقطة الأخرى التي بدت فيها إمكانية  
 الوصول إلى حل وسط هي نقطة التواجد المصري على الضفة الأخرى .

وانتهى الاجتماع بأن عرض « روجرز » استعداده لإرسال « جروميف سيسكو » إلى إسرائيل  
 لحديث مع « جولدا مائير » ، و« موشى ديان » - لينقل إليهما روح وتقاضيل ما جرى بينه وبين  
 الرئيس « السادات » ويحاول دفع الأمور إلى قرب حل وسط .

□

قبل لقائه مع الرئيس « السادات » ، وكان ذلك في آخر يوم من أيام زيارته لمصر - كان  
 « روجرز » ، على موعد في مبنى « الأهرام » مع « محمد حسنين هيكل » .

كان « محمد حسنين هيكل » قد التقى بـ « ويليام روجرز » ، وزير الخارجية الأمريكي ثلاث  
 مرات خلال زيارته القصيرة للقاهرة : مرة في عشاء على مائدة المستر « دونالد بيرجيس » ، ومرة  
 ثانية على فوجان شاي في الجناح الذي نزل فيه « روجرز » في فندق « هيلتون » ، ومرة ثالثة على

مائدة عشاء أقامه « روجرز » نفسه تكريما لمضيفه الرسمي السيد « محمود رياض » نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

ويدون مقدمات أيدى « ويليام روجرز » رغبته فى زيارة مبنى الأهرام .

وكانت المشكلة أن البند الوحيد الباقي فى زيارته للقاهرة هو مواعيد المنتظر مع الرئيس « أنور السادات » ، وقد تحدثت له الساعة الحادية عشرة صباحا ، ومن بيت الرئيس كان المقرر أن يتجه مباشرة إلى المطار قاصدا إلى إسرائيل .

وقال « روجرز » إنه « يستطيع » أن يكون غدا فى الأهرام فى الساعة التاسعة صباحا ، وبعد زيارة العبنى وفنجان قهوة يذهب إلى مقابلة الرئيس .

كان الطلب غريبا ، وكذلك التوقيت ، وكذلك مشكلة حشر زيارة من هذا النوع وسط برنامج مزدحم ، مقرر سلفا ، وقد قامت على أساسه ترتيبات واستعدادات .

وكان السؤال المهم هو : ما الذى يريده « روجرز » .. لقد تحدثت مع كل الناس ، وضمنهم « محمد حسنين هيكل » ثلاث مرات ، وهو الآن لا ينتظر غير مقابلة الرئيس « السادات » ، وهو البند الرئيسى فى زيارته قبل أن يطير إلى تل أبيب ؟

وصل « روجرز » إلى مبنى « الأهرام » الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وبعد فنجان قهوة طلب أن يقوم بزيارة للمبنى . وطاف به « هيكل » فعلا فى بعض الأتوار الطباعية . وأثناء وجودهما فى عبور السبك همس « روجرز » قائلا « إننى أريدك على أفراد لمدة ١٠ دقائق ، ومن غير كل هؤلاء المرافقين » . وكان المرافقون جمعا يضم بعض مساعدى « روجرز » بمن فيهم « دونالد بيرجيس » ، إلى جانب بعض الدبلوماسيين من وزارة الخارجية وبينهم المختصون بالبروتوكول ، إلى جانب بعض رؤساء الأقسام فى الأهرام ، ثم مجموعة من ضباط الحراسة المصاحبين لـ « ويليام روجرز » .

وعندما عاد « ويليام روجرز » إلى مكتب « هيكل » توقف مع مضيفه فى غرفة اجتماعات صغيرة ملحقة به ، ووقف يتأمل لوحة من الفن المصرى المعاصر . ثم استدار ليجلس على كرسى حول مائدة اجتماعات مستديرة ، ودعا مضيفه إلى الجلوس بجواره ، وأدرك جميع المرافقين أن وزير الخارجية الأمريكى يريد أن يتحدث مع مضيفه وحدهما .

« حين الطمان » ويليام روجرز ، إلى أن العزفة الصغيرة لم يعد فيها طرف ثالث ، بدأ يتكلم بصوت خفيض وبسرعة . وكان ما قاله مفاجئا .

لم يكن هناك - فيما هو ظاهر - وقت لمقدمات . ولذلك فإن « روجرز » دخل فى صميمه مباشرة قائلا : « إننى أتصور أنك تستطيع أن تفهم وتقدر ما سوف أقوله لك . ولذلك فأنا سوف أقوله راجيا أن تلقىه سرا ، وأن تضعه فى بالك خصوصا وأنت تتحدث مع الرئيس السادات . إن بعض الناس - وأنا أعرف من هم - يلحون عليه فى أنه قد يكون من الأفضل له أن ينتقل

الاهتمام بأزمة الشرق الأوسط من وزارة الخارجية إلى البيت الأبيض لكى يتولى هنرى كيسنجر حلها بوسائله المعروفة out of the hat ( يقصد بها إخراج أرنب من القبة ) . وأما أريد أن أقول إنه من الأفضل لكم ان تظل أزمة الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية - ولا يقترب منها هنرى كيسنجر . لا تظن ان المسألة خناقة بينى وبين هنرى . هو يتخاف من الرئيس مباشرة ، ولكنى لا أعتبر نفسى فى خناقة معه ، وأنا أحاول أن أتجنبه وأتحدث مع الرئيس مباشرة . إن دخول هنرى إلى هذه الأزمة ليس فى صالحكم . وأنا أعرف أنه يتحرق شوقا إلى الدخول فيها رغم أنه يصرح علنا بأنه لا يريد الاقتراب منها بسبب كونه يهوديا . لكن ما يقوله هنرى فى الظاهر ليس هو الحقيقة . إن هنرى كيسنجر رجل ليست له ولاعات . إن كل كانن حتى بالطبع له ولاعات . لكن المشكلة فى هنرى أن قائمة ولاعاته على النحو التالى :

( وراح « روجرز » يعد على أصابعه )

ولاؤه الأول لهنرى كيسنجر

ولاؤه الثانى لهنرى كيسنجر

ولاؤه الثالث لهنرى كيسنجر

ولاؤه الرابع لآى سيد يستعمل خدماته

ولاؤه الخامس لأمنته . .

وأبلى « هيكل » ملاحظة قال فيها إنه « قابل بولانه لأمنته ، ذلك لأن ولاؤه لأمنته سوف يجعله يعرف أن مصالح الولايات المتحدة كلها مع العرب » .

وقاطعه « روجرز » : « ماذا نقول ؟ أمنته ليست الأمة الأمريكية . ولاؤه لليهود . . »

□

وغادر « ويليام روجرز » مصر - وكان الاتفاق أن « سيسكو » الذى ذهب إلى إسرائيل ليبحث إمكانية الحل الوسط ، عائد إلى القاهرة . وإذا نجح جهده هناك ، أو بت بوانر تدل على احتمالات نجاح ، فإن « روجرز » نفسه سوف يعود مرة أخرى إلى القاهرة .

وجاء « سيسكو » قادما من إسرائيل ، والتقى بالرئيس « السادات » . وكانت المقابلة وملاساتها تعكس :

١ - فشل محادثاته هناك .

٢ - الحالة العصبية للرئيس « السادات » ، وقد تبين أن الأمور وصلت إلى طريق مسدود .

ومن حسن الحظ أن أجهزة التسجيل كانت تدور ، وهكذا فإن الصورة تظهر كاملة بالواقع والأجواء فى تقرير عن تقرير شريط مسجل لحديث تليفونى بين الرئيس « السادات » و « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٩ مايو ١٩٧١ .

« تسجيل محادثة تليفونية بين السيد الرئيس أنور السادات والسيد محمد حسنين هيكل »

رقم التليفون : ٩٨٠٤٤٨  
سعت : ٢١٠٠ :  
يوم : ١٩٧١/٥/٩ :

هيكل : متأسف لأزعجك .  
الرئيس السادات : ازعاجي ايه وأنا لسه قانع هدمي وطالع من مقابلة نلوقتي .

هيكل : ما أنا عارف . وفلك قلت باترى التأخير ده كله معناه ايه ؟

الرئيس السادات : معناها اني أخذت ساعتين الأول مع سيسكو بحضور محمود فوزي ومحمود رياض وأهل غربال . وقلت لأشرف يكتب المحضر بالكامل ويكتب النقط وأخذت confirmation (تأكيد) عليها من سيسكو .

وبعدين أنا وسيسكو بقى قعدنا ساعتين لوحدها .

هيكل : كل : ياه ؟

الرئيس السادات : أه .

هيكل : طبيب وده معناه ايه ؟

الرئيس السادات : معناها يا أخى أن الناس التي عندنا صعب . لازم أنا أعرف الصورة بالكامل . وديها (بعد سيسكو) مش حايكون كل حاجة قدامهم . بس أنا لازم أعرف الصورة . فقلت لبدانة بتوينا في الصالون الثاني وقتلهم أفلترنا عليهم ، وفصلت وراه لما نطق كل شيء .

هيكل : معلول الكلام ده ؟ طبيب وبعدين ؟

الرئيس السادات : سيسكو يقول اللي عاوز السلام في إسرائيل ديان .

هيكل : كل : غربية .

الرئيس السادات : أه . أنا تكديري كده من الأول . هو اللي مقرر الظروف - وأنا قلت لسيسكو أنا بفتش بين رئيس وزارة عششان الواحد يعرف يتكلم معاه ويعمل معاه سلام لأنه رجل قوى - وسيسكو شرح لى الظروف كلها - أنا أصل هنا لما جالى هو (سيسكو) وروجز قلاوا ليهم بيحاولوا to convince (إقناع) إسرائيل . وأنا قلت ليهم إقناع ايه ؟ لازم تمارسوا ضغط exert pressure . لا ده أنا بطلب squeezing (عصر) - عاوزين تصبروا إسرائيل الكبار التعبير ده من فضلكم ، وبلغوا التعبير ده من فضلكم لنيكسون - ليه ؟ لأن هنا بطلب التهارة على السلام - وإذا كنا بنتكلم على السلام يبقى اللي بطلب في طريق السلام squeeze - نعصره - وبعدين - الله ، ده رغييف العيش راح يشيك من عنكم - شيك ، مليون دولار كل شوية بتبتعوه - شيك وأنا قاعد أتم ضرائب هنا لما بيتنجل بديري يصل لنا أزمات . إنما هم بقى شيك كده بيروجز فيه رغييف العيش زائد القاتنم - طب قلاوا لي exert pressure ؟ لا أنا غير قابل . لا convince ولا pressure . وأنا يقول squeeze . لسيسكو قال لي حاضر squeeze ، اللي أنت عاوزة عملناه .

(\*) نموذج لأحدى الصلحات من تقرير تسجيل تليفوني بين الرئيس ، السادات ، و . محمد حسنين هيكل ، يوم ٩ مايو ١٩٧١ ، ولديه بردي الرئيس ، السادات ، تفاصيل لقائه مع ، سيسكو ، ، وخلافاته مع بعض مساعديه - والصورة موجهة لى بلبل صور الوثائق تحت رقم (٣٠) - على صفحة ٧٦٨ من الكتاب .

هيكل : كل : الله .. الله ؟

الرئيس السادات : أه . قال لي ايه ال squeeze لأنه فعلا وحكى لي القصة بالكامل .. بالتكامل وياه العملية وياه الصورة وياه وياه .. هم بقى كلامهم ايه اللي باعتهيه ؟ بيقولوا إنا ما نعيش . وان فترة وقف إطلاق النار متعلقة بطول مدى الانسحاب - يعني على قدام نفي وقف إطلاق نار على قدامهم ما يتوا كيلومترات زيادة في الانسحاب .. واخذ بالك ؟

ما عديش مانع منه . بس بقى بيتكلموا في حاجة ثانية لا تقبل .

هيكل : كل : ايه ؟

الرئيس السادات : سيسكو يقول ديان نده له . وديان يظهر زي حالتنا عارف ان سيسكو هو اللي وراه الموضوع . وديان هو الرجل القوى . قام نده لسيسكو لوحده - وسيسكو قال لي قعدت ويا ديان لوحدها وقال لي سيبك من كلام جولدا مائير وسيسكو من كلام دول كلهم - خفضوا شوية سلاح في الضفة الغربية وأنا أخفض سلاح في الخط الجديد اللي نروح له لكن العبور -

لا . أي عبور عملية يبقى شكلها وحش علينا ونفتح مشاكل كثير عندنا . برضه غربية - فتح القناة هو الكارت اللي أنا خايف منه ليتعب ضدي . هم برضه خايفين ليتعب ضدهم .

هيكل : كل : ازاي يعني ؟

الرئيس السادات : بيقولوا ايه يضمن ليهم انه بعد تطهير القناة وقمعها إنا ما نجيش في وقت ونقول ما نتناحش القناة إلا بعد الانسحاب الكامل . واخذ بالك ؟

هيكل : كل : مفهوم

الرئيس السادات : ما أنا أصل الكارت ده عندي وأقدر أعب به إذا بدأت تطهير القناة .

هيكل : كل : طبيب ازاي مغيث عبور ؟ ومين اللي يحس عمليات تطهير القناة على فرض أنها ابتدت في الناحية الثانية ؟

الرئيس السادات : على أي حال سيسكو قال لي إنا بننقل لكم وجهة نظرهم . وما تاخدها على أنها وجهة نظرنا . ولا تستجلبوا في الرد . انتم اترسو الموضوع . وسيسكو قال لي انه باقي في القاهرة عدة أيام مستنى توضيحات إضافية من إسرائيل لأنه نيكسون بقى متصل بهم نلوقتي . سيسكو قال لي أنا تحت أمرك طول ال ٢٤ ساعة . وقت ما نطلبني خلاطيني .

قلت له طبيب ، وأنا على أي حال بالفاكر في نتي أبتد حد يرد على زيارة روجرز لنا . وبينى وبينك أنا عيني على فوزي (يقصد الدكتور محمود فوزي) .

الرئيس السادات : معقول . لكن ايه الكلام اللي حايقتال للناس . لازم يطبع statement (بيان) .

الرئيس السادات : طبعا نطلع بيان . نطلع بيان نقول ان إنا تبايننا وجهات نظر مفيدة جدا ، ونقلنا لنا وجهة نظر إسرائيل . ولكن الولايات المتحدة لسه ما قائلش وجهة نظرنا .

(بعد هذا الجزء من المكالمة الذي تحدثت عن التفاصيل السياسية ، بدأ جزء آخر كان حديث الرئيس لآسادات فيه عن جو الجلسة) .

الرئيس السادات : بس ايه .. الجماعة بتوينا صعب يا محمد . نسيت أقول لك الصبح طلبنى رياض (يقصد السيد محمود رياض وزير الخارجية) وقال لي سيسكو جاي ، وإن سيسكو ادى بيان في المطار انه شكر ان أنا قبلت انه ييجي وأقابله - رياض ما كانش مبسوط - فيها ايه ده ؟ عاجز عن الشكر ان أنا قبلت انه ييجي وأقابله - رياض ما كانش مبسوط - فيها ايه ده ؟

كلام حلو ولطيف . قلت له يا رياض أقعد مع سيسكو شوية وشوف ايه وهاته لي وتعالى الساعة ١١ . وزى ما قلت لك أنا كنت محضر محمود فوزي وكمان الفريق فوزي .

هيكل : كل : براقو عليك .

الرئيس السادات : أه . وبعدين جالي الفريق فوزي قبلها بساعة . قلت له أقعد لما أحتاجك حا أنه

لك . إن كانت الأمور ماشية حا آتده لك تتكلم على الخريطة . محمود فوزى راجل منضبط  
 چه فى الميعاد . رياض كلمنى بالتليفون زى ما قلت لك الصبح ، بيقول ايه بقى يا سيدى ؟  
 بيقول لى إنه حاسس ان سيسكو بيتهرب وانه قعد الصبح فى الوزارة اتكلم معاه وضبح  
 وقت - ما قائلش حاجة جديدة - وواضح انه عاوز يتكلم معانا أنا بس . أنا بقى يا محمد  
 ما مسكش أعصابى قلت له جرى ايه يا رياض ؟ انت فاهمنى حا أفرط ؟ انت فاهم نفسك  
 ايه ؟ - إذا كان جايب personal message ( رسالة شخصية ) طيعا بييجى يقابلنى لوحده .  
 قال لى بس هو جايب معاه واحد يسجل . قلت له عال ، هات واحد من عندنا يسجل . قال  
 لى أجيب محمد رياض والا أشرف غريال ؟ قلت له لا هات أشرف غريال يسجل ، قال طبيب  
 ما أجي أنا أسجل . قلت له غريب الكلام بتاعك ده يا رياض ، إذا كان جايب personal  
 message بييجى يبلغ الـ personal message - أنا مش عاوز الدوشة دى يا رياض - وقلت  
 السنة - وبعين چه ولقى الدكتور فوزى وقعد وهدا .

هيكـــــــــــــــــ كل : والطريق فوزى .

الرئيس السادات : قاعد وبعد شوية لما چه سيسكو يتكلم فى الخط ، قلت لهم هاتوا الطريق فوزى من الأوده  
 الثانية . چه الطريق فوزى ، وعلى الخريطة وقف وشاف وقال لا ، أنا لا أقبل ده ولا أقبل  
 ده ويتاع . وخلصنا كل شيء ، وأشرف غريال خذ محضر بكل شيء كامل ، وقلت له عيد  
 بقى النقط بالكامل واتكلم بالانجليزى علشان أخذ confirmation ( تأكيد ) من سيسكو .  
 وأخذت الـ confirmation على كل النقط - كريس ؟ أهه هنا بقى سيسكو قال لى عايز أقعد  
 معاك ١٠ دقائق لوحدنا خالص - قلت له مستعد .

هيكـــــــــــــــــ كل : فيه مسألة مهمة .. ايه الخط اللى مقترحينه فى النهاية ؟ الخط اللى الطريق فوزى قال عليه  
 لا أقبل ؟

الرئيس السادات : الخط ... المشكلة بيقولوا مقيش عبور .

هيكـــــــــــــــــ كل : هو حكاية عدم العبور فى الحقيقة كلام فارغ .

الرئيس السادات : لا ، عدم العبور غير مقبولة .

هيكـــــــــــــــــ كل : مستحيل .

الرئيس السادات : هو فيه نقطتين أساسيتين يا محمد : عدم العبور مستحيل ، ومد وقف إطلاق النار الى أجل  
 غير مسمى غير معقول - النقطتين دول غير مقبولين . أما ما خلا ذلك ممكن تتكلم فيه -  
 وده التلى أنا قلته لسيسكو .

.....  
 .....

بقى « جوزيف سيسكو » فى القاهرة يومين ، ثم وجد أن التقارير التى تجيبه من إسرائيل  
 غير مشجعة ، وقرر أن يغادر القاهرة . ولم يجد داعيا لازعاج الرئيس « السادات » بطلب مقابلته ،  
 فأبلغ « محمد حسنين هيكل » بأنه يسوف يغادر القاهرة عائدا إلى واشنطن .  
 وكانت الرسالة واضحة مؤداهما أنه لا « مبادرة روجرز » ولا زيارته قد وصلت إلى نتيجة ،  
 وأن الأزمة الشرق الأوسط برمتها قد وقعت مرة أخرى أمام الطريق المسدود .

## الفصل الثامن

### مواقع مكتوفة

١

لم تنجح للرئيس « أنور السادات » فرصة للتفكير والتدبر فيما انتهت إليه محادثاته مع  
 « روجرز » يوم ٦ مايو ١٩٧١ ، ثم لقاءه مع « سيسكو » بعدها بيومين ( ٨ مايو ) - ذلك لأن  
 عاصفة من عواصف الخماسين هبت مثقلة بالآثربة والرمال على مصر ، وقد تمثلت فيما عرف  
 أثناءها وبعدھا بقضية مراكز القوى . وقد انتهت هذه الأزمة يوم ١٤ مايو ، وانجالت عاصفة التراب  
 والرمال ، وإذا بالرئيس « أنور السادات » على قمة القوة والسلطة فى مصر بمسك وحده بمعانيها  
 لأول مرة .

كان المشهد كما هو الشأن بعد أى عاصفة - مشها من مشاهد الارتباك والفوضى . ذلك  
 أن العاصفة اكتسحت مواقع ، وغبرت تضاريس ، وغطت وكشفت مساحات من خريطة الحكم فى  
 وقت لم يكن الرئيس « السادات » فيه مستعدا لمهام الإنقاذ ومحاولات الترميم وإعادة الترتيب  
 والتنظيم .

وللوهلة الأولى فقد تبين أن أخطر مواقع الاكتشاف قد تجيء فى موضعين :  
 الموضع الأول : هو العلاقات العربية السوفيتية ، وقد كان مؤكدا أن الاتحاد السوفيتى سوف  
 يشعر بقلق من جراء التطورات الأخيرة فى مصر ، خصوصا وأن بعض الذين غابوا مع رمال  
 العاصفة كانوا من عناصر اشهر عنها بحق أو بغير حق أنها ، من أقرب أصدقاء السوفيت ، فى  
 مصر .



كان الرئيس « السادات » قد تحسب مبكرا لاحتمال أن تلقى الحكومة السوفيتية من إقالة السيد « على صبرى » ، ولهذا فإنه استدعى السفير السوفيتي في القاهرة « فلاديمير فينوجرادوف » ، قبل إعلان قرار الإقالة بأربعة أيام ، وقال له طبقا لرواية الرئيس « السادات » نفسه :

- « إننى قررت طرد على صبرى . وسوف يذهب إليكم بعض الناس ويقولون لكم إن هذا قرار معاد لكم . وسوف يحاولون استنارتكم . فلا تصدقوهم . وأنا أريدك أن تبعث إلى صديقى بريجنيف بهذا الخبر الآن ، وتقول له إن أنور السادات يبلغك أنه إذا كان هناك صديق للاتحاد السوفيتي بمصر فهذا الصديق هو أنور السادات . »

وقد تلقى « فينوجرادوف » هذا الإخطار المبكر بدعشة . والذي لم يكن يعرفه الرئيس « أنور السادات » هو أن « فلاديمير فينوجرادوف » كان في اليوم السابق يزور أحد أقطاب السلطة في مكتبه ، وفوجيء به يقول له في عبارة لها معناها وتحتمل حجما مثيرا من التأويلات : « إن هناك ناس » على قمة السلطة في مصر « يتآمرون لبيعوا البلد للأمريكان . »

وخرج « فلاديمير فينوجرادوف » من مقابلته مع الرئيس « السادات » ، في استراحته بالقناطر يومها وهو في حالة حيرة كاملة بين إشارات متضاربة وتصرفات يبدو وكأنها تدعو الاتحاد السوفيتي - حتى رغم إرادته - إلى التدخل طرفا في صراع داخلي مصري . وبالتأكيد فإن « فينوجرادوف » بعث بهذا كله إلى موسكو . وعندما هبت عاصفة الخماسين في الأسبوع الثاني من شهر مايو على مصر ، وسقطت مراكز القوى ، وانفرد الرئيس « السادات » بقمة القوة والسلطة ، كان الكرملين - وليس سفيره في القاهرة فقط - في حالة حيرة واهتزاز .

وكانت الأسباب الداعية لمثل هذه الحالة مرئية للعيان :

١ - الاتحاد السوفيتي له استثمارات سياسية وعسكرية واقتصادية ضخمة في مصر . وحدث تغيير بهذا الحجم في القاهرة قد يعرض هذه الاستثمارات كلها للخطر .

٢ - أن التواجد السوفيتي في مصر كان مهما في حسابات موازين القوة الدولية بين موسكو وواشنطن في وقت كان الاثنان فيه على وشك الدخول من أبواب سياسة الوفاق . ومعنى أن يتأثر موقف الاتحاد السوفيتي في مصر وفي العالم العربي ، وبالتالي في البحر الأبيض وفي إفريقيا - أن الاتحاد السوفيتي قد يجد نفسه داخلا من أبواب الوفاق وقد فقد أهم أوراق في يده .

٣ - أنه فوق ذلك ويعدده ، فإن الاتحاد السوفيتي له في مصر تواجد عسكري ، خصوصا في مجالات الدفاع الجوى عن العمق المصري ، سواء بالطائرات أو بقواعد الصواريخ . وترجمة ذلك عمليا أن الاتحاد السوفيتي له في القاهرة قرابة أربعين ألفا من مواطنيه ما بين خبراء مدنيين وخبراء عسكريين - بل وتشكيلات مقاتلة في الدفاع الجوى عن العمق .

ويوم ١٥ مايو عقد المكتب السياسي ، وهو القيادة العليا للاتحاد السوفيتي ، اجتماعا في الكرملين جرى فيه بحث التطورات في مصر - على ضوء تقرير عاجل بعث به السفير « فلاديمير

موجرادوف » . وفيما يبدو فإن القادة السوفيت توصلوا إلى استنتاج مؤده أن الذين فقدوا موافقهم في مصر ليسوا بالضرورة رجالاتهم . كما أن الرئيس « أنور السادات » الذي انفرد وحده بالقمة ليس بالضرورة عدوهم . والراجح في ظنهم أنه صراع تقليدي على السلطة ، وأن كل طرف من أطرافه حاول استغلال « المركز السوفيتي » لصالحه . لكن الذي بقي بعد ذلك نتيجة للبحث المستفيض ، لتدرس هو أن الصورة العامة في القاهرة عاتمة ، وهذا هو ممكن الخطر .

وطالب السفير « فلاديمير فينوجرادوف » موعدا فوريا مع الرئيس « السادات » ، وذهب إليه ، ليلته أن القيادة السوفيتية قررت إرسال وفد على مستوى عال يرأسه « نيكولاي بادجورنى » رئيس الوفود السوفيتية بنفسه - والقيادة السوفيتية ترجوه تحديد موعد لاستقبال هذا الوفد في القاهرة . وافق الرئيس « أنور السادات » على استقبال الوفد ، بل إنه قال له « فينوجرادوف » إنهم في موسكو سيقوه لأنه كان في نيته أن يذهب إليهم في الأسبوع القادم .

وفي انتظار « بادجورنى » أعطى الرئيس « السادات » إشارة طمأنينة أخرى إلى الاتحاد السوفيتي ، فقد طرح بنفسه موضوع قلق الاتحاد السوفيتي في اجتماع عقد في مكتبه بقصر القبة عدا انتهاء عملية تصفية مراكز القوى . وكان الاجتماع يضم السيد « حسين الشافعى » والدكتور محمود فوزى « وطرح » محمد حسين هيكل ، على المجتمعين فكرة إدخال واحد أو اثنين من حسنين هيكل . « . والدكتور « عزيز صدقي » والأستاذ « محمد عبد السلام الزيات » و « محمد السيو عيين المصريين البارزين في الوزارة . وقدم اسم الدكتور « اسماعيل صبرى عبد الله » ، الدكتور « فؤاد مرسى » قائلا إن كليهما كان في يوم من الأيام يحتل موقع السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري . ولكن كليهما من خيرة المثقفين الوطنيين المصريين وأكثرهم كفاءة . دارت مناقشة حول هذا الاقتراح انتهت بدخول الاثنين إلى دائرة الحكم . فقد عين الدكتور « اسماعيل صبرى عبد الله » نائبا لوزير التخطيط ، كما اختير الدكتور « فؤاد مرسى » لهم قيادة في التنظيم السياسى ( وفيما بعد تولي كل منهما منصب الوزير ، فأصبح الدكتور « اسماعيل صبرى عبد الله » وزيرا للتخطيط ، والدكتور « فؤاد مرسى » وزيرا للتكوين ) .

ويوم ٢٥ مايو وصل الوفد السوفيتي بقيادة « نيكولاي بادجورنى » ، وكان الرئيس « أنور السادات » على استعداد لأن يعطى الاتحاد السوفيتي كل طمأنينة ممكنة ، إلى درجة أنه وقع مع الاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة وتحالف مدتها ١٥ سنة<sup>(١)</sup> .

أما الموضع الثانى المعرض للاكتشاف بعد سقوط مواقع القوى - كما رآه الرئيس « السادات » - فقد كان القوات المسلحة المصرية ، وكيف يمكن للضباط والجنود على الجبهة أن

(١) لم يكن « محمد حسين هيكل » متحمسا لهذه المعاهدة . وعندما أبلغ اعتراضاته للرئيس « السادات » ، كلف السيد محمود رياض ، وزير الخارجية بأن يخرج من الاجتماع وأن يتصل به بسأله عن أسباب اعتراضه . وكانت ضمن الملاحظات التى أيداه ، أن معاهدة مع الاتحاد السوفيتي لمدة ٢٠ سنة - وكانت تلك هى المدة المقترحة ابتداء - سوف تهد من شبهها بالمعاهدة المصرية - البروتانية سنة ١٩٣٦ ، وكانت مدتها ٢٠ سنة . ولم يتذكر أحد من كل الاعتراضات إلا هذا الاعتراض المتعلق بالمدة ، وقد تلاه الرئيس « السادات » ، جعل سريان المعاهدة لمدة ١٥ سنة فقط كحل وسط .

يأتروا بما جرى في القاهرة . فقد اختلف في عاصمة الخماسين وزير الدفاع نفسه ، وهو الفريق أول ، محمد فوزي ، وحل محله وزير اختاره الرئيس ، أنور السادات ، ليلة ١٤ مايو ، وهو الفريق أول ، محمد أحمد صادق . كذلك فإن التغييرات التي صاحبت عاصمة الخماسين مست كثيرين من العناصر السياسية التي دخلت مجال العمل السياسي من باب القوات المسلحة . ولم يكن في وسع أحد وقتها أن يعرف مدى اتصالاتهم مع قيادات عسكرية ما زالت تحت السلاح ، خصوصا وأن بعضهم كان على اتصال بقضية « تأمين الجيش » . وقرر الرئيس ، السادات ، فور انتهاء محادثاته مع « بانجورني » أن يتوجه بنفسه إلى الجبهة ، وأن يلتقي هناك بقادة الجيوش وقادة الفرق وقادة الألوية .

وبعد انتهاء زيارة الرئيس « السادات » للجبهة ذهب مدير مكتبه العسكري المقدم عبد الرؤوف رضا ، ليقبس الرأي العام في أوساط الجبهة ، وعاد ليكتب للرئيس تقريرا جاء فيه ما يلي :

« سرى جدا »

#### مذكورة

من المعلم أركان حرب عبد الرؤوف رضا

التاريخ : ١١ / ٦ / ١٩٧٨

الموضوع : موجز باتجاهات الرأي العام داخل القوات المسلحة

١ - تركزت اتجاهات الرأي العام ( في القوات المسلحة ) خلال هذه الفترة حول الموضوعات الرئيسية التالية :

أ - زيارة السيد رئيس الجمهورية للجبهة وآثارها .

ب - الإجراءات والقرارات ( التي اتخذها أثناء الزيارة ) والتي ساهمت في رفع الروح المعنوية للقوات .

ج - التحقيقات الدائرة حاليا مع المسؤولين السابقين والذين تخلوا عن رسالتهم .

د - انتخابات الاتحاد الاشتراكي ( في عملية إعادة بناؤه ) .

هـ - المعاهدة المصرية السوفيتية .

و - المصاعب الإدارية التي تواجهها القوات .

زيارة السيد رئيس الجمهورية للجبهة :

٢ - يبدى الجميع ارتياحهم للزيارة والوضوح الذي اتسم به السيد الرئيس في أحاديثه معهم ، وخاصة بالنسبة للمعاهدة السوفيتية - المصرية ، والتحقيقات الدائرة الآن . وكذلك بالنسبة لموافقة سيادته على التأكيد من الإجراءات التي تساهم في رفع الروح المعنوية للقوات .

٣ - ارتياحهم لنقل السيد الرئيس في القوات المسلحة ، وأن المعركة قادمة . وأنه بالرغم من أن احتمالات الحل السلمي لا تزيد نسبتها عن ١٪ فإنه لا تترك فرصة مواتية لهذا الحل .

بالنسبة للإجراءات والقرارات التي ساهمت في رفع الروح المعنوية للقوات :

٤ - ساهمت قرارات السيد رئيس الجمهورية التالية بصورة ملحوظة في رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة :

أ - اعتبار مدة الخدمة بالجبهة خدمة حرب بأثر رجعي منذ عدوان ١٩٦٧ .

ب - منح الجنود الذين أمضوا بالجبهة مدة سنتين خمسة عشر يوما اجازة دفعة واحدة .

ج - الموافقة على إعادة ما سبق أن استقطع من ٢٥٪ من البدلات وعلى إعطاء أفراد القوات المسلحة من ضريبة الجهاد .

د - الموافقة على إعطاء امتياز لبناء العاملين بالقوات المسلحة للاتحاق بالجامعات والمعاهد والمدارس بتجاوز نسبة ٥٪ من المجموع خلال فترة المعركة فقط .

هـ - وعد السيد الرئيس بإعادة فحص حالة أفراد المخبئين للنظر في رفع مرتباتهم ، وتكليف سيادته السيد وزير الحربية بدراسة ذلك .

و - يبدى معظم الأفراد في القوات المسلحة ارتياحهم التام بالنسبة للسيد الفريق أول محمد أحمد صادق كوزير للحربية ، كما يبدون ارتياحهم للسيد اللواء سعد الشاذلي كرئيس لهيئة أركان حرب - وخاصة أفراد منطقة البحر الأحمر .

بالنسبة للتحقيقات الدائرة حاليا :

٥ - قابل للرأي العام العسكري التكف عن نشر تحقيقات المؤامرة الأخيرة بشيء من الإرتياح<sup>(١)</sup> .

٦ - يطالب للرأي العام في القوات المسلحة بضرورة المحاسبة الشديدة لأفراد المؤامرة الأخيرة ، وخاصة بالنسبة لوزير الحربية السابق الذي تخطى عن مسؤولياته أثناء المعركة ، والذي كان معروفا عنه قسوته في معاملته الضباط ومطالبته لهم دائما بعدم تدخلهم في التيارات السياسية ، وإذا به يتخلى عن هذه المبادئ .

٧ - الإرتياح التام مع التعجب من التفصيلات المثيرة التي ألقى بها السيد الرئيس للقوات عن هذه المؤامرة ، وخاصة عن وجود تسجيل كامل للمؤامرة وخطوطها تم ضبطه بمكتب أحمد كامل ( الرئيس السابق للمخابرات العامة ) - وأن السيد الرئيس لديه ملف كامل يحوى ملخصا لأقوال المتهمين ، وأن سيادته سيلمس لقيادة الجيش الثالث لتتولى طبعه وتوزيعه على أفراد القوات المسلحة للاطلاع .

ثم يعضى التقرير بعد ذلك لنهايته ، ويستغرق ٤ صفحات كاملة .

(١) كان قد صدر قرار من للدعى العام العسكري بنظر النشر في تفاصيل ، مؤامرة مراكز القوى ، لاختبار تتعلّق بسلاح التحليل .

بدا الرئيس « السادات » وكأنه قد اطمأن إلى تغطية مواقع الانكشاف في أوضاعه . فقد استطاع مع « بادجورنى » تغطية الموقع السوفيتى ، واستطاع بزيارة الجبهة تغطية الموقع العسكرى . وراح يحاول أن يستعيد خيوط الموقف في يده كما كان قبل عاصفة الخماسين . وقد أحس على الفور أنه أمام موضع انكشاف ثالث لم يأخذه في حسابه مبكرا ، وهو الوضع الأمريكى الذى كان شاعله الشاغل قبل عاصفة الخماسين مباشرة . فقد بدأت الأنباء تصله من واشنطن بأن هناك قلعا أمريكيا شديدا من معاهدة الصداقة والتحالف التى أبرمتها مصر مع الاتحاد السوفيتى . وكان بين ما أثار قلته تقرير تلقاه من الدكتور « أشرف غربال » القائم على شئون المصالح المصرية بواشنطن ( وكان قد عاد إلى مقر عمله فى العاصمة الأمريكية بعد انتهاء زيارة « روجرز » للقاهرة ) . فقد أشار الدكتور « أشرف غربال » فى هذا التقرير إلى نقطتين ألح عليهما :

١ - أن الإدارة الأمريكية ، وخصوصا فى البيت الأبيض ، تبدى قلقا شديدا بسبب معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وأن البعض يصور لهم أن هذه المعاهدة سوف تقيد حرية مصر فى الحركة من أجل حل سلمى ، وسوف تعيد « أداة التفاوض » مرة أخرى إلى يد الاتحاد السوفيتى .

٢ - أن إسرائيل تستغل هذا الوضع بطريقة مزدوجة ، فهى :

- أ - تحاول تصوير المعاهدة على أنها تصفية لقدرة مصر المستقلة على التفاوض .
- ب - تحاول التلويح للولايات المتحدة بأنه والأمور على هذا النحو فإن المواجهة فى حقيقتها سوف تصبح مع الاتحاد السوفيتى - فإذا لم يكن فى مقدور الولايات المتحدة أن تعطيها كل ما تريد من السلاح دون قيود ، فإنها ( أى إسرائيل ) على استعداد لفتح حوار مع موسكو خصوصا وأن فرنسا - طبقا لأخبار نشرتها جريدة « نيويورك تايمز » - تقوم بمسعى لإعادة العلاقات بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى .

وفى ذلك الوقت كان الملك « فيصل » ملك المملكة العربية السعودية - فى واشنطن . وبعث من هناك إلى الرئيس « السادات » برسالة يقترح فيها عليه أن يزوره فى القاهرة فى طريق عودته من واشنطن إلى الرياض .

ووصل الملك « فيصل » إلى القاهرة يوم ١٩ يونيو ، وسافر مع الرئيس « السادات » إلى الإسكندرية بالقطار . وكان هدف الرئيس « السادات » أن يريه استقبال الشعب له على طول الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية لكى يتأكد الملك « فيصل » أن الأوضاع فى مصر مستقرة ، وأن الرئيس « السادات » مسك تماما بزمام الأمور .

وروى الملك « فيصل » للرئيس « السادات » كيف أنه كان فى واشنطن عندما قام « بادجورنى » بزيارة القاهرة ، وكيف أنه كان مع الرئيس « نيكسون » حينما أعلن نيا عقد معاهدة «صداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى . ثم تحدث الملك « فيصل » بإسهاب عن استغراب الرئيس « نيكسون » من هذه المعاهدة ، وكيف أنه قال له « إننا كنا نقوم بمسعى جاد مع الرئيس « السادات » للتوصل لحل سلمى لأزمة الشرق الأوسط ، وإذا به وسط جهونا بإجئنا بمعاهدة «صداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتى مدتها ١٥ سنة . » وروى الملك « فيصل » أيضا كيف أنه أفع عن الرئيس « السادات » أمام « نيكسون » وقال له « إنه يعرف الرئيس « السادات » ، هو صديق له من قديم ، وهو واثق من أنه ليس شيوعيا ولا يجب الشيوعيين ، ويعنى أن يخلص منهم « اليوم قبل الغد » - ولكن الرجل مضطر وأنتم لم تعطوه فرصة . » وروى الملك أيضا كيف أنه دخل فى مناقشات طويلة نفاعا عن الرئيس « السادات » فى جلسة كان يحضرها الدكتور « هنرى شينجر » مستشار الرئيس للأمن القومى ، والمستمر « ريتشارد هيلمز » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . ثم وصل الملك « فيصل » إلى أن قال « إنه قبل أن يسافر أعطاه الرئيس نيكسون « ورقة عليها أربعة أسئلة موجهة إلى الرئيس « السادات » ، وقد طلب أن يتلقى عنها ردا مكتوبا . ودعا الملك « فيصل » أحد مستشاريه - عند هذه النقطة من الحديث - وطلب منه « ورقة « نيكسون » وسلمها للرئيس « السادات » . »

وكانت الورقة تحوى أربعة أسئلة :

- ١ - هل المعاهدة مع الاتحاد السوفيتى تؤثر على علاقات مصر مع الولايات المتحدة ؟
- ٢ - هل مصر تملك حرية الحركة فى التوصل إلى تسوية سلمية تسمى فيها الولايات المتحدة ؟
- ٣ - هل تعيد مصر العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة مع البدء فى المرحلة الأولى للتسحاب ؟
- ٤ - هل تغادر التشكيلات المحاربة الروسية الأراضى المصرية فور التوصل لاتفاق ؟

وقام الرئيس « السادات » بحركة درامية ، فأمسك بالورقة وكتب بخط يده رده على كل بند من بنودها تحت السؤال الخاص بهذا البند مباشرة :

- تحت البند الأول كتب بخطه : « المعاهدة لم تغير شيئا من موقفنا » .
- وتحت البند الثانى كتب : « موقفنا لم ولن يتغير ، وأنا على استعداد لتوقيع اتفاق مرض » .

- وتحت البند الثالث كتب كلمة « نعم » .
- وتحت البند الرابع كتب : « إننى عند كلمتى » .

أحس الرئيس « السادات » بعد هذه الأسئلة وإجاباته عليها أن المسائل تحتاج إلى متابعة .

قالباب الأمريكي إلى الحل ما زال مفتوحا ، لكن الرئيس ، السادات ، بدأ يعود إلى شركه فيما يتعلق بقدرة وزارة الخارجية الأمريكية ووزيرها ، ويليام روجرز ، على تحريك اهتمام أمريكى حقيقى بأزمة الشرق الأوسط .

وكانت لديه مصادر كثيرة تؤكد له كل يوم أن إدارة السياسة الخارجية الأمريكية قد انتقلت نهائيا - فى عهد ، نيكسون ، على الأقل - من وزارة الخارجية إلى البيت الأبيض ومستشار الأمن فيه ، هنرى كيسنجر . كان « كيسنجر » قد أخذ فى يده خطوط أزمة فيتنام ، ودخل فى مفاوضات سرية مع الزعيم الفيتنامى « لى دوك تو » ، جرت فى باريس - وكان « كيسنجر » أيضا قد بدأ يستكشف الطريق إلى أبواب الصين - وكان هو الذى راح بكفاءة منقطة النظر يهندس لسياسة الوفاق .

وراح يستقر فى وعى الرئيس ، السادات ، يوما بعد يوم أنه إذا كان هناك حل ، فهو فى البيت الأبيض وليس فى وزارة الخارجية - وإذا كان فى البيت الأبيض فهو فى يد « هنرى كيسنجر » ، وليس فى يد « ويليام روجرز » .

• كان السفير ، أشرف غريبال ، فى واشنطن مقتنعا بأن الأمل كله فى « هنرى كيسنجر » ولا أحد غيره . وكانت تقاريره ورسائله إلى الرئيس ، السادات ، تلح كثيرا حول هذه النقطة فى تلك الفترة .

• وفى تلك الفترة أيضا كان الرئيس ، السادات ، قد تعرف على المستر « آر نو دى بورشجراف » ، وهو قهها كبير مراسلى مجلة « نيوزويك » . وقد تكررت لقاءات الاثنين لإجراء أحاديث صحفية أو أحاديث غير صحفية . وكان « بورشجراف » فى كل مرة يلح على الرئيس ، السادات ، بأن ينفذ يده من « ويليام روجرز » ، ويتجه باهتمامه إلى « هنرى كيسنجر » .



ويبدو أن السفير ، أشرف غريبال ، أحس وهو فى واشنطن بأن الرئيس ، السادات ، مهيأ لفكرة الاتصال بـ « كيسنجر » سواء كان فى ذلك مستقبيا لتقاريره ، أو كان ذلك رأيا توصل إليه الرئيس فى القاهرة من مجمل متابعته للمسرح السياسى الأمريكى .

وعلى الأرجح فإن السفير ، أشرف غريبال ، كان يتصرف بوحى من هذا الإحساس حينما انتفض فرصة وعكة صحية ألمت بـ « كيسنجر » ، وقرر أن يكتب له رسالة شخصية مع باقة زهر . كانت الرسالة على شكل قصيدة من الشعر نظمها الدكتور ، أشرف غريبال ، بالانجليزية وبعث بها إلى مكتب مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى . وكانت ترجمة القصيدة كما يلي بالنص : (\*)

(\*) صورة من « لى الانجليزية لقصيدة الدكتور ، أشرف غريبال ، إلى الدكتور ، هنرى كيسنجر » ، وهى موجودة فى ملف صور فوتاتلى تحت رقم (٢٣١) - على صفحة (٧٦٩) من الكتاب .

، فى واحدة من رحلات الاستشفاء الحسنة التىت بعلمة استشفاء معلقة من قديم انها كانت فى مطبة المنحطب هو إله الطب والمواقع فى عصور سائلة كانت علامة الاستشفاء تشير إلى نداء يقول : تعال ولم بزيارة النيل ... لتروى نيلى لن يعوقك أحد ... فأتكل جميعا فى استشفائك لإلام معتك عندى الدواء ولصداغ رأسك عندى شفاء ما رأيك أنها العزيز هنرى لمانا لا تجعل الشرق الأوسط مدخلك المزودج ( إلى الشفاء وإلى النجاح ) . .



كان « هنرى كيسنجر » فيما يبدو من ظاهى تصرفاته حتى ذلك الوقت - مايو - يونيو ١٩٧١ - لا يريد أن يقترب من أزمة الشرق الأوسط . وكان دائم التصريح بأنه يرد نفسه عنها سبارة يهوديا . وأنه يرد نفسه من قبل أن يردده الآخرون ( يقصد العرب ) لذات السبب ، هو يهوديته . ومع ذلك فإن « هنرى كيسنجر » فى صميم قلبه كان يبنى لأسباب متعددة ومعقدة يكون السلام فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل على يديه . وقد بدا أنه يعطل عن عمد من محارلات وزارة الخارجية الأمريكية ، ووزيرها « ويليام روجرز » للوصول إلى حل للأزمة - ، بأن ذلك راجعا فى جزء منه إلى العداء الذى أستحكم بينه وبين « روجرز » ، مضافا إلى ذلك سعادته بأن أزمة الشرق الأوسط داخلية فى صميم العلاقات بين القوتين الأعظم ، ومن الضرورى طرحها فى إطار محادثات الوفاق ، خصوصا بعد ما أصبح للسوفيت تواجد عسكري بتشكيلات معاملة فى منطقة الأزمة .

وبينما كان « روجرز » يطرح مبادرته ويواصل اتصالاته وينتهى بزيارة الشرق الأوسط معه ، كان « هنرى كيسنجر » يكتب للرئيس الأمريكى عن أزمة الشرق الأوسط تقدير موقف يقول فيه ما يلى :

١ - إن أزمة الشرق الأوسط ليست جاهزة للحل ، فالموافق بين الأطراف متباعدة نتيجة لاختلال الموازين بين أطراف النزاع . وكذلك بسبب عقد تاريخية وإنسانية مستحكمة يصعب تجاوزها بمحادثات فى نيويورك بين الأربعة الكبار ، أو بين القوتين الأعظم - أو بزيارات سرية للقاهرة وتل أبيب تعرض فيها صياغات دبلوماسية يصعب تحديد معانيها .

٢ - إنه مع الفجوة الواسعة بين مواقف الأطراف - ومع العقد التاريخية والإنسانية المترسبة - ومع اختلال الموازين ، فإن التوصل إلى حل سوف يقتضى ضغطا شديدا على إسرائيل

لكي نرضى بالانسحاب من الأرض المحتلة، وهذا الحجم من الضغط لا يقدر عليه الرئيس خصوصا وهو مقل في السنة القادمة (١٩٧٢) على إعادة ترشيح نفسه للرئاسة لمدة ثانية.

٣ - إن الأمور في منطقة الأزمة خصوصا على الجانب العربي، ليست مستقرة. فهناك صراعات سلطة داخلية لا تظهر نتائجها ومضاعفاتها بعد، ويتربط على ذلك أنه لا يوجد مقارن عربي يقدر على مسئولية مفاوضات حقيقية يكون فيها أخذ وعطاء.

٤ - إن استمرار الركود في الأزمة قد لا يكون بالضرورة متعارضا مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية. فاستمرار الركود سوف يؤدي إلى خلافات عربية - سوفيتية. ويعين على الولايات المتحدة أن تمسك بأعصابها وتنتظر حتى تظهر هذه الخلافات أو تتفجر.

٥ - إنه بينما يجري الاستعداد لمقابلة أمريكية - سوفيتية في موسكو، فإنه من الأفضل الانتظار بمحاولات الحل حتى تطرح بنظرية «ترابط الأزمات» linkage على مائدة البحث في موسكو بين القوتين الأعظم.

٦ - إن الرئيس «السادات» حتى هذه اللحظة لا يبدو عليه سمات رجل دولة قار على أن يقود شعبه إلى تسوية سلمية مع إسرائيل. وما يبدو من تصرفاته حتى الآن هو أنه «بهلوان سياسي» (political clown) والأرجح أن حكمه لن يطول.

ومن المفارقات بعد ذلك أن «كينسجر» - بعد أن تحقق من فشل «روجرز» في زيارته للمنطقة في أوائل شهر مايو ١٩٧١ - قرر لأسباب رآها أن الفرصة قد تكون مناسبة له الآن لعملية استكشاف من بعيد لأزمة الشرق الأوسط.

وجرى ذلك بطريقة بالغة الغرابة.

## ٣

في أواخر شهر مايو ١٩٧١، وبعد أن تحقق فشل زيارة «روجرز» للقاهرة، اتصل الدكتور «زكي هاشم» (٢) بـ «محمد حسنين هيكل» وقال له: «أنت تعرف طبعاً «دونالد كندال» رئيس مجلس إدارة شركة بيبسي كولا. وأنا محابهم في مصر. وأنت تعرف أن «كندال» صديق

(٢) استعمل «هنري كينسجر» نفس الوصف في محاضرة ألقاها في جامعة «هارفارد».

(٣) الدكتور «زكي هاشم» حاكم دولي لامع ومفكر. وقد أصبح وزيرا للسياحة في وزارة الدكتور «عزير صديقي» ثم عاد بعد الوزارة إلى مكتبه.

مغرب من الرئيس الأمريكي «ريتشارد نيكسون» لأن «نيكسون» نفسه كان لسنوات طويلة محاميا لشركة بيبسي كولا بأمريكا. و «دونالد كندال» موجود الآن في القاهرة لزيارة سرية، وقد طلب أن يقابله لأنه يريد أن يسمع منك عن أزمة الشرق الأوسط باعتباره صديقا مقربا من «نيكسون»، ليس باعتباره رئيس لمجلس إدارة بيبسي كولا.

ونمت المقابلة، واستغرقت قرابة ساعتين. وعاد «كندال» إلى نيويورك.

ويوم ٨ يونيو ١٩٧١ تلقى «محمد حسنين هيكل» خطابا من «دونالد كندال» - أرسل نسخة منه في نفس الوقت إلى الدكتور «زكي هاشم» - وكان نصه كما يلي: (١)

بمناقشة آراءك حول الموقف السياسي الراهن في العالم بصفة عامة، وبالنسبة لأزمة الشرق الأوسط بصفة خاصة. لقد أثرت في كثيرا معرفتك العميقة المباشرة بمشاكل الشرق الأوسط، من مبتدأها حتى الوقت الراهن، واستعراضك للعوامل التي تداخلت فيها، بما في ذلك الدور الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية، والنصيب الذي ينبغي أن تسهم به في حل المشكلة.

وكما أوضحت لك فإنتي أشعر بأنه مما يساعد بصورة فاعلة على الدعوة للقضية العربية، ضرورة أن يأتي شخص مثلك على مثل هذا القدر من المعرفة بالمسألة وأبعادها، إلى الولايات المتحدة، وأن يشرح وجهة النظر العربية لبعض ذوي النفوذ من الناس الذين يدرج تصديق فهمهم لهذه المسألة لخدمة المصلحة العربية العامة.

وإني إذ أضع هذا في اعتباري، ولأنه يستعني أن أعتبر نفسي صديقا لأزمة العربية وشعبها، أشعر بخيبة شديدة إذ أوجه إليكم دعوة لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث سأنتظم لك إمكانية اللقاء مع بعض الناس الذين ينبغي أن تزداد معرفتهم بالوضع العربي في الموقف الراهن في الشرق الأوسط. ولأنني على يقين من أن مثل هذه الزيارة سوف تدعم التأييد لوجهة النظر العربية، وتعود بالنفع المتبادل على العلاقات بين بلدنا.

ومنذ عودتي إلى الولايات المتحدة، أتبحث لي فرصة لزيارة طيبة قضيتها مع الرئيس نيكسون، دار الحديث فيها حول رحلتي إلى الشرق الأوسط، كما أتبحث لي للفرصة بالطبع لأفكر بتفصيل مسهب تلك النقاش الذي جرى معك، ولقد ألفت الرئيس عن عزمي على دعوتك لزيارة الولايات المتحدة، وأعرب هو أيضا عن أمله في أن تقلل دعوتي.

مع أخلص تحياتي الشخصية.

المخلص  
دونالد،

(١) توجد أربع صور وثائقية لأوراق مجموعة المراسلات الخاصة بترتيب لقاء بين «هنري كينسجر» و «محمد حسنين هيكل» في أكتوبر ١٩٧١، وهذه الصور الأربع على النحو التالي:

- ١ - خطاب «كندال» الأول لـ «محمد حسنين هيكل».
- ٢ - برقية اعتذار من «هيكل» إلى «كندال».
- ٣ - خطاب الدكتور «أشرف غريال» بخط يده إلى «هيكل».
- ٤ - خطاب الدكتور «محمد حسن الزيات» بخط يده إلى الدكتور «محمود فوزي» رئيس الوزراء.

وهي جميعا موجودة في ملحق صور الوثائق تحت أرقام (٣٢)، (٣٣)، (٣٤)، (٣٥) - على الصفحات ٧٧٠ - ٧٧٣ من الكتاب.



وأجاب ، محمد حسنين هيكل ، على هذا الخطاب برد ودى شكر فيه ، دونالد كندال ، علم حسن انطباعاته ورقة مشاعره قابلا الدعوة من حيث المبدأ ، مؤجلا تنفيذها إلى فرصة أخرى في ظروف ملائمة .

ومرت ثلاثة شهور ، وفي ١٥ سبتمبر تلقى « محمد حسنين هيكل ، خطابا من السفير « أشرف غريال » بخط يده نصه كما يلي :

« أخى العزيز محمد

فيلاتى وأمر أشواقى - وقد أسعيتى ، اللطقات ، التى جمعتنا فى القاهرة ، وأسبغها لحظات لطيفة فى المزيد . وإن شاء الله يكون ذلك فى القريب .

( ..... )

اتصل بى كندال رئيس الببسى كولا - وبلغ الحاحا شديدا فى حضورك ضيفا عليه فى ضيفته فى كونيتكت للتقابل مع هنرى كيسنجر فى عطلة آخر الأسبوع الأول من أكتوبر أى ٢ ، ٣ أكتوبر - وقد قبل كيسنجر حجز هذين اليومين لمقابلتك .

وقد أبلغت كندال أنك وجدت من الصعب فى الظروف الحاضرة التفتيح عن القاهرة ، وأنه شاكر له كريم جهوده ، ولو أنه تسامع عما إذا كنت لا ترى أن فى ذلك فائدة - وعادوت الشرح بأن الأمر لا يبدو أكثر من الشكافك فى القاهرة فى الآونة الحاضرة لدرجة يتضرر معها خروجك إلى خارجها - وأنك تفكر فى السفر للندن فى الخريف فى نوفمبر أو نحو ذلك لبعثة أيام .

نكر كندال أنه يعتقد أنك وكيسنجر متشابهين فى الروح ، والأسلوب ، وستسجمان من أول وهلة من بعض . وهو ما صدقت عليه . وبالفعل اعتقد تماما أنه حقيقى - واتفقتا على أن أحاول معك من جديد - على أن ترد على برقيها فورا لتفكيك هذا بالنتيجة حتى يمكن الرد على كيسنجر . ذكرت فى الحديث أن المصيبة أن الجو ليس فيه أى تحرك بل جمود كامل ، وأنه لو حصل انقشاع لأمكن استغلاله ، بل ولساعد ذلك على حضورك أيضا . وافقنا إنما أكد أنه لهذا السبب بالذات فإنه من الأظف حضورك ، فهو أى كندال يرى جمودا كاملا فى موقف إسرائيل ، وكيسنجر ينكر أنه يسمع كل يوم الجانب الإسرائيلى ، إنما ليس هناك من يمكنه أن يحدثه ، بحرية وبدون رسميات ، فى الجانب العربى . ولذا يشعر كندال أن لقاءكما لازم ومفيد .

أشرت إلى حضور الوزير رياض لتبويرك ، ومن المحتمل مجيئه لواشنطن ، وستكون فرصة لأن يلتقى رياض وكيسنجر وهو ما أتوقع حصوله لو تمت الزيارة لهما ، إنما بالطبع سيكون لقاء من نوع آخر يحكمه - على الأقل فى البداية - طبيعة رسميات العمل والمناصب .

وكما ذكرت أننا انتهينا على أن نضع الأمر من جديد تحت نظرك مع رجاء الإبراق بإذا كان معكنا أم لا .

ودى وأشواقى وقيلاتى .

أخوك  
أشرف ،

وكان رأى ، محمد حسنين هيكل - لا يزال - أن الوقت ليس ملائما بعد لاجتماع من هذا النوع ، وكتب بذلك إلى السفير « أشرف غريال » . ولم يجد ضرورة للحديث فى هذا الأمر مع الرئيس « أنور السادات » .

□

ومضى شهر ، وفى يوم ٢ نوفمبر اتصل الرئيس « أنور السادات » بـ « محمد حسنين هيكل » ، وكانت الحماسة ظاهرة من أول كلمة نطق بها - قال :

- « محمد .. أخيرا كيسنجر أدرك أنه من الضرورى عليه أن يتصل بنا .. »

ثم استطرد الرئيس « السادات » قائلا :

- « هو يريد أن يقابلك ... إن أحد أصدقاء نيكسون اتصل بالزيات ( يقصد الدكتور

« محمد حسن الزيات » ، المندوب المصرى الدائم وقتها فى الأمم المتحدة ) وتحدث معه فى ذلك . والزيات رأى أن يكتب خطابا بالتفصيل لفوزى ( يقصد الدكتور « محمود فوزى » ) - وقد طلبت من فوزى أن يطالع على خطاب الزيات وأن يبحث معك كل ترتيبات سفرك إلى أمريكا . »

وأبى « محمد حسنين هيكل » ملاحظة قال فيها للرئيس « السادات » ، إن « لديه فكرة عن أن كيسنجر يريد مقابلته ، وقد كتب إليه أشرف غريال بتفاصيل اقتراح اللقاء والموعد والمكان المحددين له ، وكذلك كتب إليه صديق نيكسون ( « كندال » ) ولكنه أرسل برقية اعتذار .. »

ثم استطرد الرئيس « السادات » يقول :

- « إيه ده ؟ اعتذار إيه ؟ ده كيسنجر يا محمد .. كيسنجر ! »

وفى اليوم التالى ذهب « محمد حسنين هيكل » إلى لقاء مع الدكتور « محمود فوزى » ، وكان اللقاء فى القاعة التى كان يفضل الدكتور « فوزى » أن يجرى فيها مقابلاته بالمبنى القديم لوزارة الخارجية . وهناك روى الدكتور « فوزى » لضيفه تفاصيل خطاب « الزيات » ، وقد أرسله زيادة فى ضرورات الأمن - مع السيد « عبد الخالق حسونة » ، الأمين العام لجامعة الدول العربية .

وكان نص الخطاب كما يلي (٤) :

( ٤ ) من الواضح أن الدكتور محمد حسن الزيات كتب هذا الخطاب فى المطار وهو يودع الأمين العام لجامعة الدول العربية فى ذلك الوقت السيد « عبد الخالق حسونة » .

السيد الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء  
سيادة الرئيس

طلب إلى أحد أصدقاء الرئيس نيكسون المقربين ، وهذه حقيقة أعرفها ، أن أفل رسالة إلى السيد رئيس الجمهورية مباشرة وله خاصة ، وقد انتهزت فرصة سطر الأمن العام حسونة باشا إلى القاهرة الآن فرجوتته أن يضع هذه الرسالة في يدك ، لتتفضل مشكوراً بالنظر في عرضها على السيد الرئيس .

وسئبق المستر نيكسون هو المستر دونالد كندال رئيس مجلس إدارة شركة بيبسي كولا ، وقد طلب أن أتاول الغداء معه يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر الماضي ، وبعد حديث عام قال إنه يعتقد أنه لا بد من قيام اتصال بين مصر وبين البيت الأبيض غير الاتصالات الرسمية والطنية ، وأنه ، لما كان من المطلوب من أمريكا الآن هو أن تضغط على إسرائيل - فإنه يحسن أن يكون الاتصال بـ كينسجر لوجه ليهوديته كآثر على هذا الضغط فخير بطرقه . وقال ، كندال ، إن كينسجر حسن الثقة في نفسه و كندال وفي معرفته بشؤون العالم ، وأنه - أي كندال - عندما زار مصر قابل فيها رجالاً له صفات كينسجر ، وله صفاته ، وهو الأستاذ محمد حسنين هيكل .

ولذلك يعتقد كندال أن هناك فائدة كبيرة في أن تتم مقابلة بينهما ، بشكل سري تماماً ، ولذلك يقترح أن تتم هذه المقابلة في عجلة نهاية أسبوع يقضيته في منزله ( أي منزل كندال ) في ضواحي نيويورك ( قرية Purchase ) القريبة من جرينتش ( كونيكت ) . بل قال لي كندال إنه من الممكن ، لهم ، أن يرسلوا طائرة خاصة إلى القاهرة لنقل الأستاذ هيكل تهبط في مطار جرينتش نفسها ( أي ليس في نيويورك ) وتعود به إلى القاهرة بعد نهاية الأسبوع ( المقصود السبت والأحد ) .

وقد قال لي كندال إن هذه الطائرة يمكن أن تكون طائرة عادية مستأجرة وستأجرها هو ...

وكذلك قال لي كندال إنه سبق أن أبدى هذه الرغبة للدكتور أشرف غريال وطلب نقلها إلى الأستاذ هيكل ، وبناء على ذلك كان كينسجر قد حدد فعلاً أي نهايات الأسبوع ولكن شيئاً لم يتحقق ، وقال كندال إنه كان في واشنطن أمس ( أي يوم الاثنين ٢٥ أكتوبر ) وشهد مع الرئيس نيكسون في البيت الأبيض نتائج التصويت الخاص بموضوع الصين على التيليزيون .. وبعد حديث عن هذا الموضوع ليس هنا مكانه .. قال إن كينسجر سأله ألم يتم شيء في موضوع مقابله لهيكل ، فأجابه بالتلوي .

وقد كان طلب كندال الأصلي أن أوصل هذه الرسالة إلى الأستاذ هيكل بشرط كرهه ألا يصل خبرها إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، أو أي من رجال الحكومة الأمريكية الرسمية في القاهرة أو نيويورك أو واشنطن ، لاعتقاده أولاً أن وزارات الخارجية بشكل عام لا يمكن أن تحفظ فيها سر لطبيعة محفظاتها وتوزيعها الخ - واعتقاده ثانياً أن هناك اعتبارات منها اعتبارات prestige ستدفع موقلي الخارجية الأمريكية إلى قتل أي محاولة لعمل أي شيء خارج إطارهم .

على أي تكررت للمستمر كندال أنني أستطيع التفكير في الاستجابة إلى طلبه في حالة تحويله ليكون موجهاً إلى السيد رئيس جمهورية - وقد قبل ذلك فوراً - وتكررت أن السيد الرئيس يمكن له عندئذ أن يتخذ ما يراه ، وأن يبتغى بالطريقة التي يراها . وتكررت أنه إن تعوز القاهرة الطرق التي يمكن أن تبلغ بها كندال الجواب على دعوته دون أن تتدخل السلطات الأمريكية في الموضوع ، ومع مراعاة ما تكره عن محفظات ووثائق وزارات الخارجية .

واستكمالا لهذا الحديث سألت كندال هل يتعين أن يكون الاتصال بكينسجر عن طريق الأستاذ هيكل ، فكانت إجابته أن هذا أفضل لتشابه شخصيتهما ، ولأن هيكل ليست له صلة رسمية وليس عليه أن يوصل حديثه عن طريق رسمي .

وسألت هل يعتقد أن مقابلة واحدة ستوصلنا إلى طريق الحل ، قال إنه يرجو أن يمكن الاتفاق في هذه المقابلة على طريقة للاتصال والتباحث المستمر .

سيادة الرئيس

هذا هو ملخص ما تم في هذه المقابلة ، أضمه بين يدك - دون تعليق أو إضافة لأي أفكار أو تحفظات أو تساؤلات من جانبي ، وهذا الخطاب أودعه يد الأمن العام ليكون في يدك بعد وصوله إلى القاهرة ، ولا أضيف إليه إلا أصدق الاحترام وأخلص التحيات ، ودعواتي الخاصة لكم بالتوفيق وبلادنا ورئيسها باستمرار السداد .

المخلص

محمد حسن الزيات ،



وفي يوم ٧ نوفمبر كان « محمد حسنين هيكل » ضيف عشاء على الرئيس « السادات » ، في سه . وقد جلسا إلى مائدة العشاء وليس معهما غير السيدة « جيهان السادات » . وبعد العشاء جلس الثلاثة في شرفة الدور الثاني المطلة على النيل ، وهي شرفة أغلقت بالزجاج وتحولت إلى ما يشبه سالونا عائلياً خاصاً . وكان الرئيس « السادات » يريد أن يعرف رأي « محمد حسنين هيكل » في موضوع ثقائه مع « كينسجر » .

وكان « هيكل » لا يزال على رأيه في أن الموقف لا يزال غير مناسب لمثل هذا اللقاء ، وراح يعد أسبابه لذلك :

١ - إن الموقف العسكري على الجبهة لا يزال على حاله لم يتغير منذ أن كان « ويليام روجرز » هنا في مايو الماضي .

٢ - والموقف السياسي التولي لا يزال هو الآخر كما كان ، لم يطرأ عليه جديد ، بل بالعكس فإن موقف الاتحاد السوفيتي يتأرجح .

٣ - وفي ظل الموازين الراهنة فإن إسرائيل - والولايات المتحدة وراهما - و « كينسجر » بالطبع - سوف يطلبون تنازلات لا تستطيع مصر تقديمها . وفي كل الأحوال فإن ما هو جاهر للعرض تحت المائدة في محادثات سرية مع « كينسجر » لن يزيد على ما كان معروضاً فوق المائدة في المحادثات العلنية مع « ويليام روجرز » .

٤ - إن تحليل الموقف يشير إلى أن « كينسجر » لا يستطيع في اللحظة الراهنة أن يعطي شيئاً له قيمة ، لأنه فيما يظهر الآن يريد أن يأخذ الأزمة معه إلى موسكو لمفاوضات الوفاق .

٥ - وهو على الأرجح يريد اتصالات سرية مع مصر ، وسوف يقوم هو بتسريبها إلى الاتحاد السوفيتي ليزيد من شكوكه في مصر بما يساعد على تليين موقفه في أزمة الشرق الأوسط - وهذا أمر لا ينبغي لنا أن نساعد عليه .

٦ - وحتى إذا كان يريد أن يتحدث بطريقة جدية ، فهو يريد أن يستعمل ما قد يتوصل إليه في مصر كورقة مع الاتحاد السوفيتي . ومعنى ذلك أن السوفيت قد يزداد شكهم في الموقف المصري ، ومن ثم يؤثر ذلك على شحنات السلاح - وهذه نقطة محورية لأننا قد نضطر في النهاية إلى استخدامه في مرحلة من مراحل الاتصالات ، وحينما نتعثر ، وهي لا شك متعثرة .

٧ - إن الأوضاع في مصر لا تبدو مستقرة . فهناك شعور عام بالإحباط . كما أن هناك تغييراً وزارياً على الأوتاب . ثم إن الجامعات المصرية تبدو فيها ظواهر فلاف . وتلك كلها عوامل لا تساعد أي متحدث مصري مع هنري كيسنجر .

٨ - إن العلاقات العربية - المصرية خصوصاً على الجبهة الشرقية ، وبالذات في علاقات سوريا بالأردن ، والمقاومة الفلسطينية والأردن - في حالة صدام . وهذا وضع من شأنه أن يضعف موقف أي متحدث مع كيسنجر .

٩ - وفي الغالب فإن كيسنجر ، يسعى إلى اتصالات سرية مع مصر في إطار عداوته المريرة مع ويليام روجرز . وهذا وضع غير ملائم لموضوعنا .

١٠ - وأخيراً ، فإن هنري كيسنجر ، بحكم كونه يهودياً ، لا يستطيع أن يكون موضوعياً ، في أمر يتعلق بإسرائيل . ولقد كان دائماً يعلن أنه يريد أن يبتعد عن أزمة الشرق الأوسط ، فما الذي جد الآن وجعله يغير رأيه ويقرر أن يقترب ؟ - إلا أن يكون في ذهنه شيء غير واضح لنا حتى الآن - وعلينا أن نبحث عنه قبل أن نذهب إليه !

وكانت الخلاصة أنه لا بد من صنع حقائق جديدة على الأرض يكون من شأنها تغيير الموازين أكثر لصالحنا حتى يمكن أن تكون هناك فائدة من أي لقاء .

ولم يكن الرئيس السادات ، على استعداد للاقتناع . ودارت مناقشة طويلة استمرت حتى منتصف الليل ، ونخضت فيها السيدة جيهان السادات ، في محاولة منها لتقريب وجهات النظر .

وكانت الحقائق أقوى من المشاعر لسوء الحظ .

ووصلت الأمور مرة أخرى إلى حائط مسدود . وكان الرئيس السادات ، عاقباً - وربما أكثر من ذلك - متضيقاً .

## الفصل التاسع

### مرحلة الميوعة والفطر

١

لم يكن الرئيس السادات ، مرتاحاً وهو يودع سنة ١٩٧١ ويستقبل سنة ١٩٧٢ .

كان في السنة التي ودعها قد حقق مكاسب لا شك فيها .

من ناحية - فإن الحظ الذي حاله ومهد له - بواقع حال - رئاسة الجمهورية في مصر - ، أصل تحالفه معه ، وساعد قدراته ومهاراته على إدارة معركة مع مراكز القوة والسلطة في مصر ، كان يمكن أن تنقلب ضده بتقل الموازين مهما كانت القدرات والمهارات !

وهو لم يتمكن من الرئاسة وأأمينها فحسب . وإنما استطاع بتكاء أن يحدد مواضيع التحدي الذي ينتظره بخياره : الحل - أو الحرب . ثم إنه أدرك بنجاح بصيرة أن القوات المسلحة هي العنصر الحاسم مهما كان الخيار الذي يفضلهُ أو تفرضه عليه حقائق الأمور .

وكان تشخيصه سليماً لمازق الحل والحرب .

فالعمل : في جزء كبير منه في يد الولايات المتحدة .

والحرب : في جزء كبير منها في يد الاتحاد السوفيتي .

وبالنسبة له فإن الأفضلية للحل - كما أنه بلا شك يستريح للتعامل مع الأمريكان وبراهم أكثر اعاناً من السوفيت ، ويتبنى لو أنهم قابلوه في منتصف الطريق ليلتقي معهم في علاقة صداقة يعرف أنه يريدُها ، ويسمع منهم أنهم يريدونها كذلك .

وبالنسبة له أيضاً فإن الحرب كانت نوعاً من أبغض الحلال - لا يقترب من ميدانها إلا حين

يجد ساحات الحركة الأخرى مغلفة في وجهه مستعصية عليه - ثم إن ميدان الحرب سوف يرغمه على صحة طويلة مع السوفيت ، وهي كما يعرفها من تجربته صعبة تحتاج إلى صبر وإلى أعصاب !

وفي سنة ١٩٧١ فإنه استطاع أن يفتح نافذة - وليس بابا - على واشنطن .

وفي نفس السنة فإنه استطاع أن يفتح نافذة أيضا - وليس بابا - على الاتحاد السوفيتي .

لكن المشكلة أنه لا يستطيع القفز من النوافذ الغربية أو الشرقية ومعه جيش المليون - وإنما هو في حاجة إلى باب !

وهذا هو صميم المأزق ، وهو أول أسباب عدم ارتياحه ، وزاد عليه أنه كان قد أعلن عام ١٩٧١ عاما للحسم متصورا بذلك أنه يمارس ضغطا على الأطراف بوضع الكل على حافة الهاوية - ثم اكتشف أن إعلان عام الحسم يشكل ضغطا عليه هو وليس على بقية الأطراف ، وأن الظروف المتغيرة في العالم لم تعد تسمح لقوة إقليمية - مهما كان وزنها - أن تحرك الموازين الحساسة بين القوتين الأعظم لحسابها ، ومن ثم تضع العالم على حافة الهاوية . فابتداء من الآن - وربما كان صحيحا قبل الآن - أن أي طرف محلي يملك حرية أن يذهب إلى حافة الهاوية ، وإنما عليه أن يعرف أنه سوف يكون عندها وحده ، وعليه أن يتحمل النتائج .

ولقد تعلق في آخر العام بقشة أن الحرب بين الهند وباكستان في خريف ١٩٧١ اعترضت طريقه ، وعزلت وصول المدد السوفيتي إليه - ومن ثم لم يعد أمامه غير تأجيل عام الحسم .

ولم تكن القوات المسلحة منذ البداية متقنعة بمسألة عام الحسم من بداية إعلانها إلى نهايتها الضبابية ، أما جماهير الشعب فقد كانت متحيرة في أمرها لا تستقر على يقين !

وكان تقدير الرئيس « السادات » أن حكاية عام الحسم في المحصلة النهائية - أساءت إليه من حيث خصمت ضريبة باهظة من مصداقيته أمام الجيش وأمام الشعب .

مضافا إلى ذلك أن الأعباء المادية والنفسية لحالة اللا سلم واللا حرب أدت إلى تزايد الشعور العام بنوع من الكآبة والقلق .

زادت فوق هذا كله - بالنسبة له - حزمة من المشاكل راحت تنقض عليه :

● كان ظاهرا أن دور وزارة الدكتور « محمود فوزي » لن يتجاوز المرحلة الانتقالية ، وأن طابور المؤهلين للحلافة يقف فيه ثلاثة رجال على الأقل هم : الدكتور « عزيز صدقي » - والأستاذ « محمد عبد السلام الزيات » - والسيد « معدوح سالم » .

وكان على الرئيس « أنور السادات » أن ينظم طابور المؤهلين لرئاسة الوزارة ، وأن يعي نفسه لمهمة كان يتحرج منها ، وهي أن يطلب من الدكتور « محمود فوزي » تقديم استقالته ، ولم يكن الدكتور « فوزي » في حاجة إلى أكثر من إشارة يفهمها اللبيب ، ولعله يستبها !

وبوم ١٧ يناير ١٩٧٢ تقدم الدكتور « عزيز صدقي » لرئاسة الوزارة ، وكان اختياره اعساره الأوفر من غيره على إعداد الدولة للحرب إذا أملت الضرورات .

وبدا أن الحرب قد تكون هي خيار المقادير ، أرادها الناس أو حاولوا تجنبها . وتفاقت بشكل واضح أعراس حالة مزعجة أطلق عليها في ذلك الوقت وصف حالة « اللا سلم واللا حرب » .

كانت هذه الحالة من عدم اليقين تحدث تأكلا في السياسات ، وفي المؤسسات ، وفي الروح المعنوية لكل الناس على كل المستويات .

وانعكست آثار هذه الحالة على تحركات واتجاهات وتصرفات بتت مسيطرة لكل ربح ، حتى أن اختلفت مصادر الرياح .

● وعلى سبيل المثال فإنه كان ظاهرا أن موضوع الوحدة الثلاثية من بدايته حلما بلا أجنة غير قابل للتخليق ، وكان يمكن أن ينزل الستار عليه بهوء - لو لا أن العقيد « معمر القذافي » كان في حاجة إلى أفضى ينطلق في أرجائه ، حتى وإن لم يكن مستعدا هو نفسه لنقطة الوصول عليه . وكانت علاقة « السادات » و « القذافي » في تلك الفترة قد بدأت تسوء ، وكان كلاهما ينفذ على أعصاب الآخر ، فإذا جلسا معا كان مؤكدا أن يصل أي حديث بينهما إلى مشادة يقول فيها « القذافي » لـ « السادات » : « يا أخ أنور .. أنت فقدت ثورتك » . ويرد عليه « السادات » بقوله : « معمر .. اسمع ، أنا لست مستعدا لأن ألقى منك دروسا عن الميثاق ! »

● وفي مثال آخر فإن الملك « فيصل » في لقاءات متعددة مع الرئيس « السادات » ، أشار عليه بصلح مع جماعة « الإخوان المسلمين » التي دخلت في صراع دموي أثناء حقبة « جمال عبد الناصر » - وكان رأى الملك « فيصل » لا يفرق بين من يسميهم « الناصريين » ومن يسميهم « الشيوعيين » ، وكانت نصيحته للرئيس « السادات » أن يتخلص من الفريقين ، فكلاهما عدو له وليس فيهم صديق - وبالفعل فإن الرئيس « السادات » عقد اجتماع مصالحة شهير في استراحة شركة « جاناكليس » حضره عدد من زعماء « الإخوان المسلمين » ( بينهم الأستاذ عمر التلمساني والدكتور سعيد رمضان ) كما حضره ممثل للملك « فيصل » :

وكان رأى الملك « فيصل » - وكذلك اقتنع الرئيس « السادات » - أن التيار الديني هو الذي يستطيع التصدي للتيار القومي ، والذي هو في حقيقة أمره - في تقدير الملك « فيصل » - شيوعي . ثم كان أن اتخذ الرئيس « السادات » لنفسه لقب « الرئيس المؤمن » .

وكان من رأى بعض أصدقاء الرئيس « السادات » الذين تزايد دورهم بعد أن تعزز مركزه على قمة السلطة - أن الجامعة هي معقل الشباب الناصري ، وأن المواجهة معهم يجب أن تكون حازمة ، وحاسمة ، وأن الحوار لا جدوى فيه في حين أن السلاح الأبيض - من نوع « قرن الغزال » - يستطيع أن يبتز ويقطع . وهكذا بدأ تسليم الأسلحة إلى عدد من شباب الجماعات الدينية ليتوأموا بهمة التصدي للفكر ، الآخر ، في الجامعات أو أندية . وبرز التيار الديني على ساحة

لم يشعر أن الرئيس « السادات » قد قطع برأى في قضية الحرب . وكان أكثر جهده في تلك الأيام بحثاً عن تسوية .

( وفي هذه النقطة فإن الخلاف بين الرجلين كان موضوعاً لكل منهما فيه وجهة نظر . )

٢ - بسبب هذا الاجتهاد في تصور المعركة القادمة فإن طلبات الفريق « صادق » من السلاح كانت عالية ، وذلك أنه إذا كان عليه أن يبلغ خط الحدود المصرية بعمل عسكري شامل - إذن فهو في حاجة إلى التفوق على إسرائيل في كل شيء بنسبة ٢ إلى ١ على أقل تقدير . وكان تحقيق ذلك مستحيلاً - وكان الرئيس « السادات » يعتبره نوعاً من التعجيز . في حين أن الفريق « صادق » كان معتقداً بأن الحرب المحدودة وهم لا وجود له .

( وفي هذه النقطة كان الرئيس « أنور السادات » على حق ) .

٣ - إن الفريق « صادق » لم يكن أيضاً مقتنعاً بكفاءة السلاح السوفيتي ، وكانت علاقته بالسوفيت علاقة شك وترصد ، ولم يكن تقدير الرئيس « السادات » مختلفاً وإن بنى موقفه على أساس أن السوفيت « عدو له ما من صداقته يد » ، كما تقول شطرة من بيت شعر عربي مشهور - لكن السلاح السوفيتي كان هو السلاح الوحيد المتاح له ، كما أن الاتحاد السوفيتي واحدة من القوتين الأعظم ، وهي الوحيدة بين الاثنين « تساند حقه وتنفهم أسلبه » .

( وفي هذه النقطة لم يكن الخلاف بين الرجلين واسعاً ) .

٤ - وكانت الأزمات في العادة تنشأ من واقع أن الفريق « صادق » لم يكن يخفي رأيه في السلاح السوفيتي ولا في الاتحاد السوفيتي نفسه . وكان من الطبيعي أن يعكس الخلاف مباشرة على العلاقات بين وزارة الحربية ووزيرها ، وبين مجموعة المستشارين السوفيت ورئيسها في ذلك الوقت الجنرال « أوكينيف » .

( وهنا أيضاً لم يكن رأي الرئيس يختلف كثيراً عن رأي الوزير . )

لكن الرئيس كان يتبع سياسة المداواة ، بينما الوزير لا يتخرج عن المواجهة . ( )

• وأثار الفريق « صادق » أزمة مع « أوكينيف » حينما طلب سفر أفراد تشكيلات سوفيتية ( أطقم ٢٢ بطارية ) كانت تعمل في قواعد الصواريخ لمهام الدفاع عن العمق - بعد أن توافرت عناصر مصرية تم تدريبها وأصبحت جاهزة لتحل محل السوفيت .

وإحدى رئيس الخبراء « أوكينيف » ملاحظة ظهر منها رأيه ، وهو أن رحيل هذه التشكيلات السوفيتية من مصر قبل عقد قمة موسكو بين « نيكسون » و « بريجنيف » من شأنه أن يضعف موقف الاتحاد السوفيتي عند بحث أزمة الشرق الأوسط بين الاثنين .

وأثار الفريق « صادق » واعتبر أن هذه الملاحظة دليل على سوء النية لأن الاتحاد السوفيتي يريد أن يساهم بالوجود السوفيتي في مصر في سباق صفقة لا تعلم مصر شيئاً عن موضوعاتها وحدودها - كان ذلك خلال شهر مارس ١٩٧٢ .

• ثم أثار الفريق « صادق » أزمة ثانية حينما تلقى تقارير بأن الجنود السوفيت المائتين إلى أدمهم يشترون كميات من المشغولات الذهبية ، ووافق على تفتيش مجموعات من هؤلاء الجنود المائتين ومصادرة ما كان معهم من المشغولات الذهبية ، ولم تكن - شهادة للحق - كبيرة .

ولقد أمكن تفادي الأزميتين في اللحظات الأخيرة - لكن الممرارة ظلت في الحلق .

وأما فيما يتعلق بتقييم السلاح السوفيتي فقد رأى الاثنين : الرئيس والوزير - أنه يمكن مومضر القصص في الأسلحة السوفيتية بشراء أسلحة غربية يتم بأموال عربية ، ليبية أو سعودية أو خليجية .

لكن كلا من الرئيس والوزير كانت لديه آراء مختلفة حول ما يلزم وما لا يلزم وكيف ؟

وكان الرئيس يعتقد أنه هو الذي يجيء بالتمويل العربي ، وبالتالي فإن له الحق في توجيهه .

وكان الوزير يرى أنه هو المستعمل النهائي للسلاح ، وبالتالي فإن الحق له هو - وليس لسواه - في سلطة التوجيه .

ووصل الأمر إلى حد تبادل الاتهامات - بحث السطح - بين الرجلين . وفي حين كان

صادق « يتهم صراحة ، فإن الرئيس « السادات » كان يرى أن هناك « من يضعكون على صادق ، دون أن يعرف ، بينما هو مشغول بحربه مع الخبراء السوفيت !

وبلغ الأمر مبلغه في تدهور العلاقات بين الرجلين إلى درجة أن السيدة « جيهان السادات » ، اتصلت بـ « محمد حسنين هيكل » تدعوه إلى مقابلتها مبدية مخاوفها من درجة التوتر المكنوم بين الاثنين . فقد رأتهما بنفسها بعد انتهاء مقابلة بينهما في البيت بالجيزة ، وكان الرئيس قد خرج لوداع الوزير ، ثم دار حديث بينهما على درجة في أعلى سلم مدخل البيت . ولا حظت السيدة « جيهان » أن الرئيس راح يضعف على عصا يمسكها في يده لإخفاء مشاعره ، وأن ضغطه على العصا زاد في لحظة من اللحظات حتى وصل إلى حد أن العصا انكسرت فجأة من شدة ما تحمله !

كان التصارب في الآراء والمواقف والخطط بين الرجلين قد عكس نفسه وتركز في رؤوس موضوعات ثلاثة :

• شكل العمليات المحتملة - وأيهما الممكن وأيهما الصعب وأيهما المستحيل .

• نوعية الأسلحة المطلوبة وسياسة الاتحاد السوفيتي إزاء توريدها .

• عقدة الخبراء السوفيت وحدود اختصاصهم وتأثير ذلك على قضية القيادة والسيطرة .

وفي مرات كثيرة عبر هذا التصارب عن نفسه بوضوح على أعلى مستويات القيادة العسكرية المصرية . وتجلّى مرات كثيرة في اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

في الصفحة ٢٤ من محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة مع الرئيس ، أنور



السادات ، فى بيته فى الجزيرة يوم ٢ يناير ١٩٧٢ - وقد استغرق ثلاث ساعات - دارت المناقشة التالية (\*) :

السواء عبد القاسم حسن ( كان مسئولا عن الإمداد العسكرى ) : قبل أن أسافر آخر مرة إلى موسكو يا سيادة الرئيس ، المستشارين السوفيت أنفسهم قالوا لنا أننا لآزم نجيب ميدان رمى نار وأنواع معينة من الصواريخ تكثرت الطيارين على قذائف هذه الصواريخ ... رحت هناك يا قديم الملقبش أى مخلوق عاوز يسمع بهذا الطلب ... الوزير ليس موجودا ... نائب الوزير وأنا قابلته قال لى لم يتم الاتفاق معكم على هذا ... سيادتك موقف جريشكو غير مفهوم ... هذا راجل مارشال وفاهم أن العملية ليست عملية مليون جندي ... نحن نستطيع وضع ٢ مليون جندي وليس فقط مليون تحت السلاح ... لكن هذا ليس الموضوع ، العملية مثل أسلحة تقليدية ... احنا عاوزين نوعية السلاح ... لازم يعطونا السلاح مثمنا أعطوا الهند ... لكن معانا اتفاقية الأسلحة على خمس سنين ... يعنى معناها أنه ما فئش حرب لمدة خمس سنين ... فالمنظر حتى من شكل الاتفاقية متعب .

الرئيس المسادات : لا . أنا لم أأخذ هذا الاتفاق : أنا قرأت الاتفاقية وقرأت تقريرك ، وقرأت تعليق صادق ولم أأخذ هذا الاتفاق أبدا .

السواء محمد على فهمى ( قائد الدفاع الجوى ) : مشكلة الدفاع الجوى حاليا انى عاوز أحارب حرب هجومية بأسلحة دفاعية ... كل الثقل فى التسليح عندنا كان منصب أساسا على الدفاع الجوى على أساس صد العدو عن التفتاح إلى العمق بتاعنا ... اليوم طبيعة العمليات عندى كدفاع جوى مختلفت وعاوز أنتقل إلى مسرح سيناء ... طبيعة أرضه مختلفة وتحتاج معدات مختلفة توفر الحماية للقوات البرية فى أثناء تقدم عملياتها الهجومية ... لو مسكت السلاح الموجود عندى حاليا من نوع الصواريخ الخفيفة الاسترلا نجد أنه ليس عندنا القوة التدميرية المطلوبة ، وارتفاعها لا يتعدى الكيلو ونصف ... طلبنا النوع المعدل من الاسترلا قالوا ليس موجودا عندنا ، وأنا أعلم علم اليقين بمنافستى مع الخبراء المختصين بالتفصيل أن عندهم نوع رابعى يضرب على ارتفاعات أعلى وله قوة تدميرية كبيرة ، ويضرب على الطائرات المتحركة والمبتعدة على السواء لأنه يضرب على التوثرات ولا يضرب بالانفرا ... هذا النوع نوع متقدم فعلا ويمكن غير موجود فى الدول الغربية فعلا لأنه محمل على وسيلة نقل يمكن أن تكون مجتررة أو على عجل ... وهذه تمكنه من الانتقال إلى المنطقة التى أنا عاوز أدافع فيها وأوفر وقاية للقوات ، وخاصة منطقة المضائق لأنه هذه المناطق الجبلية ومناطق المضائق تشكل حجب لأجهزة الرادار بتاعنا بالنسبة لأنواع الصواريخ الأخرى ... بالوسائل الموجودة لا تقدر على توفير دفاع كافى أمام السكاى هوك وأمام الفانتوم ...

( \* ) صورة من إحدى صلحات محضر هذا الاجتماع للجلسة الأعلى للقوات المسلحة وهى تظهر اختلافات الرأى ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٧) - على صفحة (٧٧٩) من الكتاب .

بالنسبة للكوادر هم عرضوا فوج واحد لكن طبيعة العمليات المنتظرة نحن نريد أربع أفواج ...

من ناحية موضوع القيادة والسيطرة أنا لا أتصور مثلا أن الخبراء يتصلوا بروسيا بالملوك ويتصلوا على أعلى مستوى بالملوك ، لكن مكالماتهم مؤمنة ... أما أنا فى جبهة القتال أضطر أرسل إشاراتى بالشفرة ومعنى هذا أخذ ٢٠ - ٣٠ دقيقة علشان أوصل معلوما ... العدو عنده إمكانيات عالية جدا فى التصنت والإعاقة والشوشرة اللاسلكية ... والروس لديهم نظام متقدم اسمه بالروسى : بىس ، وأنا لا أتصور أن رفع درجات الإخبار يتم بالطريقة الكلاسيكية .

السواء عبد القاسم حسن : نظام السرية والتأمين طلبناه منهم ، وقلت لهم يمكن أن قواتكم الموجودة عندنا فيها هذا البند وقواتنا ليس فيها .

السواء سعيد الماحسى ( قائد الدفاعية ) : والله يا قديم إذا سمحت سيادتك أنا ح أتكلم كمصري أولا وكعسكري بون أن أدخل فى اعتبارى السياسى والعسكرى ... هو إسرائيل عايزه ليه ... اعتبارها فى الوزن السياسى والعسكرى ... وهذا الموقف إسرائيل عايزه تقدر فى الأرض من غير أن يلقها أحد ... وهذا الموقف يكون فى صالح الأمريكان ، وقد يكون فى صالح روسيا بالنسبة لموقفها فى الهند وباكستان ، وفى صالح العالم الذى مش عاوز مشاكل - لكنه فى غير صالح واحد بس وهو مصر ... أنا كمصري وأحنا كقوات مسلحة مصرية لدينا إمكانيات لا شك فيها ولدينا قدرة على القتال ولازم نأخذ enhanced capabilities ( مخاطرة محسوبة ) .

السواء على عبد الخبير ( قائد المنطقة المركزية ) : إذا كان الهدف من العمليات هو مجرد حرب فيها لا يعتبر هدف فى حد ذاته ... إنما الهدف هو تدمير القوى العدوانية والوصول إلى الهدف الذى نريده ... وهذا يتحقق إذا كانت القوات عندنا من الإمكانيات ما يمكنها من تحقيقه فعلا ... وأول الإمكانيات هو القوات الجوية والنظام الجوى ... ولازم يكون فيه نوع من التفوق - ولو محلى - بحيث تقدر القوات أن تقوم بعملية ... الحاجة الثانية بالنسبة للتسليح ... فيه مشاكل فى التسليح لها تأثير على العمليات ... عندنا مشاكل فى فتح الثغرات واللى عندنا هو وسائل تعتبر بدائية ... وأنا متأسف أقول الكلمة ده .

السواء على بغدادى : الذى أريد أن أطلبه هو وجود طائرة ردع سواء غربية أو شرقية تقدر باستمرار أن تصل إلى قلب إسرائيل كل يوم ، لأنه هذا سوف يفرض على العدو أن يأخذ الفانتوم وراء للدفاع عن عصفه .

السواء محمود عبد الرحمن فهمى ( قائد البحرية ) : أنا عاوز أتكلم على وسيلة من وسائل الضغط على الاتحاد السوفيتى ... يمكن هى مشكلة أنا عايشها فى الاسكندرية ... وجود الاتحاد السوفيتى فى البحر الأبيض مرون بكلمة واحدة من سيادتك ... وجودهم فى البحر الأبيض وجود رئيس ومن أهم العوامل بالنسبة لهم ، وأحنا ممكن نبتدى الضغط من بلوكت ونحدد عدد الوحدات السوفيتية التى تدخل موالينا ... ونقدر نحدد الموانئ التى يدخلوا فيها ، وبعضين نقدر نستهمها

خالص ... أعتقد أنه هذا الضغط هو الضغط المؤثر على الاتحاد السوفيتي ... إما المساعدة وإما التواجد في البحر الأبيض .

الرئيس السادات : أنا لمه ما وصلنش لهذه المرحلة يا محمود .

لواء محمود عبد الرحمن فهمي : تظهر نوع من الضغط ...

الرئيس السادات : لا . أنا ما وصلنش للمرحلة دي .

لسواء أحمد شاذلي : أنا عاوز أتكلم في النقطة اللي بعض الإخوان اتكلموا فيها ، وهي أن نعمل أي شيء بالإمكانات الموجودة معنا ... لازم نتفكر أنه فيه توقيتين رئيسيين في الحرب : بداية العمليات نحن قادرين على تحديده ، إنما التوقيت الثاني متى وأين أنهى العمليات هو المطلوب عسكريا ... المطلوب عسكريا أن أنهى العمليات بغرض إرأش على الجانب الآخر ... بتمتيره ... إنما إذا أتيت في نصف المهمة وصلتي إمكاناتي إلى حد معين ، طيب إزاي أقدر على العدو أن يقف ... تأكيد الكلام اللواء محمود عن الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض ... وأنا في يوغوسلافيا أخيرا كان فيه حركة انفصال في كرواتيا ، وكانت الإشاعات في يوغوسلافيا تقول إن الاتحاد السوفيتي هو الذي يؤيد الانفصال في كرواتيا في مقابل شيء واحد أنهم باخدوا قاعدة بحرية في الأديرياتيك لأن ساحل الأديرياتيك ٨٠٪ تابع لكرواتيا ... لهذه الدرجة السوفيت بريحون قاعدة في الأديرياتيك ... وهذه تبرز أهمية النقطة اللي بيتكلم فيها محمود .

الرئيس السادات : أنا عاوز حلوش مش عاوز الكلام الكلاسيكي ... نحن لسنا قاعدين في البنتاجون مثلا ، ده يقول أنا عاوز إمكانات ، وده يقول ناقصني إمكانات ... أبدا إحتا مش في البنتاجون ... إحنا هنا قاعدين في القاهرة على شاطئ النيل في كورنر ( ركن ) ومزنونين ... كده مزنونين في كورنر ... وأنا أتلق مع الأخ اللي اتكلم ... الأخ سعيد الماحي اللي قال إن إحنا عندها إمكانات بس اتعوتنا باستمرار نطلب الأكثر ، وده لازم وده قال وده عاد ... فيه سؤال بي طرح نفسه والتهارده بدأ في الجامعات ... فيه ناس يمكن بيعتوره ، لكن جازي يكون له رنين بعد فترة ... فيه سؤال في الجامعات ... أين ثورية المعركة وأين الحسم في المعركة .. وأين .. وأين .. وإحنا إن نتساوى مع إسرائيل بعد خمس سنين ولا بعد عشر سنين .

لسواء سعد الشاذلي : هو مما لا شك فيه يا فتم وبرغم النواقص ، فإن القوات المسلحة قادرة على أن تقوم بعمليات محدودة ... ويمكن هناك نقطة واحدة نريد أن نركز عليها مبادئها ، وهي نقطة الحرب الإلكترونية لأنها سوف تكون عماد عملنا في الدفاع الجوي والقوات الجوية ... فيه نقطة ثانية وهي هل نقدر أن نقوم بعمليات لوب علم الروس ؟

الرئيس السادات : هو مؤكد لازم نقول للروس مسبقا ، لكن ليس مسبقا قوي . الروس مش

الفريق أول محمد صديق :

عاوزنا نتحرك لانهم لا يشقوا علينا فكرة عسكرية ... ثانيا مادام مش واللين لا يريدوا الشغل في مغامرة لا يعرفوا نتيجتها وضطروا للتورط معنا بحكم المعاهدة ... فإذا ما أدخلوا بتهديم قنصا مركزهم مش في البحر الأبيض لوحده وإنما في المنطقة بالكامل ... ويقضي عليهم في موازين القوى العالمية الاستراتيجية الكبيرة ... ويأخذوا ضربة قاتلة بالنسبة لهم .

كل واحد من القادة الموجودين هنا له رغبة في القتال وليمان بأنه ملحق حل ... بالعكس كنا نقول إن كان ربنا راضي عن هذا البلد فهي لازم تلمي مشتاتها عسكريا حتى تستعيد ثقها في نفسها ... وإحنا كعسكريين مؤمنين بالله ومؤمنين بانقاذ مصر ، فالإقتاد الوحيد الذي يمكن أن يقدم لمصر في هذه الأيام هو نصر عسكري .

الموضوع الوحيد إن مصر لا تحتل هذه المرة أبسط هزيمة بل لا تحتل حتى أبسط عدم نصر ... لا تحتله ... فلا بد أن تكون ضامنين للمعركة على الأقل بنسبة ٦٠ أو ٧٠٪ - يعني فوق ٥٠٪ لازم يكون مضمون حتى نستطيع أن نبدأها مع الأخذ في الاعتبار كل المخاطر التي ممكن نأخذها ... الحاجات اللي نألفصاها حاجات هامة جدا وجبوية جدا وأولها طيارة الردع التي ممكن تصل إلى أرض العدو ... تفكر سيديك ١٧٥٠٠ ... في آخر مشروع خساننا أد إيه في العصور ؟ ، قلت لسيديك ١٧٥٠٠ ... تفكر سيديك ١٧٥٠٠ ... عتناه أنا تركت الروس يقدروا خسائرا فظيمة اليوم الرابع من المعركة ... تقديهم كان أكثر من ٣٥٠٠٠ عسكري ، وده كله إحنا قابليه لكن لا نرسي التماس بدون أن نحقق مكسب ... وقيل أن تبصر قواتي لإيد أن يكون عدوي الاحتياطي الكافي من الذخائر اللي بخيلتي أكثر أوصل المعركة ( بالقوة ) ... أنا مش عاوز أوصل لخط العدو ... لكن عاوز أوصل للمضائق بحيث أجد حاجز دفاعي ألق عليه وأدافع عنه حتى لو استهلك ٢٥٠٠٠ عسكري ، ونحن لإيد أن نخلف في معركة كبيرة وليست معركة استنزاف لأن الاستنزاف ليس في صالحنا .

الرئيس السادات : أنا بس عاوز أقول حاجة واحدة ... ابتداء من دلوقت عمل الوقت ليس في صالحنا .

وكان رأيي سليما ...

٢

ويوما بعد يوم كان الخلاف بين الرجلين ينعكس على القوات المسلحة ، ويوما بعد يوم أيضا كان يظهر أن شعبية الفريق ، تزيد في الجيش على حساب الرئيس . والواقع أن الشعور العام في القوات المسلحة لم يكن وديا تجاه الخبراء السوفيت ، فلم يكونوا في رأي عدد كبير من القيادات المصرية - أكثر خبرة منهم ، ولا كانت لديهم تجربة قتال حتى على أسلحتهم في حين كانت هذه التجربة حياة القوات المسلحة المصرية كل يوم .

وليس من قبيل المبالغة أن يقال إن قرار الرئيس السادات ، في شهر يوليو ١٩٧٢ الشهير بطرد الخبراء السوفيت من مصر كان في جزء منه راجعا إلى المناقشة بين الرئيس والوزير على كسب مشاعر ضباط القوات المسلحة .

كانت لدى الرئيس « السادات » أسباب أخرى أوصلته إلى قراره الشهير ، لكن المناقشة بينه وبين الفريق « صانق » كانت بالتأكيد واحدا من هذه الأسباب ، ذلك أنه عندما أحس الرئيس « السادات » أن الفريق « صانق » يكتسب شعبية بين ضباط القوات المسلحة من عدائه للخبراء السوفيت وتصديه لهم - أراد - ضمن ما أراد في ذلك الوقت - أن يكسب المبرة بالضرورة القاضية ويطرد جميع الخبراء السوفيت .



كانت الأسباب كثيرة ، وقد سبقت الإشارة إلى عديد بينها ، وقد كانت خليطا من شكوك متبادلة حول الأفكار والسياسات والمواقف ، وحتى آراء البشر في بعضهم البعض بحكم أنهم بشر !

وكان السوفيت موزعين بين افتتاع تولد لديهم بأنه لم تعد في مصر إرادة سياسية قادرة على قرار الحرب أو قرار السلم بعد رحيل « جمال عبد الناصر » . وفي مقابل ذلك كان لديهم اليقين بأن دورهم في مصر حيوى بالنسبة لقيمتهم كواحدة من القوتين الأعظم - فيدون هذا الدور يضطرون إلى التراجع من قلب الشرق الأوسط إلى أطرافه ، وربما إلى حدودهم . ومعنى ذلك أن ينسحبوا من البحر الأبيض والبحر الأحمر والمحيط الهندي - ومن إفريقيا بالكامل .

وكان هذا التناقض الرئيسى ، مع العجز عن الوصول إلى صيغة للتعامل معه - وراء مواقف كان يمكن تجنبها ، ومناقشات عقيمة كان في الإمكان الاستغناء عنها .

وقد تحولت اجتماعات بين الفريق « صانق » والجنرال « أوكينيف » - رئيس مجموعة الخبراء السوفيت في مصر - في مناسبات كثيرة إلى مباريات حادة في قارص الكلام :

● يتحدث الفريق « صانق » - في مرة من المرات مثلا - عن كفاءة السلاح الأمريكى الذى تستخدمه إسرائيل . ويرد الجنرال « أوكينيف » بأن السلاح السوفيتى استطاع فى بد القيتناميين أن يهزم السلاح الأمريكى فى يد أصحابه أنفسهم .

● ويتحدث الفريق « صانق » - فى مرة أخرى - عن أسلحة تكميلية اشترتها مصر من الغرب . ويرد « أوكينيف » بأن هذا السلاح غالى الثمن جدا ومدفوع بالعملة الصعبة - فى حين أن السلاح السوفيتى أرخص بكثير ، وفوق ذلك فهو يقدم لمصر بنصف ثمنه بمقتضى اتفاقيات سابقة ، وحتى هذا التصف من الثمن فإنه يسدد بالجنيه المصرى وعلى أقساط لمدة اثني عشر عاما فى المتوسط بغائدة ٢,٥ فى المائة .

● ويتحدث الفريق « صانق » - فى مرة ثالثة - عن مستوى الخبراء السوفيت وكيف أنه



الرئيس السادات أثناء اجتماعه مع القادة السوفيت فى الكرملين بموسكو عام ١٩٧١ .

فى كثير من الأحيان ضعيف . ويرد « أوكينيف » - كثيرين من القادة المصريين من « النوع النورجوزى » يتمتعون بالامتيازات ويريدون تجنب « التضحيات » !

ويسجل المحضر الرسمى لاجتماع بين الرئيس « أنور السادات » وقيادات الاتحاد السوفيتى السياسية والعسكرية ، ممثلة فى « بريجنيف » و « كوسيجين » والمارشال « جريتشكو » - نموذجا لنوع معال من المناقشات ابتداء من الصفحة ١٢ بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٧١ :

الرئيس السادات ( أثناء مناقشة مع بريجنيف ) : كنت أريد أن تخطونى خطوة بخطوة مع إسرائيل . لكن الذى أراه أننا خطوتين وراء إسرائيل<sup>(١)</sup> .

المارشال جريتشكو ( وزير الدفاع ) : أحب أن أرد على كلام الرئيس بأنكم خطوتين وراء العدو . استعداد القوات المسلحة يعتمد على ٣ عناصر :

- ١ - نوع وتأثير السلاح .
- ٢ - الوضع المعنوى والسياسى .
- ٣ - تعداد الجيش .

( ١ ) صورة من إحدى صفحات محضر اجتماع الرئيس ، السادات ، مع القادة السوفيت ، وهى التى بدأ فيها تدخل المارشال جريتشكو ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم ( ٣٨ ) - على صفحة ( ٧٧٧ ) من الكتاب . وأصل المحاضر محفوظة فى ملفات رئاسة الجمهورية ، وتوجد صور منه فى وزارة الدفاع والخارجية .

إذا كانت هذه العناصر الثلاثة موجودة كانت طريق النجاح . وإذا صعدنا مقارنة بين هذه العوامل الثلاثة بين جيشكم وإسرائيل فإنكم تتفوقون على الجيش الإسرائيلي .

فمثلا تعداد : مصر ٦٧.٠٠٠٠ جندي

سوريا ١٥.٠٠٠٠ جندي

إسرائيل ١٨.٠٠٠٠ جندي

إسرائيل ٤.٠٠٠٠٠ جندي

تعبئة كاملة : مصر ٢.٠٠٠٠ دبابة

سوريا ١.٥٠٠٠ دبابة

إسرائيل ١.٥٠٠٠ دبابة

عندكم ٦٥٠ دبابة ( ٥٥ تي ٥٥ ) وهي أحسن الدبابات .

إسرائيل : باتون - ستوريون - شرمان ... وكلها أنواع قديمة .

المدفعية : مصر ٣٦.٠٠٠ مدفع

سوريا ١٤.٠٠٠ مدفع

إسرائيل ٢٢.٠٠٠ مدفع

يوجد في مصر ٨٠٠ مدفع هاوتزر ويصير سلاح هجومى - عيار ١٢٠ مم .

من ناحية الدفاع الجوى :

مصر ٧٥٠ صاروخ

إسرائيل ١٠٠ صاروخ هوك

من ناحية المدافع المضادة :

مصر ٢٦.٠٠٠ مدفع

إسرائيل ٧٥٠ مدفع

الطائرات : مصر ٢٥٠ ميج ٢١

مصر ٧٠ سوخوى

إسرائيل ٣٨٠ طائرة منها :

٧٤ فانتوم

٥٠ ميراج

والباقي سكاي هوك .

وإذا أرجو أن يكون مفهوما أن الفانتوم فيها نقاط ضعف . حملتها أربع أطنان وإذا حملتها بالكامل أصبحت سرعتها ٨٠٠ كم فى الساعة .

وفى فيتنام ثبت عيب تحصيل الطائرات كاملا .

ماذا يحدث لو أغارت إسرائيل على الصق ؟ لديهم ٢٥٠ طائرة بالإضافة إلى ٥٠ بطير عليها الصوفيت ... وهذه القوة يمكنها إيقاف الهجوم . وهذا الهجوم لن يحدد مصير المعركة .

أسطولكم لديه التفوق على الأسطول الإسرائيلى ويعطيكم السيطرة فى البحر تماما .

المعدات الهندسية عندكم تكفى لإشلاء ٩ جسور لمسافة ٢٦٠ مترا وحمولة كل منها ٦٠ طن .

وهناك جسرين حمولة ١٢ طن .

معدات فتح الثغرات فى الأنفاق : عندكم ٣٠ طاقم لفتح الثغرات ، تفتح ممرات طولها ٢٥٠ مترا

وعرضها ٨ متر .

عندكم أكثر من ٣.٠٠٠ من المستلزمات التى تفتح ثغرات فى حقول الأنفاق . بالنسبة للحرب الإلكترونية : عدنا ٤٧ مهمة استطلاعية بالطائرات رصدنا فيها جميع وسائل الراديو والرادار ( عند إسرائيل ) . واستطلاعات الأقمار الصناعية السوفيتية نحن نعطىها لكم بالتظام .

عندكم أربع كتاب من محطات التشويش على العدو ... عندكم ٢ كتيبة للاستكشاف

الإلكترونى ... عندكم ٢ كتيبة فى مرحلة التكوين ... هناك ١٦ طائرة تقوم بمهام استطلاعية

حسب طلبات القيادة السوفيتية والمصرية وتقوم بالاستطلاع الإلكتروني .

بالنسبة للذخيرة - ذخائر المدفعية عندكم ١٥ مليون قذيفة .

إن كل ما أريد أن أذكره هو أنه لا يوجد لدينا تأخر ، وليس معنى ذلك أنه لا توجد نواحي

نقص .

ليس السادات : أليس من المناسب أن يتحدث صادق ؟

لرقيق محمد أحمد صادق : البيانات التى قدمها المارشال جريشكو عددها سليم ، ولكن الموضوع ليس

موضوع أعداد وإنما احتياجات . لقد تحدث جريشكو عن مصر وسوريا .

وإذا أتحدث فقط عن مصر لأن تلك هى مسئوليتى ، وذلك هو موضوع

الحساب عندى .

صحيح عندنا ٦٥٠ دبابة ، ٥٥ تي ٥٥ ، ولكن باقى الدبابات تلحقها

أشياء ... مثلا الدبابات الـ ٣٤ ، وعددها كبير جدا ... هذه الدبابة

أصبحت قديمة مقارنة بدبابات العدو الحديثة .

لا توجد وسائل قتال ليلى ، وهذا يجعلها عديمة القيمة . فالدبابة لابد

أن تكون قادرة على القتال الليلى .

بالنسبة للمدفعية ... المدفعية السوفيتية أعظم مدفعية فى العالم .

ولكن ما فائدة مدفع مداه ٢٧ كم ولكن لا أستطيع استخدام أكثر من

١٣ كم ... ما فائدة أن يكون لدى العدو مدفع مداه أطول بطولتى ولا أستطيع

أن أصيبه .

بالنسبة للطيران لا شك أن الـ ٢١ ميج ٢١ ، المعلة طائرة مقاتلة من

الطراز الأول ، وتستطيع إسقاط الـ فانتوم . ولكن كل الصعوبة أن

الـ ٢١ ميج ٢١ ، والـ ٧ سوخوى ، مدة بقائها فى الجو مدة قصيرة .

بريجنيف ( مقاطما ) : أعقد أن هذه الاعتبارات غير سليمة لأننا لو أغننا

بها فمعنى ذلك أن نستسلم . □

وقد تصور الرئيس « أنور السادات » بعد نهاية هذه الاجتماعات أنه توصل إلى حل لمعظم

المشاكل . ولكنه بعد أن عاد إلى القاهرة بعدة أسابيع بدأ يتلقى الشكاوى عن تأخير توريد ما جرى

الاتفاق عليه أثناء زيارته لموسكو . وقام باستدعاء السفير « فلاديمير فينوجرادوف » ، وطلب إليه

روى « شيهان »<sup>(١)</sup> أن « كينسجر » صق من التبا وتساعل قتالا لعمانه ، لما لم السادات لنا هذه المكرمة ؟ لماذا لم يتصل بى ؟ لماذا لم يطلب أولا كل أنواع التنازلات التى يمكن أن تقدمها له ؟ - ثم كان تعليق « كينسجر » بعد ذلك « أنه غاضب أيضا لأن هناك فشل فى بل المخابرات ، فهو لم يعلم بقرار الطرد إلا من برقيات وكالات الأنباء . »

□

إن القرار برغم ذلك أحدث أثره - وبأكثر مما كان متصورا - فى الجهة التى لم ترق مقصودة به مع أن ضربه أساسا كانت موجهة ضدها ، وهى الاتحاد السوفيتى .

إن صدمة الاتحاد السوفيتى بهذا القرار كانت غنية ، وفى البداية فقد كان هناك القنب للكرامة الجريحة حين راح حوالى ثمانية آلاف من الخبراء السوفيت وعائلاتهم يغادرون سر بطريقة مهينة ، وكأنهم قلوب من اللاجئين يهربون أمام خطر زاحف عليهم .

لكن الشعور بالصدمة والغضب للكرامة ما لبث تدريجيا أن تدارك موقفه وراح يتراجع نظرا بعد خطوة أمام اعتبارات أخرى تتصل بالاستراتيجية العالمية للاتحاد السوفيتى .

فجأة نبئت المؤسسة العسكرية السوفيتية أن التهديدات التى سبق لها أن سمعتها عن ضاح مركز الاتحاد السوفيتى فى مصر ، وأثاره على العالم العربى ، وعلى البحر الأبيض المتوسط الأحمر ، وعلى إفريقيا بما فى ذلك القرن الإفريقى الذى أصبح - بالفعل وقتها - موقفا سرييا متقدما على المحيط الهندى مشرفا إلى نهاية الأفق على المحيط الهادى - قد تحققت أو هى على وشك أن تتحقق .

و « كوسيجين » - وبين المؤسسة العسكرية السوفيتية وعلى رأسها المارشال « جريشكو » وزير الدفاع ، والأميرال « جورشيكوف » قائد الأساطيل السوفيتية .

وفى ذروة الخلاف أشار المارشال « جريشكو » إلى أن « السادات لن يحارب مهادنا ما نعطيها له من سلاح ، ومن الخير ألا نترك أنفسنا شائعة له يطلق عليها ترده أمام ضباط ليبيا المصرى وأمام الشعب فى مصر وأمام كل أصدقائنا فى العالم العربى » .

وترددت صيحة موجهة من وزارة الدفاع السوفيتية إلى الكرملين ، مؤداه « أن الانترفيبي العالمية للاتحاد السوفيتى مكتوفة معرضة للخطر ، وهو وضع لا يمكن السماح به »<sup>(٢)</sup> .

وفى نفس الوقت فإن كثيرين فى مصر كان رأيهم أنه من الضرورى البحث عن علاج

(١) صفحة ٢٢ من كتاب « العرب والإمبرياليين وكينسجر » .

(٢) حديث مطول مع أحد كبار العسكريين السوفيت أثناء نوبة فى لندن عن سياسة الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط سنة ١٩٧٥ .

للصدمة المفاجئة ، وتقرر كمحاولة أخيرة إرسال بعثة على أعلى مستوى يرأسها الدكتور « عزيز صدقى » رئيس الوزراء - إلى الاتحاد السوفيتى .

ولم يكن الرئيس « أنور السادات » يتوقع كثيرا من مهمة تلك البعثة ، وكان ظنه أن السوفيت سوف يعودون إلى تكرار نفس مواقفهم السابقة بنفس عباراتها تقريبا .

ولكن بعثة « عزيز صدقى » ذهبت وعادت تحمل مفاجأة لم تكن فى الحسبان :

١ - وافق السوفيت على أن يشحنوا فوراً كل الطلبات المتأخرة من صفقات سابقة .

٢ - أكثر من ذلك فإنهم وافقوا على أن يقدموا لمصر أسلحة متقدمة لم تظهر من قبل على مسرح العمليات فى الشرق الأوسط ، وبينها طائرات الـ « ميج ٢٣ » - وطائرات الـ « سوخوى ٢٠ » - والصواريخ المتقدمة من طراز R 17 E ويبلغ مداه ثلاثمائة كيلومتر - علاوة على النظم الصاروخية المتقدمة المعروفة بالكوادرات .

٣ - ثم إنهم وقعوا صفقات جديدة يتم تسليمها بعد قليل من طائرات « ميج ٢٥ » - ومن عربات القتال المدرعة من طراز BMP - ونظام كامل للحرب الالكترونية .

وكانت بعثة الدكتور « عزيز صدقى » تضم عددا من العسكريين ، وبالتالى فإن ما وافق السوفيت على تقديمه أصبح معروفا فى القوات المسلحة ، وأحدث تأثيرا لا بد من حسابه .

□

وفى يوم ٨ أكتوبر كان الرئيس « السادات » يراجع النتائج النهائية لبعثة الدكتور « عزيز صدقى » فى موسكو .

وكان موزعا بين الرضا والشك .

كان رضاء من إحساسه بأنه استطاع أن يفرض على السوفيت مطالبه . فلتد تصدى لهم أمام الدنيا كلها ، وطبقا لتعبيره فإنه « قلع الجزمة وضربهم بها فوق رؤوسهم » - وكان ردهم فى النهاية هو أن جاءوا إليه « ببوسون الأيدى » !

وكان شكه من تأمله للأسباب التى دعت السوفيت إلى أن يعودوا إليه صاغرين ، وفى الغالب فإنه لم يلتفت بالتدريج الكافى إلى الدواعى الملحة لاستراتيجيتهم العالمية . وإنما وصل به الشك فى هذا الاجتماع يوم ٨ أكتوبر إلى حد القول :

- « إن الروس يحاولون إغراقه فى بحر من السلاح . استجابوا لجميع طلباته وأكثر حتى يورطوه فى معركة يظنون أنه لن يكسبها حتى وإن تحققت له كل مطالبه من السلاح . وإن فهم يستكبيون لطلباته وينتظرون محنته لكى يعود إليهم وقتها طالبا دعمهم ، وحينئذ يرفضون عليه - فى النهاية - كامل شروطهم » !

□



والغريب أن الفريق « صديق » لم يكن سعيداً بقرار طرد الخبراء السوفيت من مصر . ولعله نظر إليه باعتباره نقطة تحول في المنافسة بينه وبين الرئيس « السادات » .

ولقد انتقد التسرع في القرار صراحة في مؤتمرات عسكرية على مستوى القيادة .

وحين نجحت مهمة الدكتور « عزيز صدقي » في موسكو ، واستجاب السوفيت بالكامل لجميع طلبات الرئيس « السادات » ، - فإن الفريق « صديق » بدأ يشعر أن دوره قد جاء .

وليس في استطاعة أحد أن يعرف ما الذي دار في ذهن ذلك الجندى الذى تضاربت الميول والنزعات في فكره وإحساسه تلك الأيام - لكنه على نحو غريب بدأ يعتقد أن هناك مؤامرة تدير للخلاص منه باغتياله . وقد تبعثت مشاعره ما بين الوقوف أمام الرئيس « السادات » ، بأى وسيلة ؛ وما بين الاستسلام للقضاء والقدر . وكان بعض من حوله يعرضونه على أن يمساك بزمام الأمور كلها في البلد وسط جو يتيح له هذه الفرصة . لكن الرجل - والشهادة لله - كبح جماح أصغاله ، وكبح جماح نفسه مدركاً أن حالة « البلد » لا تتحمل أى مزة عنيفة .

ولقد لجأ إلى نوع غريب من التدين يعترج فيه التصوف بالاستسلام للمقادير .

وفي ذلك الوقت التقاه « محمد حسنين هيكل » عدة مرات في ظرف كان يعتقد فيه أن الرجل في محنة إنسانية عاتية :

جندى قام فعلاً بجهد ممتاز في حرب الاستنزاف ، ثم واصل دوره بعد ذلك كوزير للحربية مسئول عن إعداد القوات المسلحة للحرب ، بما في ذلك استكمال التدريب والتخطيط ...

وهذا الجندى يحلم بأن يكون هو قائد القوات حين يجيء اختبار النار ...

لكن المشكلة أن هذا الجندى يرى أن المعركة الكبيرة القائمة لابد لها من اشتراطات تنبو مستحيلة .

وهو يتعنى أن يقاتل - لكنه يرى المعركة صعبة .

ثم إن هذا الجندى على خلاف وصل إلى حد العداء مع قيادته السياسية - وهو في نفس الوقت متنبه إلى خطورة أى خطوة في المجهول .

وفي إحدى هذه المقابلات وصل الفريق « صديق » إلى حد القول لزمائره : « اسمع .. هالز من أن يبدروا لك حادث سيارة .. إنه سوف يتخلص من الجميع . ثم كانت المفاجأة أنه فتح خفيه يده وأخرج منها ورقة مكتوبة بخطه ، وأعطاهم لزمائره طالباً منه أن تكون معه طول الوقت دما ، وأقياً من الشر وحماية - وقد جاء فيها بالنص(\*) :

(\*) صورة لورقة الدعاء التى أعطاهم الفريق « صديق » . محمد حسنين هيكل ، « وهو موجودة في ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٩) - على صفحة (٧٧٨) من الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم .

- يا رب بصرتنى وأتم نعمتك على ، وأهدى قلبى وطهره واجعل منى نغما للناس .

- يا رب اهدنى خير الطريق ، واهدنى إلى ما فيه خير الناس ، واهدنى فى رسالة السماء ، وافتح على فتوح من يعرف الله ، وقوى إيمانى برسول الله .

- على بركة الله وقوة من رسول الله أعمل بها للخير ، وللخير والسلام دائماً أبداً ودائماً أصلاً .

« صديق » ، هى قوله له :

« وكانت تلك فى تقدير « محمد حسنين هيكل » ، حالة بالغة الخطورة ، وكانت نصيحته للفريق

« - إنه يعز عليه كصديق قديم أن يقول له ما سوف يقوله الآن . لكنه يرى واجبه فى قوله . تلك أنه بهذه الحالة من عدم الثقة بينه وبين رئيس الدولة فلم يعد أمامه خيار إلا أن يقدم استقالته ويلزم بيته فى هدوء . »

ولكن الفريق « صديق » لم يكن مهياً نفسياً لهذه النصيحة ، فلقد بدا له أنه لا يستطيع أن يترك أولاده ، فى القوات المسلحة لسياسات تؤدي بهم إلى كارثة . كما أنه لا يستطيع أن يتخلى عن مصر ، فى وقت شدة بينما جزء من أرضها واقع تحت الاحتلال .

ومن حسن الحظ أن مأزق ومحنة « عسكري وطنى » لم تطل لأن الرئيس « السادات » أصدر يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ قراراً بإعفائه ، وتعيين الفريق « أحمد اسماعيل على » ، وزيراً للحربية بدلاً منه . وكان القرار - لوجه الحق - لا مفر منه ، وإن كانت آثاره على « عسكري وطنى » جاءت فادحة .

وتردد أن بعض العسكريين من أصدقائه فكروا فى انقلاب بزيح « أنور السادات » ، عن السلطة ، وأنهم شكلوا جمعية سرية « لإنقاذ مصر » . وجرت عمليات قبض وتحقيق ، ولم يكن هناك ما يدين الفريق « صديق » .

لكنه أحس على نحو ما أن كل شيء ضائع عليه وعلى « البلد » ، كما أن عدداً من أصدقائه المقربين « راحوا » بسبب موقفه - وقد حاول أن يظل على صلة بالحوادث ، ثم تاه فى بحر من التدين والتصوف ، ثم مرض ومات مقهوراً . وكانت تلك مأساة مفعجة .

## الفصل العاشر

### الأوهام والمعتقدات

#### ١

ظهرت في الأجواء أعراض حالة من التمزق والتآكل والإحساس بالضيق لأن حالة اللا سلم واللا حرب تضغط على أعصاب الجميع بشدة ، وعلى نحو يبدو وكأنه لا خلاص منه .

كانت أزمات اللا سلم واللا حرب أسباب موضوعية تمثلت في :

١ - شعور سائد لدى القيادة المصرية بأن العدو أقوى عسكريا بسلاحه ، وأقوى سياسيا بتحالفاته الدولية .

٢ - وفي نفس الوقت فقد تبدى في مصر نوع من الانقسام بين السياسة والسلاح ، فالسياسة ليست واثقة من قدرة السلاح ، ولا السلاح واثق من كفاءة السياسة . وقد تجلى ذلك بصفة خاصة مع الصدام الذي جرى بين الزينيل ، أنور السادات ، ولقريق ، صائق ، ونخبة معه من العسكريين .

٣ - وكان الجهاز الحكومي ، وهو في العادة في منطقة ما بين السلاح والسياسة ، يتصور إمكانية حرب قد تكون شاملة ، ولعله كان يستهول تكاليفها خصوصا على المراقق والبنية الأساسية والمستودعات الكبرى .

٤ - أن القرارات المصرية بدأت متأرجحة لا يقر لها قرار مثل بندول الساعة - من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .

٥ - وترتب على ذلك أن حالة التهيئة النفسية والسياسية للناس راحت تشدهم على خط طرول من الحماسة الزائدة إلى الإحباط الكامل ، ومن الساخن إلى البارد دون سابق تمهيد لأية حالة .

٦ - ثم زاد فوق كل هذه العوامل أن الإحساس سرى بين الناس بأن هناك عناصر مستغنية من حالة اللا سلم واللا حرب . وقد ساعد الشعار الذي ارتفع بأنه ، لا صوت يعلو على صوت المعركة ، على محاولات كثيرة لتطوير القول بكثير مما كان يصعب القول به ، وفي نفس الوقت الذي كانت روادع صوت المعركة تعطى لكثيرين امتيازات بلا حق في طرف يتطلب تعويضات بعيد حدود .

ونتيجة لهذه الأحوال ظهر على جسم الجبهة الداخلية طفح من البور كان بالتأكيد ظواهر خارجية لانهابات حادة داخلية :

• كان شباب الجامعات في حالة غليان عثر عن نفسه بإضرابات ومظاهرات وصدامات مع قوى الأمن ، أعقبها بالطبع اعتقالات .

• وكان هناك صدام مع المتقنين نتيجة لبيان باسمهم اعتبره الرئيس « السادات » ، تعرضا به ، ورد عليه بهجوم مركز على الاسم الذي تصدر قائمة الموقعين على « البيان » ، وهو الأستاذ « توفيق الحكيم » .

• وقرر الرئيس « السادات » إقصاء عدد من الكُتّاب عن الصحف ، وكانت بينهم صفوة ممتازة من وزن « نجيب محفوظ » و « أحمد بهاء الدين » و « لويس عوض » و « يوسف إدريس » .. وغيرهم ، وغيرهم .

• ودخل الرئيس « السادات » في مشادة لا لزوم لها مع « الأهرام » ، سببها أن هؤلاء المتقنين ، الكُتّاب بمن فيهم « توفيق الحكيم » ، و « نجيب محفوظ » ، و « أحمد بهاء الدين » ، و « لويس عوض » ، و « يوسف إدريس » - كلهم من « الأهرام » . بالإضافة إلى أن أبواب « الأهرام » ظلت مفتوحة أمام شباب الجامعات الراغبين في محاوره متقنيه وكتابه .

• وكان الرأي العام الواسع في مصر قد بدأ يحس أن السلطة راحت في تصرفاتها تنحاز إلى طبقة جديدة ظهرت وراحت تخصص طريقها إلى مواقع النفوذ والاستغلال في ظروف عسيرة وصعبة يعاني منها سواد الشعب .

وكان الرئيس « السادات » يعتقد - وبحق - أن هذا كله هين وقابل للعلاج إذا هو عثر على حل للمأزق الأكبر : مأزق الحل والحرب .

وكان لا يزال على يقينه بأن القوات المسلحة هي الركيزة الأساسية للنظام ووسيلته في الحالتين .



وحتى هذه الساعة المتأخرة من عصر الأزمة المستعكة كان الرئيس « السادات » ، ما زال على استعداد لأن يطرق من جديد باب الحل . ولعله لم يكن يريد أن يعترف أمام نفسه وأمام غيره أن قراره بطرد الخبراء السوفيت كان صاروخا قويا ويميد المدى ، ولكن توجيئه لم يكن دقيقا ، وانفجر بعيدا عن منطقة الهدف !

والذي حدث هو أنه بعد أيام قليلة من قراره بطرد الخبراء السوفيت تلقى الرئيس « السادات » ، برقية شفرية من السفير « أشرف غريال » عن مقابلة له مع وزير خارجية الولايات المتحدة « ويليام روجرز » ، وقد كتب له « أشرف غريال » فقرة جاء فيها بالنص : (١)

- إن المستر روجرز - في حضور سترو - رجاني أن أبلغ السيد الرئيس :
- إنه يكن لسيادته كل تقدير واحترام ، وهم معجبون بقراراته الأخيرة ، وأن الرئيس نيكسون ، وروجرز ومعاونيه والجميع يعرفون أن الرئيس رجل سلام ويريد أن يصل إلى حل سلمي .
- إن إمكانياتهم في التأخير على إسرائيل محدودة .
- إن واشنطن على استعداد - إذا رغبت القاهرة - أن تلعب دورا في الوصول إلى الحل المرحلي .

ولم يكن الرئيس « السادات » في حاجة إلى شهادات تقدير ، وإنما كان يبحث عن أبواب مفتوحة ، ولم يكن مستعدا لأن يتخلى عن رهانه الأمريكي ، وقد أحس أنه استثمر فيه كثيرا من أرضيته فعلا .

ولقد طلب من وزير خارجيته الجديد وقتها ( الدكتور « محمد حسن الزيات » ) أن ينتهز فرصة سفره إلى نيويورك لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويوسع دائرة اتصالاته ويجعل زيارته « زيارة وتجارة » ، ولكن « الزيات » ذهب وعاد دون أن تسفر مهمته عن جديد يطمئن أو يريح .

ولقد أرسل الدكتور « الزيات » مجموعة برقيات من نيويورك عبر عليها الرئيس « السادات » ، والغالب أنها لم تترك أثرا عليه لأنه لم يجد فيها إشارة تستجيب لشواغله الملحة - وإن كان قد وضع خطا تحت بعض العبارات فيما قرأ من برقيات .

بعث الدكتور « الزيات » من نيويورك ببرقية برقم ٧١٩ جاء فيها بالنص :

- ١ - « قبلت روجرز صباح « أكتوبر . قال إنه يريد أن يتكلم معي بصراحة وهدوء ، وأنه بعد هذه الفترة التي قضاهما وزيرا للخارجية واستمع خلالها إلى مختلف وجهات النظر يلزم جوانب المشقة بأكملها . وقال قد مضت خمس سنوات دون حل للمشكلة ، وهو يعتقد أنه من العسير التوصل إلى حل نهائي في مرحلة واحدة . وضرب مثلا لذلك بمحادثات الحد من التسليح النووي التي أقدموا على حل مرحلي لها لتعجز حلها حلا كاملا . وهو يعتقد أن هذه نتيجة طيبة .

(١) برقية واشنطن رقم ٤٤٥٢ ، وأصلها مودع في ملفات وزارة الخارجية .

٢ - ..... (٢)

٣ - أشار إلى وجوب أن يتم الحل المرحلي مع مصر أولا لأن ذلك سيضج على التوصل إلى حل مرحلي أيضا بين الأردن وإسرائيل . أما فيما يتعلق بلبنان فلم أيسر . وقال أنهم يعتقدون أن أول مرحلة لا بد أن تكون مع مصر ، فهي مفتاح الموقف .

٤ - ..... (٣)

٥ - « خُصص ما تقدم إلى أنه لا حل غير ذلك ( الحل المرحلي على أساس فتح قناة السويس ) ، وأن اتباع هذا الأسلوب سيضيف إلى مكانة السيد الرئيس كرجل دولة عالمي statesman of the world ( وكانت هذه العبارة الأخيرة هي العبارة التي وضع الرئيس ، السادات ، خطا تحتها بقلمه ) .. »



ثم بعث الدكتور « الزيات » برقية ثانية من نيويورك جاء فيها : (٢)

« اجتمعت بعد ظهر اليوم مع وزير خارجية يوغوسلافيا الذي كان عائدا من واشنطن بعد مقابلة له مع روجرز . روى لي الوزير اليوغوسلافي الجزء الخاص بالشرق الأوسط من مقابلاته مع روجرز الذي ذكر له :

أولا - إنه لا ينتظر أن يتحرك الموضوع قبل ستة أشهر .

ثانيا - إنه يمكن تحريك الموضوع عن طريق محادثات عن قرب والبدء بفتح قناة السويس الذي سيمنح مصر من عبور القناة إلى الضفة الشرقية وضدها للقتال مرة أخرى تحت سيطرتها الكاملة ، وبدء المرور فيها من جديد ..... (٣)

ردا على سؤال مني قال وزير خارجية يوغوسلافيا إن تحديد مدة ستة أشهر هذه قد تكون بسبب تصور أمريكا أن مصر قد تغير موقفها ..... (٤)

( ووضعت الرئيس « السادات » بقلمه خطا تحت عبارة أنه « لا ينتظر أن يتحرك الموضوع قبل ستة أشهر » - ثم وضع بقلمه خطين أمام الفقرة التي تقول إن ذلك مبته ، أن مصر قد تغير من موقفها » ) .



(٢) نقاط مكررة من قبل لا داعي لإحالتها .

(٣) برقية نيويورك برقم ٧٠٥٩ ، وأصلها مودع في ملفات وزارة الخارجية .

١٠ - دعائي السليبر الأمريكي بوش<sup>(١)</sup> على الغذاء اليوم ومعه وزير الخارجية الأمريكي فهد التوادى الخاصة بنينورك. وقد اهتم بوش بحضور الغذاء ولم يلق بالغائه رغم وفاة والد امس.

٢ - قال روجرز إنه أحب أن يقابلي وحدنا للتحدث معي واستطلاع رأيي في إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط . فقال إن محاولات حل المشكلة كلها بما فيها القدس مثلاً سيضئنا أمام مشاكل متعددة لا نعرف كيف نخرج منها بسرعة . ولذلك فإنه يعتقد أن خير طريقة للحل هي الاستجابة لمبادرة السيد الرئيس في ٤ فبراير ١٩٧٢ (وردت كذلك في البرقية ، وهي خطأ لأن مبادرة الرئيس كانت سنة ١٩٧١ وليس سنة ١٩٧٢ ) .

3  
1  
.  
.  
.  
.  
.  
.  
.  
.  
.  
.

3  
1  
.  
.  
.  
.  
.

•

— 113 —

تكون آخر خطوة هي انسحابها للحدود الدولية ، وإصرار إسرائيل على عدم الالتزام بذلك . ،

(لم يترك الرئيس « السادات » أية تأشيرات يقطعه على هذه البرقية )

وأخيراً بعث الدكتور «الزيات» من نيويورك رسالة فيها:

، دعائى صباح اليوم ١٣ أكتوبر الجارى السفير بوش للطور بمقرنا . ودار حديث حول التغييرات التى يمكن حدوثها بعد الانتخابات ( انتخابات الرئاسة الأمريكية التى كانت مقررة فى أوائل نوفمبر ) ، ولكن أنه لا يوجد شيء مقرر حتى الآن . وأضاف أنه فى حرج لأن كيسنجر الذى علم بصلتنا طلب منه أن ينهر لقاء معى دون معرفة وزارة الخارجية الأمريكية .

وقد أجيبت بأننى سوف أأخبر نيويورك يوم الأحد ، وكنت موجودا طوال الأسبوعين الماضيين ، وكنت مستعدة لمعالجة كل من يطلب . وقد نكر بوش أنه يمكن ترتيب لقاء مع كيسنجر بعد عودتى إلى نيويورك عند مناقشة بند الشرق الأوسط فى الجمعية العامة - وأجيبت بأنه لا مانع .

الانتخابية وما تلاها من الإعداد لمدة الرئاسة الثانية لـ «ريتشارد نيكسون»).

(٥) جودج بوش ، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة ، وكان وقتها مثيلا دائما لبلاده لدى الأمم المتحدة .

۷۷۷

مكنا بنت جبهة الحل أمام الرئيس ، متعززة على الأقل في الوقت الحاضر - وفي  
 مس الوقت فإن جبهة العرب بدت هي الأخرى أكثر من متعززة لأن مسار الحوادث كان يدفعها  
 إلى حافة خطر.

● كانت هناك عملية إقالة الفريق « محمد أحمد صادق » وما ترتب عليها من آثار

صلى الله عليه وسلم - كما سبق القول - إلى حد أن بعض كبار الضباط المتحمسين له راونتهم فكرة القيام بتغيير على قمة السلطة بواسطة تنظيم أطلقوا عليه « تنظيم إنقاذ مصر » .

● ولم تقتصر حالة الانقلابات التي تبنت أعراضها على قمة القيادة العسكرية فقط ، بل وصلت الدائرات إلى شباب الضباط أيضا . وتسجل وثيقة من رئاسة المخابرات العامة برقم ٢٧١ بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٧٢ نموذجا لهذه الحالة من الانقلابات على النعم القابل :

الموضوع : تحريك بعض عناصر القوات المسلحة مساء يوم ١٧ / ١٠ / ١٩٧٢.

نقد بآن المعلومات المتوفرة لدينا عن الموضوع عاليه تتلخص في الآتي :

١ - بتاريخ ١٧ / ١٠ / ١٩٧٢ وحوالى الساعة ١٦٣٠ قام التقيب على حسن من قوة الفرقة ٢٣ مشاة بحمل التقيب الذى كان ينولى قيادتها وأمر بحصر تعيين طوارئ واخذوا لقوة التقيب وأورى بأن قوة معاملة بحراسة هدف جوى وسوى بظلمهم على هذا الهدف أثناء سيرهم .

٢ - تحركات الكثيفة من مرقها على طريق السويس حتى الكلو ٤٠,٥ فاعتزتهم قوة الشرطة العسكرية مدفوعة بهذا المكان . فانس النقيب (أحد السيارات بالقل ( الطابور ) بالتمام كشك الشرطة العسكرية ومتنامية في اتجاه مصر الجديدة فطريق صلاح حتى ميدان سينما الحصون - حيث وصلت من الكلو ثلاثة عشر مدرعة .

٣ - تبين أن الشرطة العسكرية عند الكيلو ٤,٥ تتخذت من حجز ثمرات القل بعد أن أجازت الدفعة سيارات ملوثة منها . وقد وصلت ثلاثة ملوحت منها إلى ميدان سينما العصور . وتحتل أربعة عربات القلعة وثلاثة عند مدينة البوخت الإسلامية .

قام النقيب المتكبر بالتحدث إلى الأهالي الذين تجمعوا بالميدان وحوله حيث أخذ يوزن ويحفر ويحول أممنا خمس سنوات في الزمان بلا فائدة ، - وعند ذلك اعترضه ضابط شرطة مدنية وضابط آخر من العصابة العسكرية كانا مكالمان بعمدة الميدان ، وقد استمر النقيب في الصياح : ( اجنا بلى لنا خمس سنوات يا كلاب السلطة ... دعوني أفهم الناس الوضع ) ثم أخذ يتنقل بالأطراف ناحية ضد السيد رئيس بلدية السيد وزير الحربية ، واستمر في التكبر والدعاء ،

كانت تلك كلها ظواهر تضغط على الرئيس «أنور السادات» ، وتضغ من حوله حالة من شبه الحصار النفسى - وعلى وجه اليقين فإن ضغوطها عليه كانت شديدة الى درجة أن حساباته الخاصة وأوصالته الى أنه قد يكون من الأفضل أن يبادر الى كسر وقف إطلاق النار بادئا العمليات العسكرية . وبالفعل فإنه أصدر تعليماته الى وزير الحربية الجديد الفريق أول «أحمد اسماعيل على» ، بالاستعداد للعمل المسلح على الجبهة فى شهر ديسمبر ، أى بعد أقل من شهرين من تولي الوزير الجديد لمسئوليته الضخمة . ولم يكن الفريق أول «أحمد اسماعيل على» ، متحمسا لهذه

ALL

وقبل الرئيس « السادات » على مضض بأفضلية التأجيل . ولعله هو الآخر في صميم قلبه كان يدرك أن دواعيه إلى سرعة التحرك العسكري كانت - في ذلك الوقت - تحت إملاء ضغوط سياسية سواء على جبهته المدنية أو داخل صفوفه العسكرية .

## ٢

كان الفريق « أحمد اسماعيل على » يرى بوضوح حقل الأنغام السياسية الذي يقف الرئيس « أنور السادات » في وسطه . وقد أدرك أن القرار بتأجيل توقيعات ديسمبر ١٩٧٢ قد أرسل الرئيس « السادات » إلى طريق مسدود . ولعله من هنا راح ينصحه بمحاولة دبلوماسية أخرى ، ومع « هنري كيسنجر » شخصيا وليس مع أحد غيره .

وأبدى الرئيس « السادات » أنه تمنى ذلك وحاوله ، كما أن اتصالا مع « كيسنجر » كان على وشك أن يتحقق ويطلب من « كيسنجر » نفسه .

وأشار الفريق أول « أحمد اسماعيل » إلى أنه يمكن بعث الفكرة بطريق آخر . ثم أبدى الفريق أول « أحمد اسماعيل » أنه خلال عمله كرئيس للمخابرات العامة كان على اتصال ، بحكم مسؤولياته ، مع « يوجين ترون » - ممثل المخابرات المركزية الأمريكية - وأنه في الإمكان معاودة الحديث معه في فكرة اجتماع بين « هنري كيسنجر » وممثل شخصي للرئيس « السادات » .

ووافق الرئيس « السادات » على المحاولة ، وأضاف إليها توجيها إلى السفير « أشرف غربال » بأن يقوم من جانبه في واشنطن بالاتصال بـ « دونالد كندال » رئيس مجلس إدارة « بيسى كولا » - ليتأكد من استعداده لترتيب اجتماع من هذا النوع . و تلقى الرئيس « السادات » إشارات عن طريق الفريق أول « أحمد اسماعيل » وعن طريق السفير « أشرف غربال » بأن « دونالد كندال » مستعد لترتيب اجتماع بين « هنري كيسنجر » وممثل شخصي للرئيس « السادات » ، يعقد في مزرعته في كونينكت .

واختار الرئيس « السادات » السيد « حافظ اسماعيل » مستشاره للأمن القومي في تلك الوقت - ممثلا شخصيا له . ورأى أن يساعده كل من الدكتور « حافظ غانم » (٤) بالإضافة إلى السفير « أشرف غربال » .

(٤) كان وزيرا للتعليم العالي مع الرئيس « السادات » ، في الفترة ما بين أبريل ١٩٧٥ إلى مارس ١٩٧٦ . وفي بعض المواقف كان الرئيس « السادات » يطلب منه منكرات قانونية .

وتحدد لهذه اللقاءات فعلا موعد في عطلة نهاية الأسبوع الأخير من شهر فبراير ١٩٧٣ .



وفي طريقه إلى واشنطن مر السيد « حافظ اسماعيل » على العاصمة البريطانية لندن حيث كانت هناك آراء وأخبار في انتظاره .

أما الآراء فقد نقلها إليه وكيل وزارة الخارجية البريطانية « أنتوني بارسونز » ، يوم ١٩ فبراير ، وكان مؤداها : « إن الأمريكيان ليسوا متحمسين لإطلاقا لتدخل خارجي في حل أزمة الشرق الأوسط ، سواء من الأربعة الكبار أو من الاتحاد السوفيتي ، وما يريدونه في حقيقة الأمر هو أن يتحقق نوع من الاتصال القريب بين الأطراف مباشرة تحت رعاية وسيط هو : الولايات المتحدة . »

وأما الأخبار فقد انتظرته إلى حين مقابلته في اليوم التالي مع السيد « اليك دوجلاس هيد » ، رئيس الوزراء ، وكان مؤداها أن بريطانيا لن تتبع لنصر طائرات الـ « جاجوار » التي كانت ستاوض على شرائها بتمويل عربي . وقال له رئيس الوزراء البريطاني : « إننا نأسف لهذا القرار ، ولكن الطائرة الـ « جاجوار » طائرة متقدمة ، ودخولها إلى منطقة الشرق الأوسط سوف يقلب موازين القوى فيها عسكريا » (٥)!

وكان من الملاحظ في المقابلتين أن السيد « حافظ اسماعيل » حاول تقديم قرار طرد الخبراء السوفيت من مصر على أساس أنه ورقة في يده ، وقد اختار أن يسميه « تطبيع العلاقات المصرية السوفيتية » ، وأنه قرار قام على أساس نظرة استقلالية مصرية ، وقد أنهى الوجود السوفيتي على الأرض المصرية بلا رجعة - - ولكنه لا وكيل وزارة الخارجية ولا رئيس الوزراء البريطانيان دخلا في تفاصيل هذه الورقة - لأنها كانت في اعتبارهم ورقة نزلت على المائدة بالفعل ولم تعد لها قيمة !



وقبل أن يتوجه السيد « حافظ اسماعيل » إلى مزرعة « دونالد كندال » في كونينكت ، توقف في واشنطن للقاء علني مع الرئيس الأمريكي « ريتشارد نيكسون » . وقد بدأ اللقاء بمقابلة اجتماعية أشار فيها « نيكسون » - مرة أخرى - إلى إعجابه بالرئيس « جمال عبد الناصر » ، وإلى زيارته للسيد العالي ، وإحساسه بالأسف أن الولايات المتحدة لم تكن هي التي ساعدت على بنائه . وكان أهم ما في اللقاء تصور « نيكسون » للطريقة التي تجرى بها الاتصالات مستقبلا بين واشنطن والقاهرة . وكان رأيه أن تتم الاتصالات على مستويين :

(٥) كان مطروحا أن تتم الصلصة بتمويل سعودي .



• مستوى وزارة الخارجية - وما يتم على هذا المستوى سوف تتسرب أخباره بما يسمى إلى فاعليته .

• مستوى البيت الأبيض - عن طريق القناة الثانية ( السرية ) - وهي وسيلة المخابرات المركزية ، وعن طريق ممثلها في القاهرة ( « يوجين ترون » ) - ومنه إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي ( « هنري كيسنجر » ) .

وكان من الواضح أن « كيسنجر » قد أقنع الرئيس « نيكسون » بما يوافق رأيه وهواه ! وقد دخل « كيسنجر » إلى المكتب البيضاوي أثناء اللقاء ، ثم خرج على موعد آخر مع السيد « حافظ اسماعيل » خارج البيت الأبيض بعيدا عن أضوائه .

كان موعد الاثنين المحدد هو : يومى ٢٥ و ٢٦ فبراير ١٩٧٣ فى مزرعة « دونالد كندال » فى ولاية كونيتيكت الأمريكية . وكانت اجتماعتهما من أغرب اللقاءات فى السجلات الدبلوماسية المصرية . فقد كانت عرضا للثقة قام به « هنرى كيسنجر » . وقد اتخذ فيها - كما يفعل أحيانا - أسلوب الأستاذ ، فراح يشرح طريقته فى العمل ويبيىء سامعيه لمنطقه ، ويستدرجهم إلى قبول منطقته بما فى ذلك تحديده لمعاني الكلمات - لكى يسحبهم ، وإن لم يدركوا ، إلى أرضيته ، ولكى يبهزمهم بإظهار مدى علمه وقوته ، وبحجم قدراته وسلطاته .

وطبقا لمحضر الجلسة الأولى فى هذا الاجتماع ، فقد بدأ « كيسنجر » على النحو التالى طبقا لنص المحضر بالحرف (١) :

« كيسنجر » ، ( رأى أن يبدأ بشرح أسلوبه فى العمل ) فقال :

١ - إن ما تعرضت له الملاحظات السابقة بشأن الشرق الأوسط من صعوبات يرجع إلى أنها كانت تأخذ شكل مناقشات ، باهرة ، - عاتية ، فقلبت النظريات على الاستراتيجية العملية ، فلم يحدث تقدم .

٢ - إن البيت الأبيض سبق له فى حالات سابقة ذات أولوية التدخل مباشرة . ( نكر الاتحاد السوفيتى - الصين - فيتنام - مع فرنسا أثناء أزمة النفد فى عام ١٩٧١ ) . ولكن تدخل البيت الأبيض يستلزم انضباطا كبيرا وسرية تامة لأن النشر قد يحطق ضربة دعائية ، ولكنه يهزم الغرض الأساسى ويتيح الفرصة لضغوط مختلفة .

٣ - إن بدء أمريكا هذا الحوار على هذا المستوى لا معنى له (لا استعدادها لتحقيق التقدم ، ولو كان الهدف تضيق الوقت فهناك أجهزة أخرى أفقر على هذا .

٤ - أنه فى تناوله للمسائل لا يعد (إلا بما ينفذه . وقد يستغرق ذلك وقتا طويلا ، ولكنه يفي دائما أو ببذل جهدا كبيرا بلقاء بما يعد به . وهو لا يلقى فى الحوار بمسائل نظرية (إلا إذا عرف

(٦) أننى أستعين بشخص الحاضر كثيرا فى هذا الفصل لأميزتها القصوى فى مسار الحوادث فيها بعد ، ثم زيتها تنشر الكثير مما ترتب عليها من نتائج بعيدة الأثر - بنصوصها وأفعالها . وتوجد صورة لملف التقرير فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٢) - على صفحة (٧٨٠) من الكتاب . كذلك توجد صورة للصفحة الأولى من التقرير نفسه ، وهى تحت رقم (٤٣) - على صفحة (٧٨٠) من الكتاب .

تماما : ما هو المطلوب تحليقه ؟ وما هو الممكن عمله ؟ ونقطة الوصول ؟ بله بغير ذلك يضع الوقت وينشأ عدم الثقة ففسوء العلاقات .

٥ - ليس لديه شيء محدد يقصده ، ويعتقد أن تمكن تتوقع ذلك . ولكن الغرض هو تبادل الآراء ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه لولا الرغبة فى إجراء عملية استكشاف جادة للغاية فى محاولة للقضاء على الجود log jam لما طلبوا من المستشار الحضور .

٦ - ولهذا فهو يقترح خلال اليومين القادمين تبادل للآراء بصراحة تامة ، ثم يكون الطرفان بعد ذلك على استعداد للقاء آخر يتلقى عليه .

٧ - رغم انشغاله فى الفترة الأخيرة فى مسائل كثيرة فإنه رأى عدم تأجيل اللقاء حتى يكون لديهم معرفة عامة للموقف المصرى عندما تأتى ( جولدا ) مانير إلى واشنطن .

٨ - ومهما يكن فليس معنى اتباع الطريق الخاص ( أى الاتصال مباشرة بالبيت الأبيض - أى كيسنجر ) - تحقيق نتائج سريعة وتقدم عاجل ، فإدانا السوابق :

□ الصين ( يقصد مفاوضاته مع الصين قبل أن تتحقق أى نتائج ) : ١٨ شهرا .  
□ فيتنام : ٣ سنوات ونصف ، وحدث تقدم سريع بعد موافقة الطرف الآخر على فصل المسائل العسكرية عن المسائل السياسية .

□ برلين : ٦ أشهر بعد أن فهم الروس أسلوب العمل ، على مستويين ، ( يقصد مستوى وزارة الخارجية فى القاهرة ، والبيت الأبيض أو هو شخصيا فى الباطن ) - وهو ما كانوا من قبل يتشككون فيه ويعتبرونه خدعة .

□ سولت ( تحديد الأسلحة الاستراتيجية ) : سنة . . .

□

بعد هذا العرض بدأ الطرف المصرى فى طرح وجهات نظره بمقمة تاريخية للمشكلة ، إبداء رغبة مصر فى السلام ، ويطلب مصر أن تشارك أمريكا عمليا فى دفع الأمور . ثم تطرق تصور مصرى للحل على مراحل تكون متوازنة ومرتبطة تحقق فك ارتباط على جبهة العرب - رائيل ، بما يؤدى منطقيا إلى حل للمشكلة الفلسطينية التى هى أساس الأزمة . ويكون أساس الحل قرارات الأمم المتحدة مع ضرورة أن تكون الدول الكبرى والأمم المتحدة طرفا لإيجاد تسوية - مع إمكان وضرورة تحقيق جزء جوهري من الحل خلال العام الحالى .

وبدأ ، هنرى كيسنجر ، الخطوة الأولى فى مناورته فاتجه مباشرة إلى الاتحاد السوفيتى - ال معوجهها كلامه إلى الجانب المصرى :

• قلتم إن التسوية مستوية الدول الكبرى - الأمم المتحدة - الأطراف .

• بالنسبة للاتحاد السوفيتى نعرف أن له مصالح كبرى major ، ولا نطلب من الدول أن تلتزم بيننا وبينه ، بل مصالحنا أساسا أن تتخذ الدول سياسة مستقلة self reliant .

• ولكن من الناحية العملية أشار السوفيت إلى رغبتهم فى مناقشات عن الشرق الأوسط . وإذا تحدثت أمريكا مع مصر من ناحية ، ومع السوفيت من ناحية أخرى ، فكيف يمكن منع فرضي شاملة total chaos ؟

• أمريكا لا تريد خداع أحد ، ولكن يجب الاتفاق على ما يقال للسوفيت حتى نبقي in step ( حتى تتفق الخطى ) وحتى لا نجد أنفسنا في موقف « ثلاثي الزركان » يخلق confusion ( تضارب ) .

• ماذا لو أراد الروس الحديث ثانياً مع أمريكا ؟ ما هو الموقف الأمريكي الصحيح ؟ كيف يمكن المحافظة على التنسيق بين الأمور كلها ؟ keep things in phase .

• قد يمكن التفكير في إطلاق السوفيت على كل شيء ، وفي هذه الحالة تصبح المفاوضات ثلاثية تقريباً . وهنا يصعب تفسير إبقاء إسرائيل خارجها .

وحاول الجانب المصري أن يشرح مفهومه للتسوية . واستخلص منه « كينسجر » ما أراد ، ولخصه على النحو التالي :

« ملخص ما سمعته منكم إن أن هناك تسويتين أساسيتين مطلوبتين ، الأولى بين جميع الدول العربية وإسرائيل ، بما في ذلك المشاكل العسكرية الناجمة عن ١٩٦٧ والاتسحاب وضمانات السلام . أما التسوية الثانية فهي بين الفلسطينيين والإسرائيليين .. »

ثم سأل « كينسجر » ( وقد وصل إلى النقطة الثانية من مناوئته ) :

« من الذي يتكلم باسم الفلسطينيين مع إسرائيل ؟ هل هو الملك حسين ؟ هل تعتبر مصر أن ما قد يصل إليه من حل في هذا الشأن هو حل مقبول ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » على هذا السؤال الأخير قائلاً :

« لن نضع عراقيل أمامه . »

وعاد « كينسجر » ليلخص ما فهمه :

« ١ - هناك إذن عنصران :

السلام في الشرق الأوسط : مشكلة دولية .

ثم السلام في المملكة الهاشمية ، وهذه مشكلة أرجو ألا تكون دولية .

٢ - وإذا كنت أفهم ما سمعته ، فإن التسوية بين مصر وإسرائيل ستحقق تقدماً نحو السلام ، ولن تكون حلاً نهائياً إلى أن تحل مشكلة الفلسطينيين . »

وحاول السيد « حافظ اسماعيل » تقديم ملاحظة على ما قاله « كينسجر » فتدخل قائلاً :

« إن هناك عنصراً من مشكلة الفلسطينيين - هو اللاجئين - مضى عليه خمس وعشرون عاماً ، وصدرت قرارات من الأمم المتحدة ، ولم يجادل أحد في حلهم في تقرير العودة أو التعويض . هذا مبدأ وافق عليه الجميع . »

وراج « كينسجر » يستعيد زمام الأمور في يده قائلاً :

« ١ - أفهم هذا .... أنا أحاول أن أتصور شكل حل جزئي ... إذا أمكن أن نقول : اتفاق يخلق حالة سلام . »

٢ - إن قرار ٢٤٢ - علماً لقرائته اعتقدت أنه تنكته . جعل منسلة لا أرى لها - شخصياً - جانباً تنفيذياً operational ، وبعد ذلك اعتدت على القرار حتى أتى لا أعاد أجد لجملة معنى . والمهم أن نخرج من الجمل العامة إلى معان محددة . إن القرار صدر لأن كل طرف كان يعرف أنه يستطيع تفسيره وفق رغبته . ولب المشكلة هو الاختلاف في معنى « الحدود الآمنة » .

٣ - التسوية ستخلق سلاماً . أو فلنقل إنها ستخلق شيئاً بين « وقف إطلاق النار » وبين « السلام » . وهذا الشيء يتطور نتيجة مفاوضات أخرى ، ولكن ذلك قد يجعل كل طرف يحاول الحصول على أكبر قدر من الأوراق الراجعة assets استعداداً للمفاوضات القادمة .

٤ - لقد قلت إن ( الملك ) حسين يتمتع بالثقة ، أو على الأقل إنكم لن تحولوا دون إقدامه على حل المسألة الفلسطينية . فمن الذي يتولى غزوة ؟ .. واللاجئين ؟ ،

ورد السيد « حافظ اسماعيل » بسرعة قائلاً : « غزوة تتولاها مصر ، واللاجئون مشكلة عامة . »

وتدخل الدكتور « حافظ غانم » في المناقشة عند هذه النقطة ، وقدم تصوراً للتسوية ( ومن الواضح أنه كان قد ناقشه مع الرئيس « السادات » ) - قائلاً (٧) :

١ - تصور أن التسوية السياسية النهائية تتضمن حل المشاكل الأساسية : السيادة - الحدود - سوريا - الأردن - مصر - الفلسطينيين ( بقصد اللاجئين ) - المشكلة الفلسطينية .

٢ - توضع مبادئ عامة عن كيفية إكمال تحقيق ذلك . ثم التنفيذ على مراحل .

٣ - وعندما نحاول تصور الإجراءات فإنه يمكن :

• إما تسوية سلمية مصرية - إسرائيلية كنقطة بداية .

• أو لاتئين معا : مصر - إسرائيل ، الأردن - إسرائيل كنقطة بداية لتسوية سياسية .

ويجب أن تتلو ذلك خطوات أخرى بالنسبة لسوريا والفلسطينيين .

٤ - إن السيد حافظ اسماعيل لا يتحدث باسم السوريين ، ولكننا نأمل أن يوافقوا على مثل هذا النموذج الذي نتفاوض عليه .

٥ - كما أنه لا يتحدث نيابة عن الفلسطينيين ، إذ يجب تحقيق حلهم في تقرير المصير .

٦ - يجب البدء بمبادئ عامة بتسوية شاملة . فلا يمكن أن نعيش في هنة جزئية .

(٧) إن معظم الأفكار التي ذهب بها المبعوثون المصريون إلى واشنطن كانت متجاوزة لكثير من الظروف المعقدة من الناحية الاستراتيجية - بل إنه من الناحية التكتيكية - وعلى فرض أن هذه الخطوات تطورت بعد دراسة جيدة - وهو ما لم يكن حدث على حد علمي - فإن التوقيت الذي قُسمت فيه لم يكن ملائماً . وفي الفترة التي سافر فيها مبعوث الرئيس إلى واشنطن ، فقد كانت علاقاتي به في حالة شد وجذب بسبب بيان الأنباء والكتاب ، وما ترتب عليه وما لحقه من ظروف ملغى إلى الصين . وحين عدت ، ثم بعد أن جرت تسوية العلاقات مع الرئيس « السادات » - تفضل الرئيس فأرسل إلى تسعة من محاضري المعائنات مع « هنري كينسجر » طالباً رأيي فيها - ولم أجد رأياً في أسلوب التفاوض ، وإنما رجعت نفسي على من محظور أتى وقد اعتذرت سابقاً عن التفاوض مع « كينسجر » ، لا يحق لي أن أبدي ملاحظة على الأسلوب الذي اختاره الذين للموا بالسهمة - ولكن ملاحظاتي للرئيس ، السادات ، انصبت على فداحة الشروط التي عرضها الجانب المصري .

ولست أريد أن أستطرد كثيراً في تفاصيل ما قلته للرئيس ، السادات ، وما قاله هو ، فذلك في مثل هذه الظروف يعتبر تزياداً .

يجب أن نبدأ آخين في الاعتبار أن يصبح الشرق الأوسط في سلام . ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا إذا قررنا أن نتخلص من الأسباب الأساسية للنزاع .

٧ - من ناحيتنا نرى أن بدء التسوية المصرية في إطار تسوية كاملة مهم جدا . ونحن لا نعارض في أن يبدأ حسين تسويته .. معنا أو قبل أن نصل إلى تسوية مصرية .

٨ - ونحن مستعدون لمناقشة التسوية المصرية . وهناك مسائل أساسية : سيادة مصر ، وأمن إسرائيل . ولا توجد مشاكل أخرى . ادعاءات إسرائيل عن الأمن مبالغ فيها . ويجب التوفيق بين الاثنين .

٩ - وإلى أن تتم تسوية مصرية نضع مبادئ أساسية توضح أننا سنتقدم نحو حل كامل ، ثم نبدأ تسوية السلام المصري - الإسرائيلي على مراحل أيضا . ونأمل تحقيق تقدم لأننا لا نرى مشاكل جوهرية حقيقية ، إذا كانت المشكلة هي في حق الإسرائيليين أن يعيشوا في سلام ... وهذه ليست مشكلة .

□

وبدا « هنري كيسنجر » يمارس دور الأستاذ بطريقة حازمة ، فقال :

« ما هي نتيجة المناقشات ؟ ... إذا قلنا بالتوفيق بين سيادة مصر وأمن إسرائيل ، فما هو بخلاف الإسحاب شكل العلاقات ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

« التزام إسرائيل بالانسحاب من أراضي مصر يقترن به التزامات سلام نحو إسرائيل . »

ورد « هنري كيسنجر » :

« هل ممكن - وهذا كلام سيبقي بيننا .. لن ننقل للغير (لا ما نتفق عليه .. هل يمكن أن تعطوني أمثلة لشكل العلاقات ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

« إنهاء حالة الحرب ... »

واعترض « كيسنجر » :

« أحاول أن أفهم ما معنى سلام كامل ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

« تبادل السفراء مثلا أو اتفاق تجارة هذا أمر مستبعد في البداية ... »

وقال « كيسنجر » :

« حدثني عما هو غير مستبعد ؟ إننا في وقت ما سنتحدث مع الإسرائيليين ، سيستفسرون عن معنى ذلك ؟ »

وقال السيد « حافظ اسماعيل » :

« إنهاء حالة الحرب - عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاعتبارات سياسية .

أو الاقتصادية - حرية المرور في الممرات المائية - محاولة من مصر بالنسبة لنشاط الأفراد والمنظمات الموجهة ضد إسرائيل - ليس هذا التزام كامل لأنه شيء لا يمكن السيطرة عليه - إجراءات أمن ذات طابع دولي - مناطق منزوعة السلاح - مراقبين - ربما قوة دولية في نقطة أو اثنتين .

وتدخل الدكتور « حافظ غانم » مرة أخرى في المناقشة قائلا :

« ليس هذا كل ما نريده ... فريد التطبيق . »

رقاطله السيد « حافظ اسماعيل » قائلا :

« سيمر وقت طويل قبل أن تأتي مسر مائير لمصر لتشتري ما تريد »<sup>(٨)</sup> .

وعقب « كيسنجر » قائلا :

« أعتقد أن هذه نظرة واقعية ، ولو قلتم لي العكس لما صدقتكم . ولكن السؤال الذي ستوجهه إسرائيل هو : نفترض أننا فعلنا ذلك فكيف ستختلف العلاقات عما كانت عليه سنة ١٩٦٦ ... كانت هناك هدنة أنهت حالة الحرب ، ثم وقعت الحرب . »

وقال السيد « حافظ اسماعيل » :

« الفرق هو : المرور في القناة - عدم التدخل ... ومعناه وقف المكافحة الاقتصادية ليس بالنسبة لإسرائيل فقط بل بالنسبة للأطراف الثلاثة أيضا ( يقصد الشركات الأجنبية التي تتعامل مع إسرائيل ووضعها في قوانين سوداء ) ... وحاليا نحن نضع في الاتفاقات الدولية تحفظا بالنسبة لإسرائيل سوف ينتهي . »

وعاد « كيسنجر » يضغط :

« هل يعنى هذا أن تعترفوا بوجود إسرائيل ؟ »

ومرة أخرى تدخل الدكتور « حافظ غانم » قائلا :

« لقد وافقنا على قرار ٢٤٢ ( تلا نص القرار ) . »

وقال « كيسنجر » :

« إنني قرأت نصه أكثر من مرة ، لكنكم لم توافقوا على وجود إسرائيل كدولة . وبالتالي فقد لا ينطبق الالتزام الوارد في القرار ٢٤٢ عليها في رأيكم . وبصراحة فإن عبورية القرار ومصيبته أنه يحوى على القدر الكافي من الغموض بحيث يرى كل طرف فيه ما يريد . أفهم تماما أن قبول دولة ما أو عدم قبولها وجود دولة أخرى مسألة نفسية وقانونية وسياسية .

(٨) كانت تلك إشارة إلى حديث لـ « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل قالت فيه إنها لن تغتفر أن السلام ينطلق إلا إذا كان في وسعها أن تذهب بطريقة طبيعية إلى سوى « خان الخليل » وتشتري ما تشاء .

ولكني أسأل : لنفرض أنه يمكن التوفيق بين السيادة والأمن ، فإن نتيجة ذلك هي : إنهاء الحرب ، حرية المرور في الممرات المائية ، عدم التدخل ، التزام بالعمل في إنهاء تلك العلاقات - فهل يشمل إقراركم بقرار مجلس الأمن ووفق تعبيره - اعتراضكم بإسرائيليين سياسى في الشرق الأوسط ؟

□

وربما أحس « كينسجر » أنه ألح في أسئلته ، فأضاف :  
« أرجو ألا تسينوا فهم أسئلتي . إنني أحاول أن أكون واضحا . كان البحث عن حل عامة ، ومن المصلحة أن نعرف مقدما أين سنذهب . »

ثم اقترح « كينسجر » استراحة لفتحان قهوة .  
وعندما التأم عقد الاجتماع مرة ثانية - كان « كينسجر » يضغط منذ اللحظة الأولى بدأ فقال :

« ١ - إنني لم أتناول دبلوماسية الشرق الأوسط بعمق من قبل . فقد كنت أراها لا يمكن أن تؤدي لشيء ... وشعوري أن المشكلة الأساسية هي العلاقة بين السيادة والأمن . »

٢ - من ناحية الأمن المادى فالموقف الحالى أكثر اتقا مع رغبات إسرائيل . وأشير في اتجاه ما يطلبه العرب - الانسحاب وترك الأراضي - يقلل أمن إسرائيل عسكريا . إن هناك عسكريا خطوط أفضل من قناة السويس ونهر الأردن .

٣ - ويمكن أن نقول أن الأمن المادى ليس هو كل شيء ، لأن المهم أن نعيش كرامة في سلام مع جيرانها وتحقق نوعا من التوازن بين الأمن المادى والاعتبارك للمبدأ moral . والتاريخ يوضح أمامنا أنه إذا أرادت دولة ما تحقيق أمنها المطلق - فإن جيرانها يصبحون غير أمنين .

٤ - لكن يجب أن نكون قادرين على أن نقول لإسرائيل إنه في مقابل تنازلها عن الأمن المادى - الأراضي - فإنها ستحصل على شيء مادى ليس فقط الأمن غير المحسوس .

٥ - ونذك أساتكم عن معنى إنهاء حالة الحرب ؟

ورد السيد « حافظ اسماعيل » قائلا :

« هذه مسألة يمكن أن يناقشها العسكريون . »

وقاطعه « كينسجر » قائلا :

« لا عسكريا لا ينفع . هذا شيء لا يناقشه العسكريون . ليس في اختصاصهم إذا تركناه لهم لن يحقق شيء ، لأن العسكريين لا يؤمنون بترك الأمن المادى . العسكريون إسرائيل ضد الانسحاب دائما . »

وقال السيد « حافظ اسماعيل » :  
« لديكم نفوذ . ويجب أن تباشر أمريكا نفوذها بأشكال عديدة . لا أعرف كيف تفعل ذلك ، ولكنك تعرف أكثر منى . »

وقاطعه « كينسجر » مرة أخرى قائلا :

« مشكلتي أنني أتعامل مع أناس يعتقدون دائما أن نفوذنا أكبر مما هو في حقيقته . »

ثم توجه « كينسجر » إلى محدثيه بسؤال مفاجئ سأل فيه :

« ما هو هدف الكلام بيننا وبينكم ؟ »

ورد « حافظ اسماعيل » :

« نبحث عما يتفق مع احتياجات المرحلة ، وإذا اقتنعتم فقد تكونون advocates ( دعاة ) لما اقتنعتم به . وهناك طريقة أخرى ، تستمعون إلينا ثم تسألوننا فنجيب ، ثم تضعون هذا جانباً وتستمعون لإسرائيل . ويمكنكم بعد ذلك أن تخرجوا بشيء يمكن أن يوفق بطريقة معقولة بين الرأيين . وتعملون مشروعا بالقلم الرصاص . »

ويتساءل « كينسجر » :

« نوع من الوساطة intermediary . »

ويقول « حافظ اسماعيل » :

« إنكم تحدثتم كثيرا عن أنكم تحاولون أن تكونوا go-between ( رسول بين طرفين ) . »

ويرد « كينسجر » :

« وساطة أو رسول بين طرفين وما شابهه كلام فارغ . أنتم لستم في حاجة إلينا لنقل الكلام . إنني أستمع دور ساعي البريد ، فهذا كلام أطفال . إنكم لستم في حاجة إلينا كسماء بريد . من وجهة نظركم فإنكم تتوقعون منا - إذا استطعنا - أن ندعو إلى حل معين تكون نتيجته حدوث تغيير جوهري في المواقف الإسرائيلية الثانية ... هل نستطيع أن نأتى بهذا التغيير ؟ إنى أقول لكم إن قدرتنا على الإقناع ... بل حتى رغبتنا بالدعوة بقوة لهذا الحل - تتوقف على القدر الذى نستطيع الإشارة فيه إلى تغييرات ملموسة في المواقف العربية أو المصرية . »

□

كانت تلك هي الصورة التي ترسمها نصوص المحاضر لوقائع الجلسة الأولى صباح يوم ٢٥ فبراير ١٩٧٣ . ودارت المناقشات بنفس الطريقة في الجلسة الثانية وقد امتدت على فترتين ، بدأت الأولى في الساعة ١٠،٢٥ ، ثم توقفت لاستراحة غداء عاد المجتمعون بعدها إلى لقاء ثالث بعد ظهر نفس اليوم .

وفي طريق عودته من واشنطن مر السيد « حافظ اسماعيل » ، على بون ، والتقى هناك بالمستشار الألماني « ويلي برانت » الذي أبلغه بأن ألمانيا الغربية تحاول أن تساعد في أزمة الشرق الأوسط بمنطقة حياض بناء ، وبدون أية أوزار من الماضي ( مشيرا بطريق غير مباشر إلى ماضي العلاقات الألمانية - اليهودية أثناء حكم النازي ) . وأنه شرح موقف ألمانيا تفصيلا في مقابلتين أجراها أخيرا مع « محمد حسنين هيكل » ( \* ) . ثم أوضح « برانت » ، أن الدور الألماني في التأثير على الأزمة محدود ، وكذلك الدور الأوروبي كله - وأنه يعرف على أي حال أن الأمريكان والسوفييت لهما شبه تصور مشترك لما يمكن أن تكون عليه وسائل وأهداف تسوية الأزمة .

وفي القاهرة استمع الرئيس « السادات » إلى تقارير مبعوثيه إلى « كينسجر » - شفويا . ثم قرأ تقاريرهم - تحريريا . وقد أحس أخيرا بأنه أمام لحظة الحقيقة . فحنى هذه اللحظة كان لا يزال يتعلق آماله على البيت الأبيض وهنري كيسنجر . وقد تحقق له ما أراد . لكن « كينسجر » لم يفتح بابا ولا نافذة ، ولا حتى قلب إبرة ، رغم كل ما أبداه رسله إليه من مرونة .



ويمكن القول على وجه القطع بأن ربيع سنة ١٩٧٣ ، وبالتحديد مع نهاية شهر مارس من هذه السنة كان نهاية طريق - فقد بدأ الرئيس « السادات » يدرك أنه لا خلاص عن طريق الحل ، وأنه لم يعد هناك مناص من طريق الحرب ، بل لعل الحرب هي الطريق إلى الحل .



كانت وزارة الدكتور « عزيز صدقي » قد أتمت برنامجا واسعا هدفه إعداد الدولة للحرب - لكن الرئيس « السادات » رأى ضرورة إجراء تغيير وزاري يعطيه ما وصفه بنفسه بأنه « وزارة حرب » . وكانت الضرورات تقتضي في حالة بدء العمليات أن تتم كل إجراءات الجهاز التنفيذي للدولة بمقتضى ضرورات حالة التعبئة العامة ، وضمنها أن يكون رئيس الوزراء هو الحاكم العسكري .

وعلى نحو ما فإن تفكيره اتجه إلى تكليف مستشاره للأمن القومي السيد « حافظ اسماعيل » برئاسة الوزارة . وقد فاتحه فعلا في ذلك ، وطلب إليه أن يبدأ في عملية اتصالات هائلة مع من

( \* ) النص كما جاء في المحضر الذي كتبه السيد « حافظ اسماعيل » .

رغب في إشرافهم معه في المسؤولية الوزارية ضمن وزارة الحرب . وبالفعل فإن السيد « حافظ اسماعيل » اتصل بسنة عشر مرشحا من الذين اختارهم للعمل معه .

وفي الساعة العاشرة صباحا من اليوم الذي كان مقرا فيه صدور التكليف الرسمي إلى السيد « حافظ اسماعيل » بتشكيل الوزارة ، تصادف أن ذهب الفريق أول « أحمد اسماعيل » إلى مقابلة مع الرئيس « السادات » الذي كان يومها يقيم في استراحة الرئاسة بالقناطر . وتوجه الفريق أول أحمد اسماعيل « بسؤال مباشر إلى رئيس الجمهورية يقول فيه إنه سمع خبرا من مصدر موثوق عن تكليف السيد « حافظ اسماعيل » برئاسة الوزارة .

وصدق الرئيس « السادات » على الخبر ، وعبر الفريق أول « أحمد اسماعيل » ، عن عدم اقتناعه بهذا الاختيار في هذه الظروف .

كان الموعد التالي للرئيس « السادات » في الساعة الحادية عشرة مع « محمد حسنين هيكل » . وقد تحدث إليه الرئيس فيما جرى في الصباح بما في ذلك ملاحظات الفريق أول « أحمد اسماعيل » على اختيار السيد « حافظ اسماعيل » رئيسا للوزراء ، وسأله رأيه . ولم يكن الموقف يحتمل شيئا غير الصراحة الكاملة . وأبدى « محمد حسنين هيكل » رأيا مفاده أنه « يقر السيد « حافظ اسماعيل » ويحترم نزاهته . وربما يتذكر الرئيس « السادات » أنه هو ( هيكل ) الذي رشع له السيد « حافظ اسماعيل » - على غير معرفة شخصية وثيقة به - ليكون مستشارا للأمن القومي . وكان ذلك على أساس سعة وتنوع تجاربه السابقة كرئيس لهيئة أركان حرب الجيش المصري ، ورئيس للمخابرات ، وسفير سابق - وكلها تجعله مهيا بالكامل لشغل منصب مستشار للرئيس للأمن القومي - لكن رئاسة الوزارة مسألة مختلفة تماما خصوصا في طرف العرب . ، وسأله الرئيس « السادات » : : « إذن ، فإن رأيك متفق مع رأي أحمد اسماعيل . ثم أضاف : ، والمشكلة هي أن حافظ اسماعيل هو الزائر القادم بعكس لآفته رسميا بالوزارة . ،

ورد « محمد حسنين هيكل » : : « إذن ، فإن الوقت قد فات » .

وبدت القدرة على الحركة السريعة للرئيس « السادات » ، بطريقة مكثفة حين قال في لحظة واحدة : « لا ، أبدأ لم يفت . ولكني يجب أن أجد سببا لتغيير رأيي » . وفي دقيقة أخرى كان بنفسه قد وجد السبب ، وهو « أن يتولى هو شخصيا ويوصفه رئيسا للجمهورية رئاسة الوزارة توحيدا للمسئولية ، وهذا أصح الأوضاع في حالة الحرب » . وكان تعقيب « هيكل » : : « إنه بالفعل سبب وجيه ، ثم إنه الأكثر ملائمة للحفاظ على مشاعر السيد « حافظ اسماعيل » . فاختيار مرشح غيره لرئاسة الوزارة قد يجرح مشاعره في هذه اللحظة التي توقع فيها أن يتلقى التكليف . لكنه حين يكون قرار رئيس الجمهورية هو أن يتولى بنفسه رئاسة الوزارة لتوحيد سلطة القرار السياسي والتنفيذي - إذن فإن كل الأمور في نصابها ، وبما يراعى الظروف العامة للبلاد والظروف الخاصة لكبار المسؤولين فيها . ثم كان هناك سؤال « عن الطريقة التي سيخبر بها السيد « حافظ اسماعيل » بما توصل إليه من قرار ؟ » ورد الرئيس « السادات » ، قائلا : « سوف أقولها له ، بخط لزم ،



(مباشرة) . سأقول له إن دورك لرئاسة الوزارة ليس في هذه المرحلة . ولست أريد أن أظلم فيها ، ولذلك فلقد رأيت أن أحصل كامل المسؤولية بنفسى (١) .

والتقى «محمد حسنين هيكل ، والسيد «حافظ اسماعيل ، في مكتب سكرتارية الرئيس «السادات» - أحدهما خارج بعد انتهاء مقابله ، والآخر داخل لمفاجأة لم يكن ينتظرا .

لكن الحقيقة الأكبر في الموقف أن هناك ضرورات حرب بدأت تفرض مطلبها على الجميع .



كانت الاتصالات بين القاهرة ودمشق على المستوى العسكرى قد أخذت بزيارة الفريق أول «أحمد اسماعيل على ، سوريا قوة حركة ذاتية . وساعدتها علاقات ثقة كانت وطيدة في تلك الوقت بين الرئيس «أنور السادات» والرئيس «حافظ الأسد» . وتوالت اجتماعات التنسيق لعمل عسكري مشترك على الجبهة الغربية من مصر ، وعلى الجبهة الشرقية من سوريا . وتوصلت الاجتماعات إلى اختيار موعدين لبدء العمليات : موعد يقع في الأسبوع الأخير من مايو ١٩٧٣ - وموعد آخر يقع في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر من نفس السنة .

واستعدادا للقرار السياسى الذى يصدر عن الرئيسين فإن القيادة العسكرية فى البلدين راحت تستعد برفع درجة الإنذار إلى حالة العمليات ابتداء من أوائل شهر مايو .

وحتى منتصف شهر مايو ، لم يكن الأمر الإندارى بالاستعداد لبدء العمليات قد صدر عن الرئيسين . ومع ذلك فإن معلومات عن رفع درجة الاستعداد فى القوات المسلحة المصرية والسورية وصلت إلى إسرائيل التى بادرت بإعلان حالة التعبئة الجزئية فى ١٤ مايو ١٩٧٣ .

ولفتت هذه التحركات كلها نظر الملك «فيصل» ملك المملكة العربية السعودية . وبالرسل مائل شخصى له ، هو السيد «كمال أدهم» (المستشار الخاص للملك ومدير المخابرات السعودية) الذى وصل بسرعة إلى القاهرة والتقى بالرئيس «السادات» . وسأله مباشرة عما إذا كان صحيحا ما يشاع من أن مصر وهجوريا على وشك دخول الحرب . ورد الرئيس «السادات» بما يفهم منه أنه لم يعد من ذلك مفر . والحق عليه السيد «كمال أدهم» فى ضرورة أن تكون مصر مستعدة بالمواد التموينية لحالة حرب قد تطول ، وما إذا كانت هناك أية تسهيلات أو اتصالات ترغب مصر فى تحمل المملكة العربية السعودية بها . كما أشار إلى احتياج مصر لقاذفة قنابل تنولى مسئولية الردع ، قائلا ، إنه يعرف من متابعة التطورات أن تلك هى المشكلة التى قد تؤثر على جهد القوات المسلحة المصرية .

(١) فى ظروف الحرب فعلا كان الدكتور ، عبد القادر حاتم ، نائب رئيس الوزراء يئوب عن الرئيس ، السادات ، فى مسئوليات رئيس الوزراء .

وبالفعل فقد كانت هناك طلبات ورغبة فى تسهيلات - كذلك بدا أن فكرة حصول مصر على طائرة ردة قضية تستحق جهدا إضافيا حتى وإن جاء فى آخر لحظة . واقترح السيد «كمال أدهم» على الرئيس «السادات» أن يكتب للملك «فيصل» بما يشاء . وبالفعل كتب الرئيس «السادات» ، إلى الملك «فيصل» خطابا شخصيا كان نصه كما يلى :

«الأخ صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود  
ملك المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أبحث لجلالتكم بأطيب الأمنيات بالصحة والسعادة ، وبطيب لى أن أبلغ جلالتم باني قد قابلت السيد كمال أدهم اليوم وأطلعت على الموقف التعميمى بالبلاد .. وأعتقد أننا فى حاجة إلى مبلغ خمسة وعشرين مليون جنيه أسترلينى كقيمة بالبنك المركزى المصرى - بالشروط العالمية ولمدة سنتين - لمواجهة الظروف التى طرأت ، وذلك فى أقرب فرصة ممكنة .

ولم يكن بوى أن أزعج جلالتم خلال هذه الفترة التى تستجمعون فيها ، إلا أن الظروف هى التى أملت ذلك .

وبالنسبة لموضوع الطائرات القاذفة المقابلة فقد شرحت الوضع للسيد كمال أدهم الذى سلمكم بعرضه على جلالتم .

وتقبلوا جلالتم أخلص موشى مع أصدق تمنياتى بوافر الصحة والتوفيق .

القاهرة فى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣  
٢٠ مايو سنة ١٩٧٣  
(امضاء)

محمد أنور السادات ،



ورد الملك «فيصل» على الفور بخطاب مكتوب آخر حمله السيد «كمال أدهم» ، شرح فيه تقدير المملكة للرئيس «السادات» ، والدور الذى تقوم به مصر ، كما عرض أن ترسل السعودية ما لديها من طائرات «لايتننج» ، البريطانية إذا كان يمكن أن تكون لها فائدة فى المعركة . وكان نص خطاب الملك «فيصل» ، كما يلى : (٢)

، فخامة الأخ الرئيس محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

لقد استلمت كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ الذى حمله إلى الأخ كمال

(٢) صورة من خطاب الملك «فيصل» ، موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٤) . على صفحة (٧٨١) من الكتاب .

أدهم ، وإني إذ أشكركم على خالص ونكم وجمل مشاعركم أرجو من الله العلي العظيم أن يمن على الأمة العربية بنصره وتأييده ، وأن يلهم قادتها طريق الحق والصواب .  
ولا شك بأن فخامتكم والقي كل الوثوق بأن المملكة العربية السعودية لن تدخر وسعا في دعم جمهورية مصر العربية تحت قيادة فخامتكم ، وستقف إلى جانب شقيقاتها العربيات بكافة إمكانياتها .  
هذا ولقد أوضح لنا الأخ كمال مرنياكم في جميع الأمور ، وأوضحنا له وجهة نظرنا حيالها نلتها لفخامتكم .  
متنينا لفخامتكم الصحة والتوفيق والله يحفظكم .

أخوكم

(امضاء)

فيصل

٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣

موافق ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣



والتي السيد « كمال أدهم » بالرئيس « السادات » يوم ٢٥ مايو ، ثم توجه لمقابلة « محمد حسنين هيكل » مساء نفس اليوم لحديث طويل عن الاحتمالات والخيارات المفتوحة . وكان بين ما قاله السيد « كمال أدهم » في هذا اللقاء :

١ - إنه لم يكن يصدق أن ميعاد المعركة قد تحدد في هذا التوقيت السريع .

٢ - إنه رجا الرئيس السادات ألا يخفى شيئا عن الملك فيصل ، وأن يقدم إليه كل ما يشاء من طلبات : اقتصادية أو عسكرية أو سياسية .

٣ - إن شيئا من ذلك حدث بالفعل ، ولكن احتياجات المعركة قد تكون أكبر مما تتصور هذه اللحظة .

٤ - إنه توسل إلى الملك أن يقع الرئيس « السادات » بالتأخير ( يقصد التأخير في بدء المعركة حتى تمام الاستعداد ) خصوصا بالنسبة لتوفير مخزون كاف من مواد التموين .

٥ - إنه أقتع الملك « فيصل » بضرورة ترتيب لقاء بينه وبين الرئيس « السادات » لبحث الموقف .



وعاد السيد « كمال أدهم » إلى السعودية بعد أيام قليلة يحمل رسالة من الرئيس « السادات » إلى الملك « فيصل » كان نصها كما يلي :

« الأخ صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمت رسالة جلالكم المؤرخة بتاريخ ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ التي حملها إلى الأخ كمال أدهم ... ولقد كنت وثقا تمام الثقة أن جلالكم لن تتردوا في الموافقة نظرا للروابط القوية التي تربط بين بلدينا ومشاعر الود والأخاء والقيم المتبادل التي عبرتم جلالكم عنه لنا في كافة

المناسبات ، ونظرا للروح العربية الأصيلة والعرض على الكرامة العربية التي نعتز بها جلالكم وتدابيعون دائما عن أصالتها .

وقد قام الأخ كمال أدهم بشرح وجهة نظر جلالكم بالنسبة للأمور التي تهم شعبنا والمنطقة بالمنطقة .

أما فيما يتعلق بالطائرات اللابنتج ، فأود أن أوضح لجلالكم بأن بناءها حاليا ضمن سلاح الطيران الملكي السعودي لتكون قوة مقاتلة لما لدى المملكة سيكون أكثر فاعلية من وجودها في جمهورية مصر العربية حيث أن تعدد أنواع الطائرات التي تستهلك في المعركة ليس في صالحها للعديد من الأسباب الفنية - نظرا لأننا اخترنا في خفقتنا أن نستعمل نوعين من الطائرات هما الطائرات الروسية والفرنسية من نوع الميراج - لذلك فإن أي مساهمة من جلالكم في تطوير ما لدينا من أسراب فرنسية بإضافة سربين آخرين لها سيكون أكثر فاعلية لمصلحة المعركة . علما بأننا سنقوم بتسديد قيمة الطائرات الميراج بالشكل الذي ترونه جلالكم بحيث لا يشكل عبئا كبيرا على جمهورية مصر العربية أثناء المعركة .

.....

.....

والسلام عليكم ورحمة الله .

أخوكم

(امضاء)

محمد أنور السادات ،

القاهرة في ٢٩ / ٥ / ١٩٧٣

٤

ومع اقتراب نهاية شهر مايو كان الرئيس « السادات » قد أصبح ميلا ، للتأخير ، على حد تعبير السيد « كمال أدهم » . وربما أن لقاءات الرئيس « السادات » في ذلك الوقت مع مجلس وزرائه الجديد ومع المجلس الأعلى للقوات المسلحة - قد نجحت في إقناعه بأن الفترة الثانية الملائمة للعمليات ، وهي الأسبوع الأول من أكتوبر ، أنسب من كل النواحي لضمان نجاح أي عمل عسكري .

ومع ذلك فإن إمكانيات الحل لم تكن قد تلاشت من فكره تماما لتترك السيطرة الكاملة لاحتمالات الحرب .

وفي شهر يونيو ١٩٧٣ بعث إليه الشاه ، محمد رضا بهلوي ، شاه إيران رسالة يبدى فيها قلقه من أن الأمور في المنطقة تبدو وكأنها سائرة إلى حرب أوشكت أن تصبح ضرورية قضاء وقدر .

وأبدى الشاه في رسالته أنه ذاهب إلى واشنطن للقاء الرئيس نيكسون ، ومستشاره للأمن القومي « هنري كيسنجر » . وكان شاه إيران يسأل عما إذا كان ملك يستطيع القيام به . ويحث إليه الرئيس « السادات » يقول له إنه لا يقل عظمة ، وإنما هو يرجوه أن يبذل أى جهد يراه للحيلة دون انفجار الموقف في المنطقة كلها .

وسافر الشاه إلى واشنطن واجتمع بالرئيس « نيكسون » و« جنر » وغيرهما من أقطاب الإدارة الأمريكية ، وعاد ليكتب للرئيس « السادات » بأنه ربما لن يمكن أن تكون منها نقطة بداية جديدة نحو حل سلمي لأزمة الشرق الأوسط . وبين ما وما إلى ذلك كتبها الدكتور « هنري كيسنجر » نفسه بتصورات حل . وأبدى الشاه ، أنه وإن كان يفضل أن يحدث في الموضوع مباشرة مع الرئيس « السادات » إلا أن أى لقاء بين الاثنين في الفترة الزمنية قد تفسره إسرائيل - التي علمت ولا شك باهتماماته في واشنطن - على أنه مشاركة لثقله في الضغط على الولايات المتحدة .

واقترح الشاه بدلا من ذلك أن يجتمع ممثل موفد به إليه مع ممثل موفد به من جانب الرئيس « السادات » لتقييم نتائج اتصالاته في لندن ، والتفكير في أسلوب عمل في المرحلة القادمة - وربما الترتيب في موعد لاحق للقاء بين الطرفين .

□

ووقع اختيار الشاه على سفيره في واشنطن - وزعيم رزح - وزير خارجيته السابق - « أرشدشير زاهدى » . كما أن اختيار الرئيس « السادات » لـ « غريبال » « أشرف غريبال » ، وكان قد نقل وقتها إلى القاهرة مستشارا خاصا للرئيس - كان « زاهدى » منذ عملها معا في واشنطن . وتم اللقاء بين الاثنين بالفعل ، وعقد اجتماعا بين مونترو ، بسويسرا حيث يملك « زاهدى » قصرا جميلا يطل على بحيرة « ليغان » .

ومن جنيف كتب السفير « أشرف غريبال » إلى الرئيس الملك ، تقريرا عن مهمته جاء فيه بالنص (\*) :

« اجتماع أشرف غريبال بأرشدشير زاهدى - سويسرا

٢٤ - ٢٥ أغسطس ١٩٧٣

- استقبلني بجنتيف الجمعة ٢٤ / ٨ / ١٩٧٣ أميرال زاهدى خارجة إيران السابق وسفيرها حاليا في واشنطن . وكان استقبله وديا للقاء بالخير إلى مونترو حيث اجتمعت به بعد ظهر الجمعة صباح السبت ٢٥ / ٨ / ١٩٧٣ .

(\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة من إحدى صفحات مذكراته بشعيرة تحت رقم (٥٠) . هي ملحة (٧٨٢) من الكتاب .

- نكر زاهدى أنه بعد زيارة الشاه للولايات المتحدة ، وعلى أثر كلام زاهدى المستمر مع كيسنجر - أعد كيسنجر ورقة سلمها لـ زاهدى ليقدّمها إليها .  
- أوضح زاهدى أنه عندما قرأ الورقة ونكر لكيسنجر أنه يعتقد بأنها لا تحوى جدیدا ، أجابه كيسنجر بأنها نقطة بداية .  
- أضاف زاهدى بأن كيسنجر شطب المسطر الأخير من الورقة على أثر ملاحظة زاهدى بأن أمريكا تطلب من مصر الكثير .

( كانت العبارة المشطوبة تقول : إن مصر عليها أن تحاول التقدم إلى إسرائيل بمقترحات لا تستطيع إسرائيل أن ترفضها proposal that Israel cannot try to develop a "refuse" ) .

- ذكرت بأن اتطاعى السريع عن الورقة أنها لا تقدم جدیدا ، وهي مجرد كلمات تمنع عن حسن اتنوايا ، وردا على استفسار نكر أنه ليس لديه شيء شلهوى يضيفه إلى الورقة حتى تعطى الصورة بالكامل ، ونكر بأنه ينتظر رسالة تصله من الشاه .

- ذكرت عند اجتماعى بزاهدى في اليوم التالى ( ٢٥ / ٨ / ١٩٧٣ ) أنني قرأت الورقة بإمعان وأننى لاحظت عليها أنها :

( ١ ) حوت بعض تعبيرات إيجابية :

- أ - حرص أمريكا على أن تعمل بفاعلية .
- ب - وأن تعمل بهلوه حتى يتوفر لها إمكانية وجود موقف عنتى يمكنها أن تدافع عنه .
- ج - أهمية انسحاب القوات الإسرائيلية من مواقعها الحالية .
- د - ضرورة ألا ينشأ عن الخطوة الأولى تجدد للموقف .
- هـ - فهم أمريكا لمشكلة الرئيس السادات في هذا الشأن .

ذكرت أن كل هذه نقاط تعبر عن نوايا طيبة .

( ٢ ) إنما الورقة كما هي لا تبين كيف تصل إلى الأهداف المنشودة ، وهناك تساؤلات ...

كيف يمكن حسب التفكير الأمريكى :

- أ - التقدم خطوة بخطوة .
- ب - الإبقاء على الموقف في حالة سبولة بدلا من جموده الحالى .
- ج - ألا تؤدي الخطوة الأولى إلى إعادة تجديد الوضع .
- د - كيف ترى أمريكا تحقيق التسوية الشاملة العادلة في النهاية .
- هـ - ما هو المقصود بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر .
- و - كيفية التقدم من المرحلة الأولى للمراحل اللاحقة .
- ز - ذكرت أنني فهمت منه أن الورقة أمريكية ، إنما أجد في الفقرة ( ٦ )

We judge that the U.S. is serious in wanting a settlement and is serious in trying to find a workable way of achieving one.

فمن المقصود بـ «we»

( نحن نقرر أن الولايات المتحدة جادة في سعيها إلى تسوية ، كما أنها جادة في محاولة البحث عن طريق عملى لتحقيقها - فمن المقصود بـ « نحن » ، ( ٢ ) .

- أضحت أنني أحتاج إلى معاونته في الرد على هذه الاستفسارات كي يمكن أن تكفل لدى الصورة للعرض على القاهرة .
- تعامل زاهدي لسانا لا تضع الأسئلة التي طرحتها عليه على ورقة ليقدّمها للأمريكان ، وعلقت بأن الأمريكيين يعرفون كل هذا بالتفصيل ، وبينت أن الفراغات الموجودة في الورقة الأمريكية تبين عليها معرفة الولايات المتحدة صاحبة الورقة .
- ذكرت أن وقف إطلاق النار كان في الحقيقة الخطوة الأولى نحو التسوية الشاملة العادلة ثم تحدثت الأمور والآن يطلب منا مجددا موقفا مرنا حتى يمكن تحريك الأمور .
- عند هذا الحد تسلم زاهدي مقروفا وصله من الشاه ، ونكر زاهدي بعد اطلاعه عليه بأن الشاه أمر عليه بأن ، أصدقائنا المصريين لن يكتفهم قبول هذه الورقة إنما عليه ( أي على زاهدي ) أن يسلمها لهم ، ، كما أمر الشاه على بداية الصفحة الثالثة In the American view ( من وجهة النظر الأمريكية ) حتى يظهر أن ما تتضمنه الورقة عن ، أن مصر تخسر بالمزيد لتجديد الموقف الحالي عما تخسره لو بدأت القوات الإسرائيلية بالانسحاب ، بأن ذلك هو رأي أمريكا وليس رأي إيران .
- استلمهم متى زاهدي عما يبلغه لكل من الشاه والولايات المتحدة . ولخصت له ما سبق أن تكرته في الآتي :
- ١- إن تطبيق الشاه على الورقة إنما هو معبر بالتكافية عن وجهة النظر المصرية .
  - ٢- يتعين على أمريكا أن تخرج من الصوميات .
  - ٣- إذا كان لدى واشنطن نوايا طيبة فلتضعها موضع التنفيذ وتقدم لنا التزاما أكثر ضمانا من هذه الورقة .
  - ٤- إننا لا نرفض أي شيء تلقائيا ، إنما لا نعتبر النوايا الطيبة مشروعات قائمة بذاتها ، ونساعل ما هو المخطط والمشروع .
  - ٥- لا نعتقد في الحل الجزئي ونصمم على الحل الشامل .
  - ٦- رغم اتصالاتنا بالأمريكيين ، فإذا كانت لدى الولايات المتحدة مشاكلها حاليا وترغب في تدوير الورقة وتقديم مشروع واضح مقنع عن طريق إيران فلا مانع لدينا .
  - ٧- إننا لا نرغب السوء لأمريكا ولا نعمل ضد مصالحها ، ولكننا لن نترك مصالحنا تهدر وإن نخذل شعبنا أو الدول العربية أو شعب فلسطين .
  - ٨- إننا نهدف أن تسلك أمريكا - في التوصل إلى تسوية للشرق الأوسط - نفس النهج الذي سلكته في تسوية مشاكلها مع الصين والاتحاد السوفيتي ، أي الحلول الشاملة والتصور في المدى الطويل .
  - ٩- إننا نحصى الشاه لموقفه وتأنيده لنا وضغطه على واشنطن ، وإننا مطمئنين إلى تبنيه قضيتنا كما لو كانت قضية إيران الوطنية .

#### الخلاصة :

هذه أحداثنا :

( ١ ) : أن الورقة الأمريكية التي سلمها لنا زاهدي جاءت نتيجة ضغط من زاهدي الذي يأمل

#### □ الثاني :

- في أن يلعب دورا في مشكلة يعرف جوانبها وما زالت دون حل ، مستندنا في ذلك صلاته القوية بالعالم العربي ومصر بالذات وكذلك بالأمريكيين .
- كما يلاحظ اهتمام زاهدي بأن يوفر مكانا هادئا لإجتماعات كيسنجر / حافظ اسماعيل ، الأمر الذي يكشف عن رغبته في لعب دور .
- أن الولايات المتحدة رأت أن تستخدم إيران لإبلاغنا بما تضمنته الورقة ، والذي ينحصر في تركيزها على الحل الجزئي مع انسحاب إيا كان مداه فهو أفضل من بلام الوضع متجمدا على حاله .
- ولو كان الاحتمال الثاني هو واقع الحال فإن ذلك يعني أن الولايات المتحدة سمت أن تبلغنا :
- ( ١ ) عن طريق رومانيا بأن الحل الشامل يمكن في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل ، وحتى في هذه الحالة فإن مصر يجب أن تتحرر من قيود المشكلة الفلسطينية التي تعسر الوصول إلى الحل الذي يمكن الوصول إليه بين مصر وإسرائيل .
- ( ٢ ) عن طريق إيران بأنه إذا كان من المتعذر على مصر طرق باب التفاوض المباشر ، فلتعرف مصر أن الطريق عبر جهود الولايات المتحدة سينحصر في مجرد الحل الجزئي ، وفي هذه الحالة يتعين على مصر أن تتقدم هي بنفسها بالمقترحات التي يصعب على إسرائيل أن ترفضها ، أي أن تقدم مصر تنازلات كثيرة ، ولا يمكن لوياشنطن أن تقدم لنا من الضمانات أكثر من نواياها الطيبة وحرصها على رعاية مصالح الولايات المتحدة في المنطقة .
- كذلك فإن جولة زاهدي يمكن اعتبارها شائعة لبعض الوقت لحين أن يتمكن كيسنجر بعد تعيينه وزيرا للخارجية من إعطاء بعض الوقت لجولة جديدة في مباحثاته مع المستشار حافظ اسماعيل أو إلقاء على الحيط مع ما تحمله الورقة - كما ذكرت آنفا - من تشبيط آمال وتوقعات القاهرة .
- وأنصوّر أن تعلق الشاه على الورقة يعني أنه غير مقتنع بما اتفق حتى الآن ، وبالتالي لا يشجع استخدام إيران سواء كان الاقتراح ناشئا من زاهدي أم من كيسنجر طالما أن الموقف الأمريكي ما زال على حاله ، وأنصوّر أنه يمكن لنا النظر في استخدام التسهيلات المكانية التي عرضها زاهدي - أو منزله في مونترو في اجتماع مبل بين حافظ اسماعيل وكيسنجر .
- أما عن الورقة نفسها فالأخط عليها :
- ١ - تتضمن اعترافات أمريكية بأن موقفها متعيز لإسرائيل .
  - ٢ - وأنها تعرف أن موقفا عادلا علينا من جانبها يرضى العرب ، إنما تتزجر بأنه سيدفعها فوراً للتراجع تحت الضغط الإسرائيلي وبذلك تهلك الأمور مجمدة .
  - ٣ - أن واشنطن تحملنا مسؤولية تهديد الموقف الحالي حين نطلب أن تتزجر إسرائيل الآن بالانسحاب كامل ، وهو ما أن تعطيه أو حكومة إسرائيلية في هذه المرحلة .

## الجزء الثاني

## على طريق الحرب

- ٤ - أن على مصر أن تلتزم نفسها بأن الحل يجب أن يأتي عن طريق تجزئة المفاوضات مما يمكن من الوصول إلى نتائج عملية .
- ٥ - وأن تلتزم مصر كذلك بأن أي انسحاب إسرائيلي - وأيا كان مداه - أفضل من الوضع المتجمد الحالي .
- ٦ - أن ذلك يمكن أن يحول الجمود الحالي إلى سيولة قد يأتي معها ما يعاون على استمرار الحركة حتى تتوفر التسوية الشاملة .
- ٧ - إنما كل الضمانات هنا هي في النوايا الطيبة ثم حرص أمريكا على رعاية مصالحها .
- ٨ - أن الولايات المتحدة تحت مصر على مرونة تكتيكية أكبر ، وأنه مطلوب منها أن تضع مشروعا يتخطى على إسرائيل أن ترفضه ، وبمعنى آخر أن مصر هي التي يتعين عليها الآن أن تغير من موقفها وأن تتحرك وأن تقدم التنازلات التي يمكن أن ترضى إسرائيل .
- ٩ - وإذا كان كيسنجر قد شطب الجملة الأخيرة فإن ذلك لا يعني أنه شطبها من التفكير والتخطيط الأمريكي ، ثم إنها موجودة بالفعل في الجملة السابقة التي تناقض بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر .
- ٩ - كذلك يلاحظ على الورقة اعتراف أمريكا فيها بأن الحل الجزئي بما يتضمنه من بدء انسحاب القوات الإسرائيلية سيترتب عليه خسارة لمصر ، إنما في نظر أمريكا فهذه الخسارة أقل من الخسارة المترتبة على الجمود الحالي . وفي ظني أن هذا الاعتراف يؤكد شكوك مصر وخوفها من تجدد التسوية بعد الخطوة الأولى .
- ١٠ - والحقيقة أن ما ورد في صفحة ٢ فقرة ( ٥ ) من الورقة - عن « تجزئة المفاوضات » - استوكلتني . حيث تساءلت إذا كان ذلك يحوى جديدا ويعنى أن نجزيء المفاوضات على مختلف المشاكل ، إنما وضح من الفقرات التالية أنها تتكلم عن حل جزئي يترتب عليه انسحاب ما وهو أفضل بالنسبة لمصر - في نظر أمريكا - من الجمود الحالي ، الأمر الذي يبين أن المقصود بتجزئة المفاوضات هو تحقيق تسوية جزئية في ضوء الموقف الأمريكي والإسرائيلي المعروف .

□

وقرأ الرئيس « السادات » تقرير الورقة الأخيرة في محاولات الحل .  
وأطال التفكير ، وكانت الحقيقة أمامه لا سبيل إلى إنكارها : وإنه فهي الحرب .



## الفصل الأول

### الاستعداد للمعاصرة

١

كان بتدول الحوائث ، كبتول الساعة ، يتحرك إلى أقصى اليمين ثم إلى أقصى اليسار باهنا عن مخرج لأزمة الشرق الأوسط : بالحل إذا كان ذلك ممكنا . وبالحرب إذا كان ذلك ضروريا . وفي صيف ١٩٧٣ بدأ أن حركة البتول على وشك أن تتوقف ، فعلى امتداد سنوات حرب الرئيس ، أنور السادات ، كل فرصة للحل ابتداء من مبادرته يوم ٤ فبراير ١٩٧١ ولقائه مع ويليام روجرز ، - وحتى اللقاء السرى بين مستشاره للأمن القومي السيد ، حانظ اسماعيل ، مع مستشار الأمن القومي للرئيس ، ريتشارد نيكسون ، - وهو الدكتور ، هنرى كيسنجر ، - . وذلك كله انتهى بغير نتيجة - بل لعل الأمور زادت سوءا بامتداد الاتصالات لأن الطرف الأمريكى ، والطرف الإسرائيلى قبله ، توصلا إلى تحليل مشترك للموقف المصرى مؤداه أن مصر لا تقدر على مخاطرة الحرب .

وهكذا فلن خيار الحرب بدا وكأنه قدر مقدور لا يملك أحد منه مهربا مهما جرب من الوسائل غير . . .

□

كانت محاولات الحل تجرى فى القاعات الفخمة للأمم المتحدة أو لوزارات خارجية القوى الكبرى والقوى المعنية ، وفى قصور الرؤساء والزعماء ، وحتى فى مزارع أصحاب الملايين من رؤساء الشركات الدولية .

ثم إن خطط الحرب كانت تبحث في غرف العمليات وعلى الخرائط ، وفي مكاتب وزراء الدفاع ، ورؤساء أركان الحرب ، وقادة الأسلحة والجيوش ... - لكنه بعيدا عن ذلك كله كان هناك شيء آخر يبحث على الأرض لا يكاد يراه أحد أو يلاحظه أو يأخذه في الحسابات العملية لموازين القوة ، أو يدخله كعنصر فاعل في التخطيط والتنفيذ .

كانت النواة الصلبة للشعب المصري تحت ضغوط شديدة ، وكانت هذه النواة على وشك الانطلاق أمام شدة ما تتعرض له (١) .

وتلك عملية تفسرها العلوم الطبيعية أكثر مما تفسرها العلوم السياسية ، ولعلها أشبه ما تكون بانفلاق نواة ذرة ثقيلة مثل نواة الهـ ، بورانيوم ٢٣٥ هـ - ثم يهاجمها نيوترون ينضم إلى مكوناتها ، ويؤدي إلى تهييج النواة وتثويرها وانشطارها ، مما يطلق قوة جبارة طاغية لم يكن أحد يتصور أنها كامنة في ذرة لا تكاد ترى بالعين المجردة .

من ناحية كانت التجربة الثورية للشعب المصري سنة ١٩٥٢ وحتى سنة ١٩٦٧ قد صهرته وحولت نواته الصلبة إلى مادة ثقيلة ، نقية ومخصصة .

ومن ناحية أخرى كانت الفترة من صيف ١٩٦٧ حتى صيف ١٩٧٣ - ست سنوات كاملة حافلة - قد شهدت أنواعا من القاذفات على النواة الصلبة ، جعلت ذراتها قابلة للانطلاق ، وجعلت الطاقة النووية الحبيسة فيها جاهزة لكسر القشرة والانطلاق . وربما أن أحدا لم يكن يتابع بالقدر الكافي حركة التفاعلات التي تجري في قلب المجتمع المصري ، والتي كانت على وشك أن تكشف عن نفسها بطريقة تخطف الأبصار وتقاوى الجميع .

وربما تخاطر على بال أي دارس لعملية اللقاء بين الناس والطروف في تلك الفترة عبارة مشهورة للعالم الأمريكي الكبير « روبرت أوبنهايمر » الذي أشرف على إنتاج القنبلة الذرية الأولى - قال فيها : « إن الاكتشافات الكبرى في التاريخ لا تتحقق لأن أحدا يبحث عنها ، ولكنها تتحقق حين يكون الغفور عليها ممكنا وضروريا » .

والحاصل أن عملية من هذا النوع كانت على وشك أن تحدث للشعب المصري نتيجة تعرض ذرات نواته الصلبة النقية لمجموعة من الأزمات تحولت إلى قاذفات نافذة تكسر سطح القشرة المحيطة بنواة الكامنة وطاقاته الحبيسة .

كانت تكمة سنة ١٩٦٧ قذيفة ، وكانت مرارة وقروح جزء من الأرض المصرية تحت الاحتلال الإسرائيلي قذيفة ، وكانت التضحيات المطلوبة من أجل المعركة وقد وصلت في بعض السنوات إلى ٢٠٪ من الدخل القومي قذيفة ، وكانت تعبئة مليون شاب ورجل على خطوط القتال لمدة خمس سنوات قذيفة ، وكان الصلف الإسرائيلي قذيفة ، وكان التواطؤ الأمريكي قذيفة .

(١) بالتأکید فإن عملية مماثلة لا بد أن تكون قد حدثت للشعب السوري ، وربما لغره أيضا من شعوب الأمة العربية ، خصوصا تلك التي كانت على الخطوط المباشرة للأزمة ، أو مشتركة فيها على نحو أو آخر .

وفي صيف ١٩٧٣ - كان السطح الخارجي للكتلة الذرية المصرية قد وصل إلى الدرجة الحرجة - وعلى وشك أن ينكسر .

ولأن هذه العملية كانت تدور في الأعماق - فإن أحدا من الذين كانوا يراقبون العواصف وزحاماها لم يتنبه لها - ولا أخذها في حسابه !



إن القوات المسلحة المصرية كانت في نفس الحالة تقريبا . ذلك أن الضغوط التي اتجهت إلى النزاه الشعبية ، كانت هي نفس الضغوط التي اتجهت إلى النواة العسكرية . بل لقد كانت درجة حرارة المفاعل الذي انصهرت فيه القوات المسلحة من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ - أكثر سخونة . والشاهد أن هذا الجيش الذي عاش سنة ١٩٦٧ محنة لم يكن له دخل في صنعها - ما لبث أن استعاد تماسكه بجهد مستميت أعطى له « جمال عبد الناصر » عمره - إذ اعتبره مهمة حياته ، وقد استفدنا بالفعل في سبيل إعادة بناء القوات المسلحة .

ولقد وجد « جمال عبد الناصر » عوناً في الفريق « محمد فوزي » الذي استطاع أن يعيد الجيش إلى حالة من الانضباط بعد فوضى سبقتة ، وبعد حالة من الغربة والشتات وجد الجيش فيها نفسه بعد معارك يونيو ١٩٦٧ .

وفي الوقت الذي كان الفريق « محمد فوزي » يعيد فيه تنظيم القوات المسلحة - كان الفريق « عبد المنعم رياض (٢) » يحاول أن يستقرى العلم والتجربة - بحثا عن أسلوب أمثل في المواجهة - ولقد تمكن من وضع الخطوط الاستراتيجية العريضة لخطة « جرائيت (١) » - ووافق « جمال عبد الناصر » وصديق عليها قبل رحيله . وكانت هذه الخطة تقتضي عبور قناة السويس بقوة خمس فرق ، والتمسك عليها برووس كبارى على الضفة الشرقية لتكون مواقعها واصله إلى الطرق الرئيسية الثلاثة التي تقطع سبعا من الجنوب والوسط والشمال .

كانت هناك خطة أخرى إضافية صنف عليها « جمال عبد الناصر » من قبل ، وهي « الخطة ٢٠٠ » - وهي خطة دفاعية تحسبت لاحتمال قيام إسرائيل بهجوم مضاد إلى غرب قناة السويس إذا حدث وتمكنت القوات المصرية من عبورها إلى الشرق . ولعلها شهادة لواضعي « الخطة ٢٠٠ » - أن هذه الخطة توقعت أن تكون منطقة « الدفرسوار » هي منطقة العبور الإسرائيلي المضاد إذا جاء وقته أو سنحت فرصته .

وباستشهاد الفريق « عبد المنعم رياض » ، ثم بخروج الفريق « محمد فوزي » من وزارة الحربية - انتقلت المسؤولية عن الجيش إلى الفريق « محمد صائق » ، وفي إطار مسؤوليته عن القوات المسلحة جرى تطوير خطة « جرائيت (١) » - إلى « جرائيت (٢) » ، وقد اعتبرت

(٢) كان الاختصاص شبه موزع بين الرجين : الفريق « محمد فوزي » لمهمة الضبط والربط - والفريق « عبد المنعم رياض » لمهمة التخطيط والإعداد للحرب .

هذه الخطوة أن جرانيت (١)، مرحلة أولى من جرانيت (٢)، ثلها على الفور صلبة أخرى أبعد تصل بالقوات إلى مضائق سيناء لتجملها نقطة الارتكاز، وهناك تعيد تقييم الحوادث والفرص. وكان الفريق، صادق، من تشككه في فكرة الحرب المحدودة يطمح إلى ما هو أكثر، ويحلم أحياناً بخط الحدود الدولية، وكان ذلك فوق الطاقة ووراء الإمكانات المتاحة. وفي الحقيقة فإن مجرد الوصول إلى المضائق في حرب محدودة كان من شأنه أن يحدث آثاراً عسكرية وسياسية غير محدودة تفرض على إسرائيل أن تنسحب من كل سيناء. ولم يكمل الفريق، صادق، مهمته ولم يبلغ أحلامه لظروف سياسية وإنسانية.

ويخرج الفريق، محمد صادق، فإن الرئيس «أنور السادات»، وضع مرشحه الأصلي لوزارة الحربية - وهو الفريق «أحمد اسماعيل على» - على رأسها. وكان اختيار الفريق، أحمد اسماعيل، اختياراً سليماً، فهو من مدرسة نضج اقتناعها بأن القتال أصبح ضرورة سياسية وعسكرية وبالوسائل المتاحة لتحقيق هدف محدود أو محدد - تتغير به المعادلة السياسية التي جمعت حل الأزمة، وقد كان مهماً أن علاقته بالرئيس، السادات، كانت علاقة قائم وثيق جعل التنسيق بين رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية علاقة مرمية تمر منها الأفكار والسياسات والقرارات بسلاسة تحتاجها ظروف المعركة.

وكان الفريق، سعد الدين الشاذلي، رئيس هيئة أركان الحرب يمثل عنصر الاستقرار في قيادة الجيش المحارب، فقد انتقل من قيادة منطقة البحر الأحمر وخليج السويس إلى رئاسة الأركان في نفس الوقت الذي أوكلت فيه مهام وزارة الحربية إلى الفريق، صادق، - ثم إن خدمته في نفس الموقع استمرت مع الفريق، أحمد اسماعيل، رغم نفور شخصي بين الاثنين بدأ من الكونجو، حيث كان، سعد الدين الشاذلي، يقود كتيبة وضعتها مصر تحت علم الأمم المتحدة في فترة المد الكبرى لحركة التحرير الوطني في إفريقيا - وفي نفس الوقت كان، أحمد اسماعيل، مكلفاً بمهمة التفويض على القوات المصرية هناك، ووقع احتكاك بين الرجلين أدى إلى جفوة ترسبت آثارها في النفوس. ومع ذلك فمن الحق أن الرجلين - رغم ما كان بينهما - وجدوا صيغة للتعاون في طرف أحس كلاهما بخطورته. وفي الواقع فإن كلا منهما راح يكمل الآخر، وفي حين أن الفريق، أحمد اسماعيل، كان يمارس مسؤولياته بنظرة عامة واسعة، فإن الفريق، سعد الدين الشاذلي، كانت له مقدره على النخول إلى أدنى التفاصيل في وضع الخطط.

ولقد تكامل مع الاثنين - وزير الحربية ورئيس الأركان - رجل ثالث هو اللواء - المشير فيما بعد - محمد عبد الفتى الجمسى، مدير هيئة العمليات، وكانت كفاءته قادرة على إعطاء الخطط حياة خارج الورق، وفي إطار علاقات سمحة مع بقية أفرع القوات المسلحة.

ولم يكن هؤلاء الثلاثة عباقرة في علم الحرب من طراز، كلاوزفيتز، ولا كانوا أساطير في قيادة القوات من طراز، نابليون، - وإنما كانوا بالضببط أنسب طراز من القيادات العسكرية يمكن أن يكون متاحاً لبلد في ظروف مصر - ولعلهم كانوا جميعاً أقرب إلى المدرسة الكلاسيكية العسكرية البريطانية، مضافاً إليها بعض التأثيرات من المدرسة الكلاسيكية العسكرية الروسية.

وسما يستوجب الملاحظة أن الثلاثة - وما معهم الأغلبية الساحقة من قواد الأسلحة والجيوش والفريق - كانوا جميعاً من أبناء القلاحين المصريين من الجيل الثاني أو الثالث ممن أتتحت لهم فرصة التعليم من أبناء الطبقة المتوسطة، ومن جاوروا إلى المدينة والتي خضعت الدولة مع بداية النقلة الوطنية نتيجة للمرحلة الممتدة من «رافعة رافع الطهاوى» و«دوره الخيلوى»، إلى، أحمد عرابى، ودوره الوطنى.

وفي كل الأحوال فقد كان الثلاثة معاً أفضل فريق مصرى متاح لقراءة عمل عسكرى في الأوضاع التي أحاطت بإمكانية العمل العسكرى على الجبهة المصرية سنة ١٩٧٣.

وكانت التغييرات المستمرة، وعمليات الغزلة المتواصلة - قد أدت إلى قيادة أفرع القوات المسلحة بمجموعة من القادة كانوا خلاصة الخلاصة فيما يمكن أن ترتبها القوات المسلحة المصرية - وكان الحال نفس الشيء في قيادات الجيوش وقيادات الفرق.

إن كما هائلاً من السلاح الحديث كان قد خلق - عندما تعاملت معه عزيمة الرجال - حركة دفع ذاتية كانت هي الأخرى على وشك للوصول إلى اللحظة الحرجة حين تنكسر القوة الصلبة في المعامل النشط. وربما يكفى تفكر حجم القوات المصرية المسلحة قبله به العمليات - لتبيان هذا الكم الهائل من السلاح:

كان حجم القوات كما يلى: (٣)

#### □ القوات البرية:

١٩	لواء مشاة راكب (عربات ذات العجل)
٨	قوة مشاة ميكانيكية (عربات جنزير)
١٠	قوة مدرعة
٣	قوة جنود الجو
١	لواء برماتى
١	لواء صواريخ أرض - أرض R 17 E

وكان مع هذه القوات حوالي ١٧٠٠٠ بيهة، و ٢٠٠٠ عربة مدرعة، و ٢٥٠٠ مدفع و ٧٠٠٠ قاذف صاروخي موجه، و ١٩٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات، و ٥٠٠٠٠ ر ب ج R P G، وعدة آلاف من القنابل الجوية المضادة للطائرات ر ب ج ٤٧.

#### □ القوات الجوية:

٣٠٥	طائرة قتال (إدا) أضرب إليها الطائرات المخصصة للتدريب، فإن السب يرتفع إلى ما يزيد على ٤٠٠ طائرة)
٧٠	طائرة نقل
١٤٠	طائرة هليكوبتر

(٣) مشتركات الفريق، سعد الدين الشاذلي، بعنوان، حرب أكتوبر، ص ١٦٩ و ١٧٠.

#### □ قوات الدفاع الجوي :

١٥٠ كتيبة صواريخ SAM

٢٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ ملميمتر فيما فوق

#### □ القوات البحرية :

١٢ غواصة

٥ مدمرات

٢ فرقاطات

١٢ قنصا

١٧ قارب صواريخ

٣٠ قارب طوربين

١٤ كاسحة ألغام

١٤ قارب إنزال

ومرة أخرى - فإن سلاحا بهذا الحجم في أيدي قوات بهذه الضخامة في ظرف تحديتها العمق - كان كفيلا بأن يفرض حركة ذاتية لها خصائص وقوة فعل مؤثرة بذاتها ويتداعياها - لم تكن القوة تحت ضغط رجالها وسلاحها وظروفها فحسب ، وإنما أصبح وجودها على هذا النحو عنصرا ضاعطا بدوره على القرار السياسي .



وكان القرار السياسي بالحرب على وشك أن يتخذ . وكانت هناك دوافع موضوعية أنه إجملاء :

- فشل كل محاولات الحل السلمي .
- وصول الجبهة الداخلية إلى اللحظة الحرجة .
- بلوغ أقصى ما يمكن بلوغه من الاستعداد العسكري .
- احتمال تآكل التأييد العربي والدولي لمصر ما لم تثبت أنها قادرة على الحركة .

ولقد كانت هناك دوافع إنسانية يقتضي الأمر وضعها في الميزان لكي تكون الصورة النهائية في تعبيرها عن المشهد الذي ترسمه ، مع الأخذ في الاعتبار أنه لا توجد صورة كاملة . فكل صورة إنسانية حركة تاريخ ، وكل تاريخ نسبي لأنه إنساني :

١ - إن الرئيس ، السادات ، لم يكن يريد الحرب ، وقد كان شديد التحسب لمخطوئها العسكرية ، ومن ثم السياسية ، على رئاسته . فهذه الرئاسة ألت إليه في ظرف معين كان فيه ما يكون بقصة فيلم سينمائي لا تستقيم روايته إلا بسلمة من المصادفات تكاد تخرجه عن أرنوع من أنواع الواقعية المنطقية . وقد كان هو شديد الحساسية لهذه النقطة . وقد عبر عنها أكثر من مرة - في تلك الأوقات - بقوله « إذا حدث شيء فلن يخرج الشعب مطالبنا بعودتي مرة أخرى للرئاسة كما حدث مع جمال ! »

٢ - إن التكوين العلمي والعمل للريس ، السادات ، لم يكن مما يتلاءم مع فكرة الحرب ، مدرسه في الكلية الحربية كانت ضمن دفعة انتظمت صفوفها أقل من سنة ، ثم تخرجت لظروف ميام الحرب العالمية الثانية ، وكان تصور القائمين على التعليم العسكري وقتها أن تجربة العمل الفعلي في معسكرات وفي مواقع سوف تستكمل بالخبرة ما فات بالتعليم - ولكن السياسة استهوت الرئيس ، السادات ، في مطلع شبابه ، وأخذته على طريق طويل مليء بالمنحنيات ، انتهى إلى منعقد خلفي في اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار .

٣ - إن الجانب الذي عرفه وأعظم به في الحياة العسكرية هو الجانب الاحتفالي . وفي وسط رحام المعركة فقد كان مهتما بالزى العسكري الذي يرتديه فكانت أعلى للقوات المسلحة . بل لقد كانت الصورة التي التقطت له في القيادة ، ومع القادة ، وأمام الخرائط لكي تظهره في صورة القائد الأعلى الممارس - صورة جرى التقاطها بعد انتهاء العمليات وأعيد تمثيلها .

٤ - ولقد كان في قرار الحرب متأثرا - إلى جانب الدوافع التي أملت قراره - بعاملين :

- إدراكه كوطنى أنه من الضروري تحمل مسئولية تحرير الأرض .

● ثم - بالتوازي مع ذلك - إدراكه كمسؤول أنه لم يعد أمامه بعد كل ما حاوله - مفر من القتال ، وقد عبر عن ذلك مرة بقوله :

« إن جمال ( يقصد جمال عبد الناصر ) ذهب وتركنى مكتوف اليدين على شريط سكة حديد ، وإذا لم أتركف حتى على بطنى بعيدا عن القضاين فإن القطار سوف يهرس لحصى وعظمى » .

( وكان هذا القطار في تصويره هو القوات المسلحة التي تهدر حركتها باستمرار على خطوط إزالة آثار العدوان ) .

٥ - ومن الحق أن يقال إن بعضا من عناصر القوة التي اقتربت منه بعد أن أصبح رئيسا - كانت متخوفة من الحرب تخشى أن تطيح عواقبها بامتيازات ومكاسب لمع فريقها وبدأت الأيدي تمتد إلى بشائرها - وكان هؤلاء جميعا لا يريدون الحرب ، ويشجعون الرئيس على قبول أى حل بمقولة إن « الناس تعبت » - وإنهم باتوا مستعدين لقبول أى حل في مقابل « أن يخلصوا والسلام » !

٦ - إنه كان بين الذين اقربوا من دافئته عدد من مجموعة القوة الجديدة الناشئة في العالم العربي ، والتي أقامت نفوذها على قواعد صلاتها بشركات البترول ، وشركات السلاح ، وإدارات المخابرات الأجنبية . وكان هؤلاء ، ومعظمهم من تجار الاتفاقات والترتيبات الخفية ، وصفقات السلاح وعمولاتها ، وأجواء الاتصالات المشبوهة - جميعا من أنصار بقاء حالة اللا سلم واللا حرب ، فهي الكفيلة - دون غيرها - باستمرار عقد الصفقات ، هذا في حين أن العرب الفلمية ، ومهما كانت نتيجتها ، سوف تقلل حجم السوق ، وحساب الأرباح ، ودرجة النفوذ .

وبرغم ذلك فلن هناك حقيقة لا بد من احترامها ، وهي أن الرجل الذي كانت على كتفيه

مسئولية القرار - وهو «أنور السادات» - ملك شجاعة اتخذته - وقد اتخذ عارفاً أن تلك مقاديره ، وأن قرار الحرب وإن لم يكن اختياره الأول ، فهو قراره الأخير .

والواقع أن شهر سبتمبر من سنة ١٩٧٣ - كان شهر الذروة في رئاسة «أنور السادات» .

ومن سوء الحظ أن بعض الذين كانوا يعرفون رغبة الرئيس «السادات» الملحة في الوصول إلى حل سلمي ، وبينهم من رأوا ولمسوا عن قرب ظواهر إقدامه ثم إحيائه عن قرار الحرب - أخطأوا في تفسير الوقائع ، وراحوا يخطئون بين التاريخ والمؤامرة فزعوا لأنفسهم وللناس أن قرار الحرب مسرحية متفق عليها . ومثل ذلك على وجه القطع ليس مجرد خطأ في التفسير ، وإنما هو أيضاً سوء نية في التأويل يستسهل نظرية المؤامرة ليفسر بها المستعصى على الفهم بالتحليل .

والحقيقة أن قرار الرئيس «السادات» بالحرب كان قراراً حقيقياً وأصيلاً ، والغريب أن يخطر ببال أحد أن عمليات قتال بالنار بين جيوش جرارة في البر والبحر والجو يمكن أن تكون مؤامرة محبوكة . كما أنه من تجاهل طبائع الأمور أن يرد على الظنون أن إسرائيل ، التي تقوم دعائم نظرية أمنها على قوة في الردع غلاية وقاهرة - تغفل أن تدخل في ترتيبات من شأنها أن تضع الجيش الإسرائيلي ولو لأيام أو حتى ساعات أو دقائق - مكشوقاً أمام خطر إذا لم يؤثر على قدرته فإن تأثيره على سمعته محظور غير مقبول .

ولقد استل أنصار نظرية المؤامرة على صحة نظريتهم بأن الولايات المتحدة كانت فريد الحرب ، وأن «هنري كيسنجر» قال علناً ، إنه لا يقترب من الأزمات إلا إذا كانت ساخنة لأنه حينئذ تصبح ناضجة ، وهذا كلام لا يمكن رده ببساطة إلى مؤامرة . ذلك أنه كان بين الأمريكيين من توقع ، أو حتى رأى ، أن الأمور بالضرورة سائرة إلى قتال ، لكن ذلك كان تقدير موقف وليس ترتيب مؤامرة .

وبالطبع فإن هناك فارفاً ضخماً بين أن يحاول طرف من الأطراف استغلال حرب بعد وقوعها - وبين أن يحاول أحد ترتيب الحرب لاستغلالها فيما بعد !

ولقد حاول بعضهم تفسير عبارة وردت على لسان وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت ، وهو «ميشيل جوبير» - تفسيراً متعسفاً . فقد ذهب إليه السفير المصري في باريس بوجهه أن تبذل فرنسا جهودها وإلا فإن الموقف في الشرق الأوسط سوف يتفجر .

ورد عليه «ميشيل جوبير» ، قائلاً : «دعه يتفجر ... من الأفضل أن يتفجر» .

ولم يكن ذلك القول من فرنسا إشارة إلى مؤامرة ، وإنما كان تعبيراً عن ضيق شديد تحس به فرنسا وهي ترى أن الولايات المتحدة تحتكر لنفسها كل فرص الحل السلمي للأزمة .

وفي مطلق الأحوال فإن قرار الحرب كان قراراً عربياً بالتكامل ، وكان قراراً تاريخياً ، ومهما كان أو يكون - فإن «أنور السادات» هو الذي تحصل مسئوليته .

□

كان التنسيق بين الجبهة الشرقية - سوريا - والجبهة الغربية - مصر - وبفضل جهود أحمد اسماعيل ، و «سعد الشاذلي» ، و «محمد الجمسى» - قد بلغ درجة عالية عبرت عن نفسها بين الجبهتين في خطة مشتركة تنتظر لمسات أخيرة لكي تصبح خطة مكتملة ، وتنتظر قراراً سياسياً لكي تتحول إلى عمل عسكري مقدر .

• كان مشروع الحرب في ديسمبر ١٩٧٢ الذي اقترحه الرئيس «السادات» مدفوعاً بنزوة ناس وضيق أطلقت عليه في خريف سنة ١٩٧٢ - قد تأجل - بإسساس داخلي لدى الفريق ، أحمد اسماعيل ، وبنصيحة من الرئيس «حافظ الأسد» .

• وكان الاختيار الأول للقيادة المصرية السورية المشتركة - وهو موعد مايو سنة ١٩٧٣ - قد تأجل هو الآخر - برجاء من الملك «فيصل» يطلب زيادة الاستعداد .

• وكان الاختيار الثاني للقيادة المصرية السورية المشتركة - وهو الأسبوع الأول من أكتوبر - هو الموعد الذي جاء ليفرض نفسه على الجميع .

ويوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٧٣ - التقى في مبنى قيادة القوات البحرية المصرية في قصر رأس التين بالاسكندرية وفد عسكري سوري ووفد عسكري مصري ، وكان لقاؤهما معاً هو لقاء المجلس الأعلى للجيشين المصري والسوري ، وهو المجلس الذي كان في مهمته أن يضع للمسات الأخيرة على الخطة .

كان الأعضاء المصريون فيه هم : (٤) : الفريق أول ، أحمد اسماعيل على ، وزير الحربية - الفريق ، سعد الدين الشاذلي ، رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة - اللواء ، محمد على فهمي ، قائد الدفاع الجوي - اللواء ، حسني مبارك ، قائد القوات الجوية - اللواء ، فؤاد زكري ، قائد القوات البحرية - اللواء ، محمد عبد الغنى الجمسى ، رئيس هيئة العمليات - اللواء ، فؤاد نصار ، قائد المخابرات الحربية .

وكان الأعضاء السوريون هم : اللواء ، مصطفى طلاس ، وزير الدفاع - اللواء ، يوسف شكور ، رئيس هيئة أركان الحرب - اللواء ، ناجي جميل ، قائد القوات الجوية والدفاع الجوي - اللواء ، حكمت الشهابي ، مدير المخابرات الحربية - اللواء ، عبد الرزاق الدريدي ، رئيس هيئة العمليات - العميد ، فضل حسين ، قائد القوات البحرية .

ثلاثة عشر عضواً من الجانبين ، وانضم إليهم اللواء «بهي الدين نوفل» ، ليقوم بأمانة سر القيادة العليا المشتركة للقوات المسلحة المصرية - السورية .

وتم الاتفاق على كل تفاصيل الخطة «بدر» ، وهي تحدد المهام والواجبات المفروضة على كل جبهة من جبهتي ميدان القتال :

(٥) رجاء مراجعة كتاب «الطريق إلى رمضان» ، د. محمد حسنين هيكل .



● القوات المصرية تعبر القناة ، وتقتحم خط بارليف ، وتتقدم حتى تركز على مضيق سيناء - طبقا لما رسمته من قبل الخطه جراحيت (٢) ، ثم تقف متأهبه لرد هجمات إسرائيلييه مضادة - اتية بلا ريب .

● القوات السورية تندفع لاسترداد هضبة الجولان وتحكم سيطرتها عليها بالكامل ، وشرف منها على الجبل الأعلى كله ، ثم تتطور عملياتها وفق متغيرات الموقف بعد ذلك . وكانت توصية الاجتماع إلى القيادة السياسية العليا : «أنور السادات ، و حافظ الأسد ، - بالنسبة لتوقيت المعركة هي الفترة من ٥ إلى ١١ أكتوبر (٥) .



ويوم ٥ سبتمبر ١٩٧٣ - الساعة العاشرة صباحا - كان « محمد حسنين هيكل ، على موعد مع الرئيس ، السادات ، في استراحة الرئاسة في « برج العرب » ، - على ساحل مصر الشمالي - بالقرب من مسرح معركة العلمين ، وهي من أشهر معارك الحرب العالمية الثانية .

وعندما وصل « هيكل ، إلى الاستراحة دهش إذ وجد الرئيس ، السادات ، واقفا على بابها بجوار سيارة من طراز « مرسيس ، بنية اللون . ودعاه الرئيس « السادات » إلى الركوب بجواره في السيارة ، وراح يقودها بنفسه على طريق جانبي صغير ، بينما سيارة واحدة من سيارات الحرس تتبع سيارة الرئيس (١) .

وقال الرئيس « السادات ، وعينيه على الطريق : « سذهب إلى استراحة « كنج مريوط ، لننتحدث في أمور هامة .... »

ثم رفع عينيه عن الطريق والتفت إلى « هيكل ، ونطق بنص قرأني ، وبصوت يحمل نبرة قصدها درامية :

- « قضى الأمر الذي فيه تستغيثان ، !

ثم سكت تاركا ما قاله يحدث أثره بالكامل ، ثم استأنف وبصوت حازم هذه المرة :

- « اتخذت القرار . »

وكانت الرسالة واضحة .... وساد الصمت إلا محرك السيارة وصوت عجلاتها على الطريق ، ومشاهده تمر على الجانبين بسرعة انطلاق السيارة التي يقودها الرئيس في اتجاه استراحة « كنج مريوط .

(٥) لا أجد مناسبة أن أدخل في تفاصيل الخطط ، فقد غطاها كثيرون غيرون بأفضل وأكفا - كما أنني سبق أن تعرضت لها تفصيلا في كتاب ، الطريق إلى رمضان .

(٦) رجاء مراجعة كتاب ، الطريق إلى رمضان - وقد ندر سنة ١٩٧٥ في حياة الرئيس ، السادات .

كانت المشاهد على جانبي الطريق تمر بسرعة ، ولكن الزمن بدا وكأنه لا يفوت ، فالدقائق كأنها السنين ، والثواني كأنها أسابيع ، والصمت بين الرئيس وضيئه مطبق بعد جملتين مبدئيتين بروح التاريخ ذاتها - نطق بهما ، أنور السادات ، . وقد أدرك الرجلان بالحس أن الصمت واجب حتى في السيارة .

وأخيرا ظهرت استراحة « كنج مريوط . واختار الرئيس ، السادات ، ركنا بعيدا منها وجلس ، وطلب كوب ماء جاعوه به ، وراح يشرب ببطء وأناة .

ثم التفت إلى « هيكل ، وقال له :

- « سمعنتي ؟ ... أخذت القرار ، !



كان الرئيس « أنور السادات » - وعلى أساس توصيات القيادة المشتركة - وبالتشاور مع الرئيس « الأسد » - قد اتخذ قرار الحرب وقبل بالفترة المقترحة لبدء العمليات ما بين ٥ إلى ١١ أكتوبر .

كانت خطط العمل العسكري جاهزة لدى جهة الاختصاص بها ، وهي وزارة الحربية والقيادة العامة .

ثم إن خطط إعداد الدولة للحرب ، في مجالى الإنتاج والخدمات ، قد تهيأت - وهي بدورها الآن جاهزة لدى جهة الاختصاص ، وهي مجلس الوزراء .

لكن هناك مجموعات من الشواغل كانت لا تزال حائرة في فكر الرئيس « السادات ، وكان معظمها في مجالات السياسة والإعلام .

والآن فقد كان يريد مناقشة هذه الشواغل ويستقر فيها على قرار ، وكان يريد أن يناقش احتمالاتها في أضيق نطاق ممكن .

كانت شواغله رؤوس موضوعات تفرعت منها أسئلة تناولتها المناقشة على شكل مجموعات متصلة ببعضها (٧) :

(٧) طلبت أوراقا لأكتب عليها ولو مجرد إشارات لما يمكن أن تسفر عنه المناقشات ، وطلب الرئيس ، السادات ، حقبة يده وكانت في سيارة الحراسة وأخرج منها مجموعة أوراق تحمل شعار الدولة واسم الرئيس . والغريب أنه لم يكن من كلم ، وأخرج قلما وراح يجره على أول ورقة من مجموعة الأوراق التي أخرجها ، واختار أن يجره قلمه بكتابة اسم أسطر أبياني ( حسن ) . وكان أقرهم جميعا إلى الرئيس ، السادات ، - وهذه هي الأهمية التاريخية لهذه الورقة - فهي ورقة عليها بعض التفاصيل مما كنا نتحدث فيه تلك اليوم بخطي - ولكنها في نفس الوقت تحمل خط يد الرئيس ، السادات . وتوجد صورة لهذه الورقة في ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٦) - على صفحة (٧٨٣) من الكتاب .

## ●●● المجموعة الأولى :

ماذا إذا عرفت إسرائيل بوجود الحشود المستعدة للهجوم على الجبهة ؟ من الناحية العسكرية فإن أي رد فعل إسرائيلي له إجراءاته - وهذه موضوعها جهة أخرى في البحث ...

ولكن ماذا عن الناحية السياسية والإعلامية - وإن :

- ماذا لو أن إسرائيل عرفت بالحشد العسكري ، وعرفت بنواياه ، ثم أثارلت ضجة سياسية : مع الولايات المتحدة ؟ - وربما مع الاتحاد السوفيتي عن طريق الولايات المتحدة ؟ - وكذلك - احتمالا - في إطار الأمم المتحدة ؟
- ماذا لو بدأت إسرائيل عملا عسكريا على الجبهة السورية وحدها ، أرادت به سبق الحوادث ؟ - وماذا تفعل مصر وكيف تتصرف سياسيا وإعلاميا ؟
- يتصل بذلك مباشرة تحديد الخطوط التي يمكن أن تجري عليها الاتصالات مع الاتحاد السوفيتي ، ومع الولايات المتحدة الأمريكية .

## ●●● المجموعة الثانية :

● ماذا لو تلقينا أسئلة من الولايات المتحدة الأمريكية قبل بدء العمليات ؟ - كيف نتصرف وماذا نقول بعد بدء العمليات في عرض أسبانيا سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى الإعلامي .

- كيف نتصرف إزاء الاتحاد السوفيتي ؟ - هل نصارحه ؟ ومتى ؟ - ورد فعله إذا ما عرف مسبقا ، وكيف يمكن التعامل معه بحيث لا يكون استثنائا ولا يكون قيداً ؟
- كيف ومتى نخطر « إخواننا » العرب ؟ - ومن من هؤلاء العرب ؟
- كيف نخطر أصدقائنا ؟ بالذات في مجموعة عدم الانحياز : رئيس يوجوسلافيا المارشال « تيتو » - ورئيسة وزراء الهند « انديرا غاندي » ؟ - كيف ؟ وإلى أي حد ؟ ومتى ؟

● كيف نخطر الأطراف الدولية الأخرى وبالذات في أوروبا ؟ - وكان في ذهن الرئيس « السادات » ثلاثة بالذات من زعماء أوروبا هم « اوارد هيث » رئيس وزراء بريطانيا - و « ويلي برانت » مستشار ألمانيا الغربية - و « جورج بومبيدو » رئيس الجمهورية الفرنسية .

## ●●● المجموعة الثالثة :

● كيف نعلن للعالم بدء العمليات ؟

● كيف يمكن تنظيم الإعلام الخارجي ؟

● كيف نتعامل مع المراسلين الأجانب في مصر ، وعددهم وقتها ٤١١ مراسلا ؟

## ●●● المجموعة الرابعة ( وكانت لا تزال متصلة بالخارج ) :

- كيف ندير المعركة في الأمم المتحدة ؟ وكيف ومتى نتحدث مع السكرتير العام ، كورت فالدهايم ؟
- كيف نعبئ قوى أصدقاء مصر في إفريقيا في إطار الأمم المتحدة ، وهم قوة ضخمة فيها ؟
- ما هي الجهود المساعدة التي يمكن أن تقوم بها في العالم العربي وخارجه لخدمة المعركة ؟

## ●●● المجموعة الخامسة ( وقد انتقل الرئيس « السادات » فيها إلى أسئلة متعلقة بالداخل ) :

- كيف يمكن إخطار المؤسسات الرسمية والشعبية ببدء العمليات ؟
- كيف يمكن ضبط نفمة الإعلام في الداخل ؟
- كيف يمكن أن نظل في الداخل على اتصال وثيق بصورة ما يقال في الخارج عن الحرب ؟

وانتمت المناقشة وامتدت من قرابة الساعة الحادية عشرة صباحا حتى الساعة الرابعة إلا ثلثا بعد الظهر .

وانتقل الحديث معه على إجابات لأسئلته :

- بالنسبة للمجموعة الأولى يصعب التوصل الآن إلى إجابات محددة ، وما يمكن التوصل إليه هو مجرد خطوط إرشاد guide lines - تلك أن المسائل هنا مطلقة لا بوجود الحشود نفسها ، ولكن بترجمة نوايا هذه الحشود في يوم معين ، وبالتالي فلا بد من ترك هذه الإجابة إلى توقيت السؤال على أساس ضوابط حاكمة :
- إنه لا يمكن تأجيل بدء العمليات عن الموعد الذي يتقرر .
- إنه لا يمكن الاستجابة لضغوط دولية تعوق ضرورة العمل .
- إنه لا يمكن ترك سوريا وحدها إذا قررت إسرائيل مهاجمتها .

وبالنسبة للاتحاد السوفيتي فإنه سوف يحسن بواقع وجود خبراته في القوات المسلحة المصرية والسورية . وعلى أي حال فمن الضروري إخطاره مسبقا دون ساعة أو تاريخ بالتحديد - تلك لأن إمداده لنا بالسلاح قد يصبح ضرورة عاجلة من ضرورات المعركة خصوصا بالنسبة لبعض المعدات والذخائر . وأيضا لأن الحرب سوف تدخل دون جدال في علاقته مع الولايات المتحدة ،

لا بد من إعداده لموقف حازم . ولكنه قد يكون من المستحسن أن يكون الرئيس ، حافظ الأسد ، هو الذي يقوم بالإخطار لأن علاقته بالسوفيت ، سالكة ، أكثر - ثم ينبع ذلك خطاباً مخصصاً منه (من الرئيس ، السادات ،) إلى الزعيم السوفيتي ، ليونيد بريجنيف ، يتم تسليمه في لحظة فتح النار .

- وبالنسبة للولايات المتحدة فإنه من غير المتصور بالطبع حدوث أى كلام معها قبل عمليات . وبعد العمليات فلا ينبغي أن تخزن هناك هزيمة إليها ، وإنما يكون هناك استعداد دائم موقف إيجابى بقدر ما تسمح به الظروف . وفى كل الأحوال ، فهو - الرئيس - لابد أن يكون حيناً بنفسه عن هذه المسألة ، وأن يتعرض لها غيره : الدكتور ، محمود فوزى ، مثلاً - أو الدكتور محمد حسن الزيات ، وزير الخارجية . لكنه هو شخصياً لا ينبغي أن يدخل إلا والأروحية مهمة دخوله ، خصوصاً وأن المعركة - مهما كانت نتائجها - سوف تطرح واقعاً جديداً لا علاقة له ما قبله سواء كان ذلك للأحسن أو للأسوأ .

- من بين ، إخواننا العرب « - فإن الملك ، فيصل ، هو الوحيد الذى يتم إخطاره ، قتما بدون حديد اليوم أو الساعة - وذلك لأن دور الملك سوف يكون حيوياً فى استعمال البترول سلاحاً فى المعركة فى مرحلة ما من مراحل تطورها ، وكان ذلك ما تعهد به الملك صراحةً بشرط أن تطول المعركة بما يسمح بتعبئة عالمية .

( وفى تلك النقطة كان الرئيس « السادات » قاطعاً ) .

- وبالنسبة ليوغوسلافيا والهند - يتم إعداد خطابين منه بنفس المعنى إلى الرئيس « تيتو » ، إلى السيدة « اندريا غاندى » ، ويتم تسليم الخطابين لسفيرى بلديهما فى القاهرة مع بدء المعارك .

- بالنسبة لبريطانيا وألمانيا وفرنسا - يتم إعداد ثلاثة خطابات منه بنفس المعنى إلى « الدوارد ميت » ، و « ويلي برانت » ، و « جورج بومبيو » - وتسلم هذه الخطابات الثلاثة لهؤلاء هذه الدول فى ظرف ساعة من بدء المعارك .

- بالنسبة للدول الإفريقية - يتم إعداد خطاب شخصى يرسل لكل زعماء إفريقيا ، يتضمن عرضاً سريعاً لأزمة الشرق الأوسط ، واستحالة الحل السلمى ، واضطرار مصر إلى العمل لتحريض زعماء إفريقيا محتلة .

- بالنسبة لإعلان بدء العمليات ، كان الرئيس « السادات » ، ميلاً فى البداية إلى إعلان حماسى مؤثر ، ثم غير رأيه لصالح بيان يذاع بعد بدء العمليات يعلن حدوث انتفاك على الجبهة تطور ، اتسع ، ولا يزال دائراً ، وذلك حتى يتضح مسار العمليات ، مع تكثيف السفير « أنرف غريبال » ( وكان قد عين مستشاراً صحفياً للرئيس ) بالتوصل إلى صيغة لهذا البيان مع ، محمد حسنين هيكل . .

- بالنسبة للعمل فى الأمم المتحدة ، ناقش الرئيس احتمال سفر الدكتور ، محمود فوزى ،

إلى نيويورك ليقود المعركة الدبلوماسية ، ثم استقر فى النهاية على أن يتركها لوزير الخارجية الدكتور ، محمد حسن الزيات ، الذى سيكون هناك فعلاً لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وفى القاهرة فقد انتهى إلى تكليف السيد « اسماعيل فهمى » ، وكيل وزارة الخارجية السابق ووزير السياحة « الآن » - أن يسك بالخياط فى وزارة الخارجية .

وأما بالنسبة للدكتور ، محمود فوزى « فإنه يفضل أن يجده على مقربة منه فى القاهرة يتشاور معه فى كل وقت ( وقد « تفكر فى تخصيص مكتب له فى القاهرة » - كذلك قال الرئيس « السادات » ) .

كذلك فإنه يمكن على الفور تكليف غرفة عمليات للمتابعة فى وزارة الخارجية تضم بعض المختصين والشباب من عناصر الوزارة .

( وجرى طرح قائمة أسماء ضمت أحد عشر دبلوماسياً ) .

- بالنسبة للجهود المساعدة : يقوم الدكتور « مصطفى خليل » بوضع خطة لاستعمال البترول وسيلة ضغط فى المعركة - حتى تستطيع مصر تقديم مقترحات محددة للملك « فيصل » ، إذا جاءت اللحظة المناسبة .

وفى نفس الوقت : يقوم الدكتور « عزيز صدقى » ، بصلاته مع اتحادات العمال العربية - بحكم مسئوليتيه عن الصناعة فى مصر لأكثر من خمس عشرة سنة - بإعداد مقترحات لما يمكن عمله إزاء المصالح الغربية فى المنطقة - فى حالة ما إذا تعذر استعمال سلاح البترول ، أو طرأت ظروف تدعو إلى تهديد المصالح الغربية<sup>(٨)</sup> .

- بالنسبة لمتابعة العمل الداخلى : فإن الدكتور « عبد القادر حاتم » ، القائم بأعمال رئيس الوزراء ، يستطيع أن يستعين برجال مثل الدكتور « عزيز صدقى » ، والمهندس « سيد مرعى » ، والدكتور « حافظ غانم » .

وبالنسبة للدفاع المدنى : فمن المستحسن أن يعهد به إلى شخصية ذات مكانة كبيرة مثل السيد « حسين الشافعى » ، ويعاونه السيد « ممدوح سالم » ، وزير الداخلية ، والمهندس « زكى قناوى » ، فيما يتعلق بسلامة منشآت الرى .

- بالنسبة لإخطار المؤسسات الرسمية والشعبية : فسوف تعرف كلها فى الحال بما يقع فور وقوعه ، ثم إن الكل معباً ومهيأ . وفى يوم ملاتم ، وحسب مسار المعركة . يستطيع الرئيس « السادات » أن يتحدث إما من التلفزيون والإذاعة مباشرة للجميع ، وإما من على منبر اللجنة المركزية لاتحاد الاشتراكي ، أو من على منبر مجلس الأمة ، أو فى اجتماع مشترك بين المؤسسات .

( ٨ ) لم تنشأ حاجة إلى ذلك فيما بعد .

وقال بسرعة : « فُتق في حافظ (يقصد الرئيس « حافظ الأسد » ) .. حافظ شيء آخر مختلف عن الآخرين » .

وأبدى « هيكل » ملاحظة تحمل معنى التخوف من روايب تجارب قديمة ، مع الضباط البغبيين السوريين ، .

ورد الرئيس « السادات » بسرعة : « لا ... لا ... لا ... حافظ شيء آخر » (١٠) .



وتسارعت التطورات .

ويوم ٢٠ سبتمبر ١٩٧٣ بحث الفريق أول « أحمد اسماعيل على » إلى نظيره السوري اللواء « مصطفى طلاس » رسالة شغرية وردت فيها كلمة « بدر » - وهي الاسم الرمزي للعملية - وكان ذلك أمراً إنذارياً بالاستعداد يبدأ منه العد التنازلي نحو يوم « ي » ( اليوم الذي تحدد لبدء العمليات ، وهو ٦ أكتوبر ) .

ومساء يوم ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ كان « محمد حسنين هيكل » على موعد مع الرئيس « السادات » في « استراحة » برج العرب » ، وقد وصل إليها فعرّف أن الرئيس « السادات » في الكابينة المبنية على طرف الشاطئ ، وتوجه إليها ، وهناك التقى بضيف كان مع الرئيس قبله ، وهو « دافيد روكفلر » رئيس مجلس إدارة بنك « تشيز مانهاتن » في ذلك الوقت ، وكان « دافيد روكفلر » قائداً برسالة من الرئيس « نيكسون » يطلب فيها من الرئيس « السادات » أن يغطي فرصة لتجربة الحل الجزئي على أساس فتح قناة السويس ، وبعدها فإن الأمور سوف تكتسب قوة دفع ذاتية (١١) .

وبعد خروج « دافيد روكفلر » توجه الرئيس « السادات » ومعه « هيكل » إلى شرفة الاستراحة المطلّة على البحر ، وكانت ساعة الغروب لوحة من جلال الطبيعة تدّخل فيها الأحمر

(١٠) فيما بعد رويت هذا الجزء من الحوار للرئيس « حافظ الأسد » ، وكان ذلك سنة ١٩٧٥ وفي معرض شكوى الرئيس « الأسد » من أن الرئيس « السادات » يتصرف في كل شيء دون إخطاره ، بما يؤثر على مستقبل القضية ، - وقد قلت له في محاولة لتطفيف الأجواء بين الرجلين - أن فكرة الرئيس « السادات » فيه كاملة . ثم حدثت بما أبيتته ذات مرة من مخاوف على ضوء تجارب سابقة ، وقال الرئيس « الأسد » وكانت ردة فعله التلقائية قوله : « الصبي ... هيكل قلت له ؟ ، وردت معترفاً ، بلّثني في الحقيقة قلت ذلك ! - وضحك الرئيس « حافظ الأسد » ، وكان حله أكثر حكمة من سوء ظن صلي مصري - وإن كانت شكواه من الرئيس « السادات » لم تنته ، وقد أضاف إليها أنه ، وتلكي من الأخ أنور أحيانا رسائل مكتوبة بطريقة لا تصح بينهما . ثم أضاف : عندما نتقابل نتصارح كأصدقاء ، ولكن أن تكتب أشياء مثلاً يكتب أحيانا وعلى « الآلة الطابعة » - فهذا معناه أننا ندخل السكرتارية في مستوى علاقاتنا الشخصية ، وهو ما أعترض عليه . (١١) شرح لي « دافيد روكفلر » مضمون الرسالة بعد ذلك في موعد اتفقا عليه أمام الرئيس « السادات » ، ليكون غداء اليوم التالي في مبنى « الأهرام » بالقاهرة .

العاني مع الرمادي القائم على تكوينات مهيبة من السحب العابرة فوق بحر داكن ينزل عليه الطلام ببطء .

ورعلق الرئيس « السادات » بسرعة على روعة جمال الطبيعة ، ثم عاد إلى أزمة اختياره الإنساني قائلاً : « إن القرار بالنسبة لكم جميعاً تعامل مع الأفكار والتقدير والاحتمالات - ، أما بالنسبة لي فإن القرار تعامل مع الحياة والموت » .

وراج يتدفق ، ووردت على لسانه جملة عكست ما كان يدور في أعماقه :

- « ليس من حق أحد أن يلومني مهما كانت النتائج . قرار الحرب هو ما كانت البلد تريد ، وما لم يكن منه على أي حال مفر ... ولست أعرف كيف سيأخذ الناس حجم خسائرهم في القتال - لكن أحداً لا يحق له أن يوجه إلي بلوم أو نقد - كان هذا ما فرضته الظروف ويفرضه الواجب ، قد أنبئه ، وأما ما يحدث بعد ذلك ... » .

وتوقف عن الكلام ...

ثم انتقل فجأة إلى الموضوع الذي كان يلح عليه ، وهو أن « أحمد ( يقصد الفريق أول أحمد اسماعيل ) يطلب توجيهها سياسياً مكتوباً يتضمن الأمر بالبدء في القتال ويحدد هدف العمليات . وبعد مناقشة في الخطوط طلب الرئيس « السادات » من « محمد حسنين هيكل » أن يقوم على كتابة هذا التوجيه الصادر منه إلى القائد العام للقوات المسلحة (١٢) .

وتمت كتابة التوجيه السياسي المتضمن أمر القتال ، ووافق عليه الرئيس « السادات » ، ووقعه وبعث به إلى الفريق « أحمد اسماعيل » ، لكن وزير الحربية طلب أمراً محدداً بكسر وقف إطلاق النار ، وذلك لتغطية المسؤولية السياسية بطريقة فاطمة تحمل صيغة الأمر المباشر ولو في سطر واحد .

وكان له ما أراد .

كان التوجيه الاستراتيجي الأول بحمل العبارات التالية :

.....  
.....

(١٢) من حسن الحظ أنشئ ثكوت هذه الواقعة في التحقيق الذي أجراه المدعي الاشتراكي معي سنة ١٩٧٨ ، وكان ذلك في حياة وتحت سلطة الرئيس « أنور السادات » ، وحين سألني المدعي الاشتراكي « وهو الأستاذ « أنور حبيب » ، وقتها ، دليلاً على ذلك قلت له إن أسلوب أي كاتب هو دليله على ما فعل وما لم يفعل ، وعلى أي حال فإنه يستطيع سؤال رئيس الجمهورية . وكان التحقيق معي على أساس تهمة ضمن تهم أخرى - ترى أنشئ كنت بما أكتب أريد الروح المعنوية وأضع روحاً إنشائية . وقد نشرت وقائع التحقيق معي كلها في كتاب ، وكان ذلك أيضاً أثناء حياة وسلطة الرئيس « السادات » ، - ولقد نشر الرئيس « السادات » هذا التوجيه الذي يلخص بنفسه عن شخصية كاتبه في مذكراته التي صدرت بعنوان « البعث عن ذنابات » .

ثالثاً - عن استراتيجية مصر في هذه المرحلة  
إن الهدف الاستراتيجي الذي أتخذته المسئولية السياسية في إعطائه للقوات المسلحة المصرية .. وعلى أساس كل ما سمعت وعرفت من أوضاع الاستعداد بملخص فيما يلي :

تحتي نظرية الأمن الإسرائيلي ، وذلك عن طريق عمل عسكري ، حسب إمكانيات القوات المسلحة (١٧) يكون هدفه إحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو وإقناعه أن مواصلة احتلاله لأراضيها يضر عليه شئنا لا يستطيع دفعه .. وبالتالي فإن نظريته في الأمن - على أساس التخويف النفسي والسياسي والعسكري - ليس درعا من الغولاد يحميه الآن أو في المستقبل .

وإذا استنفنا بنجاح أن نتحدى نظرية الأمن الإسرائيلي ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى نتائج محققة في المدى القريب وفي المدى البعيد .

في المدى القريب : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلي يمكن أن يصل بنا إلى نتائج محققة تجعل في الإمكان أن نصل إلى حل مشرف لإزمة الشرق الأوسط .

وفي المدى البعيد : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلي يمكن أن يحدث متغيرات تؤدي بالتركم إلى تغيير أساسي في فكر العدو ونفسيته ونزعاته العدوانية .

رابعاً - عن التوقيت  
إن الوقت من الآن ، ومن وجهة نظر سياسية ، ملائم كل الملائمة لمثل هذا العمل الذي أشرت إليه في ثالثاً من هذا التوجيه .

إن أوضاع الجبهة الداخلية وأوضاع الجبهة العربية العامة بما في ذلك التنسيق الدقيق مع الجبهة الشمالية ، وأوضاع المسرح الدولي تعطينا من الآن فرصة مناسبة للبدء .  
ومع العزلة الدولية للعدو .. ومع الجو الذي يسود عنده نزاعات الانتخابات الحزبية وصراعات الشخصيات - فإن احتمالات الفرصة المناسبة تصبح أحسن أمالنا .

القاهرة ٥ رمضان ١٣٩٣  
أول أكتوبر ١٩٧٣  
رئيس الجمهورية  
أنور السادات ،

وكان الأمر المباشر اللاحق على النحو التالي :

توجيه استراتيجي من رئيس الجمهورية (\*)  
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

إلى : الفريق أول أحمد اسماعيل على  
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة

١ - بناء على التوجيه السياسي العسكري الصادر لكم مني في أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على (١٣) أضافها الرئيس ، السادات ، بخط يده إلى النص الأصلي . وتوجد في ملحق صور الوثائق صورة للجزء المضاع بخط الرئيس ، السادات ، ، وكذلك صورة للملحة الأخيرة ، وهما ما تحت رقم (٤٧) - على صلحة (٧٨٤) من الكتاب . (٥) لم يكتب هذا الأمر المباشر للفريق ، أحمد اسماعيل ، على الآلة الكاتبة ، وإنما تمت كتابته بخط اليد في مكتب القائد العام ، وقد وقعه الرئيس ، السادات ، ونشر صورة منه في كتابه ، البحث عن الذات .

الظروف المحيطة بالموقف السياسي والاستراتيجي : قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية الاتية :

أ - إزالة الجهود العسكرية الحالي بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ب - تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة في الأفراد والأسلحة والمعدات .

ج - العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات وقدرات القوات المسلحة .

٢ - تتلذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية .

٩ رمضان ١٣٩٣ هـ  
٥ أكتوبر ١٩٧٣ م  
أنور السادات  
رئيس الجمهورية ،

ويوم ٢ أكتوبر - قيل يوم « ي » بأربعة أيام - والعد التنازلي يقترب لحظة بعد لحظة من اليوم المشهود - طار الفريق « أحمد اسماعيل على » ، إلى دمشق للاتفاق على ساعة الصفر .

كانت ساعة الصفر هي المسألة الوحيدة المعلقة والمؤجلة للحسم حتى آخر لحظة ، وكانت موضع خلاف بين الجبهتين .

الجيش السوري يريد أن يبدأ مع أول ضوء لأن الشمس سوف تكون في وجه مدرعات العدو مع اندفاع المدرعات السورية إلى هضبة الجولان .

والجيش المصري كان يريد أن يبدأ مع آخر ضوء ليستغل القمر الصاعد مع تقدم الليل - ١٠ رمضان - في إقامة جسور العبور على قناة السويس . ويعدّها قتال ليلى يتحرك بسرعة لتفريق النقط الحصينة على خط بارليف .

وانتهت المناقشات في حضور الرئيس « الأسد » إلى موعد آخر لا يتوقع أحد فيه أن تبدأ العمليات ، في شهر الصوم ، وفي يوم عيد الغفران في إسرائيل - وهو الساعة الثانية بعد الظهر في وضوح النهار ، وأثناء الصوم ، وفي غمرة صلوات يوم الغفران !

٣

يوم ٢ أكتوبر كان قرار الحرب حقيقة واقعة خارجة عن إرادة صاحب القرار نفسه ، لأن الوحدات البحرية - المدمرات التي ستقوم بغرض الحصار على باب المندب - والغواصات التي تتلذ لتتخذ مواقعها على مداخل عدد من الموانئ الإسرائيلية - كانت كلها قد خرجت إلى البحر على الطريق إلى تنفيذ مهامها المقررة لها في الخطة . ولما كانت هذه الوحدات البحرية سوف تلزم بصمت لاسلكي كامل يعزلها تماماً عن قيادتها . فقد كان معنى ذلك أنه لا وسيلة للاتصال بها إلا بعد أن تؤدي مهامها الأولى طبقاً للخطة .

وكان هناك سؤال ملح على الرئيس «أنور السادات» وهو : متى يمكن أن تشعر إسرائيل بما يجري على الجبهة المصرية أو على الجبهة السورية ، ومن ثم تعرف أن هناك هجوما على وشك أن ينطلق ؟

وفي اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر ، كان هذا هو الموضوع الذي أراد الرئيس أن يتحدث فيه على انفراد مع الفريق «سعد الدين الشاذلي» رئيس هيئة أركان الحرب . وكان رد «الشاذلي» :

«إنهم حتى الآن ، وفيما هو ظاهر من كل التحركات على الخطوط ، وفيما هو واضح من كل الرسائل المنطلقة من قيادة القوات الإسرائيلية في سيناء - لم يعرفوا» (١٤) .

• وإذا ظلوا لا يعرفون في الثمانية والأربعين ساعة القادمة - فإنه لن يعود مهما جدا أن يعرفوا أو لا يعرفوا ، لأن معنى ذلك أنه لم يتبق أمامهم غير ثمانية وأربعين ساعة أخرى - وبالتالي فإن الفرصة تكون فاتتهم لإجراء تعبئة عامة ودفع القوات إلى الجبهة .

• إنه من الأفضل ألا يعرفوا حتى آخر لحظة ، حتى لا ينجأوا إلى استعمال الطيران بسرعة لغرضية إجهاض ، وعلى أي حال فإنه على فرض أن ذلك حدث ، فإن «خططنا» ستضئ في طريقها المرسوم . . .

وكان طلب الرئيس «السادات» ، من «سعد الدين الشاذلي» : أن يخطره على الفور إذا بدت من التحركات أو الإشارات بادرة تثل على «أنهم عرفوا شيئا» .

ومن الغريب أن الإسرائيليين كانوا يعرفوا ، وكانت الشواهد أمامهم ، ولكنهم أعرضوا عنها بسبب سيادة مفهوم استراتيجي تملكهم وسيطر بالكامل على أفكارهم ، وهو : أن مصر لن تحارب لأنها تعرف حجم تفوق الجيش الإسرائيلي - ثم إن الرئيس «السادات» لن يصدر قرار الحرب لأنه يعرف مخاطره على رئاسته شخصيا !

وكانت أهم الشواهد التي تبنت أمام إسرائيل ، وفشلت في ترجمة ما تعنيه - شاهدان :

□ أولهما - أن الاتحاد السوفيتي الذي أبلغه الرئيس «حافظ الأسد» ، بواسطة السفير السوفيتي في دمشق «محيي الدينوف» - قرر بغير مناسبة إخلاء عافلات المستشارين السوفيت الذين كانوا مازالوا يعملون في مصر وفي سوريا ، وقد لفت وصول مجموعة من إحدى عشرة طائفة ركاب ضخمة من طائرات شركة «ايروفلوت» إلى مطار القاهرة ومطار دمشق أنظار كثيرين ، ورصد الإسرائيليين هذا الوصول وفهموا غايته ، لكن تفسيرهم له جرى على أنه «حلقة من حلقات سوء التفاهم بين العرب وأصدقائهم السوفيت» . وقد ساعدتهم على الوصول إلى هذا الاستنتاج

(١٤) لا أنوى الحديث عن كيفية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية ، وحتى التكتيكية ، فقد تعرضت لذلك في كتاب «الطريق إلى رمضان» ، وكذلك تعرض له بالتفصيل عدد من كبار القادة الذين وضعوا الخطط بأنفسهم ، وكتبوا قصة تجاربهم ، وبينهم الفريق «أحمد اسماعيل» نفسه ، والفريق «سعد الشاذلي» ، واللواء «محمد عبد الفتاح الجيسى» .

موريلانه لو كان الأمر أمر قتال وشيك ، لكان السوفيت أكثر حرصا على أصدقائهم العرب - من أن يقتلوا على مثل هذا العمل الأخرى !

□ والشاهد الثاني - أن مسئولا في مجلس إدارة شركة مصر للطيران - وكان صاحبها كبير اسباط في القوات الجوية - أحس بواقع ما يجري في المطارات أن هناك شيئا محتملا . وخاف الرجل - بعد أن تشاور في الأمر مع وزير الطيران - علي أسطول طائرات شركته ، فأصدر أمرا إلى الطائرات المسافرة أن تقضي ليلاتها ابتداء من الآن في عواصم الدول الأجنبية التي سالت وجودها فيها ، وكان توقعه بالطبع أن تنشب العمليات في آخر ضوء أو في أول ضوء ، (في لحالتين فإنه يستطيع صيانة طائراته من الصربات الجوية الأولى ، وسوف تكون موجهة بالطبع إلى المطارات .

وحين أبلغ الرئيس «السادات» ، بما كان يجري وهو في بيته في الجزيرة ينتظر بقلق عميق مرور الساعات والدقائق - راح يضرب كفا على كف ويستمطر اللعنات ، والدعوات ضد «أباه وأمه» ، كثيرين في موسكو وفي القاهرة .

ولم يعد إليه شيء من الاطمئنان إلا بعد أن اتصل مساء ٣ أكتوبر بالفريق «سعد الشاذلي» ليلأمره :  
- «هيه ... م ..... ؟ ؟ ؟»

ويرد «سعد الشاذلي» :

- ليس هناك شيء يدل أو يشير .. !  
ويقول الرئيس : «الحمد لله ... أولاد الـ ... نشقوا دمي» !

ثم يلتفت إلى «محمد حسين هيكل» الذي كان جالسا معه في غرفة مكتبه الصغيرة في بيته في البيرة ، ويبدى استغرابه قائلا :

- «الله ؟ هم جرى لهم إيه ؟ لسه نايمين في العسل باين عليهم ؟»  
ثم يخشى أن يتقاطل بأكثر من اللازم ، أو يحصد نفسه على حظه ، فيستدرك قائلا :  
- «واللا ... راقين لى في المرة ... ؟ ؟»  
(ي قصد اختفاء المسلحين في صعيد مصر داخل حقول الذرة أو القصب في انتظار عود يترمون به .)

كان تحت ضغط الموقف سخيا في توزيع الأوصاف والأنساب على كل البشر ! □



ومن حسن الحظ أن المصادفات البحتة أتمت إلى الرئيس ، السادات ، هبة لم تكن على بال أحد ، وكان من نتيجتها أن اهتمام القيادة الإسرائيلية تحول بالكامل عن الشرق الأوسط إلى أوروبا . ذلك أن مجموعة من الدبلوماسيين الفلسطينيين أرادوا أن يلتقوا النظر إلى وجود معسكرات في النمسا تقوم باستقبال اللاجئين اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية - إلى إسرائيل ، وترتب لإيوائهم وتأهيلهم حتى يستعدوا للسفر إلى الأرض الموعودة . وهكذا فإنهم في أول أكتوبر قاموا بالاستيلاء على قطار نمساوي يحمل جماعات من المهاجرين اليهود ، ثم أعلنوا طلباتهم ولمخضها أنهم لن يفرجوا عن القطار وركابه إلا مقابل وعد من الحكومة النمساوية بإغلاق المعسكرات الموجودة على أراضيها . وبالفعل فإن المستشار النمساوي ، برونو كرايسكي ، استجاب للطلب ، وأصدرت حكومته قرارا بإغلاق معسكرات استقبال وتأهيل يهود أوروبا الشرقية استعدادا لسفرهم إلى إسرائيل .

وكانت الهجرة - ولا تزال - أهم هدف من أهداف إسرائيل الاستراتيجية ، وهكذا فإن رئيسة وزراء إسرائيل ، جولدا مائير ، اعتبرت قرار الحكومة النمساوية ضربة في الصميم ، وقررت أن تطير بنفسها إلى فيينا وتقابل صديقها القديم - في الدولية الاشتراكية - ، برونو كرايسكي ، ، وتقمعه برجوع حكومته عن قرارها بإغلاق المعسكرات اليهودية في النمسا .

وقرر الرئيس ، السادات ، أن يوازن حركة ضغط جولدا مائير ، على كرايسكي ، بخطوة مضادة ، وهي أن يبعث برسول يمثلته إلى كرايسكي ، يشرح له وجهة النظر العربية حتى لا تتضلل جولدا مائير ، .. وحتى يتوازي ضغط عربي مع الضغط الإسرائيلي . وفي كل الأحوال فهي فرصة لفت الأنظار بعيدا عن المسرح الحقيقي الذي يوشك الستار أن يرتفع عن مشاهدته ، ووقائمه .

وكان اختيار مبعوث يحمل رسالة من السادات ، إلى كرايسكي ، أمرا لا يحتاج إلى اجتهد ، ذلك أن السيد ، اسماعيل فهمي ، كان إلى وقت قريب سفيرا لمصر في النمسا ، وهو يعرف المستشار النمساوي جيدا .

وطار ، اسماعيل فهمي ، إلى فيينا يحمل خطابا من السادات ، إلى كرايسكي ، يقول فيه :

، أنتي أبعث إليكم بتفكيرى للقرار الإنسانى الذى اتخذته حكومة النمسا تحت رئاستكم والذى كان من نتيجته عدم تعرض أرواح بريئة للخطر . إن هذا القرار يتم عن شهاعة وحكمة ، وهو دليل على أن حكومة النمسا ترفض الاستمرار فى استخدام أراضيها بأسلوب غير عادى لم يقلبه دولة أوروبية أخرى . وأكثر من ذلك فإننا نعتبر قرار حكومتكم بإلغاء مركز تجميع المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى إلى إسرائيل فى تلك المرحلة قرارا عادلا فى الوقت المناسب ، ولهذا اعتبره مساهمة إيجابية من جانب حكومتكم لوقف مزيد من التهور فى الشرق الأوسط .

ثم قال الرئيس ، السادات ، فى خطابه إلى كرايسكي :

، ولا يغبى عن تصورى بالرغم من عدالة موقفكم وما تحلى به من شهاعة وموضوعية ،

ما هو حادث الآن من أساليب الضغط المادى والنفس الذى مارسته ولا تزال تمارسه بعض الدول لحسم على الوصول عن هذا القرار الحكيم ، (١٥) .  
والتي ، اسماعيل فهمي ، مع كرايسكي ، يوم ٤ أكتوبر فى فيينا ، ثم بعث إلى الرئيس السادات ، بأول برقية عن مقابله للمستشار النمساوي .

، وزارة الخارجية

إدارة الرمز

من : فيينا - رقم ٦٨١٠ (١٥)

إلى السيد الرئيس

قابلنى المستشار كرايسكى اليوم بعد ساعتين من الوصول ، وأوفد بالمطار سفيرين من مكتبه لإستقبلى ، ودامت المقابلة ساعة و ٥٥ دقيقة . وكانت ونية الغاية وصريحة . شرح كيفية صدور قرار الحكومة النمساوية الخاص بإغلاق معسكر تجميع المهاجرين اليهود السوفيت ذاكرا :

١ - أن الفكرة كانت فكرته . والقرار قرار الحكومة النمساوية . وكان الدافع الأساسى لإخفاذه له جانبين :

الأول هو ما تحدث عنه السيد الرئيس فى رسالته من تجنب وقوع ضحايا ، وبذلك أمكن إنقاذ حياة ثلاثة يهود واثنين عرب ونمساويا .

والثانى هو المحافظة على أمن النمسا عن طريق إيقاف الإجراءات غير العادية التى كانت سارية بخصوص المهاجرين السوفيت .

.....  
.....

٢ - ذكر كرايسكى أن قرار النمسا بإخراج المعسكر قرار لا رجعة فيه برغم الضغوط والمهستيريا التى ترتبت عليه سواء من إسرائيل أو أمريكا أو غيرها .

.....  
.....

٣ - أضاف أنه والحكومة النمساوية اتخذوا القرار بالرغم مما كانوا يتوقعون من نقد كبير غير عادل ، إذ يمكن أن ينكر البعض أنه بهذا القرار يشجع على الإرهاب .

.....  
.....

٦ - وقد تلقى كرايسكى خلال حديثنا تصريح نيكسون الذى يطالبه فيه بإعادة النظر فى قراره والرجوع عنه . وكان تطبيقه عليه ( أنتي لست أفردى ماذا يريد هذا الرجل منى ، فإن قرارى سوف يبقى بدون تغيير ) .

(١٥) خطاب الرئيس ، السادات ، إلى كرايسكى ، ومجموعة برقيات ، اسماعيل فهمي ، من فيينا محفوظة لدى ملك خاص بمكتب والد الخارجية .

(١٦) توجد صورة الأولى من برقية السيد ، اسماعيل فهمي ، فى ملحق صورة الوثائق تحت رقم ( ٤٨ ) - وهى مشفرة على صفحة ٧٨٥ من الكتاب .

٧ - نكر كرايسكى أن مقابلته لجولدا مائير كانت مثيرة . وقد وجدها كعانتها امرأة متصلة وتتمسك بنظيرتها الخاصة بمسؤولية إسرائيل عن المهاجرين اليهود في العالم - وهي نظرية يختلف هو معها وأساسا منذ مدة طويلة . وقد أبدى دهشته حين ذكرت له وأكد ذلك وزير الداخلية الذي حضر الاجتماع أن جولدا مائير أخذت معها تسعين لاجئا في الطائرة التي أقلتها إلى إسرائيل .

.....  
.....

١٠ - تحدث عن الوضع في إسرائيل ذاكرا بأنه لا يعتقد إمكان حدوث أى تحرك ( في أزمة الشرق الأوسط ) قبل الانتخابات الإسرائيلية ، وأن الصراع هناك شديد . ولا يعرف بالرغم من صفته بهم جميعا ماذا يريدون ، وماذا يستطيعون أن يفعلوا . فهناك جولدا مائير وسوف تنتخب . وستبقى إلى فترة يتم فيها إيجاد توازن مع ديان . وقد يحل محلها آلون أو سابير . وعن ديان نكر كرايسكى أنه يختلف مع ناهوم جولدمان في الرأي فيه . ويرى جولدمان أن ديان يعتبر الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يوقع الجماهير في إسرائيل بالوصول إلى اتفاق مع الدول العربية . ووصف ديان بأنه رجل لا يؤمن بشيء وليس له لون أو مبدأ ، وإن كانت له شعبية كبيرة ، ولكن تلقصه الحقنة السياسية .  
أنك فهو يحتاج دائما إلى نصيحة جولدمان ويسمع إليه ويتأثر به . .

□

ومساء يوم الجمعة ٥ أكتوبر كان الرئيس « أنور السادات » برأس اجتماعا أخيرا للقيادة العسكرية في مقر العمليات ، وهو المركز رقم ( ١٠ ) ، على طريق القاهرة - السويس ، وهو مركز كان وجوده في ذلك الوقت سرا من الأسرار ، لأنه أصبح بمثابة مركز الأعصاب للقوات المسلحة المصرية في لحظة امتحان رهيب للأعصاب والمقدرات .

وكان الفريق « الشاذلي » قد قام صباح نفس اليوم بزيارة لمواقع الجيش في الجبهة ، وقد سجل صورة مشجعة - وكان أهم ما فيها بالنسبة للرئيس « السادات » : « أنه لا يبدو من تصرفات العدو أن لديه علما باحتمال حدوث شيء ! » ، وكان الرئيس « السادات » ، ما زال يظهر استغرابه - لكن استغرابه هذه المرة لم يكن مشوبا بقلق وإنما برضا !

وقد قام الرئيس « السادات » بإخطار القيادة العسكرية بـ « المعنى على خبرة الله » . ثم أبلغهم عزمه على عدة نقط :

١ - إنه هو شخصيا سوف يحضر معهم غدا مراحل العملية الأولى ليطمئن على نجاحها . ثم إنه بعد ذلك سوف يتركهم « ليشوقوا شغلهم » - وفق خططهم وعلى أساس علمهم - وأنا هو نفسه لن يتدخل في مجرى العمليات .

٢ - إنه ليس لهم أن يتوقعوا تكرار المثل ما حدث من قبل خصوصا في معركة سنة ١٩٤٨ من ناحية الاستجابة لقرارات بوقف إطلاق النار قبل الأوان - تمنعها عودة إلى إطلاق النار ، ثم هدنة ، وهكذا ...

إن هذه الصورة لن تتكرر ولن تكون هناك « هدنات » من أى نوع .

٣ - إنه مع إدراكه لأهمية أن يتوكل العمل الدبلوماسي مع العمل العسكري - إلا أنه مؤمن بأنه لا يمكن قبول أى مبادرة دبلوماسية - إلا بعد أن يكون العمل العسكري قد وصل إلى حد يسمح بإزالة آثار العدوان كاملة عن التراب المصري والتراب السوري .

٤ - إن القوات المسلحة بجهداتها وتضحياتها خلال الأيام المقبلة هي التي ستعطيه الأرضية السياسية التي يستطيع أن يتحرك عليها لإزالة آثار العدوان بالكامل - وإعادة بناء مصر من جديد .

وخرج الرئيس « السادات » من مبنى القيادة متوجها إلى قصر الطاهرة الذي اختاره مقرا لقيادته في حرب أكتوبر ، وأمر بإقامة تسهيلات قيادة فيه يشرف عليها مدير مكتبه العسكري العقيد « عبد الرؤوف رضا » - كما أن المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية كان عليه إدارة حركة الاتصالات السياسية والعسكرية ، وتسجيل وقائع يوميات الحرب بنفسه .

وفي تلك الليلة كان النوم عصيا على الرئيس « السادات » . وقد تناول مهبطا حتى يستطيع أن ينفو ولو لساعات لأن « أماننا في القد يوم رهيب ... رهيب » - وكان ذلك تعبيره !

## الفصل الثالث

### المخافة الكاملة

١

استيقظ الرئيس « السادات » من نومه صباح يوم ٦ أكتوبر في الساعة السابعة والربع . وكان أول ما فعله أن مد يده إلى سماعة التليفون واتصل بالعقيد « عبد الرؤوف رضا » مدير مكتبه للشئون العسكرية في ذلك الوقت ، وكان قد انتقل فعلا ومعه مجموعة من ضباط أركان الحرب إلى مقر مؤقت يحتل ثلاث غرف في بدروم قصر الطاهرة . وكان الرئيس « السادات » مشغولا بنفس السؤال الذي نلم به قبل ساعات : هل عرف العدو ؟

وجاءه الجواب بأن العدو قد عرف ، وهذا ظاهر من رد فعله على الجبهة . وكان هناك تقرير مختصر جاهز ، وقد أعد للرئيس حالما يستيقظ . ووصل التقرير في أقل من دقيقة إلى غرفة نوم الرئيس « السادات » ، وقد ورد فيه ما يلي :

رسالة معلومات عاجلة(\*)

مكتب الشئون العسكرية  
تقارير وبلاغات المخابرات الحربية والاستطلاع  
( سرى جدا )

عام :

- ظهرت ردود فعل للعدو بصورة واضحة حيث نشط استطلاع واستدعى الاحتياط ورسدت بعض

( \* ) توجد في ملحق صور الوثائق صورة المصلحين الأولى والثانية من تقرير مكتب الشئون العسكرية بتاريخ ٥ أكتوبر ، وهي تحمل أول إشارات إلى أن العدو عرف بإمكانية قيام حرب ، والصورة منشورة تحت رقم ( ٤٩ ) - على صفحة ٧٨٦ من الكتاب .

مظاهر التعبئة العامة - هذا مع دعم الجبهة المصرية والسورية والأردنية بالقوات ووسائل الدفاع الجوي والقوات الجوية . ومن المنتظر أن يتم العدو استدعاء احتياطيه واستكمال التعبئة العامة مع يوم ٧ أكتوبر .

القوات البرية :

- رصد للعدو تجمع قوة ٢ لواء أحدهما مشاة في منطقة بنر سين .
- رصد للعدو تجمع قوة ٢ لواء غير مميز شمال ايلات .
- دعم العدو نقطة القوة في جنوب سيناء مع احتمال دعم القطاع الشمالي لجبهة القناة بلواء ( رصد لاسلكيا ) .
- جرى تشييط للداوريات والكمائن ونقط الملاحظة نهارا وليلا .

القوات البحرية :

- جرى انتشار القوات البحرية في موانئ العدو بالبحر الأبيض .
- حدث تكثيف عمليات التأمين البحري والداوريات البحرية وخاصة في منطقة خليج السويس والقطبة .
- تم دعم رادارات الإنذار البحرية وخاصة في خليج السويس .

القوات الجوية :

- تقرر وقف الطيران المدني الداخلي والخارجي في إسرائيل اعتبارا من يوم الجمعة ١٠ / ١٠ وحتى غروب يوم السبت ١٠ / ٦ .
- تم دعم مطار العليز بسيناء .
- تم اختبار مطار تعاده بسيناء .
- جرى تشييط الاستطلاع الجوي الالكتروني وبتنصوير للجبهة المصرية والسورية .

قوات الدفاع الجوي :

- تم دعم مواقع ( صواريخ ) الهوك في سيناء بعدد ٢ موقع ( إجمالى المواقع الآن ١٥ موقع ) .
- تم دعم شبكات الإنذار الجوي في سيناء .

التعليق :

- وضح من نشاطات العدو وأجراءاته المختلفة توجعا من جانبه لاحتمالات نوايا عدوانية من جانب كل من مصر وسوريا .

- من المتوقع أن يتم العدو استدعاء الاحتياط واستكمال التعبئة الشاملة قبل يوم ١٠ / ٧ . وتعتبر القوات الجوية الإسرائيلية حاليا جاهزة ومستعدة لتنفيذ مهام العمليات .

- من المنتظر أن يستمر العدو في تشييط وسائل استطلاع المختلفة لمتابعة الموقف ونشاط القوات على الجبهات العربية . . .

قرأ الرئيس « أنور السادات » التقرير ، ثم أعاد قراءته ، وتناول قلما ووضع خطا تحت لفظة الثانية من التعليق ، تحت جملة « وتعتبر القوات الجوية الإسرائيلية حاليا جاهزة ومستعدة لتنفيذ مهام العمليات » .

وهكذا ، عرف ، الرئيس ، السادات ، أن إسرائيل قد « عرفت » - وكان واضحا بالنسبة له أنه حقق سقيا على الأرض . ولكن الخطر الأكبر خلال الساعات القادمة وحتى ساعة الصفر هو الخطر الذي يمكن أن يتقضى من الجو على شكل محاولة ضربة إجهاض يقوم بها سلاح الطيران الإسرائيلي . وكان هذا الهاجس مما ثقيلنا على فكره وأعصابه - ولم يكن يعرف أن هذا الاحتمال قد استبعد ، وأن هذه الضربة الجوية الوقائية لن تقع ، لأن مجرى الحوادث - في هذه الساعات - كان يتخذ مسارا آخر في تل أبيب وفي واشنطن .

□

كان صناع القرار ( السياسى العسكري ) في إسرائيل ذلك الوقت - وطبقا للدراسة العميقة والواسعة التي قام بها الدكتور ، مايكل بريشر ،<sup>(١)</sup> - امرأة واحدة هي رئيسة الوزراء ، جولدا مائير ، ، ووراءها عشرة رجال هم :

الجنرال « موسى ديان ، وزير الدفاع - الجنرال « ييجال آلون ، نائب رئيس الوزراء وزير التعليم - الجنرال « يزارئيل جاليلى ، وزير الدولة - الجنرال « دايفيد بن اليعازر ، ( دائم ) رئيس الأركان - الجنرال « الياهو زابيرا ، مدير المخابرات العسكرية - الجنرال « ابلي شاليف ، رئيس الأبحاث والتفكيرات في المخابرات العسكرية - الجنرال « بنيامين بيليد ، قائد الطيران - الجنرال « يزارئيل تال ، نائب رئيس الأركان - الجنرال « هوفى ، مسئول القيادة الشمالية - الجنرال « مورخاى جازيت ، مدير مكتب رئيسة الوزراء .

وفي فجر ذلك اليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ - كان هؤلاء جميعا في حالة صدمة حقيقية - بدأت حينما اتصل الجنرال « شاليف ، في الساعة الثالثة صباحا بوزير الدفاع الجنرال « موسى ديان - « بواسطة تليفون مؤمن موضوع بجوار سريريه - وأيقظه من النوم ليقول له بصوت مقل ومهموم : « الآن تلقينا تأكيدا نهائيا بأن هناك هجوما مصريا سوريا على الجبهتين الجنوبية والشمالية - واقع ومؤكد في ظرف ساعات . ومصدرنا يقول إن ساعة الصفر هي آخر ضوء مساء اليوم . »

وبعد دقائق كان كل صناع القرار ( السياسى العسكري ) أمام أثقل مهمة واجهها أى منهم في حياته : ما العمل ؟

كانت التحركات العسكرية المصرية ظاهرة أمامهم ومرصودة طوال الأيام السابقة ، ولكنهم لم يستطيعوا تحليلها وتفسيرها على نحو كاف أو محدد .

وقد كانت مفاجأتهم صاعقة ، وهمومهم لا تحتمل .

□

( ١ ) استاذ بلز العلوم السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تخصص في دراسة صنع القرار في إسرائيل . وتعتبر دراسته - التي صدرت في ثلاثة أجزاء وامتنعت إلى أكثر من ٣٥٠٠ صفحة - أفضل وأقوى مرجع عن صنع القرار في إسرائيل . ولد صدر الجزء الثالث منها وهو يركز على حرب أكتوبر عن مطبعة جامعة كاليفورنيا ، ونشر سنة ١٩٨٠ .

يقول الدكتور ، مايكل بريشر ، أن أكثر ما أصاب صناع القرار الإسرائيلي فجر ٦ أكتوبر - هو أنهم ألقوا من يقين ، وهمى ، كانوا قد استسلموا له بالكامل على طول ثلاث سنوات سابقة ، ومزاده أن العرب لن يحاربوا . وكانت أسباب هذا ، اليقين الوهمى « - في تقديره - كما يلي :

١ - وفاة « جمال عبد الناصر ، وتصور إسرائيل أن أوضاع القيادة السياسية في مصر سوف تنقل منطوية لفترة طويلة .

٢ - الصدام المسلح بين الملك « حسين ، والثورة الفلسطينية سنة ١٩٧٠ ، وقد تكرر على نحو أكثر مأساوية سنة ١٩٧١ .

٣ - إعلان الرئيس « السادات ، المصحى بأن عام ١٩٧١ هو عام الحسم - دون حدوث أى شيء .

٤ - الأوضاع السياسية والاقتصادية في الاتحاد السوفيتى خلال العامين السابقين ، ورغبته الملحة في الوصول إلى نوع من الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية .

٥ - عدم استعداد سوريا للمبادرة بحرب إلا إذا تأكدت أن مصر داخلة معها . وفي أوضاع مصر كما هي ظاهرة ، فإن الامكانية - ببساطة - لم تكن موجودة .

٦ - تخلف الطيران العربى عن الطيران الإسرائيلى نوعا وكما - وإدراك إسرائيل أن العرب إن تقدموا على الحرب إلا إذا أمكن تصحيح هذا الوضع ، وذلك غير متاح .

٧ - وقد دعم هذه التقديرات كلها بطريقة نهائية قرار طرد الخبراء السوفيت من مصر في يوليو ١٩٧٢ . وقد فسر صناع القرار في إسرائيل على أنه تعبير عن نية « السادات ، بعدم الحرب .

٨ - إحساس إسرائيل المتزايد بالتفوق العسكرى من ناحية التسليح والمعدات - إلى جانب مواقع دفاعية يصعب على العرب مهاجمتها ( المانع المائى قبل خط بارليف ) .

٩ - الاعتقاد الراسخ لدى العرب في أن التأييد الأمريكى لإسرائيل قائم وكامل .

وقد لخص « بريشر ، هذا اليقين ، الوهمى ، مستشهدا بخطاب ألقاه «يجال آلون» في يونيو سنة ١٩٧٢ ، في مؤسسة « فان لير ، في القدس بتاريخ ٣ يونيو بقوله « إن العرب ليس لديهم أى خيار عسكرى على الإطلاق » . وقد أضاف « بريشر » إلى هذه الأسباب العملية ، مجموعة أخرى من العوامل السياسية والنفسية ساعدت على تغيب احتمال الحرب عن فكر صناع القرار الإسرائيلى . ومن بين هذه العوامل : التصريحات المتضاربة بين القيادات العربية ، وبالأذات بين « السادات ، و « الأسد ، و « عرفات - ، والانقسامات البادية في العلاقات السياسية بين كل القوى العربية ، بما فيها المقاومة الفلسطينية وحتى داخلها - والتخبط في تحديد من هو العدو والخصم إلى مارك قريعية مثل معركة « النمرى ، ضد الشيوعيين في السودان ، وقد أدت إلى حالة قلق في الاتحاد السوفيتى - والتوترات السياسية والاجتماعية داخل كل بلد عربى .

ثم زاد «بريشر» فوق ذلك عنصرا آخر ، وهو أن إسرائيل جملت حالة العقل الخطأى العربى ، مما جعلها تخط بين شينين : الصخب العقيم ، والإشارات الدالة . وكان تقديره أن إسرائيل لم تدرس بالقدر الكافى بعض ما نشر فى مصر<sup>(١)</sup> ، ولم تصل إلى استنتاج صحيح لهدفه الحقيقى . ولكن من ذلك عددا من الأمثلة :

إعلان «الأهرام» عن مناورات الخريف التى تقوم بها القوات المصرية والتى تنتهى يوم ٧ أكتوبر - وخبر فى الأهرام يوم ٣ أكتوبر عن فتح باب التقدم للممرة بين أفراد القوات المسلحة - وخبر فى «الأهرام» عن زيارة وزير حربىة رومانيا لمصر يوم ٨ أكتوبر ضيفا على الفريق «أحمد اسماعيل» - وخبر فى «الأهرام» يوم ٣ أكتوبر أيضا عن قرار لوزير الحربىة المصرى بشير إلى تسريح قوات الاحتياطى التى دعيت للاشتراك فى مناورات الخريف عقب انتهائها مباشرة . وقد أخذت المخابرات الإسرائيلية - فى تقدير «بريشر» - هذه الأخبار على علاتها ، وصدقت ما يقول به ظاهرها ، وأكد ذلك التصديق لديها أن مصر كانت قد أجرت مناورات فى الخريف خلال سنوات سابقة ، مما أعطى الانطباع بأن أية تحركات محتملة فى أكتوبر يمكن ردها إلى هذه المناورات السنوية .



والى جانب اليقين «الوهمى» العام - فقد كان لكل واحد من «الكبار» على قمة هرم صنع القرار فى إسرائيل - يقين «وهمى» خاص :

ف «جولدا مائير» - مثلا - كانت غارقة فى اعتقادها بأن أمن إسرائيل تجاه مصر وسوريا فى وضع مثالى . فاحتلال سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان أعطى إسرائيل من ناحية الأمن ما لم تكن تعلم به ، وهو أمن مطلق قادر ، فى تقديرها ، على فرض السلام . وكان مصدر الخطر فى رأيها هو الجبهة الشرقية - لكنها كانت تراها مخلخة وعلى نحو لا يسمح بظهور أى تحد لإسرائيل عليها . وفيما يتعلق بالجبهة الغربية - مصر - فقد استهانت بالرئيس «السادات» وانفتحت مع «كيسنجر» على أنه مجرد «بهلوان سياسى» . وكان تقديرها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية أنها مشكلة اخترعها العرب لكى يستغلها زعماءهم فى التهييج السياسى «لأن الفلسطينيين يستطيعون أن يحصلوا على أى حقوق وطنية يتصورونها لأنفسهم فى الأردن»<sup>(٢)</sup> .

وفى تلك الفترة فقد كانت المحاور الأساسية فى خطاب «مائير» العامة هى : ضرب ما تسميه الإرهاب - ورفض أى دعوة إلى إقامة كيان فلسطينى - وإنهاء الزعماء العرب باستغلال مسألة اللاجئين - والتعبير الحار عن الصداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية . ومن هنا فلن

(٢) على ، حليم هورتوج ، على ذلك فى كتابه عن حرب أكتوبر بلوله : «من سوء الحظ أن المخابرات العسكرية الإسرائيلية لم تقرأ الأهرام بالعناية الكافية فى تلك الأيام الحاسمة» .

(٣) منكرات . جولدا مائير ، بعنوان ، قصة حياتى ، The Story of my Life .

منكراتها حوت اعترافها الصريح بأنها ظلت حتى الساعات الأخيرة لا تصدق أن احتمال الحرب واراد .

ولم يكن «بيجال اللون» بعيدا عن مثل هذه التصورات ، وكان تفكيره دائما فى المشروع الذى حمل اسمه ، وهو «مشروع اللرن» - وتشير أوراقه إلى أنه حتى يوم ٣ أكتوبر كان يقر أن احتمال الحرب أقل من التقليل low than .

ولم يكن «موشى ديان» بعيدا عن مثل هذه الأوهام . ويتجلى ذلك فى تصريحات أدلى بها طوال السنة السابقة لأكتوبر ١٩٧٣ :

- فى ١٧ أغسطس ١٩٧٢ : أدلى بتصريح قال فيه «إن الهدوء يسود حولنا على جميع الجبهات . وأن خروج الخبراء السوفيت من مصر يمثل تحسنا كبيرا فى الوضع الأمنى الإسرائيلى» .

- فى ٤ سبتمبر ١٩٧٢ : أدلى بتصريح قال فيه «إن حالة اللا سلم واللا حرب لا تضائق إسرائيل . وإذا كانت تضاييق العرب فهذه مشكلتهم» .

- فى مايو ١٩٧٣ (الموعد الذى كان مقورا لعمل عسكري مصرى سورى - قبل الاستقرار نهائيا على أكتوبر) - غير «ديان» رأيه لعدة أيام دعا فيها إلى تعبئة جزئية ، وطلب إلى ضباط الجيش الإسرائيلى أن يستعدوا لاحتمال الحرب .

- لكنه مع يوليو ١٩٧٣ أدلى بحديث إلى مجلة «تايم» نشرته فى عددها الصادر يوم ٣٠ يوليو ١٩٧٣ ، قال فيه «إن السنوات العشر القادمة سوف تشهد «تجديدا» لحدود إسرائيل على الخطوط الحالية ، ولن تكون هناك حرب كبيرة بين العرب وإسرائيل» .

- وفى ١١ أغسطس ١٩٧٣ ، وفى حفل تخريج دفعة جديدة من كلية أركان الحرب - صرح «ديان» بقوله : «إن موازين القوة العسكرية فى صالحتنا ، ونحن متفوقون على كل العرب مجتمعين . ومهما كان من نوايا العرب وتوجهاتهم ، فهم غير قادرين على تجديد الأعمال العدائية لأن سيادتنا العسكرية على الموقف هى نتيجة مزودة لاعتبارين : تزايد ضعف العرب من ناحية ، وتزايد قدرتنا نحن من ناحية أخرى . وأهم ما فى الموضوع أن تزايد الضعف العربى يرجع إلى عوامل ليس فى مقدور العرب تغييرها فى المستقبل القريب» .

هكذا كانت التقديرات - «أوهام اليقين» - على المستوى العام للقيادة الإسرائيلية عموما ، لأقطابها خصوصا - تستبعد تماما احتمالات أى حرب فى خريف ١٩٧٣ .



كانت واشنطن - فى نفس الفترة - واقعة فى يقين «وهمى» مماثل :

مع شهر يوليو ١٩٧٣ كان «هنرى كيسنجر» قد حقق حلم حياته وأصبح أول يهودى يتولى

وزارة الخارجية الأمريكية ، وفي الحقيقة فقد أصبح أقوى رجل في أمريكا حينما أزاح ، ويليام روجرز ، عن وزارة الخارجية ، واحتل مقعده فيها - وظل في نفس الوقت مسيطرا على مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض ، فقد ترك هناك مساعده « برنت سكروكرافت » مشغولا عن تسيير العمل اليومي هناك . وتأكدت سيطرة « كيسنجر » حينما لم يعين « نيكسون » دبلا آخر يتولى منصب مستشار الرئيس للأمن القومي . وزاد على ذلك أن « هنري كيسنجر » اعتبر نفسه بحق : رئيسا بفضيحة « ووترجيت » - وترتب على ذلك أن « هنري كيسنجر » اعتبر نفسه بحق : رئيسا للولايات المتحدة على الأقل فيما يتعلق بالأمن القومي .

ولم يكن « هنري كيسنجر » يضع الشرق الأوسط في أولوياته ، فقد ترك أزمته في البداية لـ « ويليام روجرز » وزير الخارجية . ثم حاول أن يتناولها في محادثاته السرية مع السيد « حافظ اسماعيل » . ولم يكن جادا في محاولته . وقد اعترف بنفسه للزملاء الإسرائيليين بأنه « لعب بحافظ اسماعيل » ، وتلاعب به . وكان هدفه أن يكسب وقتا وأن يؤجل أي عمل جاد لشهر أو لسنة (٤) . (I played with him. I toyed with him.)

وبعد أن تولى « هنري كيسنجر » - أخيرا ! - وزارة الخارجية في ظروف أصبحت فيها مشكلة فيتنام وراء ظهره - فإنه بدأ يفكر جديا في تناول أزمة الشرق الأوسط ، ولكن على مهل .

وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ كان « هنري كيسنجر » في نيويورك يستعد للمشاركة في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويظهر لأول مرة في هذه الساحة الدولية الواسعة باعتباره نجم النجوم . وقد اقترح على عدد من وزراء خارجية المنطقة الذين قابلهم في الأمم المتحدة أن يبدأوا ما سماه « محاورات في الداليز » . وكان تصوره طبقا لورقة عمل أعدوها أن يبدأ باستكشاف الطريق نحو تسوية جزئية لازمة الشرق الأوسط ، وذلك عن طريق اتصالات تجري مع الوفود على هامش أعمال دورة الجمعية العامة ، ويكون « جوزيف سيسكو » هو الذي يقوم بها ، ولكن تحت إشرافه .

وقد بدأ « هنري كيسنجر » بمقابلة مع « أبا إيبان » على إفتار عمل في مقر السفير الإسرائيلي في واشنطن ، وأخبره أنه « بعد الفراغ من مرحلة المراسم الافتتاحية للجمعية العامة ، فإنه سوف يحاول مع منتصف أكتوبر ( ١٩٧٣ ) إجراء اتصالات تهدف إلى البحث عن حل ، حتى ولو كان حلا جزئيا » . كذلك قال « كيسنجر » لـ « أبا إيبان » إنه « يتوقع أن يلتقي مع الملك حسين الذي سيزور أمريكا في منتصف أكتوبر لاتقاء خطاب في الجمعية العامة » . وقد قرر أن يبدأ بالأردن ، فإذا استطاع أن يصل إلى شيء مع الأردن ، فإن مصر ستأتي . وإذا جاءت مصر فالباقيون ليس أمامهم خيار إلا أن يجنوا » .

(٤) كتاب « المحادثات السرية لهنري كيسنجر في إسرائيل » ، وقد كتبه ، ماتي جولان ، ونشر فيه نصوص محاضر اجتماعات « هنري كيسنجر » مع القادة الإسرائيليين طوال الفترة الساخنة من أزمة الشرق الأوسط . وتوجد في ملحق صور الوثائق صورة لهذه الفترة تحت رقم (٥٠) - وهي منشورة على صفحة ٧٨٨ من الكتاب .

ثم اتجه « هنري كيسنجر » إلى العرب ، فدعا عددا من وزراء الخارجية العرب الذين لم تقطع بلادهم علاقاتها مع الولايات المتحدة (بعد ١٩٦٧) - إلى المشاء . ودعا معهم الأمين العام لجامعة الدول العربية ( السيد ، محمود رياض ، في ذلك الوقت ) . وطبقا لرواية « هنري كيسنجر » ، فلن وزراء الخارجية العرب الذين قابلهم أعربوا له جميعا عن أملهم في أن يتمكن « ساهر فيتنام » من ممارسة سحره في الشرق الأوسط .

ثم انتقل « هنري كيسنجر » بعد ذلك باهتمامه إلى مصر ، فدعا الدكتور « محمد حسن الزيات » ، وزير الخارجية المصري إلى الاجتماع به ، وأبلغه ، أن أبا إيبان سوف يعود إلى نيويورك بعد انتهاء الانتخابات الإسرائيلية ، وهو ( أي هنري كيسنجر ) يأمل أن يتمكن وقتها من إجراء بعض الاتصالات لتقريب وجهات النظر . .

وحتى يوم ٤ أكتوبر - حين التقى « كيسنجر » مع « أبا إيبان » ، قبل سفر « إيبان » إلى إسرائيل - فإن « كيسنجر » قال لـ « إيبان » إنه « يرجوه أن يعود إلى نيويورك في نوفمبر » ، وهو يأمل أن يعود « الزيات » في نفس الوقت ، حتى يتسنى البدء في الاتصالات . .



وفي هذا كله لم يكن هناك من يريد أن يلتفت بدقة إلى التطورات الجارية على الأرض ، ويحاول بكفاءة أن يستخلص معانيها الكامنة :

● يوم ١٣ سبتمبر : دارت معركة جوية بين الطيران السوري والطيران الإسرائيلي . وفقدت سوريا في المعركة ١٣ طائرة من طراز « ميغ » ، مقابل طائرة واحدة من طراز « ميراج » ، فقتلها إسرائيل .

● وقد توقعت إسرائيل أن ترد سوريا على هذه الضربة ، لكن سوريا لم ترد . وقد لاحظت القيادة الإسرائيلية في المنطقة الشمالية وكذلك هيئة أركان الحرب الإسرائيلية - ذلك الامتناع السوري عن الرد . وقدرت القيادة الشمالية في تقرير لها ، أنه من المستغرب ألا ترد سوريا أو لا تحاول الرد ، ولذلك فإن التوايا السورية تستحق المتابعة . .

● نتيجة لذلك كثفت القيادة الشمالية محاولاتها للاستطلاع والتفتت على الجبهة السورية . وفي ٢٦ سبتمبر لاحظت القيادة الشمالية - ونكرت ذلك في تقريرها - « أن هناك زيادة في عدد الدبابات السورية على جبهة الجولان ، فقد ارتفع عدد الدبابات من ٧٠ دبابة إلى ١٧٧ دبابة .

● وعندما تسلمت هيئة الأركان العامة في إسرائيل تقرير القيادة الشمالية طلبت مراجعة خطة « برج الحمام » (Operation Dovecoat) وهي خطة تقتضي تثبيت الجبهة الجنوبية إذا كان هناك نشاط متوقع على الجبهة الشمالية - وترتبطا على ذلك جرى تعزيز المدرعات الإسرائيلية في خط بارليف وأصبح عددها ٢٧٦ دبابة .





والغريب أن تقدير « موسى ديان » لهذه التطورات على الجبهة السورية كان مقصوراً على « أن طبيعة النظام في سوريا تدفعه أحياناً إلى تصرفات غير محسوبة » ، ومع ذلك فقد اقترح في اجتماع لهيئة أركان الحرب يوم ٢٤ سبتمبر توجيه تحذير شديد لسوريا مصحوباً بتحريك يقوم به اللواء السابع المدرع من مواقفه في النقب إلى الجبهة في الجولان . ولكن شكوكه في احتمالات الرد السوري لم تصل إلى أكثر من توقع شن غارات بالصواريخ يقوم بها الفدائيون على المستعمرات الإسرائيلية في الجولان . وحتى يوم ٣ أكتوبر فإن تقديرات « ديان » في اجتماع لمجلس الوزراء المصغر هي أنه « ليس هناك احتمال عمل عسكري على الجبهة الجنوبية مع مصر . وعلى فرض أن ذلك حدث فإنه سوف يحدث بعيداً عن المواقع السكانية الاسرائيلية . ثم إن الضربة الإسرائيلية المضادة سوف تكون قادرة على سحقه » .

وقد لخص « ديان » تقديره النهائي للوضع على الجبهة بقوله « إنه لا يرى خطراً على الجبهة المصرية . وإذا أقدم المصريون على حماقة فسوف يتكبدون خسائر فادحة في المرحلة الأولى ، وأما في المرحلة الثانية فإن الجيش الإسرائيلي سوف يكون قادراً على ضربهم في كل اتجاه . ولن يحققوا شيئاً من محاولة عبور قناة السويس ، بل العكس لأن قناة السويس هي التي تحميمهم الآن » . ثم استطرد « ديان » عائداً باهتمامه إلى الجبهة السورية - قائلاً إن « الوضع في الشمال فنحن لا نستطيع هناك أن نلتزم بوضع دفاعي بسبب وجود مستعمرات إسرائيلية في الجولان » .

ثم خُصص « ديان » إلى القول : « من ناحية مصر - لا خطر . ومن ناحية سوريا هناك خطر محدود » .

وعلى هذا الأساس قرر مجلس الوزراء المصغر تأجيل مناقشة التطورات على الخطوط الإسرائيلية السورية إلى الجلسة العادية لمجلس الوزراء ، والمقرر لها ٧ أكتوبر .

وكان الوقت متأخراً جداً ، وظل اليقين « الوهمي » مستولياً على المشاعر والعقول في كل من تل أبيب وواشنطن .

## ٢

فيما بين الساعة الثامنة وحتى الساعة العاشرة إلا ربعا من صباح يوم السبت ٦ أكتوبر - كان الرئيس « السادات » في قصر الطاهرة وليس في رأسه إلا سؤال واحد : هل توجه إسرائيل ضربة إجهاض بالطيران ضد الجبهة المصرية قبل الموعد المقرر لبده الهجوم ونقصد تشنيت وبمثرة صفوفه ؟

وفي نفس اليوم تقريبا ، وفي بيت رئيسة وزراء إسرائيل - كانت « جولدا مائير » ومعهما مجموعة من أعضاء مجلس الوزراء المصغر - يناقشون نفس السؤال تماما .

كان « أنور السادات » مهموماً بالسؤال - وكانت « جولدا مائير » مهمومةً بالجواب ، ومن الغريب أن ردّها كان بـ : « لا » - متوافقا بالضبط مع ما كان « أنور السادات » يمتناه ، ولأن اختلاف الأسباب لاني كل منهما .



كانت « جولدا مائير » قد عانت من أوروبا ( ومن لقائها هناك مع « كرايسكي » بسبب أزمة خطف فطار اللاجئين اليهود من الاتحاد السوفيتي ) - وأخطرت على الفور بأن الموقف على خطوط المواجهة يبدو عليه علامات تدعو للحذر . وكانت هذه المعلومات قد دعت مسئول المخابرات إلى إجراء اتصالات عاجلة بقيادة القوات المسلحة هدفها التوصل إلى تقدير مشترك لاحتمالات أي خطر .

ففي الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ٥ أكتوبر ، اتصل الجنرال « زليبرا » (٥) برئيس هيئة أركان الحرب الجنرال « دافيد اليماز » ، وقال له مشيراً إلى التحركات الجارية على الجبهة بقوله : « إنني لا أظن أن إسرائيل في طريقها إلى حرب ، ولكن الموقف اليوم مقلع بعلامات الاستهتام بأكبر مما بدا بالأمس » .

واقترح مدير المخابرات العسكرية على رئيس الأركان أن يلتقي كلاهما مع وزير الدفاع « موسى ديان » لاستعراض التطورات . وعندما وصل الاثنان إلى مكتب « ديان » لحق بهما تقرير بعثت به القيادة الجنوبية ، قال بالنص في مقدمته : « إن الجيش المصري على طول قناة السويس قد اتخذ أوضاع طوارئ تجعله من ناحية التعبئة والمواقع - في حالة لم ترصد من قبل بواسطة جيش الدفاع الإسرائيلي » . ثم تلت هذه المقدمة تفصيلات عن تعزيزات إضافية وصلت إلى الخطوط المصرية المتقدمة وتضم وحدات مدفعية ، وعدة مئات من الدبابات ، وما يعتقد أنه تجهيزات عبور .

وفي الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة ، كان اختلاف الآراء بين الثلاثة في مكتب وزير الدفاع قد ظهر حين اقترح رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال « اليماز » دعوة الاحتياطي ، وتحفظ وزير الدفاع الجنرال « ديان » بحجة أن دعوة الاحتياطي الآن يمكن أن تثير ضجة قبل الأوان ، وقبل أن تظهر حاجة حقيقية إلى مثل هذا الإجراء .

وانفق الثلاثة على أفضلية وضع خلافهم أمام رئيسة الوزراء . وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة كانوا في بيتها . وبالفعل فإن الثلاثة وضعوا تقديراتهم أمام « جولدا مائير » ،

(٥) تقرير لجنة « أورات » ، التي تولت التحقيق في وقائع للتصوير الذي نسب إلى قيادة الجيش الإسرائيلي في إدارة الحرب خصوصاً في ألبها الأولى . وهذا الجزء من هذا الفصل يعتمد في الكثير من تفاصيله على تحقيق لجنة « أورات » .

وملخصها : إن علامات الخطر تزداد ، ولكن احتمال الحرب الشاملة لا يزال غير متصور . وإن كان رئيس الأركان يرى دعوة الاحتياطي ، ووزير الدفاع يخالفه في تلك لأسباب سياسية . وأُحسنت « جولدا مائير » أنها لا تستطيع أن تفصل في هذا الخلاف بمفردها . وبناء عليه فقد قررت دعوة أعضاء مجلس الوزراء الموجودين في تل أبيب إلى اجتماع عاجل حتى يبحثوا الموقف معها ، ومن ثم يصدر توجيه متفق عليه إلى وزير الدفاع ورئيس الأركان .

وتقرر أن يكون اجتماع المجلس في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الجمعة . ولم تقف « جولدا مائير » ساكنة في انتظار الاجتماع ، وإنما رأت من باب استباق المفاجآت أن تخطر الولايات المتحدة ، وأن تطلب من وزير الخارجية الأمريكي « هنري كيسنجر » أن يدعو مصر وسوريا إلى ضبط النفس عن طريق الاتصال بهم بواسطة الاتحاد السوفيتي .

وعندما وصلت رسالتها إلى واشنطن بواسطة قنوات المخابرات المركزية ، لم تجد هذه الوكالة ضرورة للعجلة في إخطار « كيسنجر » خصوصا وأنه في ذلك الوقت كان موجودا في نيويورك . وقد كان رأى خبراء الوكالة أن نشوب حرب في الشرق الأوسط في ذلك الوقت أمر غير محتمل unlikely .

وفي الساعة الثانية عشرة انعقد مجلس الوزراء في الموعد المقرر ، وحضره كل الموجودين في تل أبيب من أعضائه ، وكانوا سبعة . وانضم إليهم الجنرالات « اليعازر » و « زاييرا » و « جازيت » . وكان بعض الوزراء في دهشة من مجرد الاجتماع حتى أن وزير التجارة الجنرال « بارليف » علق قائلا : « إنني لم أكن أعرف أن الموقف على الجبهة خطير إلا هذه اللحظة » ! وبدأ الاجتماع بأن تولي مدير المخابرات العسكرية الجنرال « زاييرا » طرح آخر تقارير المخابرات . وتعرض بالتفصيل لأحوال القوات على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية . وركز على درجة الاستعداد وحجم الحشود - لكنه أبدى رأيه صريحا في أنه « من غير المحتمل أن يبدأ المصريون عملية عبور كبيرة ، وإن كان محتملا أن يكسروا وقف إطلاق النار بالمدمعية ، وأن يحاولوا القيام ببعض الغارات » . وتلاه رئيس أركان الحرب الجنرال « اليعازر » الذي أيد استنتاجات مدير المخابرات العسكرية ، وأضاف عليها أنه « لا يستطيع أن يستبعد احتمال قيام العدو بهجوم - بشكل مطلق - وهذا هو الذي دعاه إلى اقتراح دعوة الاحتياطي » . وجاء الدور على وزير الدفاع الجنرال « موشى ديان » ليعرض رأيه ، وقد تمسك بوجهة نظره القائلة « بأنه مع وجود شواهد الخطر فليس هناك في رأيه ما يدعو إلى دعوة الاحتياطي » . وأخذ المجلس بوجهة نظره وأقر إعلان حالة الاستعداد القصوى في الجيش ، وأجل دعوة الاحتياطي حتى تظهر مؤشرات أخرى . وأضاف الوزير « يزرئيل جاليلي » اقتراحا يقدم نوعا من الحل الوسط لمجرد تحسب المفاجآت ، فاقترح « تحويل رئيسة الوزراء ووزير الدفاع مجتمعين سلطة دعوة الاحتياطي إذا ما وجدا داعيا لذلك خلال الساعات القادمة » .

ومرة ثانية رأت « جولدا مائير » ، بعد انتهاء اجتماع المجلس ، أن تكرر ما فعلته قبله ، وذلك بأن تبادر الاتصال بواشنطن . وبمشت برسالة ثانية إلى « هنري كيسنجر » بواسطة السفارة

الإسرائيلية هذه المرة . وكانت الرسالة تروى « هنري كيسنجر » أن يخطر مصر وسوريا والاتحاد السوفيتي بأن إسرائيل ليست لديها نوايا عدوانية ، لكنها إذا هوجمت فسوف ترد بشدة ، وقد وصلت الرسالة إلى « برنت سكوكروفت » مستشار الأمن القومي بالنيابة في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر بتوقيت واشنطن ( أي الحادية عشرة والنصف بتوقيت إسرائيل ) ، ولم تصل إلى « هنري كيسنجر » نفسه إلا الساعة الثامنة بتوقيت نيويورك ( أي الساعة الثالثة صباحا بتوقيت إسرائيل ) .

وكان الموقف يتغير بسرعة ، فقد أخذ قواد المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية يشعرون بقلق :

● في قيادة المنطقة الشمالية وجد الجنرال « هوفي » أن ما يراه أمامه على الجبهة السورية يدعو إلى اتخاذ احتياطات لمواجهة احتمال هجوم سوري محدود ( كذلك كان تقديره ) .

● وفي قيادة المنطقة الجنوبية وقع تباين في الرأي بين قائد المدرعات الجنرال « أبراهام مانلر » وقائد المنطقة الجنوبية الجنرال « جوين » . كان « مانلر » يطلب تعزيزا إضافيا من المدرعات لتطبيق إجراءات خطة « برج الحمام » . ورفض « جوين » طلبه « لأن المصريين قد يزدورون مثل هذه التعزيزات ، وقد يستنتجون منها خطأ أن إسرائيل تستعد للهجوم » .



وحالئذ الساعة الثالثة من فجر يوم ٦ أكتوبر ، كان مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلي الجنرال « زاييرا » يتلقى من مصدره السري رسالة تؤكد أن الحرب في ظرف ساعات ، وأن هجوما مصرية - سوريا تقرر مع آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر <sup>(١)</sup> . واتصل الجنرال « شاليف » ( مدير التقديرات العسكرية ومساعد « زاييرا » ) على الفور لتليفونيا بكل من وزير الدفاع « موشى ديان » ورئيس الأركان « دافيد اليعازر » ورئيسة الوزراء « جولدا مائير » ، وأخطروهم جميعا بالرسالة التي وصلته من مصدره السري الموثوق .

واتصلت « جولدا مائير » بمراقبتها العسكرية تطلب منه أن يدعو الجنرال « ديان » والجنرال « اليعازر » ، والوزراء « اللون » و « جاليلي » - لكي يقابلوها في مكتبها في تل أبيب في الساعة السابعة صباحا . ولم تكد تفرغ من إعطاء هذا الأمر لمراقبتها العسكرية ، حتى اتصل بها الجنرال « ديان » بمرجوها تأجيل الاجتماع الذي دعت إليه إلى الساعة الثامنة صباحا بدلا من السابعة حتى تظلي فرصة للاجتماع بهيئة أركان الحرب لتقدير الموقف ، ومن ثم يجيء إلى اجتماعها مستعدا بكل الخيارات .

ومن باب الاستعداد لكل الخيارات فإن رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال « اليعازر » اتصل

(١) تشير لتنتاج التحقيقات فيما يتعلق بالمصدر الذي أبلغ إسرائيل بموعد الهجوم . وقد روت في بعض الوثائق إشارات إلى شخص عرسي كان موجودا في لوزان . ومن شبه المؤكد أن هذه الرسالة الأولى لحقتها قبل الصباح خمس رسائل من لغة مصادر أخرى أحدها من عاصمة عربية . وأحدها من أثينا .

«البحار» ، وقالت له - طبقاً لنص المحضر الذي جرى ضمه إلى ملفات تحقيقات لجنة «أجرات» :

- «دامو (اختصار اسم دافيد) إنني أعرف كل الحجج التي ترجح خيار توجيه ضربة وقائية، ولكنني ضدها. إنني لا أعرف، ولا أحد بيننا يعرف ماذا يخفى لنا المستقبل، ولكن هناك دائماً احتمال أننا سوف نحتاج إلى المساعدة. وإذا بدأنا نحن بالضربة الوقائية فلن يقدم لنا أدنى نوع من أنواع المساعدة. إنني أريد أن أقول نعم للضربة الوقائية لأنني أعرف أننا بغيرها قد نعمل خسائر لا لزوم لها، ولكنني نطلب سوف أقول لا»<sup>(٨)</sup>.

ولم يتركها «ديان» لقرارها الذي انتهت إليه، فقد كان لا يزال عند رأيه بعدم ضرورة دعوة الانحياطي وإعلان التعبئة العامة. وقد قال موجهاً كلامه لمجلس الوزراء المصغر، لكن دون أن يركز نظره على رئيسة الوزراء بالذات: «إذا أردتم قبول توصيات البحار فلنا لن تلقى بنفسى من النافذة إلى الشارع، ولن أستقبل احتجاجاً، ولكنكم سوف تظهرون أمام العالم كأنفس سطيون».



وبعد انتهاء اجتماعها بوزرائها وقوادها، عادت «جولدا مائير» مرة ثالثة إلى الاتصال بالولايات المتحدة، وكان الآن مع السفير الأمريكي في تل أبيب «كينيث كيتنج» الذي حضر إلى مكتبها يصبحه مستشار السفارة «فاليتس»<sup>(٩)</sup>. وقد استقبلتهما معها نائبها «بيجال اللون» والجنرال «زايبيرا» والسفير «أهارون كيدرون» السكرتير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية، والسفير «سيمحا دينتز» سفير إسرائيل في واشنطن الذي تصالفاً وجوده في إسرائيل وقها لمصير جنازة والده.

وقد بادرت «جولدا مائير» - السفير الأمريكي بقولها: «إن إسرائيل تواجه موقفاً عصيباً، فهناك هجوم مصري - سورى موجه إلينا في ظرف ساعات. والموعد المحدد له هو مساء هذا اليوم. وكان بيننا من رأوا ضرورة أن توجه ضربة وقائية ضده نستبق أهدافه وتعاقب مدبريه، ولكننا أثرتنا في النهاية ضبط الأعصاب لأننا لا نريد أن تكون البائدتين بالهجوم. وقد اتخذنا هذا القرار ونحن نفكر في الولايات المتحدة، وتصميمنا على أن يكون موقفنا واضحاً أمامها بغير شبهة شك. وأنا أريد أن يصل هذا الكلام فوراً إلى الرئيس نيكسون».

وخرج السفير الأمريكي من مكتب رئيسة الوزراء الإسرائيلية في الساعة العاشرة والنصف. وفي انتظار رد منه بعد اتصاله بواشنطن كان كل أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلي - خصوصاً هؤلاء الذين لم يشاركوا في اجتماعات مجلس الوزراء المصغر - قد توافدوا على مكتب رئيسة

(٨) تمتعت «جولدا مائير» نفس النص في مذكراتها التي صدرت بعنوان «حياة» - ص ٣٥٩.

(٩) عن فيما بعد سطورا للولايات المتحدة في القاهرة.

تليفونيا في الساعة الرابعة وأربعين دقيقة صباحاً بقائد القوات الجوية الإسرائيلية الجنرال «بيليد» يسأله عن أقرب توقيت ممكن لتوجيه ضربة جوية وقائية ضد سوريا أولاً (باعتبار قرب الجبهة السورية من الكثافة السكانية في إسرائيل). ورد الجنرال «بيليد» بأنه يمكن أن يكون جاهزاً لتوجيه هذه الضربة ما بين الساعة الثانية عشرة ظهراً والواحدة بعد الظهر. وقد أصدر الجنرال «البحار» توجيهها إليه بالاستعداد لضربة في حالة تلقيه الأمر بذلك.

وفي الساعة الخامسة والربع صباحاً، اجتمعت هيئة أركان الحرب، وحضر اجتماعها الجنرال «البحار» و«زايبيرا» و«بيليد» و«تال» وعدد آخر من كبار الضباط من المخابرات والعمليات، ولم يحضر قواد المناطق. وكان رأى الجنرال «زايبيرا» مدير المخابرات ما زال يتجه إلى أن احتمال وقوع الحرب فعلاً - لا يزال ضعيفاً رغم ما أكدته مصدره السرى. وقد أشار إلى أن هذا المصدر سبق له أن أعطى إنذارات مبكرة لم تتحقق، وقد يكون إنذاره هذه المرة من نفس العينة. لكن رئيس أركان الحرب «البحار» رفض هذا الرأى بشدة واقترح على المجتمعين أن يصدروا توصية بإعلان التعبئة العامة ودعوة الانحياطي وإصدار الأوامر إلى كل قوات الدفاع المعنى بأن تكون مستعدة.

ولم يحضر وزير الدفاع الجنرال «ديان» - هذا الاجتماع المبني لهيئة أركان الحرب لأنه كان يقابل الجنرال «شلومو جازيت» المسئول عن الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وغزة، ويطلب منه الاستعداد لإحكام السيطرة على «المناطق» حتى يمكن ضبط هدونها في حالة وقوع عمليات.

ثم عاد «ديان» فاجتمع بهيئة أركان الحرب، ووقع تالين آخر في الآراء بين وزير الدفاع ورئيس الأركان. فقد عاد الجنرال «البحار» يلح على إعلان حالة التعبئة العامة القصوى، وهي تقتضى استدعاء مائتى ألف من جنود الانحياطي في أول دفعة، كما اقترح أيضاً عدم الانتظار وتوجيه ضربة جوية وقائية ضد مصر وسوريا، أو على الأقل ضد سوريا أولاً. وخالفه الجنرال «ديان» الذي أصّر على الاكتفاء بتعبئة جزئية، كما استبعد تماماً فكرة الضربة الوقائية. وازاء تمسك كل منهما برأيه فقد تقرر عرض الأمر على رئيسة الوزراء في الاجتماع الذي دعت إليه في الساعة السابعة صباحاً، وتأجل إلى الساعة الثامنة بناء على طلب «ديان».

وحينما بدأ ذلك الاجتماع وعرض كل من «ديان» و«البحار» وجهة نظره، كان أول تعليق لـ «جولدا مائير» هو قولها «يا إلهي، هل يعنى ذلك أنه على أنا أن أقدر أيكما على صواب وأيكما على خطأ؟» وقد توصلت «جولدا مائير» - ورافقتها بقية وزرائها على حل وسط: وقتت مع وجهة نظر رئيس الأركان في توصيته بضرورة إعلان حالة التعبئة العامة ودعوة الانحياطي، ووقتت مع وزير الدفاع في رفض القيام بضربة جوية وقائية. وقد التفتت إلى الجنرال

(٧) فيما بعد كتبت «جولدا مائير» في مذكراتها تقول: «لقد أخذت حين استمت للرجلين. كان يجب أن أسع فقط نداء كفى». وقد كان مطالبته بالوصول إلى آخر المدى في طلب الاستعداد الكامل ضد المفاعلات».

الوزراء ، والتأم اجتماع رسمي للمجلس اتسمت مناقشاته بالتساؤلات التي استوجبتها حقيقة أن كثيرين من أعضاء المجلس كانوا حتى هذه اللحظة بعيدين عن صورة الموقف كما تبنت لهم الآن مخاطرهما . وكان من الغريب أن الجنرال ، ديان ، الذي كان لا يزال حتى هذه اللحظة غير متأكد تماما من حتمية الحرب ( وربما ضابطة أن رئيسة الوزراء لم تأخذ برأيه كاملا في خلافه مع رئيس الأركان ) قد غادر قاعة المجلس في الساعة الواحدة ظهرا لأن موعد غدائه قد حل ، وقد ترك رسالة لرئيسة الوزراء مع سكرتيرها تقول لها أين تجده إذا أُرِبت .

وكان المجلس لا يزال منعقدا حتى الساعة الثانية بعد الظهر . وكان هناك من الأعضاء الذين وقفوا على القاعة - وعلى الحقيقة في اللحظات الأخيرة - من يجادلون رئيسة الوزراء في حكمة الانتظار حتى الساعة السادسة مساء بينما الفرصة ما زالت متاحة لضربة جوية وقائية .

وكان الجدل ما زال مستمرا في الساعة الثانية بعد الظهر حين بدأت العمليات فعلا على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية .



وكان الرئيس ، أنور السادات ، في هذه اللحظة قد تلقى ، ومن الحوادث نفسها ، تأكيدا عمليا يرد على سؤاله القلق عما إذا كان في استطاعة إسرائيل أن توجه ضربة وقائية ؟ - وكانت إجابة الحوادث ب : لا ، . وبالنسبة له فإنها كانت إشارة حظ سعيد !



- في الساعة السادسة صباحا بتوقيت نيويورك ( الواحدة بعد الظهر بتوقيت الشرق الأوسط ) كان ، هنري كيسنجر ، لا يزال نائما في الجناح المخصص لتزول وزير الخارجية الأمريكي في فندق ، والدورف أستوريا ، وبالتحديد في مبنى الأبراج الذي تنزل فيه عادة معظم وفود الدول أثناء افتتاح الدورات السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة .

.....  
.....

- وفي الساعة السادسة والربع ( الواحدة والربع بتوقيت الشرق الأوسط ) جاء ، جوزيف سيسكو ، مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط - مهرولا (١٠) إلى جناح رئيسه وقد عبر (١٠) جري تحلق وتعلق أوقات وقوع الأحداث الواردة في هذا الفصل . مراجعة مفكرات ، هنري كيسنجر ، و ، نيكسون ، ومحاضر تحقيقات لجنة أبحاث ، ، ومفكرات ، جولدا مائير ، و ، بيان ، و ، لنا ليهان ، ، وأوراق النبوة الإسرائيلية عن حرب يوم الغفران ، وقد طعنتها جملة ، يور سيع ، وكذلك دفتر يوميات الوقائع الذي كان يكتبه وزير الدولة المصري لشئون رئاسة الجمهورية .

سبعة من وسط الحراسة المشددة ، وطرق باب غرفة النوم ودخل ليقتل بجوار سرير ، كيسنجر ، ويؤلفه من نوم عميق قائلا له : إن ، كن ، ( ويقصد ، كينيث كينيتج ، السفير الأمريكي لدى إسرائيل ، وكان عضوا سابقا في مجلس الشيوخ ونصيرا قويا لإسرائيل كيهودي وكسهيوني ) - قد بعث برسالة عاجلة طلبت منه جولدا مائير إبلاغها إليه ( إلى ، كيسنجر ، ) فوراً ، والرسالة تقول إن هناك هجوما مصرية - سوريا تم ترتيبه بين البلدين ليبدأ هذا اليوم وبعد ساعات قليلة ، وأن بعض مستشاريها كان من رأيهم توجيه ضربة وقائية تستبق الهجوم ، ولكنها امتنعت عن ذلك من أجل أن يكون موقفها واضحا أمام الولايات المتحدة الأمريكية . ولكنها تطلب من هنري كيسنجر أن يتصل فوراً بمصر وسوريا والاتحاد السوفيتي ويخطرهم أن إسرائيل لن تبدأ بالهجوم ، لكنها إذا هوجمت فسوف ترد بعنف ، وسيكون عقابها « للمعتدين ، شديدا » .

وأسك ، هنري كيسنجر ، بتقرير ، كينيث كينيتج ، بقوة وقد وجده مثيرا للدمشة . فقد كان كينيتج ، ينقل عن ، جولدا مائير ، قولها ، إن إسرائيل في وضع حرج ، فما كانوا يظنونهم مجرد ملأرة عسكرية قد تحول الآن وأصبح تهديدا حقيقيا . وهم الآن مقتنعون بأن هناك هجوما مصرية - سوريا متسقا سوف يشن عليهم بعد ظهر هذا اليوم . و ، جولدا ، وثقة أن الهجوم العربي سوف يجري سحقه ، لكنها تخشى أن يكون الفعل المصري - السوري المتوقع خطأ من جانب اللذين في تحليل التوايا الإسرائيلية ، ولذلك فهي - ولو حتى من باب إبراء الذمة - تزيد أن يصل إلى البلدين - وإلى الاتحاد السوفيتي - تحذير من إسرائيل بدايته أنه ليس في نيتها شن أي هجوم ، ونهايته أنها إذا هوجمت فسوف ترد بشدة » .

وكان أول ما فعله « كيسنجر » أن اتصل بمكتب المتابعة في مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض يسأل عن آخر الأخبار من الشرق الأوسط ، وما إذا كانت هناك رسائل أو تقارير من مصادر أمريكية عن الأحوال هناك . وقد أخطر بما كان يعرفه من اليوم السابق عن التعركات على الجبهة المصرية والجبهة السورية ، كما أخطر برسالتين سابقتين بعثت بهما إليه ، جولدا مائير ، عن معلومات وصلت إلى إسرائيل من مصدر سرى باحتمالات هجوم عربي وشيك . وانصل ، كيسنجر ، بعد ذلك بمكتب المتابعة في وكالة المخابرات المركزية ليسأل عن آخر التقديرات للموقف ، وقد أخطر بأخر المعلومات وبآخر التقديرات عن خبراء الوكالة ومزادها أن هناك نذر خطر ، لكن الاتجاه الغالب في آراء الخبراء هو أن حربا في الشرق الأوسط ليست على وشك الوقوع .

.....  
.....

- وفي الساعة السادسة والأربعين دقيقة بتوقيت نيويورك ( الواحدة وأربعون دقيقة بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل ، كيسنجر ، تليفونيا بالسفير السوفيتي ، أناتولي دوبرينين ، في مقر السفارة السوفيتية بواشنطن ، وقد أيقظه من النوم ، وبدأ له صوته ( على حد وصفه ) نصف نائم ونصف مرتبك . وقد أبلغه بما لديه من معلومات ، وطلب إليه المسارعة بالاتصال بموسكو لنقل

تأكيد وتحذير إسرائيل . كما طلب إليه أن تقوم موسكو بنقل هذه الرسالة إلى القاهرة ودمشق . وأضاف « كينسجر » أن « الأمر عاجل لأن الحرب قد تقوم ونحن نتكلم على التلفون » . وأبدى « دوبرينين » أنه لا يملك وسيلة للاتصال بموسكو بهذه السرعة التي يطلبها « كينسجر » . وأبلغه « كينسجر » أنه سيضع مكتب الاتصالات في البيت الأبيض تحت تصرفه لإجراء اتصال سريع بموسكو ، ولضمان نقل الرسالة بأسرع ما يمكن .

.....  
.....

- وفي الساعة ٦,٥٥ دقيقة ( ١,٥٥ دقيقة بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » تليفونيا مع « مورديخاي شاليف » القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية في واشنطن أثناء غياب السفير « سيمحا دينتير » ، وأبلغه « أنه يتفهم رسالة « جولدا مائير » ويتفق تماما مع قرارها بالامتناع عن توجيه ضربة وقائية إلى جيوش مصر وسوريا ، ويرجوها أن تواصل ضبط أعصابها حتى لا نجد أنفسنا في موقف « منهور » . »

.....  
.....

- وفي الساعة السابعة صباحا ( الثانية بعد الظهر بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » تليفونيا بوزير الخارجية المصري الدكتور « محمد حسن الزيات » الذي كان موجودا في نيويورك للاشتراك في أعمال دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة . ولكي يختصر الوقت ، خصوصا وأن وزير الخارجية المصري أوقف هو الآخر من نومه من مكانة « كينسجر » - فإن وزير الخارجية الأمريكي قرأ له نص الرسالة التي تلقاها من « جولدا مائير » ، وأضاف إليها أنه في دهشة لاحتمال إقدام مصر وسوريا على عمل عسكري في الوقت الذي يعرف فيه هو ( أي « الزيات » ) أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت على وشك أن تبدأ جهدا دبلوماسيا جديدا لتحريك أزمة الشرق الأوسط في اتجاه الحل فور انتهاء الانتخابات الإسرائيلية المقرر إجراؤها يوم ٣٠ أكتوبر . وكان « الزيات » مندهشا ، وأخس « كينسجر » أن دهشته كانت حقيقة<sup>(١)</sup> ، وقد رجا « كينسجر » أن يقرأ عليه رسالة « مائير » مرة ثانية لكي يستوعبها . وبعد أن سمعها مرة ثانية أبدى تشككه من أن ما تقوله « جولدا مائير » هو في رايه ذريعة لعمل تنوي إسرائيل أن تقوم به . ورد عليه « كينسجر » بأنه يتق فيما تقوله إسرائيل .

ثم حاول « كينسجر » بعد ذلك أن يتصل بنائب وزير الخارجية السوري السيد « محمد زكريا اسماعيل » الذي كان يرأس وفد بلاده إلى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة - لكن مقر إقامة ( ١١ ) لم يكن الدكتور « الزيات » يعرف خط الرئيس « السادات » ، بل أن الرئيس « السادات » قصد ذلك كجزء من خطته في الدفاع الاستراتيجي لتغطية نواياه الحقيقية . ولكي يكون السجل كاملا فإن الدكتور « الزيات » نفسه قال فيما بعد إنه كان يعرف قبل سفره إلى نيويورك ، وأن الرئيس « السادات » بعث إليه رسولا خاصا يخبره بموعد الحرب ، وقد روى الدكتور « الزيات » ذلك في حديث صحفي نشرته جريدة الجمهورية سنة ١٩٨٤ .

المنسوب السوري الدائم في الأمم المتحدة الذي كان نائب وزير الخارجية ينزل في بيته - لم يكن يرد على التليفونات في هذه الساعة الباكرة من الصباح .

.....  
.....

- وفي الساعة السابعة والربع ( الثانية والربع بتوقيت الشرق الأوسط ) كان « شاليف » القائم بالأعمال الإسرائيلي يعود إلى الاتصال بـ « كينسجر » ليبلغه رسالة من « جولدا مائير » تؤكد له فيها مرة أخرى أن إسرائيل سوف تلتزم بقرارها - ولن يصبحته - ولن تقوم بتوجيه ضربة وقائية .

( كانت توقيتات ومراحل الخطة « بدر » قد بدأت فعلا على الجبهتين المصرية والسورية ، ولم تكن أخبارها قد وصلت بعد إلى واشنطن لأنها كانت حتى تلك اللحظة ما زالت في مراحلها التمهيديّة ) .

.....  
.....

- وفي الساعة ٧,٢٥ ( بتوقيت الشرق الأوسط ) راح « كينسجر » يحاول الاتصال بـ « دوبرينين » مرة ثانية . وقد وجده على التلفون يتحدث مع موسكو ، واختار أن يتكلم مع ساعده « أوليج بيدانوف » وأن ينقل إليه رسالة « جولدا مائير » بتأكيد امتناع إسرائيل عن توجيه ضربة وقائية . وقد طلب إليه أن يهيمس بهذه الرسالة لـ « دوبرينين » وهو على التلفون مع موسكو .

.....  
.....

- وفي الساعة ٧,٣٥ ( ٢,٣٥ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » بالدكتور « الزيات » مرة ثانية ، ونقل إليه رسالة التأكيد الجديدة من « جولدا مائير » .

.....  
.....

- وفي الساعة ٧,٤٧ ( ٢,٤٧ بتوقيت الشرق الأوسط ) عاد « كينسجر » يتصل بـ « دوبرينين » مرة ثالثة هذا الصباح ليتأكد أن رسالة « جولدا مائير » قد نقلت إليه وأنه أبلغها إلى موسكو .

.....  
.....



- وفي الساعة ٧,٥٣ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » بالبيت الأبيض وتحدث إلى مساعده « برنت سكوكروفت » طالباً منه دعوة مجلس الأمن القومي لاجتماع علني الساعة التاسعة صباحاً .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,١٥ ( ٣,١٥ بتوقيت الشرق الأوسط ) تلقى « كينسجر » مكالمه من الدكتور « الزيات » أبلغه فيها رسالة من القاهرة مؤداه أن قوات بحرية إسرائيلية قامت بهجوم على مواقع مصرية في خليج السويس ، وأن المواقع المصرية تزد الهجوم ، وأن هناك اشتباكات مسلحاً بدأ نتيجة لذلك (١٦) . وأبدى « كينسجر » شكوكه حول هذه المعلومات ، واستند في ذلك إلى أسباب أبدأها على النحو التالي :

- ١ - إنه لا يمكن لإسرائيل أن تكسر تعهداً قمته للولايات المتحدة قبل دقائق ، ثم أكتفه مرة ثانياً متعمداً بالآ تكون البانة بهجوم .
- ٢ - إنه لا يعقل أن تبدأ إسرائيل هجوماً في يوم « كيبور » ( يوم الغفران ) . ( كانت « جيلما مابور » قد أشارت في رسالتها السابقة لـ « كينسجر » بأن اختيار يوم « كيبور » لبدء هجوم على إسرائيل لا يعكس فقط سوء النية ، ولكنه أيضاً يعكس سوء الخلق ) .
- ٣ - إنه من الصعب عليه تصور قيام إسرائيل بهجوم شامل لم تسبقه تعبئة عامة .

وبعد أن أبدى « كينسجر » هذه الشكوك للدكتور « الزيات » ، طلب منه أن يتأكد من عدم تجاوز الرد المصري حدود الموقع الذي جرى فيه الهجوم الإسرائيلي الوارد نكره في البيان المصري ، مع العلم بأنه يحتفظ بشكوكه في هذا الموضوع .

وعندما أبدى « الزيات » مخاوفه من أن لا يستطيع الاتصال بالقاهرة ، كمر « كينسجر » به ما سبق أن فعله مع « دوبرينين » - وعرض عليه أن يضع مكتب تلفونات البيت الأبيض تحت تصرفه لإجراء الاتصال بالقاهرة بالسرعة الضرورية .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,٢٥ ( ٣,٢٥ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » بـ « أبا إين » وزير خارجية إسرائيل ، وكان هو الآخر في نيويورك لحضور دورة الجمعية العامة ، وأبلغه بما قاله « الزيات » . واستبعد الاثنان في حديثهما إمكانية صحة ما نقله « الزيات » لـ « كينسجر » .

( ١٦ ) كانت تلك بالفعل هي صيغة البيان الذي تم الاتفاق عليه بين السفير ، أشرف غريال ، وبين « محمد حسنين هاشم » لإعلان بدء العمليات العسكرية ، وبحيث تبدو كأنها رد على تحريض إسرائيل . وقد تم الاتفاق على صيغة هذا البيان في الاجتماع بين الاثنين تم في بيت « هيل » يوم ٢ أكتوبر - ووافق الرئيس « السادات » ، على فكرته ومبداًه .

بشأن هجوم إسرائيلي على موقع مصري في خليج السويس . وقد قال له « إيان » ، إنه سيتصل بالقفس فوراً ليتحقق من صحة هذه الرواية .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,٢٩ ( ٣,٢٩ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية في واشنطن « شاليف » بـ « كينسجر » ( الذي كان ما زال ملتزماً جناحه بفتحق . والدورف أستوريا ) يجري منه كل هذه الاتصالات ) ، وقد أبلغه « شاليف » بأن الطائرات المصرية والسورية تهاجم على جميع الجبهات منذ نصف ساعة .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,٣٠ ( ٣,٣٠ بتوقيت الشرق الأوسط ) بحث « كينسجر » برسائل إلى الملك « حسين » ملك الأردن ، وإلى الملك « فيصل » ملك السعودية ، يطلب منهما استخدام نفوذهما لمنع وقوع الحرب .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,٣٥ ( ٣,٣٥ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » بـ « الكسندر ميج » رئيس أركان حرب البيت الأبيض ( وكان الرئيس « نيكسون » في « كي بيكاين » في ولاية فلوريدا ) - وقد طلب إليه أن يخطر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بأن حراً قامت في الشرق الأوسط .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,٤٠ ( ٣,٤٠ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » بـ « كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة يبحث معه ما يمكن عمله في الأمم المتحدة إزاء نشوب القتال في الشرق الأوسط .

.....  
.....

- وفي الساعة ٨,٥٠ ( ٣,٥٠ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « كينسجر » بمساعده المسئول عن مجلس الأمن القومي الجنرال « برنت سكوكروفت » ، وحاول أن يصل معه إلى تحليل للموقف وتصور لما يمكن قوله وعمله . وقد اتفقا على النقاط التالية :

- ١ - إن هذه على أرجح الظنون حرب واسعة النطاق في الشرق الأوسط .



- ٢ - إن نتيجة هذه الحرب سوف تكون على وجه التأكيد انتصارا إسرائيليا سريعا وساحقا .
- ٣ - ونتيجة لذلك فإن أزمة دولية حادة على وشك أن تنفث لأن العرب سوف يذهبون بإحاطتهم إلى السوفيت الذين سيضطرون إلى إظهار تأييدهم لهم .
- ٤ - إن أوروبا الغربية في نزوحها إلى نوع من الاستقلال عن السياسة الأمريكية ، قد تجد لنفسها طريقا مختلفا غير الطريق الذي سوف تختاره الولايات المتحدة .
- ٥ - إن الكل يعرف أن الرئيس الأمريكي « جريج » بسبب فضيحة « ووترجيت » ، وقد يؤدي ذلك إلى تشجيع أطراف أخرى على استغلال الموقف ، وأولهم الاتحاد السوفيتي .
- ٦ - إنه والحال كذلك فإن الولايات المتحدة يجب أن تنصرف بما يوحى بالثقة التي لا تنوبها شائبة ضعف ، وعليها أن تفعل ذلك بغير استغزاز .
- ٧ - إنه لتحقيق ذلك فقد يكون من الضروري تحريك الأسطول الأمريكي السادس إلى شرق البحر الأبيض ليكون بقرب ميادين القتال . كذلك من الأنسب البدء فورا بتنفيذ خطط الطوارئ لتعزيز القوات الأمريكية في المنطقة .
- ٨ - إنه في هذه الظروف الملتبسة ، فإنه من الضروري توحيد التحدث باسم الولايات المتحدة في جهة واحدة . وللرئيس أن يقرر ما إذا كانت الجهة التي يحق لها الحديث هي البيت الأبيض مباشرة أو وزارة الخارجية .
- .....
- .....

- وفي الساعة التاسعة صباحا ( الرابعة بتوقيت الشرق الأوسط ) عاد القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية « شاليف » إلى الاتصال بـ « هنري كيسنجر » يبلغه أن هناك محاولة لعبور مصري إلى الشاطئ الشرقي من قناة السويس . كما أن هناك هجوما سوريا شاملا على مرتفعات الجولان .

.....

.....

- وفي الساعة ٩،٠٧ ( ٤،٠٧ بتوقيت الشرق الأوسط ) اتصل « أبا إيبان » بـ « هنري كيسنجر » يبلغه رسالة من « جولدا مائير » تقول له « إن قصة الهجوم الإسرائيلي على خليج السويس كانت مجرد مجرد خدعة ، والواضح أن مصر الآن تشن هجوما شاملا على المواقع الإسرائيلية . وأصاف « أبا إيبان » أنه « كان يتحدث بنفسه مع جولدا التي كانت هالكة مائجة نسب وتلعن باللغة العبرية ، وحين لا تسفها اللغة العبرية فإنها كانت تلجأ إلى الإنجليزية التي تعلمتها من حوارى نيويورك » .

.....

.....

- وفي الساعة ٩،١٥ ( ٤،١٥ بتوقيت الشرق الأوسط ) تلقى « كيسنجر » معلومات عن اجتماع مجلس الأمن القومي الذي بدأ في البيت الأبيض منذ الساعة التاسعة . وكان مؤدى المعلومات أن الآراء في الاجتماع متضاربة ، فقد كان رأى « ويليام كولبي » مدير المخابرات المركزية أنه من المحتمل أن تكون الرواية المصرية عن بدء العمليات صحيحة ، وأن تكون إسرائيل هي التي بدأت بالهجوم . كما أن « جيس شليزنجير » وزير الدفاع أخذ في حديثه نفس الاندفاع معلقا بقوله إنه « لو كان ما تقوله إسرائيل صحيحا فلك أول مرة لم تكن هي البائدة بالهجوم في الشرق الأوسط » . كما أن الأميرال « توماس مورر » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة الأمريكية أبدى ظنه بأنه من المحتمل أن تكون إسرائيل قد بدأت بضرية إجهاض ضد محاولات مصرية لإدخال صواريخ متقدمة إلى جبهة القتال .. لكن كلا من « جوزيف سيسكو » وكيل الخارجية لشئون الشرق الأوسط ( وكان قد طار بسرعة إلى واشنطن تاركا وزيره في نيويورك ) ، وكذلك « روي أفرتون » مساعد « سيسكو » - أيضا وجهة النظر الإسرائيلية على أساس أن « يوم كيور » ( عيد الغفران ) هو آخر يوم في السنة يمكن أن تختاره إسرائيل لبدء عمليات عسكرية .

.....

.....

- وفي الساعة ٩،٢٠ ( ٤،٢٠ بتوقيت الشرق الأوسط ) عاد « دوبرينين » يتصل بـ « كيسنجر » ويبدى شكوكه في الرواية الإسرائيلية عن هجوم مصري - سوري واسع النطاق يشن ضد إسرائيل ، وأضاف أن « الزيات » أكد له بإصرار صحة الرواية المصرية عن هجوم إسرائيلي على موقع مصري . ورد عليه « كيسنجر » وقد نفذ صبره - طبقا لروايته : « أنت وأنا نعرف أن هذه خدعة . وإذا كانت إسرائيل تريد أن تهاجم فلماذا تهاجم في خليج السويس ؟ ثم كيف تأتى أن يكون هناك عمل عسكري واسع النطاق منسق على الجبهتين المصرية والسورية في نفس الدقيقة ؟ »

ثم قام « كيسنجر » بتوجيه تحذير إلى « دوبرينين » مؤداه أن هذا الذي يحدث الآن في الشرق الأوسط سوف يمد تأثيره إلى العلاقات بين القوتين الأعظم ، وسوف يجبر موسكو واشنطن إلى مواجهة .

وبرغم ثقة « كيسنجر » في أن إسرائيل سوف تحقق نصرا سريعا وساحقا ، فقد راح - طبقا لمذكراته - يستغرب كيف استطاعت مصر وسوريا تحقيق هذه المفاجأة الهائلة على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي معا .

## الفصل الثالث

### معجزة البشر

١

في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر وصل الرئيس « أنور السادات » إلى المركز رقم « ١٠ » - مقر القيادة الرئيسي للعمليات . وقد توجه فور وصوله ومعه الفريق « أحمد اسماعيل على » إلى مكتب القائد العام - وهناك قضى بضعة دقائق ألقى فيها نظرة على خرائط التخطيط ، وأهتم بالسؤال عن مواقع القطع البحرية التي تحركت قبلها بأيام في البحر الأحمر وفي البحر الأبيض ، ثم سأل عن أعداد قوات الصاعقة التي تسالت إلى سيناء بالأمس لإبطال عمل مواسير اللهب السائل الذي كان معروفا أنه يند رئيسي في الخطه الإسرائيلية لعرقلة أي عبور . وكان هذا البند في الخطه الإسرائيلية من أهم وأخطر العقبات المضادة التي رتبت لها إسرائيل ، فلو أن هذه المواسير ظلت سليمة وتدفق ما فيها من لهب سائل ، واشتعل حريقا فوق مياه القناة ، لكانت تلك ضربة مزعجة لموجات العبور المصري الأولى ، خصوصا وأنها تستعمل قوارب مطاطية لحمل مقاتليها من ضفة إلى ضفة أخرى عبر هذا المانع المائي الكبير .

ولم تكن الإجابة التي تلقاها الرئيس « أنور السادات » ، فاطمة . فالتأيت لدى القائد العام أن قوات الصاعقة « دخلت » لمهامها ، ولكن نجاحها في تحقيق مهمتها لن يتأكد خبره إلا عندما تبدأ عملية العبور فعلا . ذلك أن هذه الوحدات من الصاعقة مأمورة بالتزام صمت لاسلكي كامل . ودخل الرئيس « السادات » ، إلى قاعة العمليات في الساعة الواحدة والنصف وكانت القاعة شحنة من الأعصاب امتزج فيها الأمل والقلق والعلم والإيمان . فقد أحس كل من فيها من القادة والضباط - وعددهم يزيد على المائة - أنهم يعيشون لحظة فاصلة في تاريخ وطنهم ، وأن أقدار

كثيرة من تكون معلقة بما يجري في هذه القاعة صامرا عنها إلى ميادين القتال أو واردا إليها من هناك .

كانت القاعة ضيقة وقد أحاطت بجدرانها لوحات زجاجية كبيرة مصنية ، وعلى كل لوحة منها كانت هناك على الزجاج خرائط شفافة رسمت عليها معالم قطاعات الجبهة المختلفة ، والتركيب المنتظر عليها تطبيقا للخطه . وكانت الخطط المعلقة على هذه اللوحات الشفافة كثيرة ، فضلا عن قطاعات الجبهة - كانت هناك لوحات تحدد مواقع القوات البحرية وخطوط التمركات النورية بها . وكان الحال هو نفس الشيء بالنسبة للقوات الجوية ، فقد ظهرت على اللوحات مواضع يركز أسراب قاذفات الضربة الأولى ، إلى جانب مواقع تركز طائرات القتال والإمداد والعلمية . وكذلك كان الحال نفس الشيء بالنسبة للدفاع الجوي ، حيث رسمت على اللوحات الخاصة بقواعد الصواريخ الثابتة والمتحركة سواء على خط القتال أو في العمق ، حيث يحتفل أن يوجه العدو هجماته المضادة النورية .

وكانت هناك مائدة رئيسية للقيادة العليا - كما أنه بجوار اللوحات الخاصة بخطط الأسلحة المعلقة ، كانت هناك مجموعات من ضباط أركان الحرب وضباط الاتصال الجاهزين لإصدار الأوامر وتلقي المعلومات .

وكانت أضواء الغرفة ساطعة في حين كانت ألوانها هائلة ملينة يبيع ملونة من الخرائط والرسوم والخطوط ، ثم إن معدات الاتصال المتوافرة فيها أعطتها جوا شبه سينمائي ، ومع ذلك فقد كان هذا الجو حياة حقيقية ، وإنسانية دافئة إلى درجة السخونة رغم أن أجهزة التكيف كانت تدفع إليها بهواء بارد وتنفى ...

□

وفي الساعة الثانية بعد الظهر كانت الأنظار في القاعة كلها متجهة إلى الجزء الخاص بالقوات الجوية . وكانت الإشارات قد وصلت بأن قوات الضربة الجوية الأولى ، وقوامها مائتي طائرة ، قد عبرت على ارتفاع منخفض فوق قناة السويس قاصدة إلى تنفيذ المهمة الأولى في العملية . ثم بدأت الإشارات تنبئ بأن طائرات هذه القوة بلغت أهدافها وبدأت تنفيذ مهامها بنجاح تلقا ما كان منتظرا ، فقد تم ضرب مراكز قيادة ومواقع رادار ومناطق حشد وعقد مواصلات وقواعد جوية .

.....

.....

وفي الساعة الثانية وعشر دقائق كانت الأنظار في القاعة متجهة إلى الجزء الخاص بالمدفعية . وفي نفس اللحظة كانت فورحات ألقى مدافع من مختلف العيارات والطراز تضرب بكل نوتها بعباء وراء خطوط العدو لقطع عمقه عن جبهته ، وتدمير ما يمكن من منشآته المتقدمة ،

□ وفي الساعة الرابعة والنصف كان حجم القوات المصرية على الضفة الشرقية قد وصل إلى ١٥٠٠ ضابط و ٢٢٠٠٠ جندي .

(وفي هذه اللحظة قام الرئيس « السادات » ومعه الفريق « أحمد اسماعيل ، قاصدين إلى مكتب القائد العام ، وطلب السفير السوفيتي . )

.....  
.....  
□ وفي الساعة الخامسة والنصف كان هذا الحجم قد وصل إلى ٢٠٠٠ ضابط و ٣٠٠٠٠ جندي .

( قام الرئيس « السادات » مرة أخرى قاصدا إلى مكتب القائد العام ليتلقى مكالمات تليفونية من « بريجنيف » - لكن الاتصال لم يتم لسبب غير واضح . وقد انتهز الرئيس فرصة وجوده في مكتب القائد العام فانصل ببيته بالجيزة وبـ « محمد حسنين هيكل » في مكتبته بالأهرام ) .

.....  
.....  
□ وفي الساعة السادسة والنصف كانت عملية فتح الثغرات في الساتر الترابي قد حققت جزءا كبيرا من مهامها ، وبدأ تركيب كبارى العبور ، وراحت الدبابات تنتقم على أول كوبري جري تركيبه .

.....  
.....  
□ وفي الساعة العاشرة مساء كانت قوات المهندسين قد تمكنت من فتح ٦٠ ثغرة في الساتر الترابي ، وأزاحت بالتجريف ما حجمه ٩٠٠٠٠ متر مربع من الرمال . ووصل عدد الكبارى الثقيلة التي أمكن تركيبها إلى ثمانية ، بالإضافة إلى أربعة كبارى خفيفة ، و ٣١ معدية كانت تتحرك بسرعة وقوة من ضفة إلى ضفة حاملة معها المزيد من القوات والمعدات .

.....  
.....  
وعندما حل منتصف الليل تماما كانت هناك خمس فرق كاملة من المشاة والمدركات على الضفة الشرقية لقناة السويس . وكانت معظم مواقع خط بارليف الحصينة قد حوصرت ، ونصفها لم يتحمله .

( وكانت الجبهة السورية تعيش مشهدا مماثلا ، ففي هذا الوقت كان الطيران السوري قد لم يصدريه أولى ، ثم جرى تمهيد بالمدفعية . وفي الساعة الرابعة كانت المدرعات السورية قد

وتشتيت ما هو متجمع من حشوده . وثلا ذلك قصف سفانة مدفع ركزت على مدى قصير بضرب منشآت وتحصينات خط بارليف .

.....  
.....  
□ وفي الساعة ٢,٢٥ بدأت قوارب المطاط تنزل في القناة بجفودها تحت وابل من نيران العدو الذي بدأ يقيق من المفاجأة . ومع ذلك فإنه في ظرف عدة دقائق كان على صفحة القناة ما يقرب من سفانة قارب مطاطي في كل واحد منها ثمانية مقاتلين ، وقد راحت تشق طريقها إلى الضفة الأخرى وسط عاصفة من النار .

وفي هذه اللحظة تأكد أن مجموعات الصاعقة التي دخلت بالأمس قد نجحت في تعطيل عمل موسير اللهب . وكان نجاحها فائقا إلى درجة أنه لم يظهر لأي واحدة منها أثر على الإطلاق فوق مياه القناة .

.....  
.....  
□ وفي الساعة ٢,٢٥ أيضا كان هناك لواء دبابات برماني يعبر على القطاع الجنوبي من مياه القناة بالدبابات الضخمة من طراز « تي ٧٦ » ، ووراءه المدرعات السابعة من طراز الـ « توباز » الشهير .

وفي نفس اللحظة عبرت فرق القناة مجموعة من الطائرات تحمل مجموعات من قوات المظلات الذين قفروا بقرب منطقة المضائق تمهيدا وانتظارا وإعدادا لمرحلة ثانية من الخطوة .

.....  
.....  
□ وفي الساعة الثالثة والنصف كانت قوات المهندسين تعبر في وحدات بحرية خاصة جيزت بالخرطوم . وكانت المهمة الموكولة إليها هي فتح الثغرات في الساتر الترابي على الضفة الشرقية من القناة .

تخطت خنادق التحصينات الإسرائيلية في الجولان - وقيل أن ينزل الظلام كانت تنتم في اتجاه مدينة القنيطرة عاصمة الجولان .

□

كان الرئيس « السادات » في الساعة السابعة تماما ، ومعه كل الذين أُنحت ظروفهم أن يتواجوا في هذه القاعة المجيدة - في حالة من النشوة لاتكاد تصدق . وقد تأكدوا جميعا أن أخطر عملية في الحرب كانوا يتحسبون لخسائرهما قد تمت بنجاح فاق خيالهم . وكانت أروع لحظة في حياتهم هي التي تلقوا فيها أول تقدير ميدني عن حجم الخسائر المصرية في العملية حتى الآن .

وكانت الخسائر في عملية العبور هي استشهاد ٦٤ رجلا إلى جانب ٤٢٠ جرحا وقد أصيبت ١٧ دبابة ، وتخطت ٢٦ عربية مدرعة . وكان ذلك لا يصق . فقد كانت كل التقديرات العلمية عن الخسائر المحتملة في عملية العبور تصل بها إلى عشرات ألوف من الشهداء والجرحى . وكان الرئيس « السادات » ، ومن حوله القادة يتبادلون النظرات وهم لا يكادون يتصورون واقع ما جرى أمام عيونهم . كانت بكل المعايير ضربا من المعجزات . وأبدى الفريق « أحمد اسماعيل » ملاحظة واحدة قال فيها إن « الأولاد يتقدمون على الكباري كما لو أنهم يقومون بعملية تدريب ، وكان كل هذه التيران من حولهم مجرد مناورة بالذخيرة الحية » .

□ وفي الساعة السابعة مساء ، كان الرئيس « السادات » قد اطمان بأكثر مما راوده في أوسع أحلامه جموحا - إلى أن هناك شيئا عظيما تم تحقيقه . وقد خطر بباله أنه يستطيع أن ينتقل الآن من مقر قيادته العسكرية ، ويعود إلى قصر الطاهرة ليتابع من هناك آثار الساعات التي عاشها في المركز رقم « ١٠ » - على مصر وعلى العالم العربي ، وفي الدنيا الواسعة .

( وقيل أن يغادر الرئيس « السادات » مقر القيادة العليا ، اتصل به « محمد حسنين هيكل » وطلب إليه أن يلقاه الساعة الثامنة في قصر الطاهرة . وفي حين كانت نبرة صوته في مكالمته سابقة - قيل قرابة ساعتين - نبرة هائلة ، فإن النبرة الآن كانت مججلة كأنها زغاريد فرحة . وقد راح يكرر في نفس واحد أكثر من ثلاث مرات : « الولاد ركبوا خط بارليف خلاص ١٠٠٠ » )

وكان آخر ما قاله للفريق « أحمد اسماعيل » والفريق « سعد الدين الشاذلي » وهو يغادر المركز رقم « ١٠ » : « إنه لا يريد إزعاجهما بطلب معلومات تفصيلية كل دقيقة عن مسار العمليات » . ثم طلب تعزيز الاتصال بين مكتبه للشئون العسكرية في قصر الطاهرة وبين مكتب القائد العام ، لكي يجري ضخ المعلومات أو لا بأول دون إزعاج مباشر منه لهم .

□

في قصر الطاهرة كانت هناك مكالمات تليفونية عديدة من كثيرين في العالم العربي وصل إلى أسماعهم ما حدث ، وأرادوا أن يتصلوا به تهنئة وتبريكا . وقد أخذ الرئيس « السادات » بنفسه بعضها .

وفي الساعة الثامنة مساء كان ، محمد حسنين هيكل ، في قصر الطاهرة لموعده مع الرئيس « أنور السادات » . وقد لاحظ عند دخوله إلى الصالون الذي كان يجلس فيه الرئيس « أنور السادات » ، ويتلقى منه ما يختار من الاتصالات التليفونية - أن هناك مجموعة من رجال التليفزيون والاذاعة بميكروفوناتهم وعدساتهم . وعندما دخل « هيكل » على الرئيس « السادات » ، كان بابا أن موجه من الفرع تترأص بصالون القصر كله . وفي حين راح « هيكل » يسأل عن المزيد من التفاصيل - فإن الرئيس السادات كان له مطلب عاجل ، هو إعداد « كلمة قصيرة » ، ولو من عشرة سطور تقول للناس ما معناه « أن حرب الساعات الست قد تحققت » .

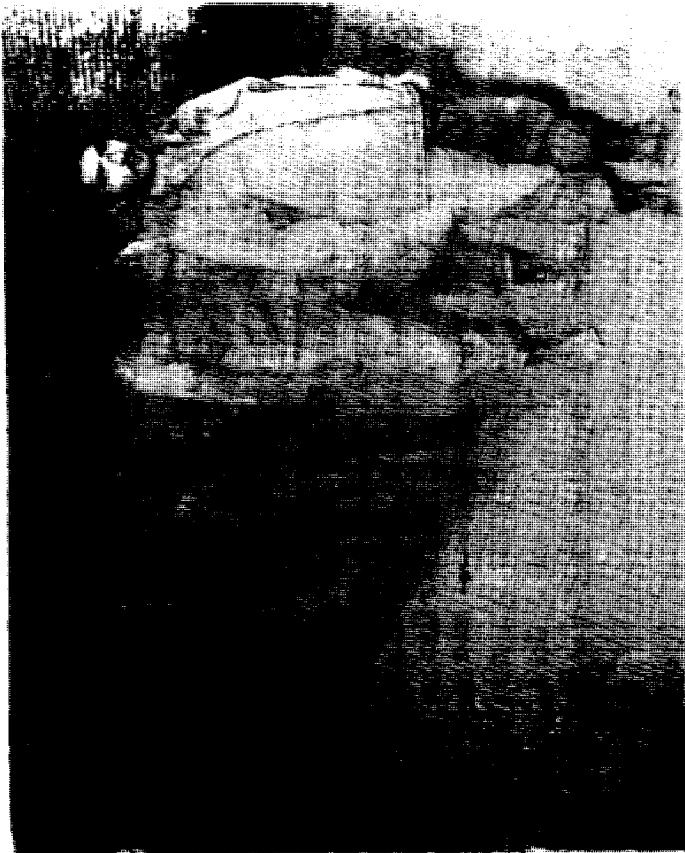
وبدا الطلب لسماعه غير متوقع . وحاول الرئيس « السادات » ، تقديمه باعتباره ضرورة للرد على كل ما قيل عما جرى في حرب الأيام الستة ( يقصد سنة ١٩٦٧ ) . وأضاف الرئيس « السادات » ، أنه طلب بالفعل طاقما من التليفزيون والاذاعة لتسجيل الحديث ، وهو يريد على الهواء قبل الساعة التاسعة لكي « يفرح به الناس قبل أن يناموا » . قالها وفي نبرات صوته سعادة كان له كل الحق فيها . لكن الوقت كان ما زال مبكرا . وقد حاول « هيكل » أن يشرح له « إننا أمام معركة ما زالت في بدايتها ، والحوار مع العدو بدأ بالكاد ، وقد كانت لنا فيه الكلمة العليا هذا صحيح ، لكن حوار النار مستمر ، ومن المستحسن تأجيل الحديث للناس الآن ، وتركمهم يفرحون بما يسمعون من إذاعات العالم . فهذا أفضل وأقل في التأثير عليهم مما لو تحدث هو في هذه اللحظة . بمعنى أنه قد يكون من الأصوب الآن أن يترك هو فرصة للعالم يتحدث عن انتصاره ، ويصل صدق هذا الحديث إلى شعبه - من أن يتحدث هو مهما كانت أهمية ما يمكن أن يقوله في هذا الوقت » . ودارت مناقشة طويلة قطعها وصول السفير السوفيتي إلى قصر الطاهرة .

وفي حين اجتمع الرئيس « السادات » مع السفير السوفيتي ، ذهب « محمد حسنين هيكل » إلى مكتب العقيد « عبدالرزوق رضا » مدير الشؤون العسكرية - للاطلاع على آخر التقارير والاتصالات .

□

فلم السفير السوفيتي تهنئة القيادة السوفيتية وتهنئته<sup>(١)</sup> . وسلم رسالة مكتوبة بلغة إنشائية وحساسة من الزعيم السوفيتي « ليونيد بريجنيف » . وقد عاد الرئيس « السادات » ، فكرر مرة أخرى ما سبق أن قاله له « بريجنيف » ، على التليفون تعبيرا عن عرفانه بدور الاتحاد السوفيتي في تحقيق كل هذا النصر العظيم الذي حققته اليوم « . وسأله السفير السوفيتي عن تصوراتيه فيما يتعلق بالجانب السياسي في المعركة . فالأمريكان قد اتصلوا بالسوفيت يتشاورون معهم فيما يمكن أن عمله مجلس الأمن إزاء نشوب الحرب في الشرق الأوسط . فهناك مشاورات واسعة بين الأربعة الكبار في مجلس الأمن ، ومعهم السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » . وهناك أفكار عبر محددة بعد عن مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن في شأن الأزمة ، وهم يريدون أن يكونوا

(١) كان « بريجنيف » قد تمكن قبلها من اتصال تليفوني بنفسه بالرئيس « السادات » ، في قصر الطاهرة .



الجنود الأسرائيليون الذين وقعوا في الأسر

- الجبهة السورية تم عبورها الخندق المضاد للدبابات .  
العسود :

- بتسك العدو بموقع شرق بورغواد كم ١٠ ، ١٩ ، نقطة رقم ٣ بالنقطة والكتاب والدفوسار وتل سلام ولسان بورغوفيق .
- باقي النقاط القوية ارتدت تحت ضغط قواتنا .
- بدأ العدو في دفع احتياطياته الثقوية والتصورية .
- بدأ العدو في تعزيز مطارات سيناء بعد أن تم تعطيلها من الضربة الجوية المصرية .
- رصد للعدو عشر قطع بحرية شرق بورسعيد .

خسائر العدو :

- ٢٨ طائرة ماثلة
- ٣١ دبابة
- ١ قطعة بحرية
- قتلى : ( لم يتم الحصر )
- جرحى : ( لم يتم الحصر )
- أسرى : ١١

على علم مسبق بتصورات الرئيس حتى ينسقوا جهودهم مع مطالبه . وأضاف « فينوجرادوف » أن السفير السوفيتي في دمشق « محيي الدينوف » سبق له أن ناقش هذا الموضوع مع الرئيس « حافظ الأسد » عندما أخطره الرئيس السوري عن احتمالات المعركة . وتكر في حديثه أن الرئيس « الأسد » كان قد ألمح في حديثه مع « محيي الدينوف » إلى إمكانية بحث وقف إطلاق النار وقفا لما تكون عليه الأحوال وقتها . ولم يكن الرئيس « السادات » مستعدا لهذا النوع من الحديث . وقد قال لـ « فينوجرادوف » إن « هذا موضوع لا يستطيع في هذه اللحظة أن يحثه ، وفي وسعه ( أي السفير السوفيتي ) أن يناقش هذا الموضوع مع الكتور « محمود فوزي » ، فهو ( أي الرئيس « السادات » ) يصرف الآن بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة ( وأشار إلى حلتها العسكرية الأنثوية قائلا لـ « فينوجرادوف » : « ألا ترى ؟ » ) - ثم أضاف بلهجة جد قصدها متبسطة أن تبدو تمثيلية : « في هذه اللحظة أنا القائد الأعلى للقوات المصرية فقط ، وأى حديث في الموضوعات الدبلوماسية ليس في دائرة اهتمامي الآن » .

وأراد « فينوجرادوف » أن يتثبت فقال : « تعني يا سيادة الرئيس أنني أستطيع مناقشة احتمالات العمل الدبلوماسي مع الكتور محمود فوزي ؟ » ورد الرئيس « السادات » بسرعة : « نعم .. نعم .. ابحث معه كما تشاء » .

وخرج السفير السوفيتي . وأشار الرئيس « السادات » باستدعاء « محمد حسين هيكل » الذي عاد إليه وقد جاء معه العقيد « عبدالرؤوف رضا » يحمل تقريره عن أول يوم من أيام القتال . وفي حين جلس « هيكل » بجانبه ، وقف العقيد « عبدالرؤوف رضا » ينتظر أن يلقي الرئيس « السادات » نظرة على الملف الذي قدمه إليه .

كان الملف يحوى التقرير ، وقد أرفقت به نسخة من منشور جرى توزيعه على القوات ساعة بدء العبور . كان التقرير مكتوبا باللغة الواقعية للبيانات العسكرية ، وكان نصه على النحو التالي :

« سرى جدا » (\*)

تقرير موقف رقم « ١ »

مكتب الشؤون العسكرية

الموضوع : تقرير موقف عن اليوم الأول لقتال ١٠ / ٦ / ١٩٧٣

عسام :

- بدأ هجوم قواتنا سعت ١٤٠٠ بضرية جوية على مطارات سيناء والأهداف الجوية بها .
- نجحت قواتنا في اقتحام المانع المائي قناة السويس وتحقيق المهام المباشرة للتأسيات الأولى على مسافة ٢,٥ - ٣,٥ كم شرق القناة ، وذلك حتى سعت ١٦٤٥ عدا بعض النقاط الحصينة .

( \* ) في ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذا التقرير تحت رقم ( ٥١ ) وهي منشورة على صفحة ٧٨٩ من الكتاب .



## قواتنا :

- طورت قواتنا نجاحها واستولت على رأس كوبرى بمق ٧ - ١٠ كم شرق القناة .
- بدأت قواتنا فى التدفق لتثبيت وتوسيع رأس الكوبرى .
- تم دفع مجموعات الصاعقة على جميع محاور سيناء وإبرار المظلات فى المناطق الحيوية .
- تم الإبرار البرى الى بعض المناطق بالساحل الشمالى وخليج السويس .
- تم قصف مطارات المعاونة المباشرة للعدو ومواقع صواريخ الدفاع الجوى بها والمناطق الحيوية وأرتال قواته المتقدمة .

## التعليق :

- العدو يحاول استعادة السيطرة على قواته وتجديدها للقيام بهجوم مضاد .
- يركز العدو تسمكه بموقع شرق بورفؤاد لارتكاز عليها لتوجيه ضربة الى بورسعيد .
- من المنتظر أن يوجه العدو ضربة جوية الى المطارات والقواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى على الجبهة المصرية .
- من المنتظر أن تنشط أعمال العدو فى العمق ضد الأهداف المنزلة ، .



وكان المنشور المرفق بالتقرير مكتوبا بلغة مختلفة . وكان نصه (\*) :

، بسم الله الرحمن الرحيم

رسول الله معنا فى المعركة

يا جند الله

إن المعركة التى نخوضونها بعزيمة المؤمنين ولقين الصادقين ترفع من حولها البشائر الصادقة التى تملأ الصدور بالأمل بالنصر العزيز . ونغمر القلوب بالثقة فى وعد الله بالفتح المبين .

وفىما نعرف من حديث رسول الله ﷺ أن من رأى رسول الله فى نومه فكأنما رآه فى يقظته .

وقد رأى أكثر من واحد من الصالحين رسول الله ﷺ قبل بدء المعركة يشير الى سيناء إشارات معبرة عن تحريرها .

كما رأى بعضهم رسول الله ﷺ يمشى فيها بين جنودنا مشرق الحيا واضح الانبسامة .

كما رأى أحد الصالحين أن رسول الله ﷺ فى منزل شيخ الأهر الدكتور عبد الحليم محمود . فذهب الرائي اليه فى الغرفة المجاورة ليخبره بعلمه رسول الله . فوجدته يوصى . فانتظر الى أن انتهى من صلاته ... ثم أخبره . فقال لى أعرف ... لآنى ذاهب معه الى سيناء ... يقول الرائي ثم رأيت شيخ الأهر يرافق الرسول الى سيناء حيث يشرق بنوره الكريم هناك . وأخذنا يتقلان معا بين الجنود .

يا جند الله

إن البشائر الصادقة ترى مؤنثة بيوم النصر المرتقب ... فطلى بركة الله شدا على أعداء الانسانية

(\*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذا المنشور تحت رقم ( ٥٢ ) - على صفحة ٧٩٠ من الكتاب .

أعداء الله ... طهروا تراب الوطن العزيز من رجس الغاصب ... انصروا الله بنصركم ... والأمة كلها من ورائكم مؤمنة بأن النصر بئذن الله عليهم .

والله معكم بحكم ويرعاكم ودعوات الصالحين الخاصة بالنصر المؤزر والفتح المبين ... وبهومنذ يلوح المؤمنون بنصر الله .



بعد أن فرغ العقيد « عبد الرؤوف رضا » من عرض ما لديه ، غادر الصالون . وعاد الرئيس « السادات » الى فكرة إعداد بيان يليقه . وعاد « محمد حسين هيكل » يحاول شرح وجهة نظره فى أفضلية الانتظار ، كما أنه أبدى ملاحظة على المنشور الذى وزع على الجنود مؤداهما :

- « إن صيحة « الله أكبر » التى انطلقت بها حناجر الجنود على جسور العبور كانت تكفيها صلاة ودعاء يشارك فيها كل المؤمنين ، وهى فى كل الأحوال تغنيها عن كل الأحلام بما فيها « أحلام الصالحين » .

والمشكلة أن هذا المنشور الموزع على الجنود يحوى خطأ بين الوطنية والدين . وبين الشيوخ والجنود ، وهو شيء لا داعى له - خصوصا وأن هناك من قادة الجيوش والفرق ضباط من الأقباط ، ونفس الحال على نطاق أوسع قائم بين الجنود . وهو يخشى من تحويل الصراع الى حرب دينية بينما هو فى الحقيقة صراع قومى » .

وكان الرئيس « السادات » يفكر فيما يسمع ، وقد بان قراره التهاى حين نطق جرسا فاستدعى سكرتيره السيد « فوزى عبد الحافظ » وطلب اليه « أن يصرف جماعة الإناعة والتليفزيون - ومع ذلك فقد كان الصالون - وقصر الطاهرة كله مأخوذا بالكامل فى موجة من الفرح لا سبيل الى ضبط مشاعرهما .

وأبدى « هيكل » ملاحظة أخرى تساءل فيها عن الدكتور « فوزى » وقد عرف أنه لم يخصص له مكتب فى القصر . كذلك فإنه لم يجد أثرا لمستشار الرئيس للأمن القومى السيد « حافظ اسماعيل » ، ولا للمتحدث الرسمى باسم الرئيس الدكتور « أشرف غريال » . ورد الرئيس « السادات » بسرعة قائلا : « فوزى يعمل من وزارة الخارجية .. وحافظ وأشرف خصصت لهما فصر عبد المنعم » ( يقصد فصر الأمير السابق محمد عبدالمنعم ) . وأضاف أنه لا يريد أعباء إضافية بجرها ورائه ، وأن هذه معركة وأنه يفضل أن يخوضها بدون حزام حوله من أحد . ثم قال وفى نبرة صوته رنة ثقة بالنفس لانتخطها أذن : « نتائج اليوم أمامكم ، فلماذا تغير أسلوب العمل ؟ » .

وعند منتصف الليل كانت الأنباء ما زالت تترى على قصر الطاهرة ، وكانت كلها أنباء سعيدة . وكان القصر ما زال يعيش على ندى أمواج نشوة بالفرح الغامر والسعادة الفائقة .



من الصعب عى أحد مهما بلغت درجة قربه من الحوادث أن يتخذ بتحليل دقيق أو قريب من الدقة للمشاعر والأفكار التي تحركت وتداخلت في عقل وفكر الرئيس « السادات » في تلك الليلة الحاسمة من تاريخه وتاريخ مصر . ومع أن التاريخ أيام متصلة يترتب اللاحق فيها على السابق دون فجوة أو فراغ - فإنه من المحقق أن هناك تجارب خاصة في حياة الناس يمكن أن يكونوا بعدها مختلفين عما كانوا قبلها . والتاريخ حافل بنماذج كثيرة لهذه اللحظات الفاصلة والفارقة في حياة البشر ، سواء كانوا على القمة في بلادهم ، أو من السفح والقاع .

وفي ليلة ٦ - ٧ أكتوبر ، كان « أنور السادات » في لحظة فاصلة وفارقة من حياته شكلت - على وجه القطع - مفترق طرق .

● قبلها كان واحدا من زعماء العالم العربي مثل غيره كثيرين - وبعدها أصبح نجما يلعب في أفق عال وشامق .

● وقبلها فإن رجلا مثل « هنري كيسنجر » - كان يتهرب منه ويصفه بأنه « بهلوان سياسى » - وبعدها فإنه لم يعد في مقدور أحد - بمن فيهم « هنري كيسنجر » - إلا أن يعترف له بأنه « داهية سياسى » .

● وقبلها كان حاكما بشرعية مستعارة من سلفه ، جمال عبد الناصر - وبعدها فإنه أصبح يمتلك شرعية مستقلة يبدأ بها عصرا جديدا من حكمه .

● وقبلها لم يكن في تاريخ العرب الحديث انتصار عسكري واضح - وبعدها فإنه سجل في تاريخ العرب نصرا عسكريا على مستوى لم يكن ينتظره أحد .

● وقبلها كان رجلا تكررت وعوده واعتبرت كلها جوفاء وفارغة - وبعدها فإنه استطاع أن يحقق ما وعد به ، وزاد عليه .

● وقبلها كان يتصرف وفي إحساسه أن « جمال عبد الناصر » كان رجلا أكبر منه - والان فقد داخله الاحساس بأنه أصبح أكبر من « جمال عبدالناصر » . فهذا الذي تحقق على يديه اليوم لم يحدث ولا ، جمال عبد الناصر .

وقبلها وقبلها كثير ، وبعدها وبعدها كثير أيضا ، وما قبل مختلف دوما عما بعد !

وكان ذلك كله ماثلا في ذهنه تلك الليلة ، وقد عبر عنه بالشوشة ، وربما استطاع تحليل بعضه ، وأحس بأثر البعض الآخر دون تحليل - لكنه في نهاية يوم طويل ومرهق ، يدخل إلى فراشه ليلا وقد أصبح على قمة العالم - وقد كان مغربه ومشرقه مأخوذا بما حدث .

كان هو الآخر مأخوذا بما حدث ، وكان ما رآه وعاشه طول اليوم بالفعل أشبه ما يكون بانفجار قنبلة نوية ، وقد كان قراره هو الذى فجرها ، وهذه حقيقة لا يملك أحد أن يجادل فيها . ولقد كان يمكن رد هذا الانفجار النوى إلى أسباب عقلانية - لكن ذلك لم يكن شاعله تلك الليلة .

وأما كان شاعله ما يراه أمام عينيه : فلقد تم العبور العظيم - وهو الآخر عبر من مكان إلى مكان ، ومن ضفة إلى ضفة ، ومن حال إلى حال .

ولقد احتلط العبوران معا ، فأصبح عبور القوات عبوره ... وعبوره عبور القوات . وفي واقع الطبيعة البشرية فإن ذلك كان محتلا .. وربما كان مفهوما .



كان ما رآه أمام عينيه أثناء وجوده في مركز القيادة رقم ١٠ ، وبعد خروجه منه - تجربة أسطورية - وكان يمكن رد ما بدا أسطوريا إلى أسباب عقلانية وعلمية :

● ● أولها - أنه كان هناك وطن وأمة وقعا معا تحت ضغوط هائلة وصلت إلى معبر النواة الداخلية الصلبة لمعدن الوطن والأمة ، وبالتالي فإن طاقة يصعب تصورها أقلت من عالها وانفجعت شحنتها - كما يحدث في أى تفجير نووى - نهاجم نرات أخرى وتكسرها وتطلق شحنتها ، ثم تصل قوة الفعل المضاعف ، وردود الفعل المتصلة - إلى خلق قوة جبارة لم يكن أحد يتخيل وجودها في نواة ذرة .

● ● وثانيها - أن التجارب المريرة السابقة - وعلى قسمها تجربة سنة ١٩٦٧ - علمت كثيرين وبالأذات في القوات المسلحة المصرية أن العلم ، والتخطيط على أسامه ، هما وسيلة العصر لتحقيق أى هدف . وهكذا فإن عملية إعادة البناء التي بدأت مباشرة غداة تكسة ١٩٦٧ - استطاعت أن تخلق حقائق جديدة في مقبرة الفكر والتحضير والفعل ، وبالتالي امتلكت القوات المسلحة كفاءة تمكنت بها من إحداث نقلة نوعية في أساليب أدائها بالسلاح أمام عدوها .

● ● وثالثها - أن الكم الإنساني ( جيش المليون ) - استطاع أن يوفر لنفسه حجما من الكيف ( كان في جيش المليون قرابة مائة ألف من حملة الشهادات المتوسطة والعليا ) له وزن أصرب إلى إرادة ومقدرة الفعل ، وكانت نتيجة تلاحم العنصرين معا : عنصر الكم ، وعنصر الكيف - تحقيق ما يمكن وصفه بأنه معجزة .

ولقد أثارت هذه المعجزة على سبيل المثال اهتمام وفضول كثيرين ، بينهم لجنة القوات المسلحة فى الكونجرس الأمريكى ، وقد قصدت إلى مصر والعمليات لم تتوقف بعد رغم نصائح لها من واشنطن بالانتظار - وكانت لهمة أعضائها أنهم يريدون التقصى عن أسباب ما لم يتوقعه أحد !

وحين جاءوا ورأوا وعالوا ليكتبوا تقريرهم<sup>(\*)</sup> كانت آراؤهم :

- أ - أن اقتحام خط ، باريس ، سنة ١٩٧٣ عمل عسكري لا يقل في أهميته عن سقوط خط «ماجينو» الفرنسي سنة ١٩٤٠ .
- ب - أن هناك نقلة بشرية كبيرة في نوعية المعاتين العرب تختلف بها هذه الحرب عن أي حرب أخرى خاضوها من قبل .
- ج - أن التخطيط المصري للمبارك كان على كفاءة عالية ، وقد تمكن من تجاوز أسباب التفوق الإسرائيلي التقليدية . وكانت لإسرائيل ثلاثة عناصر في التفوق :

- تفوق في الطيران : وقد ألقته مصر باستعمال الصواريخ الصغيرة المضادة للطائرات من طراز سام ( لارتفاعات العالية ) - ومن طراز ستريللا ( لارتفاعات المنخفضة ) .
- تفوق في المدرعات : وقد ألقته مصر بالتوسع في الصواريخ أيضا من طراز مولوتكا .
- تفوق في نظام التعبئة العامة : وقد ألقته مصر بمقتصر المعالجة من ناحية ، وبالتخطيط للحرب على جبهتين في وقت واحد : الجبهة المصرية ، والجبهة السورية - من ناحية أخرى .

د - أن مصر لم تكن تمتلك بصفة عامة أسلحة جديدة متقدمة تم استعمالها مفاجأة ، لكنها في هذه النقطة استطاعت أن تجد وسيلة مبتكرة ، وتلك أنها استعاضت عن تقدم السلاح ، بسياسة التوسع في نشره . وقد نكر تقرير اللجنة أن الجبهة المصرية شهدت انتشارا للأسلحة وصفته اللجنة بأنه astounding (أي مذهل) - أي أن الكميات التي استعملت منه كانت غير مسبوقة ، فأمام هجمات الطائرات كانت هناك آلاف مؤلفة من صواريخ ستريللا ، وأمام زحف المدرعات كانت هناك آلاف مؤلفة من صواريخ مولوتكا .

وقد لاحظت لجنة الكونجرس أن التوسع المذهل في نشر الصواريخ على الجبهة المصرية لم يكن مكافئاً فوق الطاقة ، وضربت اللجنة ذلك مثلاً خلاصته أن الصواريخ السوفيتي المضاد للدبابات كان ثمنه ١٠٠٠ دولار ، في حين أن الصواريخ الأمريكي الذي يؤدي نفس مهمته كان ثمنه ١٠٠٠٠ دولار .

هـ - ومع ذلك فقد كان لدى القوات المصرية نوع من التكيف لا شك فيه ، ومن نماذج ما أشارت إليه لجنة الكونجرس من أن الصواريخ من طراز ، سام ٦ ، لم يقدم لفيتنام ، ولكنه قدم لمصر . وأن الدبابات من طراز ، ت ٦٢ ، لم تكن قد دخلت إلى الخدمة في قوات حلف وارسو - ومع ذلك كانت عامة مع السلاح المصري سنة ١٩٧٣ .

● ● ● ورأيها - أن إسرائيل - لأول مرة في حياتها - فوجئت بعمل عربي أخذ في يده زمام المبادرة ، وكان أكبر عون له هو الغرور الإسرائيلي الذي تزايد بعد سنة ١٩٦٧ ، ووصل إلى درجة فائقة حين أصبح التكبير والتخطيط الإسرائيلي قاتمين على أسس جامدة رغم الشواهد - فقد ظلوا إلى آخر لحظة متقدمين عند قنطرة ، أن العرب لا يملكون خياراً عسكرياً قط ، .

● ● ● وخامسها - أن القوات المصرية كانت لأول مرة في عملية تستهدف تحرير أرضها ، وقد طالت معرفتها وألفتها مع الخطأ خدمة وتدريباً ومناورة على عملية التحرير التي

(\*) تقرير اللجنة الفرعية للجنة الدفاع ( القوات المسلحة ) في الكونجرس ، وقد كانت اللجنة في مصر وإسرائيل في الأسبوع الأول من شهر نوفمبر . وقد حذر التقرير رسمياً بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٧٣ .

أخنت هذا الاسم الرمزى أثناء المناورات فعلاً ، فأصبح هناك مشروع ، تحرير ١ ، وتحرير ٢ ، وتحرير ٣ ، وهكذا ...

وحين جاءت اللحظة لعملية التحرير الفعلية فإن القوات لم تتقدم فقط لتحرير الأرض - وإنما نعمت إلى عملية عاشتها وتألفت معها طوال تجارب طويلة ، وهكذا فإنه حين جاءت تحريرة الحقبة ، فإن الشباب والرجال قاموا بها وكأنهم بالفعل يقومون بعملية تدريب أخرى (على حد تعبير الفريق ، أحمد اسماعيل) .

● ● ● وسادسها - أن التقدير الذي جرى في أعماق الشعب المصري وأطلق شعناته الهائلة ، كان له مثيله فيما حدث لشعوب عربية أخرى . وقد كان ذلك ما جعل الملك ، فيصل ، على سبيل المثال يلوح مبكراً بإمكانية استخدام البترول . بل وقد كان هناك شيء قريب الشبه بذلك في موقف الاتحاد السوفيتي نفسه في تلك الفترة . ذلك أن كثرة الإلحاح عليه دفعته على نحو ما إلى أن يستجيب ولو بالكم ، مما أحدث فارقاً هائلاً في تركيز وكثافة النيران .

وعلى سبيل المثال فإن قرار مصر بالحرب سنة ١٩٧٣ - كان يقضي باستعمال كل الوسائل المتاحة لدى الجيش المصري في عمل عسكري لعبور القناة ، وكان هذا هو نفس التعبير الذي استعمل في ربيع سنة ١٩٧١ حينما كان الفريق « محمد فوزي » وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة - لكن الفارق بين حجم السلاح في ربيع سنة ١٩٧١ وحجمه في خريف سنة ١٩٧٣ - كان بنسبة الضعف تقريباً في حجم النيران .

معنى ذلك أنه كانت هناك عوامل موضوعية يمكن لها أن تفسر المعجزة ، لكن الإجماع بالمعجزة نفسها - بعيداً عن أسبابها - كان هو العنصر الطاغي على المشاعر تلك الليلة العاسمة - ليلة ٦ - ٧ أكتوبر ١٩٧٣ .

● ● ● وسابعها - أن الرأي العام العالمي ضايق ذرعاً بالعناد الإسرائيلي المصمم على عدم الانسحاب من الأراضي المحتلة اعتماداً على أن العرب لن يحاربوا ، وذلك خلق جواً مواتياً لتقبل العمل العربي حينما حان أوانه !



ولقد قال الرئيس « السادات » بنفسه صباح يوم ٧ أكتوبر ، إنه لم يبق طوال الليل ، وإنما كان يكر . ولم يستغض في شرح شواغله التي أدت به إلى الأرق ، وإن كان يمكن استخلاص بعضها من تصرفاته فيما بعد .

وعلى نحو ما فإن تصرفاته فيما بعد تظهر مراحل تفكيره بمقدار ما يمكن أن يصل إليه لتحليل موقف في غياب صاحبه :

- ١ - لقد رأى وعاش معجزة .... ( لا يحتاج ذلك الاستنتاج إلى شاهد ) .
- ٢ - لقد كان هو الذي أعطى الإشارة فوقعت المعجزة ( وشاهد ذلك ما تكرر على لسانه

كثيرا فيما بعد عن « جيشي » و « طيراني » ، و « أسطولي » ، وكثير غير ذلك منسوب إليه شخصيا ) .

٣ - إنه يريد أن يحتفظ بنسب المعجزة إليه وحده ( وشاهد ذلك قوله في هذا الوقت المبكر إنه لا يريد زحاما حوله .. حتى من مستشاره للأمن القومي الذي أرسله ليعمل من قصر الأمير السابق « محمد عبد المنعم » ) .

٤ - ولقد كان يشعر في أعماقه أن المعجزة التي رآها تحدث أمامه من صنع قوى يعرفها ، وقوى أخرى لا يعرفها كانت في أعصاق الناس أو خافية عليه غير مرئية . ويقرر ما هو مبهر بما أنتج له مما رآه ، فإنه يريد أن يتوقى العيب الذي لا يراه ( وشاهد ذلك أنه لم يستطع أن يرد المعجزة إلى أسبابها المنطقية ، ولعل أقرب مثل إلى حالته في تلك الأوقات هو ما أحس به العلماء الكبار الذين قاموا على صنع القنبلة الذرية من أمثال « روبرت أوبنهايمر » ، ذلك أنهم عندما رأوا قوة الطاقة التي تمكنوا من تغييرها ، ساورهم الخوف وراحوا يكررون في كيفية السيطرة على هذه القوة الطاغية التي توهجت إمكانياتها أمامهم على ساحة التجارب في صحراء « نيو مكسيكو » ) .

٥ - وهو يرغب في الاحتفاظ بهذه المعجزة ، ولذلك فهو يخشى من تطلب الأمور ( وشاهد ذلك اقتناعه بتأجيل إلقاء بيان عنها يوجهه إلى الشعب والأمة في نفس الليلة ، خصوصا بعد أن قرأ تقرير مكتبه العسكري وفيه الإشارة إلى تحسب هجوم إسرائيلي مضاد ) .

٦ - وهو نتيجة لذلك كله مطالب - في تقديره - بضرورة التحرك بسرعة لتثبيت المعجزة واستمرار بقائها في حوزته وإحكام السيطرة عليها قبل أن يحدث أي شيء . ولقد قاده ذلك بالطبع إلى التفكير في إسرائيل ، وقاده التفكير في إسرائيل إلى التفكير في الولايات المتحدة الأمريكية ( وشاهد ذلك ما فعله صباح يوم ٧ أكتوبر ) .

□

صباح يوم ٧ أكتوبر - ( وباكرا جدا ، في حوالي الساعة السادسة صباحا ) - كان الرئيس « السادات » يقرأ برقية جاعته من وزير خارجيته الدكتور « محمد حسن الزيات » من نيويورك ، وكان نصها على النحو التالي :

« من نيويورك

برقية رمزية واردة برقم ١٨٦٧ (\*)  
( سرى للغاية ومحظور )

١ - اتصل بي كيسنجر من واشنطن ، وكان قد سافر إليها بعد أحداث الشرق الأوسط في الصباح ، وذكر الآتي :

( \* ) في ملحق صور الوثائق يوجد صورة للصفحة الأولى من برقية الدكتور ، الزيات ، وهي منشورة تحت رقم ( ٥٣ ) - على صفحة ٧٩١ من الكتاب .

أ - قال إنه كان مسرورا ومتقلبا بإمكان بدء مجهود حقيقي وفعل بالتعاون المشترك لتسوية مشكلة الشرق الأوسط من حديثه معي يوم ٥ أكتوبر .

ولقد جاءت أحداث اليوم لذلك ( ٦ أكتوبر مساء بتوقيت واشنطن ) - مفاجأة وهو يرى أن القتال إذا لم يتوقف في وقت معقول فإن الأمر سيخرج عن أيدينا .

ب - وقال إن معلوماتهم وتقديرهم ، وقد يكونوا مخطئين ، هو :

أولا : أننا نحن الذين بدأنا هجوم اليوم .

ثانيا : أن القتال إذا استمر فسينتهي بنجاح الجانب الآخر - الإسرائيليون . وتقديرهم أن الجانب الآخر سيقوم بهجوم مضاد كبير خلال اليومين القادمين .

ج - وقال إنه يود أن يذكر لي من جديد أنه إذا حدث ذلك فإنهم لا يوافقون على احتلال إسرائيل لأراضي جديدة .

د - وتساءل لذلك عن استئذان فكرة إصدار قرار من مجلس الأمن بإيقاف النار مع إعادة الحالة إلى ما كانت عليه .

هـ - وقال إن إثارة مناقشة في الجمعية العامة عندما تتناول الاجتماع يوم الاثنين القادم سيزيد من تعقيد الموضوع .

أجبت بما يلي :

أ - بأنه في أثناء حديثنا ( بقصد حديثه السابق مع كيسنجر يوم ٥ أكتوبر ) تبين أن إسرائيل مطمئنة إلى قدرتها على المحافظة على إيقاف النار ومرتاحة إليه . ولا ترى داعيا لتغيير الحالة القائمة . وبالتالي فإن أمريكا لا تستطيع أن تضغط عليها للتوصل إلى مثل هذه التسويات التي تطلب مصر - لذلك فهما كانت أسباب حوادث اليوم - وهل هي حسبما شرحتها للجمعية العامة في خطاب مرسل اليوم (\*) ، أو حسب معلومات واشنطن - فلا شك أنها تبين أن قناة السويس ليست حاجز الأمن الذي لا يمكن لا يتخفى من جهة ( ومن جهة أخرى ) وأن إيقاف النار ليست هي حالة اليوم .

ب - أن اقتراح العودة إلى الحالة التي كانت قائمة ، أي التفاهة خلف قناة السويس هو اقتراح غير مقبول ، وغير قابل للنقل للقاهرة . واعتقد أن الاقتراح المقول هو إيقاف النار والعودة إلى الحالة التي كانت قائمة قبل حرب ١٩٦٧ .

ج - وفيما يخص إثارة الموضوع في الأمم المتحدة ، سواء في مجلس الأمن أو الجمعية العامة ، بينت أنه ليست لدى تعليمات من القاهرة - ولذلك فإذا كانت لديه أفكار يمكن إبلاغكم بها غير الفكرة الغير قابلة للنقل الخاصة بإيقاف النار والانسحاب المصري من جميع الأراضي - وذكرت أن هذا مجرد سؤال خطر لي وليس سوألا من القاهرة .

د - قال كيسنجر إنه يلهم ما ذكرته - ويعتقد أن أعمال اليوم دلائها - لاثنين ( ينقل عبارة قائلاً كيسنجر وأراد نقلها كما هي بالإنجليزية ) « يو ميد ايه سترونج بوينت » ( \*\* ) You made a strong point - أي أنك سجلت نقطة قوية ، فأصدا بذلك النجاح الساحق لعملية العبور . . .

وقرر الرئيس « السادات » أن يتصرف بمفرده في أمر « معجزته » ، وفي نسبتها إليه ، وفي

( \* ) بعد الدكتور ، الزيات ، خطابا بث به للجمعية العامة يقول إن إسرائيل هي التي بدأت العمليات بهجوم شنته قواتها على موانع معبرية في خليج السويس . وذلك طبقا للبيان الذي صدر من القاهرة عن بدء العمليات .

( \*\* ) كتب الدكتور ، الزيات ، في برقيته حروف الكلمة الإنجليزية باللغة العربية حرفا حرفا منها أن حروفها من الشمال لليمين . أو - بو . . . وهكذا .

فرص الاحتفاظ بها مع السيطرة على قواها المتفجرة وإشعاعاتها المتوهجة وربما الخطرة أيضا . وعلى الأرجح فقد تداعت في أفكاره بسرعة قناعات له سابقة على انفجار الامس الهائل :

١ - أن مفتاح الموقف ما زال في يد الولايات المتحدة الأمريكية : حلا بالاقتراب منه ولو قليلا ، وحربا بدعم إسرائيل - وفي الغالب - كثيرا !

٢ - وأن « هنري كيسنجر » شخصيا هو الرجل الذي يمسك في يده بالمفتاح .

وهكذا فإنه في الوقت الذي فرغ فيه الرئيس « السادات » من قراءة آخر برقية شفرية أرسلها الدكتور « الزيات » - فإن أول ما خطر بباله كان : « هنري كيسنجر » !

### ٣

صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر - ولم يكن قد مضى على بدء المعارك أكثر من عشرين ساعة - بعث الرئيس « أنور السادات » برسالة إلى الدكتور « هنري كيسنجر » ، وقد وقعها السيد « حافظ اسماعيل » مستشار الرئيس « السادات » للأمن القومي . وكان نصها كما يلي : (١)

« من السيد حافظ اسماعيل (٢)

إلى الدكتور هنري كيسنجر .

أ - لقد نقل إينا الدكتور الزيات ما تم بيتكما من محادثات ومناقشات خلال الأيام الماضية .

ب - وإني أود اتساقا مع روح المصافحة التي سادت اجتماعاتنا - أن أبدأ ملاحظات قليلة بصدد النقاط التي أثارت خلال مناقشاتنا :

١ - إن الاشتباكات التي تحدث حاليا في المنطقة لا يصح أن تثير أية دهشة لدى جميع أولئك الذين تنتموا للإستنزافات الإسرائيلية المستمرة ، ليس على الخطوط السورية واللبنانية فحسب ، بل أيضا على الجبهة المصرية ، وكثيرا ما لفتنا النظر إلى مثل هذه الاستنزافات التي لم تتوقف قط رغم الإدانة الدولية .

٢ - وعلى ذلك فقد كان على مصر أن تتخذ قرارا لمواجهة أية استنزافات إسرائيلية جديدة بالحزم ، وبالتالي أن تتخذ الاحتياطات الضرورية لكي تواجه أي تصرف إسرائيلي من قبيل ذلك الذي وقع فوق سوريا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ .

٣ - والمصاعبات التي حدثت على جبهة القناة كنتيجة للاستنزافات الإسرائيلية ، كان المقصود

( ٢ ) حرصا على دقة الترجمة فقد حرصت على أن يقوم بترجمة هذه المجموعة من الوثائق أحد المسؤولين الكبار في قسم الترجمة برئاسة الجمهورية في ذلك الوقت ، وذلك حتى تكون لغة الوثيقة أقرب ما تكون حتى في العاطف إلى الأسلوب الرسمي المعتمد أيامها .

( ٣ ) نشرت نص هذه الوثيقة بالكامل لأول مرة في حديث صحفي أجراه مع الأستاذ ، صلاح عيسى ، ونشرته جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ مايو ١٩٨٣ . وأحدث نشر هذه الوثيقة أيامها ضجة كبيرة ، ولم يتصور أحد أن هذه الوثيقة واحدة من مجموعة .

وتوجد صورة لهذه الوثيقة في ملحق صور الوثائق تحت رقم ( ٥٤ ) على صفحة ٧٩٢ من الكتاب .

منها من جانبنا أن نظهر لإسرائيل أننا لسنا خائفين ، ولسنا عاجزين ، وأننا نرفض أن نستسلم لشروط مخطط عدواني يهدف إلى احتجاز أرضنا كرهينة للمساومة .

٤ - كنتيجة للاشتباكات فإن موقفا جديدا قد نشأ في المنطقة . ولأنه كان طبيعيا توقع تطورات جديدة في خلال الأيام القلائل القادمة - فإننا نود تحديد إطار موقفنا .

٥ - إن هدفنا الأساسي لا يزال كما كان دائما ، تحقيق سلام في الشرق الأوسط ، ولبنان تحقيق تسويات جزئية .

٦ - إننا لا نغترم بتسويق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة .

٧ - وإذا أحسب أنك تلتقي من المستر روكفلر رد رئيسنا على رسالتك ، تلك الرد الذي أعيد فيه تأكيد موقفنا كما توضح منذ أول اتصال لنا - أرجو أن تسمحوا لي أن أؤكد بجداء مرة أخرى :

١ - إن على إسرائيل أن تتسحب من جميع الأراضي المحتلة .

٢ - وعندئذ ستكون على استعداد للمساهمة في مؤتمر سلام بالأمم المتحدة على أي شكل مقبول سواء كان تحت إشراف السكرتير العام ، أو منتدى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ، أو أي هيئة أخرى مناسبة .

٣ - إننا نوافق على حرية الملاحة في مضائق تيران ، ونقل - كضمان - تواجدا دوليا ، لفترة محدودة .

٤ - وإني لأستشعر الثقة من أنك تقررون أن هذه العودة لشرح موقفنا مبشها رغبة حقيقية مخصصة ، وليست منبثة عن استعداد لبدء سلسلة من التنازلات . والحق أننا نذكر أن مستر روجرز قد أضر

بفرص السلام ، حين أخطأ تفسير مبادرتنا للسلام في فبراير ١٩٧١ بطريقة تعرفت بتلك المباشرة عن طبيعتها وهدفها الحقيقيين .

ونفضلوا بقول أطيب التمنيات .

حافظ اسماعيل ،

إدارة الصراع كله .

كانت هذه الرسالة - شكلا وموضوعا - علامة خطيرة تجعلها بداية تحول لا شك فيه في

إدارة الصراع كله .

● ● من ناحية الشكل فإن هذه الرسالة جرى توصيلها إلى « هنري كيسنجر » عن طريق القناة الثانية - أي القناة السرية التي تمر عن طريق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية -

« ربما كانت هناك حاجة إلى هذه القناة عندما كانت الريبة في تجنب وزارة الخارجية

والإصالح من وراء ظهرها بالدكتور « هنري كيسنجر » في البيت الأبيض . ولكن « هنري

كيسنجر ، أصبح الآن وزيرا للخارجية خلفا لـ « ويليام روجرز » ، وبالتالي فإن الاتصال به عن

طريق القناة السرية لم يعد يختم الهدف المقصود من الأصل . وقد كان واضحا أن « هنري

كيسنجر ، يدرك طبيعة هذا الاختلاف في الصورة ، فهو لم يبعث برسائلته عن طريق القناة الثانية ،

« إنما بعث بها عن طريق وزير الخارجية . ولم يجعلها في صيغة رسالة ، وإنما كانت في صورة

إصالح وحديث رسمي مع الرجل الذي اعتبره معنلا للسياسة المصرية .

ومعنى ذلك بالتالي أن السرية كانت - بالدرجة الأولى - موجهة إلى وزارة الخارجية

المصرية وإلى الوفد المصري في نيويورك برئاسة الدكتور « الزيات » - الذي لم تكن لديه بالطبع

رسالة لمصلحة الاتصالات الجارية في القناة الخفية .

ولم يكن الأمر مقصوراً على بقاء وزير الخارجية نفسه في الظلام أو في دائرة العلم المحدد بمقدار ما يبلغ إليه - وإنما اعتدلت عملية التميم إلى كل الوفد . وفي حين أن ، كيسنجر ، مع الإسرائيليين كان يتعامل مباشرة مع الوفد الإسرائيلي في نيويورك ، ومع السفارة الإسرائيلية في واشنطن ومع كل أعضائها وخبرائها - فإن الوفد المصري بكل ما فيه من طاقات كان معطلا في هذا الوقت الخطير .

يتصل بهذا الجانب من ناحية الشكل أمر على درجة شديدة من الخطورة . ذلك أن العودة إلى هذه القاعة السرية في هذا الوقت ، والتذكرة بالاتصالات السابقة وما دار فيها - كان من شأنه على الفور أن يستعيد بطريقة كاملة أجواء هذه المحادثات والموضوعات والتفاصيل التي تم بحثها من خلالها . ولما كان ذلك كله قد جرى قبل الحرب وقبل الصورة المعجزة للعبور في اليوم السابق ، فإن الجانب المصري ، سواء وعى ذلك أو غاب عنه ، عاد إلى استئناف الحديث مع « كيسنجر » من حيث تركه آخر مرة في فبراير ١٩٧٣ ، مع أن الصورة العامة بعد القتال اختلفت تماماً عما قبله . وكان أبسط ما تقتضيه وتفرضه الحقائق المستجدة على الجانب المصري هو أن يعطى نفسه بداية جديدة تتناسب مع حجم التغيير الكبير الذي تحقق منذ ساعات بما يشبه قوة انفجار نووي .

● ● ● أما من ناحية الموضوع ، فإن بعض العبارات كانت - ولا تزال - مثيرة للدهشة والاستغراب :

١ - إن العبارة التي وردت في الرسالة والتي جاء فيها بالنص في البند رقم ٦ ، من الرسالة : « إننا لا نعزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » - كانت أول مرة - ربما في التاريخ كله - يقول فيها طرف محارب لعدوه نواياه كاملة ، ويعطيه من التأكيدات ما يمنعه حرية في الحركة السليبة والعسكرية على النحو الذي يراه ملائماً له وعلى كل الجبهات . وذلك أن هذا التمهيد ، عدم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة ، معناه بالنسبة لإسرائيل - وقد كانت الرسالة في خاتمة المطاف وأصلة إليها - أنها تستطيع أن تعيد ترتيب مرتبها بأعصاب هائلة ، وتستطيع تنظيم أولوياتها . وقد كان ذلك ما حدث فعلاً ، واختارت إسرائيل - الوافقة من نوايا الجانب المصري - أن تركز كما تشاء على الجبهة السورية ، ثم تعود بعد ذلك إلى الجبهة المصرية لتصفية بقية الحساب .

٢ - إنه كان غريباً أن يتحدث الجانب الذي حقق بالأمر انتصاراً بهر العالم كله - بكلمات من نوع « الضعف » و « الخوف » و « العجز » و « الأرض الرهينة » وحتى إن كان ذلك في مجال النفي . فالنفي في مثل هذه المواقف يكاد يكون أقرب إلى التأكيد في المعنى من أي شيء يقول به اللفظ .

٣ - إن البند الثاني حوى إشارة لم يكن لها لزوم حين تحدث عن مؤتمر سلام للأمم المتحدة « على أي شكل مقبول - سواء كان تحت إشراف السكرتير العام أو ممثلي الأعضاء

الدائمين في مجلس الأمن ، - ثم أضاف إلى ذلك عبارة : « أو هيئة أخرى مناسبة » . فقد كانت هذه العبارة تحمل - ولو ضمنيًا - معنى القول بإشراف أمريكي على المحادثات .

٤ - ومرة أخرى فإن العودة إلى التفكير بالاجتماعات السابقة وبالرد على الرسالة التي حملها « روكفلر » إلى الرئيس « السادات » - كانت تعنى العودة إلى مجمل الشروط التي كانت مطروحة قبل الحرب - وكان الحرب لم تؤثر على الموقف السياسي في شيء .

٥ - وأخيراً كانت هناك تلك الإشارة التي لم يكن هناك داع لها ، والتي صبت اللوم في فشل المحاولات السابقة للوصول إلى حل سلمي - على عاتق وزير الخارجية الأمريكي السابق « ويليام روجرز » . وحتى إذا قام لدى أحد تصور بإمكان إرضاء « كيسنجر » على حساب « روجرز » ، فإنه كان من الممكن الترفع عن مثل ذلك في وقت جد وأحداث جسام .

ومن سوء الحظ أن « هنري كيسنجر » فهم الرسالة بما تعنيه فعلاً بصرف النظر عن مسياغات الألفاظ .



وكانت الحوادث تجري . والأيام تتلاحق . والرسائل السيئة تتواصل يوماً بيوماً .

## الفصل الرابع

### يوم ٧ أكتوبر

#### ١

#### ٧ أكتوبر في القاهرة ( صباحا ) :

كان الرئيس « أنور السادات » بعد أن بعث برسالته إلى « كيسنجر » - في حالة انتظار - يتوقع منه ردا ، ويتابع مجرى القتال على الجبهة . وقد كان تقرير مكتبه العسكري في ذلك اليوم ، وهو تقرير الموقف رقم « ٢ » ، يحوى المعلومات التالية(\*) :

- ما زال العدو يتسكع ببعض مواقفه مع سقوط موقع كيلومتر « ١٠ » .
- ما زال العدو يدفع باحتياطياته من العمق .
- هاجم العدو بعض مطاراتنا والتنشيطات البرية وأسقط له بعض الطائرات .
- تم اشتباكه بحرى شرق بورسعيد
- أصدر العدو تعليمات إلى طائراته بعدم الاقتراب من قناة السويس حتى عمق ١٥ كم شرقا .
- ركز العدو نشاطه الجوى على الجبهة السورية .

- خسائر العدو :
- أسقط للعدو ٣٢ طائرة مقاتلة + ١ طائرة هليكوبتر .

(\*) مجموعة تقارير مكتب الشؤون العسكرية لرئيس الجمهورية محفوظة كلها في ملف واحد مودع في أرشيف رئاسة الجمهورية .

#### قواتنا :

- تم صد معظم الهجمات المضادة .
- قواتنا تتدفق إلى شرق القناة طبقا للخطة .
- قامت قواتنا البحرية بحصص مواقع العدو في خليج السويس .
- قامت قواتنا الجوية بحصص قوات العدو المتقدمة تجاه القطرة .

#### الجبهة السورية :

- وصلت وحدات مدرعة للقوات السورية على مشارف نهر الأردن ، وقامت بصدد هجوم مضاد لدبابات العدو على خط الخشنية - عين زيفان .
- دلفت الوحدات المدرعة لاستغلال نجاح النسيق الأول .
- طيران العدو مكثف على الجبهة السورية(\*) .

#### التعليق :

- يعمل العدو حاليا على استعادة السيطرة على قواته وإعادة تجميعها ، ومحاولة توجيه الضربات المضادة ضد رؤوس الكبارى مستخدما الاحتياطيات التكتيكية .
- يركز العدو بالتسكع بموقع بورفؤاد للارتكاز عليها في أى أعمال تعرضية يمكن توجيهها ضد منطقة بورسعيد .
- من المنتظر قيام العدو بتوجيه ضربة جوية مركزة ضد المطارات والقواعد الجوية ووسائل الدلاع الجوى على الجبهة المصرية .
- من المنتظر أن ينشط العدو عملياته الخاصة ضد الأهداف الحيوية في العمق ، وضد الأهداف العسكرية المنعزلة وخاصة في منطقة البحر الأحمر .



كانت أصداء المعارك تصل إلى كل مكان في العالم العربى ، وتحديث ردود فعل أشبه ما تكون بسلسلة ردود فعل انفجار نووى بما يتبعه من إشعاعات وتساقطات . وربما عبرت عن ذلك برقية من بغداد حملها المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية - إلى الرئيس « السادات » ، في تلك اللحظة ، وكان نصها كما يلي بالحرف :

« برقية من المخابرات الحربية رقم ١٥ / ٢ / ش / ٧٢٠٧  
أبلغنا مكتبنا في بغداد بما يلي :  
استدعى القائم بالأعمال إلى الخارجية العراقية ومعه السوري . حضر رئيس الأركان ولقائد القوات الجوية المؤتمر . أبلغنا بالآتى :

(\*) في ليلة وصباح ٧ أكتوبر كانت هناك ١٠٢١ طلعة جوية على مواقع القوات المصرية . في حين أن عدد الطلعات على الجبهة السورية وصل إلى ٣٨٢٠ طلعة .



من رئيس الجمهورية ... العراقيون جنودا بالجبهة ... النتيجة مشرفة .. حاول الرئيس العراقي الاتصال بالسادات ولم يتمكن .. وضع تحت طلب سوريا ٢ سرب سوفوري وسرب ميج / ٢١ .. مطلوب عاجلا ترتيبات تمرركزها في سوريا واستخدامها .. مطارات العراق الامامية في خدمة الاردن وسوريا .. كصق .. مطلوب اتصال سوريا بالاردن لخدمة ولتنسيق تحركات الطائرات لخدمة المعركة .. بالنسبة لجمهورية مصر العربية مطلوب ارسال ذخيرة لسرب الهوكز وقطع غبار .. مطلوب ام ١٢ لحمل المطلوب واستودعها الطائرات العراقية بالذخيرة وقطع الغبار واية مهمات اخرى مطلوبة .. بلغ دمشق ما يخصها من برقيتها هذه لحمل اللاسلكي بين بغداد ودمشق .. والإفادة .....

٢

## ٧ أكتوبر في تل أبيب :

كان الهجوم المصري - السوري منسقا بدرجة عالية الكفاءة . وقد نجحت القوات العربية في تحقيق مفاجأة استراتيجية وتكتيكية حققت نتائج لم تكن في تقديرات إسرائيل .

وفي ليلة ٧ أكتوبر - العاشرة مساء ( يوم ٦ أكتوبر ) - انعقد مجلس الوزراء الإسرائيلي بهيئته الكاملة لأول مرة بعد نشوب المعارك ، واستمر الاجتماع ساعتين<sup>(١)</sup> . وكان أول المتحدثين هو رئيس أركان الحرب الجنرال « العياز » ، وقد قدم تقريرا عن سير المعارك استغرق ثلاثة أرباع الساعة . وكان ملخص تقريره على النحو التالي :

- أ - هناك نجاح مصري - سوري أولى لا شك فيه .
- ب - الخسائر الإسرائيلية عالية خلال الساعات الأولى من القتال .
- ج - رغم ذلك فهو متفائل لأن الاحتمالات والتعزيزات سوف تصل إلى الجبهة الجنوبية والشمالية خلال فترة قدرها بما بين ٢٤ - ٤٨ ساعة .

وهذا سوف يغير الموازين ويعيد المبادأة إلى يد الجيش الإسرائيلي .

وكان المتحدث التالي بعده هو الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع . وقد أعاد هو بنفسه رواية تقريره أمام مجلس الوزراء بقوله بالحرف :

« إنني أشعر بهم ثقيل على قلبي ، ولا أستطيع أن أشارك رئيس الأركان في تناوله لأن المصريين حققوا مكاسب قوية ، في حين أننا نحن عانينا من ضربة ثقيلة . لقد عبروا قناة السويس ، وأنشأوا كبارى للعبور ، وحركوا عليها المدرعات والمشاة والأسلحة المضادة للدبابات . ونحن لم نفشل فقط في منهم من ذلك ، ولكننا لم نستطع أن نلحق بالمصريين إلا خسائر قليلة نسبيا . إن ميدان القتال

(١) مقابلات الدكتور ، مايكل بريشر ، مع كل صناع القرار الإسرائيلي ، وفي مقدمتهم ، مائير ، و . و . ديان ، و . العياز . وكذلك محاضر تحقيقات لجنة ، أهرانات . .

الحرج بالنسبة لنا هو جبهة قناة السويس . ونحن في حاجة إلى كثير من المظلم لكي نستطيع أن ننهي معارك يوم غد لصالحنا . وبعد ذلك ، وفي اليوم الثالث أو الرابع من الحرب ( أي يومى ٨ و ٩ أكتوبر ) لقد تكون في موقف يسمح لنا بتوجيه قوة الدروع اللاتمة للجنوب . وقد تكون قاترين على شن حرب دبابات . إنها لن تكون مسألة بسيطة ، ولكن امكانيات النجاح جيدة . ولهذا فإنه يبدو لي تناسباً على ذلك أن علينا أن ننسحب إلى خط ثان ، وأن نقاتل المصريين في حزام يمتد ٢٠ كم عن القناة . وهناك نمشد قوتنا للمعركة القادمة . أما على الجبهة الشمالية فإنتى أتوقع أن نهجم في إيقاف السوريين عند خط الحدود<sup>(٢)</sup> .

وفي الساعة السابعة صباحاً من يوم ٧ أكتوبر عاد مجلس الوزراء الإسرائيلي إلى الاجتماع مرة ثانية ليستمع إلى تقرير عن الموقف العسكري قدمه الجنرال « دايفد العياز » . وكان ملخص تقريره كيلي :

١ - إن هناك قتالا عنيفا على كل الجبهات ، وأن المدرعات والمشاة المصرية والسورية تواصل تقدمها طوال الليل وحتى الفجر .

٢ - إن قوات الاحتياط والتعزيزات الإسرائيلية تصل إلى الجبهات :

- على الجبهة المصرية كانت هذه القوات الواسلة إلى الجبهة تشبك مع القوات المصرية فوجد وصولها ، وقد تكبدت خسائر كبيرة .
- على الجبهة السورية تشير آخر التقارير إلى أن الاندفاع السورية الأولى عبر الهولان أمكن تعطيلها عند الفجر ( وقيل اجتماع مجلس الوزراء بساعتين ) .
- ٣ - إن حشود القوات المصرية على الجبهة قد أصبحت كثيفة وتم عبورها بسرعة لم تكن متوقعة . فإن الجيش الثاني تمكن من العبور أثناء الليل على كل القطاع الشمالي . كما أن الجيش الثالث يستعمل الآن عبوره في القطاع الجنوبي - لكن الجيشين معا ليسا حتى الآن في مواقع محصنة . وبالتالي فمن الممكن ردهما إلى الشاطئ الآخر من القناة في وقت قصير .

ولم يحضر الجنرال « ديان » هذا الاجتماع لمجلس الوزراء لأنه قرر الذهاب في الفجر إلى مواقع المعارك على جبهتي القتال . كما استأذن الجنرال « العياز » وغادر اجتماع مجلس الوزراء فلا أنه هو الآخر ذهب إلى ميادين القتال .

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر ( يوم ٧ أكتوبر ) عاد الجنرال « ديان » من زيارته للجبهة . وبعد ساعة واحدة - الساعة الخامسة - عاد الجنرال « العياز » . ودعى الاثنان إلى مكتب رئيسة الوزراء ، وكان معها نائب رئيس الوزراء « بيجال ألون » ، ووزير الدولة « يزارايل جاليلي » . وثناء الاجتماع اختلفت الآراء ( للمرة الرابعة أو الخامسة منذ بدء الأزمة ) بين وزير الدفاع « ديان » وبين الأركان :

- كان رأي الجنرال « العياز » : أن الموقف تحت السيطرة رغم الخسائر الكبيرة ، ورغم صفة المفاجأة وقوة الهجوم .

(١) موشى ديان . بعنوان . حياي . - - - - - صفحة ٣٩٠ - ٣٩١ .



ديان في أحد المواقع الإسرائيلية في الجبهة الشمالية يلاحظ سير المعركة بين القوات السورية والإسرائيلية.

● وكان رأي الجنرال « ديان » : أن الموقف أسوأ بكثير مما عرضه رئيس الأركان . وتقديره أنه لا بد من إخلاء بقية النقط الإسرائيلية الحصينة على قناة السويس ، والتراجع إلى خط دفاعي جديد على بعد ٢٠ كم من قناة السويس على أن يتم التمسك بهذا الخط بأي ثمن .

وقد لاحظ الوزير « جاليلي » ، أن « ديان » كان منهورا ، كما أن « جولدا مائير » كانت في حالة ذهول مما تسمعه<sup>(٣)</sup> .

وقد استقر الرأي في الاجتماع على أن يتوجه رئيس الأركان فوراً إلى الجبهة الجنوبية لتقييم الموقف وبحث امكانيات قيام إسرائيل بهجوم مضاد . وتقرر في الاجتماع أيضا أن يتخلى « بارليف » عن واجباته كوزير للصناعة والتجارة . وأن يعود إلى الخدمة العسكرية مؤقتاً برتبته السابقة عندما كان رئيساً لهيئة أركان الحرب ، ويتوجه فوراً إلى الجبهة الشمالية لإجراء تقدير جديد للموقف وبحث إمكانيات هجوم إسرائيلي مضاد .

ولاحظ الجنرال « ديان » أن رئيسة الوزراء تتجاهله كوزير للدفاع . فعرض استقالته تحملاً للمسئولية . ورفضتها « جولدا مائير » ، على الفور لأنها رأت أن تحمل المسئولية يقتضي بقاءه أكثر مما يستوجب استقالته .

( ٣ ) أقوال الاثنين كما سجلها الدكتور . مايكل بريشر ، بعد لقائه بهما . وكذلك محاضر تحقيقات لجنة « أهرات » .

ثم قررت أن تدعو مجلس الوزراء كاملاً في الساعة الثامنة مساء ( يوم ٧ أكتوبر ) . وابتعد ابتعاد مجلس الوزراء في الموعد المقرر فعلاً . وعرض الجنرال ، البازر ، أمامه تقريراً بعنوان « تقرير عن الـ ٢٤ ساعة الأولى من القتال » ، وفوجئ المجلس بما ذكره الجنرال ، البازر ، عن أرقام الخسائر الإسرائيلية . فقد ذكر المجلس أن إسرائيل قتلت في تلك الساعات : ٤٠ طائرة أسفك ، و ٢٠٠ دبابة دمورت .

وانتهى المجلس إلى قرار يطلب إلى الولايات المتحدة إمداداً عاجلاً من السلاح ، خصوصاً من الطائرات والدبابات . وكانت « جولدا مائير » ، بعد الاجتماع شديدة العصبية وهي تعطي الأوامر بطلب النجدة الأمريكية سريعاً وبدون إبطاء . ولهذا فقد قررت أن تستعمل لترجيح طلبها كل التقررات المتاحة أمامها . وبالفعل فقد وجهت ثلاثة طلبات متوازية بطلب الأسلحة :

- طلب من وزارة الدفاع الإسرائيلية موجه إلى السفارة الأمريكية في إسرائيل .
- طلب من « ديتنر » ، السفير الإسرائيلي في واشنطن موجه إلى « هنري كيسنجر » ، مائترة .
- وطلب من الملحق العسكري الإسرائيلي في واشنطن الجنرال « مورديخاي جور » ، موجه إلى الشاؤون .

وروى الأميرال « رومفالت » ، رئيس عمليات البحرية الأمريكية في ذلك الوقت - في مذكراته : « أنه في كل ساعة من هذا اليوم كان أحد المسؤولين الإسرائيليين يقوم قائمة جديدة بطلبات سلاح أمريكي عاجل إلى إسرائيل ، وكانت الطلبات تزيد في كل مرة » !

### ٣

#### ٧ أكتوبر في واشنطن :

كان ، كيسنجر ، يتحرك بكل قوة . وقد كان همه الأول ليلة ٧ أكتوبر ( صباح ٧ أكتوبر أيضاً بتوقيت القاهرة ) أن يمسك بزمام التحركات في الأمم المتحدة بحيث يمنع بحث الأزمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة . لأنه كان يخشى من أغلبية دول العالم الثالث الموجودة فيها ، وبشراً ما مالية للعرب . وقد نجح أيضاً في تعطيل اجتماع طوارئ لمجلس الأمن . فلم يكن يريد لأن تحرك دولي أن يقيد حريته في التصرف إزاء مجريات الأزمة . وكان اعتقاده الراسخ أن إسرائيل سوف ترد الهجوم المصري وسوف تحول به سرعة إلى هزيمة ساحقة . وقد عبر عن ذلك

بنفسه في مكراته(٤) بقوله : « إنه يوم أو يومين تقوم إسرائيل بهجومها المضاد وتطلب كل الموازين ، ويصبح العرب على حافة كارثة » .

وكانت تعليمات ، كيسنجر ، لمساعديه في تلك الفترة هي إعداد مشروع قرار ، يقضى بعودة جميع القوات إلى مواقعها السابقة قبل بدء العمليات » .

وعندما تلقى ، هنري كيسنجر ، رسالة الرئيس ، السادات ، بتوقيع ، حافظ اسماعيل ، ، فقد زاد اقتناعه بموقفه . وتعرض هذا الاقتناع بالتقارير الواردة إليه من الكولونيل « بيلي فورسمان » ، المحقق العسكري الأمريكي في تل أبيب . وكان ، فورسمان ، يقول في تقريره الأولي عن الموقف ، « إن إسرائيل تلزم الدفاع على كل الجبهات حتى تعطى نفسها فرصة لاستكمال دعوة الاحتياطي ، ومن ثم تقوم بالهجوم المضاد المنتظر » .

لكن تقريراً لاحقاً من « فورسمان » ، أعطى صورة مثقلة عن حجم النجاح المصري والسوري . فقد ذكر أن خسائر إسرائيل في اليوم الأول قتال هي ٣٥ طائرة .

وفي الساعة ٩،٤٠ من صباح يوم ٧ أكتوبر ( بتوقيت واشنطن ) اتصل ، شاليف ، القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية - بمكتب وزير الخارجية الأمريكي بنقل إليه رسالة ، جولدا مائير ، ، وكانت تحوى تقطعت :

● نحن نواجه الأمور بكل شجاعة وحزم حتى تتم دعوة الاحتياطي من القوات والسلاح ، ومن ثم يبدأ هجومنا المضاد .

● نطلب على وجه الاستعجال تعويضاً عن الخسائر التي تكبدها خلال الـ ٢٤ ساعة الماضية ، خصوصاً في الطيران .

وقام ، كيسنجر ، على الفور بدعوة مجموعة العمل الخاصة في مجلس الأمن القومي لبحث الموقف الخطير المتفجر في الشرق الأوسط . وقد دخل قاعة الاجتماع ومعه طلب « جولدا مائير » ، وبدأ يعرضه ملحقاً به توصيته بضرورة الاستجابة وتعويض إسرائيل بسرعة عن خسائرها من الطائرات . ودارت مناقشة توزعت فيها الآراء واختلفت :

- أبدى « جيمس نويز » ، مساعد وزير الدفاع رأياً مؤيداً أن الإسرائيليين لا يحتاجون في حقيقة الأمر إلى أية أسلحة ، على الأقل في هذه اللحظة ، لأن ما لديهم يكفيهم .

- أبدى « جيمس شليزنجير » ، وزير الدفاع رأياً مؤيداً لموقف مساعده ، وقال إنه يوافق على رأي « جيمس نويز » ، ولا يرى أن إسرائيل في حاجة إلى أي معدات بسرعة . وأنه من الأفضل ألا تتورط الولايات المتحدة في هذا الوقت في إرسال أسلحة لإسرائيل حتى تتمكن من الظهور أمام الأطراف كلها بمظهر « الوسيط الأمين » ( honest broker ) .

( ٤ ) هنري كيسنجر .. الجزء الثاني - بعنوان ، سنوات التلاقل .. الصلحك من ١٧ ، إلى ١٧٥ .

أبدى ، كينيث راش ، نائب وزير الخارجية رأياً مماثلاً مؤكداً أن إسرائيل ليس لديها نقص حقيقي في المعدات . وكل ما نحتاجه هو فتح باب مخازنها .

واعترض ، كيسنجر ، بشدة على هذه الآراء قائلًا ، إنه يرى ضرورة تزويد إسرائيل بما طلبته لأسباب سياسية أكثر منها عسكرية ، لأنه إذا كسب العرب - بمساعدة الاتحاد السوفيتي ، وسلاحه - فإن الاتحاد السوفيتي سوف يبرز في المنطقة باعتباره القوة القادرة » .

ومن الملاحظات أن « هنري كيسنجر » ، ينقل عن محضر اجتماع مجموعة العمل الخاصة في مكراته حواراً شارك فيه على هامش هذا الاجتماع ، وجرى على النحو التالي :

، هنري كيسنجر : كيف يمكن تفسير عجرفة العرب الآن ؟ ولماذا لم يطلبوا وقف إطلاق النار ؟

جيمس شليزنجير : يظهر أن حماسة الموقف أخذتهم .

ويليام كولبي ( مدير المخابرات المركزية ) : ان السورويين يظنون أن أحوالهم جيدة ، وهم لا ينفقون إلى المدى الطويل . وبالنسبة لمصر فأنهم حسدوا حذوا هدفهم بعبور قناة السويس(٥) .

هنري كيسنجر : إنني أَسْأَلُ لماذا لا ينفقون في المحافظة على ماكسبهم ؟ إن كل سفير غربي

قابل السادات اليوم سمع منه أن القوات المصرية لن تتوقف حتى تصل إلى حدود إسرائيل ؟

جيمس شليزنجير : أنت تتحدث بالمنطق ، ولا تستطيع أن تطلب منهم أن يتركوا بمقتضى هذا المنطق .

كينيث راش ( نائب وزير الخارجية ) : إنه يصعب على أن أتصور أن السادات سوف يهر

هنري كيسنجر : رأيي أنه وقد عبر قناة السويس ، لن يفعل أكثر من الاكتفاء بالجلوس هناك . وأنا لا أعتقد أنه سوف يقوم بتعميق مدى عملياته في سيناء(٦) . . .

□

وفي الساعة العاشرة والنصف صباحاً ( بتوقيت واشنطن ) غادر « هنري كيسنجر » اجتماع مجموعة العمل الخاصة في مجلس الأمن القومي ، لكي يقابل « شاليف » ، القائم بالأعمال الإسرائيلي الذي وصل بدون موعد سابق ليؤكد رسالة « جولدا مائير » ، التي سبق له نقلها بالتليفون .

وبعد اجتماعه مع « شاليف » ، اتصل « هنري كيسنجر » بالجنرال « الكسندر هيج » ، رئيس أركان البيت الأبيض طالباً نقل رسالة منه إلى الرئيس « نيكسون » ، مؤداها ( طبقاً لمذكرات « كيسنجر » ) أنه إذا انتصر العرب فسوف يكون من المستحيل إجراء أية مفاوضات للوصول إلى حل للأزمة . وأن توصيته كوزير للخارجية هي أن الولايات المتحدة يتعين عليها أن تقدم لإسرائيل

( ٥ ) كان ، كولبي ، قد اطلع بالتأكد على رسالة الرئيس ، السادات ، بتوقيع ، حافظ اسماعيل ، إلى ، كيسنجر ، لأنها مرت من طريق القناة السرية .

( ٦ ) كان ذلك بالحرف نص ما ورد في رسالة الرئيس ، السادات ، المرسلة إلى ، كيسنجر ، بتوقيع ، حافظ اسماعيل . . .

ما تحتاج إليه تموين خسانرها ، وحتى تتمكن من تثبيت وتصحيح الموقف العسكري بسرعة خلال يومين أو ثلاثة على أقصى تقدير .

وقد عاد الجنرال « هيج » فأنصل بـ « هنري كيسنجر » بعد ريع ساعة وأبلغه أن الرئيس « نيكسون » وافق على توصيته ، وأنه سيتم تبليغ هذه الموافقة إلى وزير الدفاع « جيمس شليزنجر » .

□ وفي الساعة الثانية عشرة ظهرا كان « كيسنجر » يشعر أن وزارة الدفاع تتلأأ في تنفيذ أمر الرئيس الذي أبلغ إليها عن طريق « آل » تصغير اسم ألكسندر للتدليل « هيج » . وانصل بنفسه بـ « كي بسكاين » بولاية فلوريدا - حيث كان الرئيس « نيكسون » - طالبا أن يتحدث إليه . وقد قال له « كيسنجر » إنه تلقى الآن تقريرا وصل إلى وزارة الخارجية نقلا عن سفير أوروبي غربي في مصر ، مؤداه أنه « سمع من السادات أنه لا يريد أي اجتماعات لمجلس الأمن ( يصدر عنها قرار بوقف إطلاق النار ) لأنه مصمم على مواصلة الهجوم حتى يتحقق تحرير سيناء بالكامل » .

ولم يكن ذلك صحيحا :

● لأن الرئيس « السادات » لم يستقبل في الساعات السابقة أي سفير غربي .

● ثم إن « كيسنجر » كان قد قرأ بالفعل رسالة الرئيس « السادات » التي تلقاها بتوقيع « حافظ اسماعيل » ، وفيها التعهد بصراحة بأن « مصر لا تعززم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » .

● وأيضا فإنه كان مقتنعا بذلك إلى درجة أنه أفنى به أثناء المناقشة التي اشتركت فيها مجموعة العمل قبل نصف ساعة فقط !

وقد أضاف « كيسنجر » بعد ذلك إلى الحاحه على الرئيس « نيكسون » بكرة تحرير قائل الرئيس إنه « يتختم على وزارة الدفاع أن تستجيب لطلبات إسرائيل ، وأن تتصاع لتوجيهات الرئيس بسرعة شحن الطلبات الإسرائيلية ، وألا ترسم سياسة خاصة بها » .

□ وفي الساعة الواحدة والنصف ظهرا ، وبعد حديثه مع الرئيس « نيكسون » ، اتصل « كيسنجر » بوزير الدفاع « شليزنجر » ونقل إليه على لسان « نيكسون » أمره بالإسراع بشحن الطائرات والذخائر وبعض المعدات التكنولوجية الحساسة بما فيها صواريخ "sidewinder" .

□ وفي الساعة الثانية قام « هنري كيسنجر » باستدعاء « شاليف » القائم بالأعمال الإسرائيلي إلى مكتبه ، وطلب منه ترتيب مجيء عدد من طائرات شركة « المال » الإسرائيلية لتتقل المعدات المطلوبة بسرعة لأن وزارة الدفاع قد تتعطل بنقص إمكانيات النقل .

وقد بدا « شاليف » محرجا أمام « كيسنجر » من الصورة التي ظهرت بها إسرائيل ، وأبدى ملاحظة قال فيها ، إنه مندهش من تأخر الهجوم الإسرائيلي المضاد . ورد عليه « كيسنجر » قائلا

بالحرف ، يبدو أنهم فوجئوا حقيقة هذه المرة ، « I think they were really surprised this time » .

□ وفي الساعة ٣,١٠ عاد « كيسنجر » يتصل بـ « آل هيج » للمرة الثالثة طالبا تدخل « نيكسون » ، شخصيا في الصنط على وزارة الدفاع لأن الاستجابة السريعة للطلبات الإسرائيلية صرورة سيكولوجية كما هي سياسية وعسكرية ، لأن العرب لا ينبغي لهم أن يحتقروا أية مكاسب أسلحة سوفيتية .

□ وفي الساعة ٣,٤٠ قام « آل هيج » باتصال تليفوني مع « شليزنجر » وأبلغه باسم الرئيس « نيكسون » ، أمرا صريحا بسرعة إعداد الطلبات الإسرائيلية ، وأضاف إلى ذلك قوله نقلا عن الرئيس « إن العرب لا ينبغي لهم تحقيق انتصار بأسلحة سوفيتية » . وكان ذلك نفس تعبير « هنري كيسنجر » .

□ وفي الساعة السابعة مساء كان « سيمحا دينتز » قد عاد من إسرائيل إلى واشنطن ، ووجه مباشرة من المطار إلى لقاء « كيسنجر » حاملا معه استعداد إسرائيل لإرسال طائرات « المال » بأسرع وقت للمشاركة في نقل إمدادات السلاح . وتحسن « كيسنجر » قائلا ، إن طائرة « المال » المسافرة إلى إسرائيل على الخط العادي تستطيع هذه الليلة أن تأخذ معها بعض المعدات ، ومن ضمنها ٨٠ صاروخا من طراز "Sidewinder" .

وفي هذه الليلة أجرى « كيسنجر » تحليلا للموقف على ضوء أحداث الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ، بما فيها تلك الرسالة التي تلقاها من الرئيس « أنور السادات » قبل ساعات ، والتي كانت من جزء منها استعدادا للمناخ الذي جرت فيه محاولات الحل السلمي قبل الحرب . وقد تمكن « كيسنجر » - طبقا لروايته - من وضع تصور عام للموقف كانت خطوطه على النحو التالي (٥) :

- ١ إن حالة اللا سلم واللا حرب قد انتهت في الشرق الأوسط - وهناك الآن حرب .
- ٢ لا يمكن السماح تحت أي ظرف بهزيمة تحقق بإسرائيل ، حتى ولو أدى ذلك إلى تدخل أمريكي مباشر .
- ٣ لا يجب أن يظهر الاتحاد السوفيتي بعد هذه المعركة باعتباره المنقذ الوحيد للغرب .
- ٤ إذا انتصرت إسرائيل في هذه الحرب بطريقة ساحقة ، فينبغي ألا تجد أمريكا نفسها هدفا لمخطط عربي واسع يهدف إمدادات السلاح .
- ٥ إن العمل الأمريكي إذن يجب أن يكون موجها إلى إثبات عدم جدوى الحرب .
- ٦ إذا تحقق ذلك فالخطوة التالية هي التوجه نحو السلام .
- ٧ إذا حدث التوجه نحو السلام فلا بد أن يكون ذلك بإشراف أمريكي كامل .

وكان آخر ما فعله في ذلك اليوم أن أعطى تعليماته للوفد الأمريكي في الأمم المتحدة للبدء في اتصالات لعقد جلسة لمجلس الأمن في خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ، فمثل هذا الإجماع كان أمرا ضروريا ومنطقيا ، وكانت الولايات المتحدة هي التي تعزقله حتى تنترك لإسرائيل الفرصة لتصحيح الوضع العسكري - والآن وقد بدأت إسرائيل تتلقى كل ما يلزمها ،

(٥) مذكرات ، هنري كيسنجر . . الجزء الثاني - بعنوان ، سنوات اللال . . . صفتي ٤٨١ و ٤٨٢ .

فإن « كينسجر » يستطيع أن يقلل انعقاد مجلس الأمن ليحث الأزمة - ولكن بعد أربعة وعشرين ساعة من الآن .



لكن « هنري كينسجر » لم ينجح مستريحا تلك الليلة . فبعد أن دخل إلى جناح الطوارئ .  
الخاص به في مبنى وزارة الخارجية الأمريكية ، ذهب إليه مدير مكتبه « لاري ايجلجر » . يحمل رسالة من الملك « فيصل » ( ردا على رسالة « كينسجر » ، إليه يوم ٦ أكتوبر ، والتي ناشده فيها أن يبذل تفوقه لمنع نشوب الحرب ) . وكانت رسالة الملك تقول بالنص<sup>(٦)</sup> :

« هذه الرسالة من جلالة الملك فيصل

إلى معالي الوزير هنري كينسجر ،

وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية

تلقت رسالة معاليكم المستدة إلى تقرير وردكم من إسرائيل بأن القوات المصرية والسورية تنوي

شن هجوم منسق على القوات الإسرائيلية .

ولدى بدء الاشتباك فعلا بين القوات المصرية والسورية من جهة والقوات الإسرائيلية من جهة

أخرى في البر والجو ، فإن معاليكم تأكد بأن البادئ بهذا الهجوم هي إسرائيل ، وفي اعتقادي أن

هذا الهجوم هو حلقة من حلقات السياسة الإسرائيلية لتنفيذ الخطة التوسعية التي رستها لتطبيق

سياستها العدوانية ضد الدول العربية . لأن العرب لم يقوموا بأي عدوان ضد إسرائيل من تاريخ

نشأتها ، وأن العدوان كان دائما من قبل إسرائيل لتكسب في كل عدوان مساحة من الأرض وفقا

لمخططاتها المرسومة . فإذا لم تهب الولايات المتحدة بردع إسرائيل عن التصادم في غيرها وعدوانها

فسوف يتغير التوازن الهاجع حتى الآن في منطقة الشرق الأوسط ، وسوف لا يقتصر تدميره على المنطقة

لوحدها بل سيتعداها إلى حرب عالمية شاملة تصطلي جميع دول العالم بنارها على الرغم مما نصت

عليه اتفاقيات عدم المجابهة بين الدول الكبرى .

ولهذا فإن المسؤولية الكبرى في هذا الصراع القائم في المنطقة تقع على عاتق إسرائيل . وعلى

الولايات المتحدة الأمريكية أن تنجر إسرائيل على الانسحاب عن الأرض العربية وإعطاء الشعب

الفلسطيني حقه في أرضه ووطنه . .

وبينما كان « كينسجر » يطالع سطور هذه الرسالة التي اعتبر أن أوانها قد فات بنشوب القتال

فعلا ، هرع إلى جناحه أحد موظفي مكتبه يحمل رسالة ثانية من الملك على شكل منكرة شفهية

سلمت للسفارة الأمريكية في المملكة العربية السعودية ، لتوصلها باسم الملك « فيصل » إلى الرئيس

« نيكسون » . وكان نصها كما يلي<sup>(٧)</sup> :

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« نيكسون » .

« منكرة شفهية سلمت للسفارة الأمريكية لإرسالها

للخامسة الرئيس نيكسون من جلالة الملك فيصل

فخامة الرئيس

لقد انطلقت نار الحرب للمرة الرابعة في منطقة الشرق الأوسط نتيجة لمخطط توسعي تقوم إسرائيل

بتحقيقه تنفيذا لتعليمات الصهيونية العالمية . ولقد أسدينا النصح لكل من اجتمعنا به من أصدقائنا

الأمريكان ، وكتبنا لقوامكم ولقوام سلفكم الرئيس جونسون بأن الحرب قائمة لا محالة إذا لم

تسارع أمريكا بالضغط على إسرائيل بعدم التصادم في غيرها وغطرتها والإفلاع عن تحديثها لقرارات

الأمم المتحدة والرأي العام العالمي . وما من شك بأن هذه الحرب إذا استمرت فسوف تغتفر جميع

الدول العربية بخوض غمارها . ومن بعدها الدول الإسلامية والدول الصديقة وستكون حربا شرسة

تدمر حضارة القرن العشرين وجميع القيم الإنسانية . كما لن تكون الدول الكبرى بمنأى عنها حطائا

على مصالحها في هذا الجزء الحساس من العالم .

وإننا لنناشد الولايات المتحدة الأمريكية أن تنظر لهذا الموضوع بعين الحكمة والعقل . لأن هذه

الحرب ليست كالحروب السابقة لأن المشاعر العربية ملتهبة والصبر لدى العرب بلغ مداه . ولهذا

فإننا ننصح أن تنجر الولايات المتحدة إسرائيل على الانسحاب عن الأراضي المحتلة وتطبيق قرارات

الأمم المتحدة التي وافقت عليها الدول المعنية ، ونأمل من الولايات المتحدة أن لا تزود إسرائيل

بالسلاح لنلا يطول أمد الحرب وتقتصد ويلاتها ولكي لا تنتشر الشيوعية في المنطقة . .

وكان « هنري كينسجر » متحيرا في هذه المراسلات . فهو من ناحية يعرف أن الآراء

والمواقف المهمة في بعض بلدان العالم العربي ، لا تعتبر عن نفسها كتابية ، بل العكس فإن ما يكتب

على الورق هو المعد للاستهلاك العام ، وأما المقاصد والنوايا الحقيقية فالشفاه وحدها تهتمس بها .

ومن ناحية أخرى فإن « كينسجر » كان يشعر بقلق من الملك « فيصل » ، بالذات ، وبمسيره

وعربيا متعصبا خصوصا فيما يتعلق بالقدس ...



## ٧ أكتوبر في القاهرة ( مساء ) :

ومساء ذلك اليوم ( الأحد ٧ أكتوبر ) كان الرئيس « السادات » في حالة استرخاء بعد كل

النوتر الذي صاحب مرحلة الانتظار والقرار ، والجسور والعبور .

وقد وصل المهندس « سيد مرعي » و « محمد حسنين هيكل » إلى قصر الطاهرة في الساعة

السابعة مساء ، وكان الرئيس « السادات » جالسا في الدور الأول داخل الصالون المؤدى إلى

الشرقة ، وكان يرتدى الملابس العسكرية للقائد الأعلى للقوات المسلحة . واستمع الرئيس من

الانئين مما عن تفاصيل اجتماع عقد في الصباح في مكتب الدكتور « محمود فوزي » ، في وزارة



الخارجية، وشارك فيه كذلك الدكتور «مصطفى خليل». وقد كان ذلك الانخراط في معظمه مخصصا لأسلوب استعمال البترول سلاحا في المعركة، وكان المتحدث الرئيسي بالطبع هو الدكتور «مصطفى خليل» الذي قدم مراجعة أخيرة لتقرير أعده عن هذا الموضوع.

ودخل المهندس «عبد الفتاح عبد الله» وزير شؤون رئاسة الجمهورية يقرأ مجموعة من البرقيات الواردة من الجبهة. كما أن الدكتور «أشرف مروان» جاء ليقول إن سربا ثانيا من طائرات «الميراج» الليبية وصل لينضم إلى سرب سبق وصوله قبل بدء القتال.

ويذا الرئيس «السادات» راضيا من كل ما سمعه، ثم تذكر أنه يريد أن يأكل، وصعد الباكون معه إلى الدور الثاني، فدخل غرفة نومه وخلع ملابسه العسكرية واستبدلها بـ «بيجاما» و «روب دي شامبر»، ثم خرج وجلس إلى عشاءه ومعه السيدة «جيهان» والمهندس «سيد مرعي» و«محمد حسنين هيكل»، وكان الرئيس «السادات» يأكل طعامه الخاص المصنوع بدون نشويات وبدون سكر طبيعي. وكان الطبق الرئيسي تلك اللبنة من المكرونة بالدجاج، وإلى جواره طبق من الخضروات المسلوقة، وبعد طبق من الكفاة، والمكرونة والكفاة كلتاهما مصنوع - بمواصفات صحية - من دقيق خاص مستورد من سويسرا.

وقد راح الرئيس «السادات» يتحدث حديثا مرسلًا كان واضحا أنه يفرج به عن نفسه بعد كبت شديد:

«وقد راح يستعيد تذكيرات أيام سابقة على الانتظار والإحباط.

ثم هنا نفسه بالتوصل إلى استراتيجية سليمة أثبتت التجربة سلامتها.

وأبدى رضاه عن المقادير التي تدخلت لتغيير موعد بدء المعركة الذي تسرب إلى الإسرائيليين - بموعد آخر جاءهم مفاجأة تكتيكية.

وتحدث عن أسلوب العمل الذي يريده للطيران، فهو يخشى عليه من معارك جوية إزاء تفوق العدو، وبالتالي فهو يريد من الطيران أن يظهر ليضرب ثم يتنعد ويختفى.

وأشار برضا إلى بعض القواد بالتحديد، وبينهم اللواء «عبد المنعم وأصل»، وقال إنه كان على جسر العبور في الموجة الأولى من قواته.

وبينما هو مسترخ في أحاديته، قيل له إن السفير السوفيتي «فلاديمير فينوجرانوف» على التليفون يريد أن يتحدث إليه بصفة عاجلة. وطلب تحويل المكالمة إليه حيث هو، وقد رحب بالسفير بحارة، ثم راح يستمع إليه ويقول بالإنجليزية «نعم... نعم... نعم...»، وكررها ست مرات، ثم أضاف إليها قوله: «رائع» (استعمل كلمة magnificent). ثم قال للسفير سعيديا: «أبلغ الرفيق بريجنيف شكري ومن أعماق قلبي... من أعماق قلبي حقيقة».

ثم وضع سماعة التليفون، ووجه حديثه إلى الجالسين معه، وقد أصبحوا الآن خمسة إذ انضمت إليهم كريمته وخطيبها، وقال:

«أبلغني فلاديمير أنهم استجابوا لطلب قدمته له هذا الصباح بصواريخ الـ «فولجا» - هذه

سوف نساعدنا على تعطية القوات داخل سيناء، وذلك يسمح لنا بتاكيتك فترات الضفادع (leap frogging) داخل سيناء. عندما نتمتع القوات عن حائط الصواريخ.

الـ «فولجا»، سوف تأتي إلينا بالطائرات مساء اليوم.

هناك معدات أخرى مهمة ثقيلة سوف تشحن على المراكب.

وطالب الرئيس «السادات» توصيله بالفريق «أحمد اسماعيل» وأبلغه بما سمعه من السفير السوفيتي، وأشار على القائد العام أن يبقى ضابط الاتصال السوفيتي على علم «بالصورة العامة».

وانتهت المكالمة وانفتحت الرئيس «السادات» إلى «محمد حسنين هيكل» وسأله:

- «كيف ترى موقف السوفيت الآن؟»

وكان الرد: «إنهم وجدوا الفرصة لاستعادة موقفهم في الشرق الأوسط، ولن يفرطوا بها».

وأحسن الرئيس «السادات» أنه يريد أن يغير أجواء الشواغل المحيطة به فاقتراح إعداد قاعة لسينما لعرض فيلم، وتوجه إليها ومعه كل من كانوا معه. وقطع أثناء عرض الفيلم ببرقية حملتها كالات الأنباء عن مشاورات بحريها الرئيس «نيكسون» لدعوة مجلس الأمن إلى اجتماع عاجل، الفت إلى «محمد حسنين هيكل» وناوله البرقية، وسأله:

- «ماذا يعني ذلك... وهل يمكن أن يكون مقدمة لإجراء harsh (عنيف) يتخونه معنا؟»

وكان الرد: «إن ذلك على الأرجح مستبعد. فلو كان نيكسون يريد اتخاذ إجراءات عنيفة ما اتجه إلى مجلس الأمن حيث يمكن أن يعرقله القيتو السوفيتي أو القيتو الصيني. ومادام اتجهه إلى الدفاب إلى مجلس الأمن، فمعنى ذلك أنه استبعد خيار العمل المنفرد».

وبدا أن الرئيس استراح لهذا التفسير.

ولعله في قرارة نفسه وفي أعماق سره - كان قلقا على رسالته في الصباح إلى «كيسنجر».



## الفصل الخامس

### يوم ٨ أكتوبر

١

#### ٨ أكتوبر في القاهرة : صباحا

استيقظ الرئيس « السادات » من نومه الساعة السابعة إلا الربع صباحا . وقد اتصل بمكتب الشؤون العسكرية من تلفون غرفة نومه يسأل عن أوضاع القوات في سيناء . وكان تقرير مكتب الشؤون العسكرية جاهزا في انتظاره ، وكان نصه :

« سرى جدا »

مكتب الشؤون العسكرية  
تقرير موقف عن اليوم الثالث قتال ٨ / ١٠ / ١٩٧٣  
□ العدو :

- قام العدو بعدة ضربات مضادة ومعارك تطهيرية في منطقة رؤوس الكباري مع عدم التورط مع قواتنا في معارك حاسمة .
- قام العدو بعدة عمليات خاصة في العمق .
- يركز العدو مجهوده الجوى لتعطيل معابر القطاع الجنوبي وأجهزة الرادار .
- يركز العدو جهودده لتثبيت الجبهة السورية ليتفرغ للجبهة المصرية .

- يعاني العدو من انخفاض الروح المعنوية .
- يستخدم العدو أصوال الدفاح اللامسكى بصورة واسعة .

□ قواتنا :

( ) القوات البرية

- تواصل قواتنا تنفيذ مهامها القتالية بنجاح .
- جارى تحقيق المهام النهائية لتشكيلات النشق الأول رغم تدخل العدو الجوى .
- تقوم قواتنا بصد الهجمات المضادة بمعاونة القوات الجوية لاحتياطيات العدو التكتيكية والتعبوية .

( ) القوات الجوية

- قامت قواتنا الجوية بتنفيذ هجمات ضد أهداف العدو الجوية ومراكز قياداته وتجمعات مدرعاته التى تستعد للضربة المضادة على المحور الأوسط .

( ) القوات البحرية

- تم قصف مراكز العدو وتجمعاته بخليج السويس مع استعمال تلقيم مغلخ الخليج .
- تم إغراق ٣ - ٤ لنش معادى .
- تم إغراق مركب تجارى إسرائيلى فى البحر الأحمر بواسطة غواصة مصرية .

الجبهة السورية :

- معمل تقدم بطيء عن اليومين السابقين .
- تواجه القوات السورية مقاومة شديدة من قوات العدو .

التعليق :

- يهدف العدو إلى كسب الوقت مع تثبيت قواتنا فى حدود المنطقة التى استرحتها فى سيناء حتى الآن لحين توفير قدرات مناسبة وخاصة من قواته المدرعة ، مع محاولة سحب قوات المدرعة خارج نطاق الدفاع الجوى .
- لم يستخدم العدو قواته الجوية بأقصى طاقتها بعد ، ومن المنتظر أن يتم ذلك مرتبطا بتوفير قدراته لتنفيذ ضربة مضادة قوية بقواته المدرعة .
- ينتظر أن يستمر العدو فى اتباع أساليب الشداع مع محاولة استعادة المبادرة لجانبه .
- يتوقع تنفيذ عمليات خاصة فى منطقة البحر الأحمر والعمق وغرب بورسعيد خلال الفترة الحالية .

□

كان التقرير يعطى صورة رسمية بكثير من اللازم عما جرى فى جبهة القتال ، بينما الواقع أن الصورة الحقيقية كانت أكثر إثارة وحيوية . فقد كانت التعزيزات الإسرائيلية تهرع مسرعة إلى خطوط القتال وتصل مع المواقع المصرية وتتكدس خسائر لم تكن فى حسابها . وواقع الحال أن القيادة الإسرائيلية كانت تتجمل تحقيق شئ ما على الجبهة المصرية يكون من شأنه احتواء الهجوم المصرى ، ومن هنا فإنها كانت ترسل قواتها إلى القتال دون قدر كاف من الحشد والتركيز . وكان ذلك يؤدى بها إلى خسائر تسارع إيقاعها إلى درجة أحدثت ارتباكاً شديداً فى تحركات وأوضاع القوات الإسرائيلية .

وقد عرف الرئيس ، السادات ، تفاصيل الصورة على نحو أكثر دقة من اتصال تليفونى أجراه مع الفريق ، أحمد اسماعيل ، . وفى هذا الاتصال ، رغم الصورة الداعية إلى التفاؤل ، فإن الرئيس ، السادات ، طلب إلى وزير الحربية تأجيل تطوير المرحلة الثانية من الهجوم المصرى ، والتي كانت تستهدف الوصول إلى المضائق ، وذلك لسببين أبدأهما له :

□ أولهما - انتظار رد ، كينسجر ، على رسالته فى اليوم السابق ، وقد تعهد له فيها بأن « مصر لا تنترم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » ، وكان الفريق « أحمد اسماعيل ، على علم بها ، باعتبار أنه هو نفسه الذى أنشأ القاعة الثانية وأشرف على الاتصالات من خلالها أثناء عمله فى المخابرات العامة ، ثم ظل يتابعها حتى عندما أصبح وزيراً للحربية .

□ وكان السبب الثانى الذى أبدأه الرئيس ، السادات ، للتأجيل هو : « إنه لا مانع من ترك الإسرائيليين يخطون رؤوسهم فى حائط المواقع المصرية ، ويتكبون أكبر قدر من الخسائر فى حالتهم العصبية هذه . »

وقد فرغ الرئيس ، السادات ، من حديثه مع الفريق ، أحمد اسماعيل ، تتجابه نزعات مختلفة ، وأحياناً متناقضة .

● كان شعوره بالانتصار الذى حققه بزيادة مع كل ساعة ، خصوصاً وأن ردود الفعل من العالم العربى والعالم الخارجى على مسار الحرب قد حولته خلال يومين إلى بطل حقيقى .

● وقد كان ما تحقق له أوسع بكثير مما دار فى خياله - لكن هالة الانتصار التى أحاطت به بدأ يشوبها القلق بسبب ما كان يتحسب له من هجوم إسرائيلى مضاد .

● وربما كان أكثر ما يلقته فى ذات الوقت هو انتظاره لرد من « كينسجر » ، وقد مضى على رسالته إليه أكثر من ٢٤ ساعة دون أن تصله كلمة من واشنطن جواباً عليها .

وكان يريد على نحو ما أن يفعل شيئاً بنفس به عن مشاعره الموزعة والمتناقضة ، ولم يستطع أن يحدد بالضبط ما يريد عمله . وقد عاودته مرة أخرى هذا الصباح فكرة توجيه بيان عن طريق التلفزيون والإذاعة إلى الأمة . وأمل على سكرتيره مجموعة من النقاط التى يرى أن يتضمنها البيان ، وبث بها إلى « محمد حسنين هيكل » ، واتصل به تليفونيا فى الساعة العاشرة

الإربما - سائلا ، هل وصلتك الورقة ؟ (\*) . وكان الرد أنها « وصلت الآن فوراً » . واستطرد الرئيس ، السادات ، يقول « إنه يرى الوقت ملائماً الآن للحديث إلى الناس ، وأن المشاعر كلها مناجية » ، ولكن ينتظر منه كلمة . »

كانت النقاط التى اقترحها الرئيس ، السادات ، لكى يتضمنها خطابه - على النحو التالى :

١ . إعلان تحرير أول مدينة مصرية فى سيناء ( القنطرة شرق ) .

٢ . كلية تحرير المدينة .. ثم حصارها داخليا وخارجيا .. اقتحام مشارفها .. القتال داخل المدينة فى الشوارع والمباني . استعادة المدينة بالكامل .

٣ . القبض على أفراد العدو الذين استسلموا بعد انهيارهم أمام إصرار وعنف قتال الجنود المصرى . وأسر كميات كبيرة من معدات العدو سليمة منها بعض الدبابات الستوريون .

٤ . فرحة المواطنين المصريين داخل المدينة - تقدم إخوانهم أفراد القوات المسلحة المصرية ، ومعاونتهم للقوات المصرية .

٥ . نداء إلى المواطنين المصريين فى القنطرة شرق وتهنئتهم بتخليصهم من نير الاحتلال الصهيونى .

٦ . تحية أفراد القوات المسلحة .

٧ . العزم والتصميم على تحرير كل مدن سيناء وكل شبر فيها .

٨ . نداء إلى أهالى سيناء لمعاونة القوات المسلحة المصرية وانتظارها ، فهى فى طريقها إليهم لتحريرهم .

وقد ظهر ضيق الرئيس « السادات » من ملاحظة أبدأها « محمد حسنين هيكل » ، مكررا رايه هل يومين بأن الوقت ما زال مبكرا لتوجيه بيان إلى الأمة . وتجلي ضيق الرئيس « السادات » فى رده بسرعة قائلا إنه « بهذه الطريقة فإن حافظ الأسد سوف يسبقنا بالحديث إلى الناس ، وبالتالي يكون هو الذى يستقطب مشاعرهم إليه » . وكان رأى « هيكل » أن الرئيس « الأسد » يمكن له بالطبع أن يقول ما يشاء ، لكننا هنا فى القاهرة ينبغي أن نحاذر أكثر . ولم يقتنع الرئيس « السادات » إلا عندما أشار « هيكل » إلى النقطة الثامنة فى البيان المقترح ، وهى « النداء إلى أهالى سيناء لمعاونة القوات المسلحة المصرية وانتظارها ، فهى فى طريقها إليهم لتحريرهم » - وكان رأى « هيكل » ، أن « مثل هذا الكلام الآن ، وفى مناخ الحماسة الجارية قد يدفع كثيرين من أبناء سيناء إلى أوضاع مقاومة عنيفة فى حين أننا لا نستطيع أن نقطع بالضبط متى تصل إليهم القوات المصرية لحررهم ، بينما يكونوا هم فى ذلك الوقت قد كشفوا أنفسهم وتعرضوا لمخاطر لا يستطيع أحد أن يساعدهم على دفعها إذا لم تكن متأكدين من دقة ما نقول » .

وربما أن الرئيس « السادات » قبل هذا المنطق بسرعة ، وهو يعلم فى حنية نفسه أن ما قد يم له فى بيانه العلنى المقترح متعارض تماما مع ما قاله لـ « كينسجر » فى رسالته السرية إليه . « قد أبدى قراره بالعمل إلى تأجيل إلقاء البيان ، وطلب إلى « محمد حسنين هيكل » أن يقابله فى

(\*) توجد صورة من ورقة النقاط التى اقترحها الرئيس . السادات ، وأسلما على سكرتارته الخاصة ، وأرسلها إلى « محمد حسنين هيكل » لكى يتضمنها خطابه ، وهى منشورة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم ( ٥٧ ) - على صفحة ٧٦٦ من

فصر الطاهرة في الساعة الخامسة بعد الظهر لإعادة بحث الموضوع ، وربما للتوصل إلى نقاط مختلفة يحتويها .

□

وعند الظهر كان الرئيس « السادات » لا يزال موزع المشاعر . وقد أبدى تفرمه من خطاب ألقاه العقيد « معمر القذافي » في جماهير حاشدة في طرابلس خرجت على شكل مظاهرات تأييدا وحماسة لتطورات القتال . وقد طرح العقيد « القذافي » في هذا الخطاب لأول مرة شعارا تكرر كثيرا فيما بعد عما إذا كانت المعركة « حرب تحرير ، أو « حرب تحريك » ( أي حربا شاملة إلى النهاية ، أو حربا لتحقيق هدف سياسي محدد ، وهي قضية يطول فيها الحديث ويتخبط ) .

ويبدو أن العقيد « القذافي » عرف بطريق غير مباشر أن الرئيس « السادات » لم يكن مرناحا لكلامه . وقد اتصل به تليفونيا ، وعكس الحوار الذي دار في هذه المحادثة شيئا من سوء التفاهم بين الاثنين ، وإن لم يشر إليه أحدهما صراحة . وكان نص المحادثة بينهما كما يلي :<sup>(١)</sup>

« سري جدا »<sup>(٢)</sup>

نص الحديث التليفوني  
بين سيادة الرئيس أنور السادات والعقيد معمر القذافي

السيد الرئيس : أهلا .. أزيك يا معمر .  
العقيد القذافي : أهلا .. نريد صورة عن الموقف .  
السيد الرئيس : ابعث لنا حد يامعمر .. من عندك بقعد معانا وينقل لك الصورة .  
العقيد القذافي : احنا بنس عاوزين نظمنا .  
السيد الرئيس : الموقف بخير .. خلصنا القنطرة .. والجزء الشمالي من القناة .. ماشيين الحمد لله زى ما احنا .. كويسين .  
العقيد القذافي : باريس شلوا حيلكم .  
السيد الرئيس : احنا ماشيين يا معمر .  
العقيد القذافي : يا ريس .. الإذاعة بتوضح الصليبات أمام العدو .. بلاش الإذاعة .. احنا هنا متضايقين .. لازم يكون فيه أسلوب منطوق عليه بواسطة الإذاعة .  
السيد الرئيس : كل حاجة عال .. ابعث لنا حد بقعد معانا يومين ويبقى يرجع ثاني عندك ..  
علاشان بيلفك أول بأول .. يعنى حد يوصل يومين ويرجع وهكذا .  
العقيد القذافي : أتباء سوريا ايه ؟  
السيد الرئيس : التهارة المغرب أخذوا موقع أهم من جبل الشيخ .  
العقيد القذافي : وأخبار القنطرة ؟  
السيد الرئيس : القنطرة خلاص .  
العقيد القذافي : والمضائق ؟

(١) تقرير بنص محادثة تليفونية .  
(٢) في ملحق صور الوثائق توجد صورة للصيغة الأولى من تقرير الحديث التليفوني بين الرئيس « السادات » والعقيد « القذافي » . وهي منشورة تحت رقم ( ٥٨ ) - على صيغة ٧٩٧ من الكتاب .

السيد الرئيس : حسب الغطة يا معمر . واحدة واحدة .. خليك مطمئن قوى على وجود القوات في سيناء وما تكلش .. القوات والبهات عبرت .. ما تكلش .  
العقيد القذافي : ومتنوبنا في الأمم المتحدة ؟  
السيد الرئيس : احنا سياستنا في الأمم المتحدة رفض وقف إطلاق النار .. إسرائيل وأمريكا طالبين عقد المجلس .  
العقيد القذافي : يا ريس .. القواعد الإسرائيلية ما تخلوهاش تصل .  
السيد الرئيس : لما تكمل الطيارات يا معمر .  
العقيد القذافي : ما دامت المعركة وقت لا بد من الاستمرار بنض النظر عن اختلاف وجهات النظر .  
السيد الرئيس : صح .. صح .  
العقيد القذافي : شكرا ..  
السيد الرئيس : طب مع السلامة .  
العقيد القذافي : مع السلامة .

٢

٨ أكتوبر في تل أبيب :

كانت الصورة في إسرائيل يوم ٨ أكتوبر رمادية قاتمة ، فالموازنين في معارك الديابات بين القوات الإسرائيلية والقوات المصرية كانت كلها لصالح القوات المصرية . وفي نفس الوقت فإن النسل الثاني والثالث المصريين أكملوا عبورهما ، وراحا يعززان مواقعهما على الضفة الشرقية ، وكل الطيران الإسرائيلي الذي نقل جزءا واضحا من تركيزه إلى الجبهة المصرية - يتعرض لساتر مؤثرة .

وقد تبدى هذا الوضع في قرار صدر عن رئيسة الوزراء بعزل الجنرال « جوين » قائد الجبهة الجنوبية ، وتعيين الجنرال « بارليف » - الذي تخلى قبل ساعات عن وزارة التجارة ، الصناعة ليكون مستشارا لقيادة الجبهة الجنوبية - ومسئولا عاما عن الجبهة .

وكان وزير الدفاع الجنرال « ديان » يتعرض لنقد جارح في كل مراكز القيادات التي كان « ربما تلك اليوم ليشرح لضباطها أسباب قرار رئيسة الوزراء بعزل الجنرال « جوين » قائد الجبهة الجنوبية . وينقل الدكتور « بريشر » عن محضر لاجتماع عاصف - فاقصيل مؤثرة عما بين وزير الدفاع الإسرائيلي وعدد من ضباط الأركان في مقر القيادة الجنوبية :

١ - « هاجموه وهو يدافع عن القرار الخاص بامتناع إسرائيل عن توجيه ضربة إجهاض للقوات المصرية والسورية قبل ساعات من بدء الهجوم . وكان رده : « لم يكن في مقدور إسرائيل أن يساعدونا كما يفعلون الآن لو أننا كنا بدأنا بضربة وقائية . وليست لدينا كفاية من

لقد كان هذا اليوم يوما احدثت فيه عوامل السيطرة والقيادة . ونبتت فيه القراءة المغلوطة لمجرى القتال - رغم النتائج الهامة التي تحققت على الجبهة الشمالية بوقف الهجوم السوري .

٣

## ٨ أكتوبر في واشنطن :

صباح هذا اليوم ، لم تكن واشنطن على علم كامل بتفاصيل الموقف الذي تواجهه القوات الإسرائيلية . ومع ذلك فقد بدأ اليوم في العاصمة الأمريكية برسالة من « نيكسون » إلى « كيسنجر » ، قال فيها : « من الصعب على أن أصدق أن المصريين والسوريين تحركوا على هذا النحو الضخم بغير علم السوفيت ، وربما بغير تشجيعهم المباشر » . (٣) وأضاف « نيكسون » قائلا : « وأكثر من ذلك فأنتى متضابق من أن الهجوم على إسرائيل كان مفاجأة كاملة لى . فأتانا أشهر بالإجباط من قصور معلومات مخابراتنا . كما أنتى فى ذهول من فشل المخابرات الإسرائيلية ، وقد كنت أعتقد أنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم ، لكنه يبدو لى أنهم فروجوا بطريقة أفقدتهم توازنهم » .

□

وفى نفس هذا الصباح ( ٨ أكتوبر ) كان « كيسنجر » مشغولا بمحاولات التعطيل على

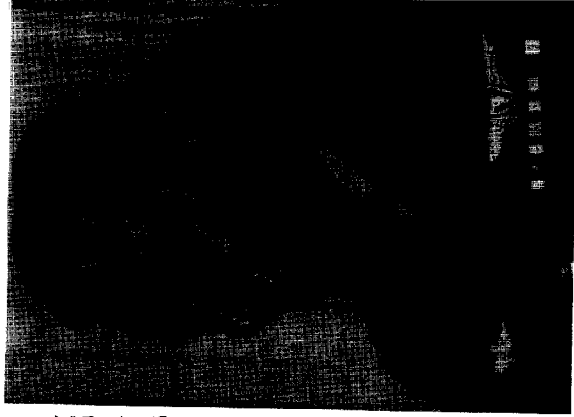
جبهتين :

● **جبهة مجلس الأمن -** وكان المجلس على وشك أن يجتمع وليست هناك بعد مشروعات قرارات يناقشها ، ومن ثم يصدرها . ولما كان اجتماع المجلس مقررا ويصعب على أحد تأجيله فى هذه الظروف ، فقد اقترح السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » أن يبدأ اجتماع مجلس الأمن الأول بمناقشة عامة . وكان « كيسنجر » يشجع على ذلك ، وتقديره - وقد شاركنه فيه وكالة المخابرات المركزية ومخابرات وزارة الدفاع - هو « أن بطء الإجراءات فى مجلس الأمن يعطى لإسرائيل فرصة مواصلة هجومها المضاد فى مرتفعات الجولان » . وكانت توقعاتهم جميعا أن تتم هذه العملية فى يوم أو يومين . وبعد ذلك يركز الجيش الإسرائيلي جهده على الجبهة المصرية .

وكانت تعليمات « كيسنجر » إلى رئيس الوفد الأمريكى الدائم السفير « سكالى » ، وطبعا لمنكرات « كيسنجر » :

( ٣ ) صفة ٩٩١ من مذكرات الرئيس « ريتشارد نيكسون » . .

الأصدقاء لفرط فيهم ، وهو ما كان سيحدث لو أننا كنا الذين بدأنا الحرب . ولو كنا فلنا لك لما كان من حقا انتظار أن يصفق لنا الآخرون . (١)



بارليف

٢ - هاجموه على الطريقة التى يتها إسرائيل غير مستعدة لمفاجأة الحرب . وكان رده : « لى أسلم بأن حالة التفوق الإسرائيلى halo of superiority فقدت بريقها . فقد كانت هذه الهالة تعتمد بالدرجة الأولى على أن العرب يبرأوا على البدء بقتال شامل ، وإذا فعلوا فلا يد من مريضهم من أول لحظة . وهو يوافق معهم على أن إسرائيل يجب أن تعتمد دائما على نفسها وعلى موازين القوى وبين أعدائها . وعلى أى حال فإن ضياع طاقته القوي يمكن تعويضها هذه المرة - العالم الأمريكى » .

وهكذا فإنه فى هذا اليوم العصيب ، لم يكن لى إسرائيل ما تعتمد عليه إلا هذا « العمل الأمريكى » الذى أشار إليه الجنرال « ديان » ، إزاء كل ما وجه إليه ضباطه من اعتراضات . ( وقد تكررت نفس الحجج بعد ذلك فى اجتماع مغلق مع رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية ) .

□

على الجبهة السورية فى نفس اليوم كانت إسرائيل تواجه موقفا شديدا الخطورة بآ مع القبر ( ٨ أكتوبر ) . فقد اندفع الجيش السورى إلى هجوم مدرع قوى أدى تقريبا لى انهيار الخطوط الإسرائيلية فى الجولان ، وهدد بالوصول إلى مستعمرات وادى الأردن . وبذل طير ٨ أكتوبر ظهرت المدرعات السورية أمام المعسكرات الإسرائيلية فى منطقة « نافع » على قرب الجولان ، وبدأ أن فى استطاعة هذه القوات أن تصل إلى وادى « الحوله » عبر جسر « بنات بقوب » ، واتخذ الجنرال « اليعازر » قرارا عند الظهر بتركيز كل الطيران الإسرائيلى تقريبا لوقف التقدم السورى إلى مناطق الكثافة السكانية الحساسة فى الجليل الأعلى . وكانت ضربة الطيران الإسرائيلى مركزة إلى درجة أن القيادة الإسرائيلية قدرت خسائر سوريا فى الدبابات ما بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر بما مجموعه ٦٠٠ دبابة . ( والواقع أن الخسائر السورية من جراء هذه الضربة لجوية المركزة كانت ما بين ٣٥٠ - ٤٠٠ دبابة ) . وفى كل الأحوال فإن تلك كانت بلا جدال ضربة إسرائيلية قوية . وبرغم ذلك فإن تقرير لجنة « أبحاث الحرب » بعد الحرب ووصف وقائع ما دار على جبهة القتال يوم ٨ أكتوبر بالنص التالى :

( ٢ ) دراسة العقور . ملوك برينر . صفة ١٨٥ .

ولا يجب أن يصدر عن مجلس الأمن قرار بوقف إطلاق النار إلا عندما يصل الجيش الإسرائيلي إلى المواقع التي كان عندما قبل بدء القتال - أي خط المياه بالنسبة لقيادة السويس - على أن تكون إسرائيل وقتها قد تمكنت من تدمير ما يمكن تدميره من قوات ومعدات الجيش المصري<sup>١٠</sup>.

● وكانت الجبهة الثانية التي ركز عليها ، كيسنجر ، جهوده للتعطيل هي الجبهة المصرية . فقد قرر أن يرد على رسالة الرئيس ، السادات ، إليه في اليوم السابق ، وكان واضحا من كل سطر من سطورها أنه ما زال يلعب ويتلاعب ( حسب تعبيره الآخيم عن محادثاته مع السيد ، حافظ اسماعيل ، في فبراير ١٩٧٣ ) . وكان نص رسالته على النحو التالي :

، عزيزي السيد اسماعيل<sup>(١١)</sup>

إني شاكر جدا لكونكم في وسط مشغولياتكم الكبيرة الراهنة ، تجتهدون وقتا لكي تشاطرون معي تفكيركم فيما يتعلق بالتطورات بالشرق الأوسط .

وإنه حتى فيما قبل نشوب العمليات الحربية الحالية ، قد سبق لي أن أخطرت وزير الخارجية ، الزيات ، بأنني على استعداد لأن أستطلع بصقة جنية ومكثلة ، مع جميع الأطراف وبخاصة مصر ، ما قد تكون الولايات المتحدة قادرة على القيام به ، لمساعدة الأطراف على تحقيق سلام في الشرق الأوسط ، ولا يزال هذا العرض قائما .

ومن الظاهر أن مجهودا كهذا يمكن أن يصبب النجاح على خيد وجه ، في أهدأ جو ممكن ، ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة حاولت الوصول إلى وقف للقتال ، دون أن تتخذ في الوقت ذاته موقفا يحتل أن يؤدي إلى مواجهة مع الجانب المصري .

وفيما يتعلق بالنقاط المدرجة بمتوكم الموزعة ٧ أكتوبر ، هناك نقطتان :

الأولى هي أنه ليس من الواضح لدى الجانب الأمريكي ما إذا كانت النقطة الأولى في موقف الجانب المصري ، بوجود السحاب إسرائيل من جميع الأراضي المحتلة ، يجب تنفيذها قبل إمكان عقد مؤتمر ، أم أن المتوقع هو الموافقة من حيث المبدأ على هذا الشرط .

والنقطة الثانية هي أن الجانب الأمريكي تلقى الرسالة الثانية من سفيره في طهران :

« إن هويدا رئيس الوزراء ، قد استدعاني بناء على تعليمات من الشاه في الساعة ١٤١٥ بالتوقيت المحلي ، لكي يتلو على بريقية من الرئيس السادات إلى الشاه ، مبنية إليه عن طريق السفير الإسرائيلي بالقاهرة ، الذي قابل السادات في أوائل بعد ظهر يوم ٧ أكتوبر بالتوقيت المصري ، وباختصار فإن البرقية تتضمن وصلا يتسم بالتناول للموقف العسكري المصري على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وللبطولة المصرية في عبور القناة وإنشاء رأس جسد هناك . ثم تطلب البرقية من الشاه إبلاغ الرئيس نيكسون بأن مصر حتى الآن كانت من أجل تقادي القتال ، على استعداد لقبول السلام بشروط معينة ، ومع ذلك فإنها مضطرة الآن للقتال واحتمال الخسائر ، وهي لا تزال تريد السلام ، سلاما دائما في المنطقة . ويود السادات أن يعرف الرئيس نيكسون ، أنه إذا كانت إسرائيل

( ١٠ ) في ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من رسالة ، كيسنجر ، يوم ٨ أكتوبر للسيد ، حافظ اسماعيل .  
وهي منشورة تحت رقم ( ٥٩ ) - على صفحة ٧٩٨ من الكتاب .

سوف تجل عن جميع الأراضي التي احتلت منذ ١٩٦٧ . فإن مصر سوف تكون على استعداد للتفاوض بإخلاص ، لوضع هذه الأراضي تحت رقابة الأمم المتحدة ، أو تحت رقابة الدول الأربع الكبرى . أو تحت رقابة ما دولية أخرى يتفق عليها . أما فيما يتعلق بشرم الشيخ ، فإن مصر على استعداد لقبول رقابة دولية لحرية الملاحة عبر خليج العقبة ، بعد الانسحاب الإسرائيلي . ويود السادات قيام الشاه بشرح ما سبق للرئيس نيكسون ، من أجل إيقاف الخسائر بأسرع ما يمكن .

إن الجانب الأمريكي يكون شاكرا جدا لإيضاح للموقف ، فيما يتعلق بالانسحاب ، والاختلافات بين مواقف الجانب المصري التي تضمنتها متوكمكم ، وبين ما أبلغ لسفيرنا ، وأن يوضح بصقة خاصة ما إذا كان سفيرنا قد نقل على وجه الدقة موقف الرئيس السادات بصدد الجلاء عن الأراضي ، ووضعا تحت رقابة دولية ؟

وإني لأود أن أكرر القول بأن الولايات المتحدة سوف تغفل كل شيء ممكن لمساعدة الأطراف المتنازعة على الوصول إلى إيقاف القتال ، كما أن الولايات المتحدة ، وأنا شخصيا ، سوف نساهم بنشاط ، في معاونة الأطراف على الوصول إلى حل عادل للمشاكل التي حادقت بالشرق الأوسط ، على هذا المدى الطويل .

تحياتي الشخصية الحارة .

دكتور كيسنجر ،

كانت الرسالة ، كما هو واضح من نصها ، مجموعة أسئلة واستفسارات تنوّه بالأزمة في هالبر قصر شاه إيران إلى حد السؤال عن دقة معلومات بلغتهم نقلا عن شاه إيران . ثم إنها كانت موجهة إلى أجواء اتصالات الشاه مع « هنري كيسنجر » ، قبل الحرب ، هذا في حين أن الحرب عمت - وكان لا بد لها أن تغير - الكثير . كذلك فقد تعدد « كيسنجر » أن يشير إلى كلمة « الانسحاب » في رسالته ، ولو من باب التلويح بسراب وسط صحراء أمام ما أحس به من لهفة في القاهرة على الاتصال به في ذلك الوقت المبكر من المعركة .

كان « كيسنجر » يريد أن يكسب وقتا . وكانت التقارير الواردة إليه تشجعه على الاستمرار في لعبة كسب الساعات والأيام بما تقدمه له من طمأنينة زائفة ، فقد أبلغه السفير الإسرائيلي بسبب - اعتمادا على ما كان يجري في الجبهة السورية - بأن إسرائيل أخذت زمام المبادرة في الحرب على الجبهتين المصرية والسورية . كذلك فقد اطلع على تقرير من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يستنتج أن وقوع غارة جوية شديدة على بورسعيد إنما هو دليل على أن القوات الإسرائيلية ترتب لعملية عبور إسرائيلية إلى الضفة الغربية . واللافت للنظر أن « كيسنجر » اتصل بثلاثة من كبار البلوماسيين المشاركين في مناقشات مجلس الأمن ، وأبلغ كلا منهم بالرسالة التي ساسب مطالبه :

● اتصل بوزير الخارجية المصري الدكتور « الزيات » طالبا منه أن يكون تدخله في مساهمات مجلس الأمن « هادئا » ، حتى يترك الباب مفتوحا لمفاوضات تؤدي إلى حل .

● واتصل بالسفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة « جون سكاللي » طالبا منه أن يكون كلامه أمام المجلس « عاما وفلسفيا » ( bland and philosophical ) .

● واتصل بوزير خارجية إسرائيل « آبا إيبان » يطلب منه أن يتكلم طويلا قدر ما يستطيع ، وأن « يضحى » بالبلادة في سبيل الاسهاب .



وقد اتصل « كينسجر » بالرئيس « نيكسون » تليفونيا وأعطاه صورة مقابلة عن الموقف ، وأنه يمكن أن يتحول خلال يوم أو يومين لصالح إسرائيل . وقد أضاف « كينسجر » إلى صورته المتقابلة قوله بنقطة زائدة :

- « إذا استطعنا أن نصل إلى نهاية لهذا الموقف دون أن تنفجر علاقتنا مع العرب أو مع السوفيت ، فسوف تصبح تلك معجزة وانتصارا » .

ورد عليه « نيكسون » بقوله :

- « حسنا .. ولكن الأمر الذي أعرفه أنا وتعرفه أنت إذا نظرنا إلى أبعد على الطريق - هو أن إسرائيل عندما تفرغ من تحطيم المصريين والسوريين - وهو ما سوف تفعله - فإنها سوف تصبح طرفا يصعب التعامل معه أكثر مما هو الحال الآن . ولذلك فأنت وأنا لا بد أن نقرر في عقولنا كيف يمكن التوصل إلى تسوية دبلوماسية في المنطقة » .



## ٨ أكتوبر في القاهرة : مساء

في الساعة الخامسة بعد الظهر من يوم الاثنين ٨ أكتوبر كان قصر الطاهرة مسرحا لمشهد من أغرب المشاهد في حرب أكتوبر كلها . وقد وصل « محمد حسنين هيكل » في هذه الساعة إلى القصر للموعد الذي حدده له الرئيس « السادات » في حديثهما التليفوني في الصباح . وعند وصوله علم أن الرئيس « السادات » موجود مع السفير السوفيتي « فلاديمير فينوجرادوف » في المكتب الداخلي الصغير الذي يلي صالون الاستقبال الرئيسي في القصر . وتوجه « هيكل » إلى الشرفة ووقف فيها يتحدث مع الدكتور « أشرف مروان » سكرتير الرئيس للمعلومات وقتها ، والعقيد « عبد الرؤوف رضا » مدير المكتب العسكري ، ولم يكن هناك في الجو ما يشير إلى أزمة . فقد بدا أن لقاء السفير السوفيتي مع رئيس الجمهورية هو من الأمور العادية والمحتملة في تلك الظروف . وكانت سمات هواء رطب تجيء مع الأصليل محملة برائحة الخضرة الممتدة تحت شرفة القصر إلى صف من الأشجار العالية تظهر شامخة في نهاية الحديقة . وكان صوت القاريء

المعلم الشيخ ، محمد رفعت ، يتلو القرآن بصوته الرخيم مسموعا من جهاز راديو كان في الغالب مموّدا في أحد مواقع الحرس الجمهوري وراء أشجار الحديقة . وكانت تلك هي القراءة التي تمهد لذهاب المغرب - والإفطار في شهر رمضان - ولم يبق على مواعده أكثر من ربع ساعة .

ورجاء ناهت إلى الشرفة أصوات حركة في البهو الرئيسي للقصر الذي تتصل به الشرفة الكبيرة . وولفت من كانوا في الشرفة إلى البهو ليجروا حركة فهموا منها أن مقابلة الرئيس « السادات » مع السفير « فينوجرادوف » قد انتهت ، وكان كلاهما ما زال يتحدث إلى الآخر . وراء الرئيس « السادات » وقف « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية ، وهو ما زال مسكيا بأوراق ويظلم محاولا أن يسمع ما يدور بين الاثنين في الدقيقة الأخيرة من مقابلتهما ، في الغالب فإنه كان يريد أن يضمنه محضره عن المقابلة . وكان الجو على نحو ما موحيا بأن المعاملة شائها نوع من التوتر . وتوجه الرئيس « السادات » إلى الحمام بينما كان وزير شئون رئاسة الجمهورية يتأهب لكي يودع السفير السوفيتي إلى منخل باب القصر بعد انتهاء مقابلته للرئيس . ولكن السفير « فينوجرادوف » لمح « محمد حسنين هيكل » عند الباب ما بين الشرفة وبهو القصر الكبير ، فتقدم نحوه مسلما وهمس قائلا له : « إنتي أريد أن أقابلك الليلة بأي طريقة . فالأمور محيرة ، ولدي ما أريد أن أناقشه معك » . وأبدى له « هيكل » أنه « لا يعرف متى يفرغ من لقائه مع الرئيس « السادات » . وكان رد « فينوجرادوف » : « إنتي سوف أنتظرك في بيتي في أي وقت نخرج من لغاتك مع الرئيس هنا حتى ولو كان ذلك عند الفجر » . وزاد على ذلك قوله « إن بيتك هو بيتي وأنت في النهاية ذاهب لتنام وتستطيع أن تمر على ولو لدقائق قبل أن تأوى إلى هوامشك » .

وبدا الطلب مثيرا وداعيا للقلق . وقد انصرف السفير ، وذهب لوداعه المهندس « عبد الفتاح عبد الله » في نفس اللحظة التي عاد فيها الرئيس « السادات » من الحمام . وتوجه مباشرة إلى الشرفة ، وكان يبدو ثائر الأعصاب إلى درجة أفرغت أحد العاملين في الخدمة الخاصة للرئيس « السادات » . وقد دخل يحمل صينية رصت عليها أقداح المشروبات الساخنة والباردة ، فاضطرب وبعث الصينية من يده . وزاد ذلك من انفعال الرئيس « السادات » .

قد لاحظ أن نظرات الكل ترقبه في دهشة . ولم ينتظر حتى يسأله أحد ، بل وجه حديثه إلى « محمد حسنين هيكل » قائلا : « هل رأيت ما فعله بي موسوليني » بتاعى ؟ » ودهش مكل . ولم يفهم في البداية قصد الرئيس « السادات » الذي راح يوضح قائلا : « حافظ الأسد .. المعب على الجبهة السورية خطير .. خسروا بعد ظهر اليوم ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ دبابة ، وأنا لا أعرف كيف يمكن أن يخسر أحد كل هذه الدبابات في ساعة أو ساعتين .. وحاول « هيكل » أن يجمع من انفعال الرئيس « السادات » ، فقال له باسم : « ولكن التشبيه هنا صعب . فإذا كنت تضع حافظ الأسد في موضع موسوليني » بتاعك ، فمعنى ذلك أنك تضع نفسك في موضع هتلر » . ولم يظهر أن الملاحظة رافت للرئيس « السادات » .. لكنه أدرك أنه مطالب بشرح ما حدث . وبدأ بمول : « إن السفير السوفيتي جاعني الآن يقول إن السوريين طلبوا منهم المساعدة على إصدار



قرار من مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار لأن الموقف عندهم الآن خطير - خسروا كما قلت لك مئات الدبابات في معركة لم تدم أكثر من ساعة ، ثم استطرد الرئيس « السادات » : « وظهر لي من كلام السفير أنهم منذ يوم الجمعة ، ومن قبل أن يبدأ القتال ، كانوا متقنين مع حافظ الأسد على أن يتقدموا بمشروع قرار أمام مجلس الأمن إذا تطورت الأمور على نحو لا يعجبهم . والآن يريد السوفيت أن يضعوني أمام الأمر الواقع ويخطرني بأنهم سوف يتقدمون إلى مجلس الأمن مساء اليوم بقرار لوقف إطلاق النار . وأنا لست مستعداً لقبول ذلك . فالموقف على جبهتي ممتاز ، وإذا أرادوا أن يخرجوا من الحرب ومعهم الاتحاد السوفيتي ، فليقتضروا من الآن .. والباب يساغ الجمل . »



وكانت الصورة - فعلا - شديدة الخطورة والتعقيد . وكان الرئيس « السادات » يروح ويحيى في الشرفة ثائر الأعصاب وغاضبا . وتقدم « محمد حسنين هيكل » بسؤال إلى الرئيس « السادات » حاول به تهينة مشاعره مع بداية محاولة للبحث عن الحقيقة في نفس الوقت . فاقترح عليه أن يرسل رسالة إلى الرئيس « حافظ الأسد » يستوضح منه ما جرى بينه وبين السوفيت بالضبط وبالدفقة . ووافق الرئيس « السادات » على الاقتراح . وجرى محاولة لكتابة رسالة للرئيس « الأسد » . وبالفعل أعد المهندس « عبد الفتاح عبد الله » ، وبالتشاور مع بعض الموجودين ، صيغة رسالة عرضها على الرئيس « السادات » ، وكان نصها كما يلي (\*) :

« من الرئيس أنور السادات  
إلى الرئيس حافظ الأسد

تحياتي ،

أبلغني السفير السوفيتي اليوم بأنكم طلبتم إلى السوفيت التدخل لوقف إطلاق النار في اجتماع مجلس الأمن لأسباب تتعلق بسير المعركة في سوريا ... وأريد أن أضع أمامك في هذه اللحظات المصيرية عدة اعتبارات :

١ - أن وقف إطلاق النار مع احتفاظنا بمواقفنا الآن سيؤدنا إلى وضع أسوأ مما كنا فيه ، وستزداد شراسة إسرائيل واستعداداتها وصلتها بأكثر مما كانت ولن تحمل القضية إلا بشرطها وفي الوقت الذي تراه .

٢ - لقد أكد لي السفير السوفيتي أن الاتحاد السوفيتي قرر تعويضكم بالكامل عن كل ما فقدتموه من العراق .

٣ - أن وقف إطلاق النار سيرحبنا من استئناف العدو ، وهو الهدف الأساسي الذي يجب أن نحرص عليه ، وهو مالا تحتمله إسرائيل مما لا بد وأن يغير الموقف ، فقط مطلوب منا الصمود .

(\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من رسالة الرئيس « السادات » إلى الرئيس « حافظ الأسد » ، وهي منشورة تحت رقم ( ٦٠ ) - على صفحة ٧٩٩ من الكتاب .

« أرجو ألا يكون الهدف في هذه المرحلة هو الأرض ... والهدف هو كسر وقف إطلاق النار واستئناف العدو ، وعلينا أن نتحمل العناصر المترتبة على ذلك .

٥ - لهذه الاعتبارات مجتمعة فإنني كما عودتك أقول لك إنني لا أتفق معك في الرأي على وقف إطلاق النار في المرحلة الحالية ، وبعد مراجعة القائد العام الذي أفاد أن الضباط والجنود السوريين على درجة عالية من الكفاءة والروح العالية .. لذلك فإنني أنصح بدفع القرعة المبررة الاحتياطية لعمل توازن للموقف وإعطائه دفعة جديدة ، مع سحب قرعة من المشاة إلى الخلف لإعادة تنظيمها مع تكليفها بمهمة الدفاع عن دمشق .. ويمكنني أن تصمد في مكانك لاستئناف العدو حتى تحين الفرصة المناسبة لتكملة المهمة الأساسية . وإنني أرى أن لا تعطى للأرض الأهمية التي تعطى للصمود والاستئناف .

إنني أتأكد أن تعطى لهذا الأمر ما يستحق من أهمية .. فمسئوليتنا التاريخية أمام الأمة العربية تختم علينا أن نتحمل في سبيل إتمام المسيرة .

مع تمنياتي لكم بالنصر .

أنور السادات

( أنور السادات ) «

وفي انتظار وصول رد على هذه الرسالة التي أرسلت مساء الاثنين ٨ أكتوبر ، راح الرئيس « السادات » يتحدث عن جوانب مختلفة من الصورة العامة للموقف ، بما فيها أنه غير رآيه فيما « علم » رسالة إلى الأمة لأسباب تختلف عن الأسباب التي أبدأها له « هيكل » ، في حديثهما قبله في الصباح . وقد انفعل إزاء هذا الموضوع بما جعله يقول متسائلا : « بيان إيه تلقية على الناس ، الموقف في سوريا كما نسمع ونرى الآن » .

وفي الساعة الحادية عشرة مساء ، استأن منه « هيكل » بعد أن روى له تفاصيل ما همس به إليه السفير السوفيتي قبل خروجه من القصر .

« غادر قصر الطاهرة متوجها إلى بيت السفير السوفيتي في الجزيرة دون أن يعرف أنه بعد ظهره بدقائق وصل الرد المنتظر من الرئيس « حافظ الأسد » . وكان نصه كما يلي (\*) :

« سري جدا

برقية رمزية

من : دمشق رقم البرقية : ٣ ( ش . س . م . ) مجموعة الوقت والتاريخ : ٩ / ١٠ / ٧٣

من الرئيس حافظ الأسد

إلى السيد الرئيس السادات

تحياتي

الحالة :

(\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة التي رد فيها الرئيس « الأسد » على الرئيس « السادات » ، وهي مطبوعة تحت رقم ( ٦١ ) على صفحة ٨٠٠ من الكتاب .

- ١ - لم أطلب من السوفييت التدخل لوقف إطلاق النار ، وغرب أن يتحدث السفير بهذا الشكل ، وقد كان ( الذي قلته لهم ) ان وقف إطلاق النار مرتبط بتحرير الأرض .
- ٢ - ليست هناك أي أسباب في المعركة تدعو لوقف إطلاق النار ، فالمعركة تسير بشكل جيد ، ونلحق بالقوات الإسرائيلية أكبر الخسائر بالرجال والمعدات ، وقد تم حتى الآن تحرير أكثر من نصف مرتفعات الجولان .
- ٣ - خسارتنا في الجدد الطبيعية ويجري بشكل منتظم استعراض خسارتنا .
- ٤ - ليس للعراق علاقة باستعراض خسارتنا فليس في العراق فائض مما نحتاج إليه .
- ٥ - موضوع كموضوع وقف إطلاق النار لا يتم إلا بالاتفاق بيننا ، ولا اعتقد أن هناك أية الآن لنبحث الموضوع .

وختاما ، أتمنى لكم النصر المبين .

أخوكم

( حافظ الأسد )



في الساعة الثانية عشرة إلا الربع وصل « محمد حسنين هيكل » إلى بيت السفير السوفيتي ، ووجد أحد مساعديه في انتظاره في حديقة البيت المظلمة ( بسبب قيود الإضاءة وقت الحرب ) . وقد قاده مساعد السفير مباشرة إلى غرفة الاستقبال في البيت ، وكانت تنبعث منها أنغام بيانو نموذجية من كونشرتو البيانو الثاني لـ « راحمانينوف » ، ودخل « هيكل » إلى القاعة ، وكان « فلاديمير فينوجرادوف » جالسا أمام البيانو يهدهء أعصابه - كما يبدو - بلحن عاطفي رقيق . راف « هيكل » وراءه في صمت والسفير لا يشعر ، وحين توقف لحظة عن العزف صقق له « فلاديمير » وكان يقصد إلى تلطيف أجواء المقابلة ، وقد توقعها حافلة بأخبار لا تسر ولا تزعج . ونهض « فينوجرادوف » من مقعده أمام البيانو مرحبا ، واتجه الاثنان إلى ركن من الصالون . وراح السفير السوفيتي يفتح قلبه ويفضي بما عنده . والحقيقة أنه بتعبيرات وجهه ونبرة كلماته - كان رجلا يعاني من أزمة سياسية وشخصية عنيفة . وكان مؤدب ما قاله على الترتيب التالي :

- ١ - إنه أصبح يجد صعوبة بالغة في التحدث بصراحة مع الرئيس « السادات » . فنذار طرد الخبراء السوفيت والرئيس جاف في التعامل معه . وبرغم أنهم قدموا إليه كل ما طلب به أن أمانهم علنا - كما يعتقدون - فإنهم يخشون أن شكوكه كثيرة فيهم . وأنه هو شخصيا يميل من هذه الحالة باعتباره المسئول عن العلاقة السوفيتية مع الرئيس مباشرة .
- ٢ - إنه يستطيع أن يفهم ويفكر عصبية الرئيس في هذه الظروف - لكنه يتوقع أن يبيع له الرئيس صدره لكي يجري تبادل الآراء والمعلومات وتنسيق المواقف بين الاتحاد السوفيتي وبين

- ٣ - إن كيفية التصرف في الأمم المتحدة بعد نشوب القتال موضوع سبقت مناقشته من قبل الحرب . وقد نوقش بتوسع إلى حد ما بين السفير السوفيتي في دمشق « محيي الدينوف » وبين الرئيس « حافظ الأسد » . فقد كان معروفا مسبقا لكل الأطراف أن مجلس الأمن لا بد أن يدعى إلى الاجتماع فور وقوع حالة تهديد الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط . وأن كل الأطراف المعنية سوف تكون مطالبة باتخاذ موقف محدد في مداولات مجلس الأمن . ومن الطبيعي أن يكون أول ما يطرح هو مشروع فرار بوقف إطلاق النار . ولهذا فإنني قابلت الرئيس « السادات » لهذا الموضوع يوم السبت (أول أمس ) ، ولم يعطيني تصورا محددا ، بل أحالني على الدكتور « محمود فوزي » الذي بدا لي هو الآخر غير محدد .

٤ - وكان سفيرنا في دمشق « محيي الدينوف » قد فهم من الرئيس « حافظ الأسد » أنه طالما كان الموقف العسكري في صالح العرب فإن المطلوب منا هو أن نعطل صدور قرار . وأما إذا كان الموقف غير موافق للعرب ، ففي تلك اللحظة قد يكون صدور قرار من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار مقبدا سياسيا وعسكريا قبل أن تسوء الأمور .

٥ - وإزاء تطورات الموقف على الجبهة السورية بعد ظهر أمس ، فقد خطر لنا أن نسأل - مجرد سؤال - هل الوقت الآن مناسب لمثل هذا القرار ، خصوصا وأن الأمريكيين على اتصال بوفنا في نيويورك يتشاورون معه لصياغة قرار يقدم إلى المجلس .

٦ - إن الرئيس « السادات » لم يعطيني فرصة بعد ظهر اليوم لأشرح وجهة نظرنا . ولكنه فاطمني سائلا بحدّة عما إذا كان الرئيس « الأسد » قد طلب منا تقديم قرار لوقف إطلاق النار . وحين حاولت أن أشرح له خلفية هذا الموضوع خبط يده على المائدة وقال « إنني فأنتم ترتبون مع حافظ الأسد من وراء ظهري » . وحين ألححت عليه أن يسمع مني بقية كلامي فاطمني بأن الأمور واضحة أمامه ولا يحتاج فيها إلى شرح جديد .

وسكت « فينوجرادوف » بعد أن ألقى بكل هذه النقاط في نفس واحد تقريبا .



وتوجه إليه « محمد حسنين هيكل » بسؤال عن معلوماته بالدفقة عما جرى في الجبهة السورية بد ظهر اليوم ، وما هي أسبابه في رأيه . وقال « فينوجرادوف » ما مؤداه أن هذه أيضا قصة معززة ومؤلمة . فالتنسيق بين الجبهتين غير قائم ، وقد اقتصر على تحديد ساعة الصفر ، وتم فتح إطلاق النار على الجبهتين في نفس الثانية ، ثم راحت كل جبهة تنصرف كما يحظر لها دون جهد مشترك ، كان ضروريا في مثل هذه الحالة ، بل وكان حيويا .

ثم استطرد يقول : « وبصراحة ، فإن الذي حدث هو ما كان متوقفاً ، وهو أن الإسرائيليين ركزوا في البداية على الجبهة السورية لقربها من المواقع الحساسة في إسرائيل ، ووجهوا إليها مجهودهم الرئيسي في الثمانية والأربعين ساعة الأولى من الحرب حتى يفرغوا منها تماماً ، ثم يتزلون بكامل قوتهم بعد ذلك إلى الجبهة الجنوبية . وكان يجب عليكم وفقاً لأي منطق في العمل المشترك ، أن تنتبهوا إلى ذلك وتحولوا لدونه » .

واستطرد « فينوجرادوف » بما مؤاده : « إن الجبهة المصرية تبدو حتى هذه اللحظة ، وهذا هو اليوم الثالث من القتال ، وكان همها الأكبر هو تدعيم وتثبيت رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية . وأخشى ما أخشاه أننا في يومين أو ثلاثة سوف نجد الجيش الإسرائيلي ، بما فيه الطيران ، منفرداً بالجبهة المصرية وحدهما بعد أن يكون قد « سوى » أموره على الجبهة الشمالية » .

ثم قال « فينوجرادوف » وقد انخفض صوته إلى درجة الهمس : « إن خرابنا جيداً لا يفهمون لماذا لم نتقدموا لاحتلال المضائق ؟ فذلك أو لا كان عنصراً في الخطة التي اتفق عليها مع السوريين - ثم إنه ثانياً يخفف الضغط عن سوريا - ثم إنه ثالثاً يعطيك مواقع ثانية أفضل كثيراً من أية تحصينات تقيمونها لتدعيم رؤوس الكبارى » .

ورد عليه « محمد حسنين هيكل » قائلاً بأنه « وإن كان بعيداً عن تفاصيل خطط المخابرات - يتصور أن القيادة العسكرية تريد أن تفرغ من تأمين مرحلة العبور قبل أن تتقدم إلى مرحلة أخرى تالية لها ، سواء كان ذلك يعمل لاحتلال المضائق أو بشيء آخر » .

وقاطعه « فينوجرادوف » قائلاً « إن الموقف ملائم جداً لتقدمكم لاحتلال المضائق ولا يزال حتى هذه اللحظة ملائماً . ولكنكم لا تنتهزون الفرصة » .

وأخس « فينوجرادوف » ، أن زائره يريد أن يسمع منه أكثر ، فقام إلى التليفون وطلب زماً داخلياً ، وتحدث باللغة الروسية مع طرف على الجانب الآخر . ثم تبادل مع محطته عدة جمل ووضع سماعة التليفون ، والتفت إلى ضيفه قائلاً « نعال معي إلى غرفة الخرائط » .

وخرج الاثنان من قاعة الاستقبال ، وتوجها عبر دهليز طويل ومتعرج يؤدى إلى مبنى السفارة ، وهو ملاصق ومتصل ببيت السفير . ووصل الاثنان إلى غرفة كان يقف على بابها في انتظارهما ضابط برتبة جنرال في الجيش السوفيتي . ودخل الاثنان إلى الغرفة وألقوا رءوسهما بآب حديدى ، وفي نفس اللحظة كان هناك ضابط سوفيتي آخر يدوس على زر ، فبأن سار برقع عن خريطة للجبهة المصرية ، وبدأ الجنرال السوفيتي الذي قدمه « فينوجرادوف » باسم جنرال « سماخوسكى » يشرح أوضاع القوات على الجبهة . وكان مؤدى ما قاله « إن الاجتياح الإسرائيلي الذي كان في المؤخرة ، وضمن مسئولياته حماية المضائق ، قد خرج من مكانه واشترك في معارك الدبابات خلال الساعات الأخيرة وتكبّد خسائر كبيرة . ونتيجة لذلك ، فإن عدم القوات الإسرائيلية في المضائق ، أو على مشارف الطرق المؤدية إليها ، أو على نقاط الاقتراب منها - قوات ضئيلة لا تتجاوز في هذه الساعة مجموعة لواعين . وهذه قوة يمكن أن تكسبها

القوات المصرية في ساعتين أو ثلاثة وتسيطر على أهم موقع استراتيجي في سيناء ، بما يسمح لها بأفضل الأوضاع لرد أي هجوم إسرائيلي مضاد » .

واعتبر « هيكل » أن هذا اللقاء في غرفة الخرائط في مكتب الجنرال السوفيتي « سماخوسكى » أهم ما سمعه في تلك الليلة . وقد رأى أن يخرج من السفارة السوفيتية بأسرع وقت ممكن ، ليتصل بالرئيس « السادات » .



في الساعة الواحدة وعشر دقائق كان « محمد حسنين هيكل » يتصل من بيته بالرئيس « السادات » . ولم يجده في قصر الطاهرة ، وإنما عرف من الضابط التوتيجي أن الرئيس « خرج مع ابنته الكبرى لبنى وذهبا إلى حي سيدنا الحسين بالسيارة لكي يروا ويعيشوا مشاعر الجماهير - وكانت القاهرة فعلاً في تلك الأيام ، خصوصاً مع احتفالات وتقاليد شهر رمضان ، تسهر إلى الصباح بجوار أجهزة الراديو والتليفزيون ، والكل يتابع دقيقة كل كلمة تنازع ، بل كل حرف . وكانت حقائق ما دار في الجبهة المصرية حتى الآن قد أصبحت مؤكدة ، وبالتالي فإن مشاعر الحماسة والفرح كانت عارمة .

وترك « هيكل » للرئيس « السادات » رسالة ترجمه أن يتفضل بالاتصال به في أي وقت فور رجوعه .

وفي الساعة الثانية والثلاث دق جرس التليفون ، وكان الرئيس « السادات » هو المتحدث ، وخطر له أن محدثه يريد سؤاله عما إذا كان الرئيس « حافظ الأسد » قد رد على رسالته . ويأمر بقوله : « إن حافظ رد على الرسالة . والموضوع كله كما يبدو لي سوء فهم من السوفيت ، أو أنه سوء نية » . وأضاف : « إنهم - يقصد السوفيت - سوف يظلون إلى آخر عمرهم موجودين من الكف الذي نزل على وجههم عندما طرد خبراءهم » ! - ثم تذكر الرئيس « السادات » ، ذلك الموعد مع « فينوجرادوف » فسأل : « هيه . عملت إيه ؟ ، وبدأ « هيكل » يشرح له ما سمع ورأى ، مركزاً على نقطة المضائق . وكان الرئيس « السادات » يصغى باهتمام ، وقد سأل مرتين أو ثلاثة عن بعض التفاصيل واستعادها . وسكت لبعض الوقت ، ثم عاد بعد ذلك يقول لمحدثه « لدى اقتراح .. اتصل بأحمد اسماعيل الآن وبلغه ما سمعت » .

واتصل « هيكل » بالرقم المباشر للفريق « أحمد اسماعيل » ، وفوجيء بأن الذي رد عليه من الناحية الأخرى هو الفريق « سعد الدين الشاذلي » رئيس هيئة أركان الحرب ، وسأله « هيكل » عن الفريق « أحمد اسماعيل » ، وقال الفريق « الشاذلي » إنه تائم ، وشرح أنهما يتبادلان معاً الورديات أثناء الليل بحيث يستطيع أحدهما أن يأخذ قسطاً من الراحة في حين يكون الثاني قائماً بالعمل . وسأله « هيكل » عن الموعد الذي سوف يستيقظ فيه الفريق « أحمد اسماعيل » ، ورد الفريق « الشاذلي » بأن موعده هو الساعة السادسة صباحاً .

كانت الساعة الآن تقترب من الثالثة صباحاً ، وهناك ثلاث ساعات قد تسبّع ، وربما تكون لها قيمة أو فائدة في موقف يتحرك بسرعة . وفي لحظة استحسن ، هيكل ، أن يقول ما عنده للفريق « سعد الدين الشاذلي » . واستمع رئيس هيئة أركان الحرب باهتمام . ثم كان رده : « سوف أقول لك .. رأيي أن تنتظر في هذا الموضوع حتى يستيقظ الفريق أحمد اسماعيل » . ثم أبدى الفريق « الشاذلي » ملاحظة نقلت إلى محدثه الشعور بأنه ليس متحمساً للفكرة ، وأضاف : « وفي مقدورك أن تتصل به في أي وقت وتناقش معه الموضوع » . وبينما المكالمة توشك أن تصل إلى نهايتها ، استترك الفريق « سعد الشاذلي » ، قائلاً بالحرف : « هل أستطيع أن أرجوك في شيء ؟ .. عندما تتصل بالوزير لا تنكر له أنك قلت لي عن الموضوع الذي تريد أن تحدّثه فيه » . وبدأ الطلب داعياً للدهشة . وعلى أي حال فلم يكن هناك خيار آخر .

ولأهمية الموضوع ، عاد ، هيكل ، فالتصل بالفريق ، أحمد اسماعيل ، في الساعة السادسة والرابع صباحاً . وكان واضحاً له أن الوزير ليس متحمساً لفكرة النقم إلى المضايق .



## ٨ أكتوبر في واشنطن : بعد الظهور

في الساعة ٥،٤٠ بعد الظهر اتصل السفير السوفيتي في واشنطن « أناتولي دوبرينين » بـ « كيسنجر » قائلاً له إن « الاتحاد السوفيتي ليس لديه مشروع قرار يتقدم به إلى مجلس الأمن ، أو قرار يشارك في تقديمه ، لأنهم ما زالوا على اتصال بالدول العربية » . وكانت هذه الرسالة تناسب خطة « كيسنجر » القائمة على إعطاء الوقت لهجوم إسرائيل المضاد والحاسم . وقد دعا « كيسنجر » بعد هذه الرسالة إلى اجتماع لمجموعة العمل الخاصة بالبيت الأبيض ، وكان أهم ما ظهر خلال هذا الاجتماع أن الجميع ينتظرون في أي لحظة أن يتلقوا أخباراً عن نجاح إسرائيل ساجق (٥).

وفي الساعة الثامنة مساء عاد « دوبرينين » إلى الاتصال بـ « كيسنجر » لتفويضا ليقرأ عليه رسالة من « بريجنيف » تقول « إن الاتحاد السوفيتي يجرى مشاورات مع الدول العربية بشأن وقف إطلاق النار ، وسوف يتصلون به في أسرع وقت » . وعلق « كيسنجر » على هذه الرسالة بقوله « إن تلك كلها أشياء تساعد على وضع الفرملة على الجهود الدبلوماسية ، بما يعطى لإسرائيل الوقت الكافي لتنجز ما تريد إنجازة » !

(٥) منكرات . هنري كيسنجر .. الجزء الثاني .. سنوات اللقلق .. صلحة ٤٨٩ . صلحة ٤٩١ .

## الفصل السادس

### يوم ٩ أكتوبر



## ٩ أكتوبر في القاهرة :

بدأ الرئيس « السادات » يومه متأخراً ، فهو لم ينام في اليوم السابق إلا في الفجر - لكنه حينما استيقظ كانت الأخبار التي وجدها في انتظاره طيبة . وفي واقع الأمر فإن يوم ٩ أكتوبر كان هو اليوم الذي بلغ فيه الموقف العربي ذروة نجاحه .

وكان تقرير مكتب الشؤون العسكرية يعرض الموقف على الجبهات المختلفة كما يلي :

« سرى جداً »

تقرير موقف رقم ( ٤ )

تقرير موقف عن اليوم الرابع قتال ١٩٧٣/١٠/٩

العدو :

- يستمر العدو في محاولته إجهاد قواتنا ومنعها من تطوير الهجوم شرقاً .
- فشل هجوم مضاد ( للعدو ) بقوة لواء مدرع وتم أسر قائد اللواء .
- فشل هجوم مضاد آخر بقوة لواء مدرع وتم أسر قائد اللواء ودمر له ٤٢ دبابة .
- قام العدو باستفلاق بحرى في منطقة البحر الأحمر ، واشتبكت معه قواتنا وأغرق له ٤ زورق .

- ركز العدو هجماته الجوية على بورسعيد والمعابر وخسر ١٠ طائرات .
- هاجم عدداً من الطائرات وخسر ٦ طائرة وأسر له ٢ طيار .

□ قواتنا :

- ما زالت قواتنا تحاصر بعض النقاط القوية وتم الاستيلاء على ١٦ نقطة قوية .
- قامت قواتنا بصد الهجمات المضادة .
- تعمل قواتنا حالياً على تطوير الهجوم .

□ الجبهة السورية :

- تم استيلاء القوات السورية على القنطرة صباح اليوم .
- تمكنت القوات السورية من صد الهجوم الإسرائيلي رغم الضغط وتعاون قوات العدو المدعرة والجوية .

□ التطبيق :

- يعمل العدو على محاولة تثبيت الجبهة السورية تمهيداً للتفرض للقتال على الجبهة المصرية .
- من المتوقع ( قيام العدو ) بهجوم مضاد بواسطة اللواء المدع على المعبر الشمالي مركزاً على النقاط القوية التي ما زال متمسك بها العدو ، وتهديد مدينة بورسعيد مع توقع عمليات خاصة بالبحر الأحمر .
- من المنتظر أن يعاود العدو هجومه المضاد في اتجاه القنطرة ليلاً .
- ينظر أن يدافع العدو مجموعة عملياته على المعبر الأوسط للقيام بضربة مضادة في اتجاه الاسماعيلية بهدف ضرب التجمع الرئيس لقوات الجيش الثاني . ومن المرجح أن يتم الهجوم ليلاً .
- من المتوقع أن تستمر عمليات العدو الخاصة في منطقة البحر الأحمر . . .

□

وقد أضيقنا إلى أسباب رضا الرئيس « السادات » حادثتان سمع تفاصيلهما بنفسه :

● الأولى من اللواء « حنفي مبارك » قائد سلاح الطيران الذي روى له أنه كان موجوداً بنفسه في مطار المنصورة عندما تعرض المطار لغارة جوية إسرائيلية تم فيها إسقاط إحدى طائرات العدو وأسر طيارها . وقد طلب اللواء « مبارك » أن يستجوب بنفسه الطيار الإسرائيلي الأسير . وقد قال له في بداية الاستجواب إنه راقب طريقة عمل تشكيله من مركز قيادته في القاعدة الجوية ، وأدهشته كمية الأخطاء التي وقع فيها التشكيل . وقال له « ماذا حصل لكم ؟ يظهر أنكم أخطأتم عما كنا نعرفه من كفاءتكم » . ورد عليه الطيار الأسير قائلاً « سيدى ، نحن لم نتغير ، ولكن أنتم تغيرتم » . وقد راح الرئيس « السادات » يروي هذه القصة سعيّاً بها وفخراً .

● وأما الحادثة الثانية ، وقد سمع تفاصيلها مباشرة أيضاً من مدير المخابرات العسكرية ، فقد كانت خاصة بضرب الجنرال « ماننلر » قائد المدرعات الإسرائيلية وقته في سيناء ، وذلك

بعد أن تمكنت المخابرات في الوقت المناسب تماماً من فك رموز رسالة شغرية أظهرت أن « ماننلر » قد دعا أحد قواده إلى الاجتماع به في نقطة معينة على الطريق الأوسط في سيناء . بعملية تنسيق سريع قامت إحدى المقالات - وقد حصلت على موعد الاجتماع ومكانه - بضرب المرفع وتدمير بهما أدى إلى قتل الجنرال « ماننلر » في وقت كانت معركة المدرعات فيه تهيّز أخرج أوفاتها . وهنا أيضاً كان الرئيس « السادات » يروي القصة في أضيق الحدود ، ويطلق على مصطلحها بقوله « قمة التكنولوجيا » .

وكان على حق ...

□

وكانت المراسلات السرية للرئيس « السادات » إلى الدكتور « كينجر » بواسطة السيد حافظ إسماعيل « على وشك نقل الرسالة الثالثة في السلسلة الطويلة من المراسلات التي دارت بينهما في ذلك الوقت .

وكان نص هذه الرسالة كما يلي :

من حافظ إسماعيل  
إلى الدكتور كينجر

يود السيد إسماعيل شكر الدكتور كينجر على رسالته المؤرخة ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، كما يود أيضاً الإعراب عن تقديرنا لما للحكومة الأمريكية من نوايا طيبة ، ولإستعدادها للمساهمة في الجهود التي تبذل للوصول إلى السلام في الشرق الأوسط .

إن رسالة السيد إسماعيل المؤرخة ٧ أكتوبر ١٩٧٣ قد قصد بها أولاً إعادة الاتصالات عن هذا الطريق ( القناة ) الخاص بين البيت الأبيض والربانسة (\*) ، وقصد بها ثانياً إيضاح الموقف المصري مباشرة للحكومة الأمريكية ، فيما يتعلق بالتطورات الأخيرة في الشرق الأوسط ، ولا حاجة بمصر إلى أن تلجأ إلى قنوات أخرى (\*) بصدد مسائل خطيرة وعاجلة ، كذلك التي تضمنتها رسالتنا .. ومع ذلك فإني أود أن أؤكد مرة أخرى :

- ١ - أن إسرائيل يجب أن تتسحب إلى خطه بونيه ١٩٦٧ ، وعندئذ سوف يعقد مؤتمر سلام ، لوضع إتحاق سلام نهائي .
- ٢ - لم يحدث قط أن كان هناك حديث عن وضع الأراضي التي تهلج عنها إسرائيل ، تحت رقابة دولية ، أو غيرها ، إذ سيكون هذا انتهاكاً لسيادة مصر .
- ٣ - الشرط الخاص بتواجد دولي لمدة محدودة في شرم الشيخ ، عرضة للقبول للإشراف على حرية الملاحة في مضائق تيران .

(\*) صورة للصلحة الأولى من رسالة حافظ إسماعيل إلى كينجر ، موجودة في ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٦) - وهي على صفحة ٨٠١ من الكتاب .  
(٠٠) بصد في الغالب شاه إيران .

ليبت هناك تحركات على الجبهة الأردنية أو اللبنانية ضد إسرائيل . وبضرب سوريا بسرعة فقد أصبح احتمال أي تحرك على الجبهتين الأردنية واللبنانية صعباً . وقد ذكر بيان « أن لبنان ألغى إسرائيل بطريقة سرية أنه لن يسمح باستعمال الجيش السوري لأراضيه تحت أية ظروف . »



وانتقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء ، وكرر فيه الجنرال « ديان » ما سبق أن قاله في امساعه المغلق مع رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية .

وكان المجلس في حالة ذهول وهو يستمع إلى معرير وزير الدفاع . وأثناء انعقاد المجلس احدث « جولدا مائير » عدة إجراءات :

● طلبت من نائبها الجنرال « آلون » أن يقابل السفير الأمريكي ليستعجل طلبات السلاح من الولايات المتحدة الأمريكية . وقد وصل السفير الأمريكي « كينج » بالفعل إلى مقر رئاسة مجلس الوزراء ، وقابل « آلون » ومعه وزيره المفوض « فليوتس » .

● أبدت « جولدا مائير » أنها رغم التأكيدات الواصلة لإسرائيل عن طريق الاتصال السري مع لسان - فإنه من المستحسن القيام بعمل حازم لمنع سوريا من الحصول على أية ميزات من لسان . وقد أخذ المجلس نتيجة لذلك قراراً بضرب محطة الرادار اللبنانية في منطقة البارقة للاشتباه في أنها ترصد معلومات تقوم بتبليغها للجيش السوري عن تحركات القوات الإسرائيلية .

● طلبت جولدا توجيه تحذير شديد للملك « حسين » ، لأن الضغوط الشعبية في الأردن قد دفعته إلى تدخل من نوع ما - ومن المستحسن أن تشترك الولايات المتحدة في توجيه هذا التحذير إلى الملك . ( استجاب « هنري كيسنجر » لطلبها ويحث في نفس اليوم رسالة تحذير إلى الملك « حسين » ) .

وأكثر من ذلك فإن « جولدا مائير » بلغ بها القلق من تطور الأمور على الجبهة المصرية إلى حد أنه خطر لها أن تهرع بنفسها إلى القيام بزيارة سرية إلى واشنطن ، لكي تقابل الرئيس « سكسون » وتقدم له شخصياً نداءً مباشراً بنجدة إسرائيل . وقد وافقها الجنرال « ديان » ، على هذه الفكر . فاقلاً لها : « إن ذلك قد يساعد إسرائيل في الحصول على ما تحتاج إليه بشدة وعجلة في هذا اللحظات . »

ويود السيد إسماعيل انتهاز هذه الفرصة للفت انتباه الدكتور كيسنجر إلى التطورات التالية :

- ١ - تحركات الأسطول السادس الأمريكي في شرق البحر الأبيض المتوسط .
- ٢ - التدفق المستمر للمتطوعين إلى إسرائيل ، يتلقون بطائرات مدنية أمريكية .
- ٣ - قصف إسرائيل لمدينة بورسعيد ، إذ من شأن هذه التطورات ، كما يدرك الدكتور كيسنجر جيداً ، ما يضيف إلى الموقف بعداً جديداً وأشد خطورة ، وينتج به إلى توسع نطاق النزاع بدلاً من احتوائه .

أطيب التحيات .

١٩٧٣/١٠/٩ .



## ٩ أكتوبر في تل أبيب :

عاد الجنرال « ديان » من زيارة لجبهات القتال متشائماً ، وقد وجد طلباً من رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية يرجونه أن يجتمع بهم لكي يعرفوا الصورة لمجرد العلم ، وليس للنشر في مطلق الأحوال . (١) وقد رأى الجنرال « ديان » أن يصارحهم بالحقيقة ، وعرضها عليهم على النحو التالي :

١ - إن الموقف على الجبهة الشمالية قد تم تثبيته . وأن الجزء السيئ منه قد انتهى the worst was over .

٢ - وأما على الجبهة الجنوبية فإن الموقف مختلف :

أ - القتال على الجبهة الجنوبية يمكن أن يطول ، ومن الصعب جداً أن يتم أي نوع من السيطرة على الموقف فيها خلال الأيام العشرة القادمة .

ب - إن المصريين لديهم سلاح بلا نهاية ، وقد عبر عن ذلك بقوله بالنص : "it's fantastic, it is terrible to fight against such a thing" ( إنه شيء مذهل ، وإنه لمن المخيف أن يحارب المرء في مثل هذا الوضع ) .

ج - لا يستبعد تقدم الجيش المصري لاحتلال أبار البترول في أبورديس ، بل إنه في استطاعة المصريين الوصول إلى شرم الشيخ .

(١) قامت رئيسة الوزراء « جولدا مائير » بعد ذلك بإعطاء إذن رسمي لجريدة « ها أرتس » لكي تنشر وقائع هذا المؤتمر ، وذلك في إطار الصراع بينها وبين « ديان » . وقد نشرته « ها أرتس » قبلًا في عددها الصادر يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ . وحينما كان لادة إسرائيل يتهاون الاتهامات عن مسئولية ما جرى في الأيام الأولى للحرب .



## ٩ أكتوبر في واشنطن : صباحاً

في الساعة ١٠:٤٥ طلب السفير الإسرائيلي في واشنطن « سيمحا دينتز » إيقاظ وزير الخارجية الأمريكي « هنري كيسنجر » من نومه ، وفاجأه بسؤال عن مدى إمكانيات المسارعة أكثر بإرسال مدد عسكري لإسرائيل (٢) . وقد فوجيء « كيسنجر » بالسؤال ، خصوصاً وأنه تذكر تعطيلات « دينتز » له قبل ساعات . وسأله « كيسنجر » بصوت نصف نائم « ما هي المشكلة ، وما هو سبب العجلة ؟ » ورد عليه « دينتز » بأن « هناك حاجة ماسة إلى طائرات وذخائر وبعض المعدات الإلكترونية » . وقد روى « كيسنجر » أنه استغرب إقدام « دينتز » على إيقاظه ، وخطر ببالة أن السفير الإسرائيلي يوقظه من النوم لمجرد استعراض عضلاته أمام الحكومة الإسرائيلية ، ولإثبات أنه يستطيع أن يوظف وزير خارجية الولايات المتحدة من نومه في أي وقت . وقد أبدى « كيسنجر » لـ « دينتز » أن كل الطلبات تمت الموافقة عليها ، وأنه في الصباح سوف يقوم باستكمال عمليات الشحن ، وسوف تتم بسرعة .

وفي الساعة الثالثة صباحاً عاد « دينتز » إلى إيقاظ « كيسنجر » من نومه للمرة الثانية في نفس الليلة . وبدأ « كيسنجر » بحس أن الموقف لابد أن يكون أخطر مما يتصور . ودعا « دينتز » إلى مقابله في البيت الأبيض في الساعة الثامنة صباحاً .

ووصل « دينتز » إلى البيت الأبيض ومعه الملحق العسكري الإسرائيلي الجنرال « مورداخاي جور » . وطلب الاثنان أن يدور الحديث في غرفة الخرائط حيث يستطيع الجنرال « جور » أن يشرح لوزير الخارجية الأمريكي تطورات الموقف أمام خريطة . وتم ذلك بالفعل . وكان تعقيب الجنرال « جور » في نهاية عرضه للموقف هو قوله : « إن خسائر إسرائيل حتى هذه اللحظة مروعة staggering . وقد جاءت غير متوقعة بالمرة totally unexpected ، فلقد أسقطت لنا حتى الآن ٤٩ طائرة . بينها ١٤ طائرة من طراز « فانتوم » ، إلى جانب ٥٠٠ دبابة » . ( أي أن الجيش الإسرائيلي فقد خمس طائراته وربيع دباباته في أربعة أيام من القتال ) . وكان « كيسنجر » صامئاً وإن لم يخف دهشته بتقاطع وجهه . وقد تدخل « دينتز » في الحديث طالباً من « كيسنجر » أن يبقى هذه المعلومات سرّاً لنفسه ولا يبوح بها لأحد ، لأن تسريبها يمكن أن يؤدي إلى كارثة . وكان أول ما نطق به « كيسنجر » هو تساؤله « كيف حدث ذلك ؟ » وراح الجنرال « جور » يقدم تفسيره . ولكن « كيسنجر » كان ، إلى جانب دهشته ، مملؤاً بالغضب ، وقد توجه إلى « دينتز »

(٢) مذكرات « هنري كيسنجر » - الجزء الثاني - بعنوان « سنوات اللالال... » صفحة ٤٩١ .

سأله : « أين ذهبت تو فماتك بالانصرام الساحق وقد عدت لتأكيد ما لي قبل ساعات ؟ » . ورد « دينتز » بأسي : « something went wrong » ( لقد أخطأت الأمور ) .

ووجد « كيسنجر » نفسه - إلى جانب الدهشة والغضب - واقعاً في حالة من الحيرة سببها أن مديراتهم العسكرية ، ومن ثم تحركاتهم الدبلوماسية ، خصوصاً في اتصالاتهم مع الاتحاد السوفيتي - كانت قائمة على أساس انتظار نصر إسرائيلي سريع ، وساحق !

وقد أبدى « كيسنجر » للجنرال « جور » ملاحظة قال فيها - منملاً - « يظهر لي والأمر على هذا النحو ، أنه ليس في استطاعتكم تغيير الموقف بالسرعة التي نتصورها . فالجيش السوري لم أنه تلقى ضربة قوية - إلا أنه لم ينكسر حتى الآن . وبالتالي فإنه سوف يكون من الصعب عليكم نقل القوة الرئيسية للجيش الإسرائيلي من جبهة الجولان إلى سيناء » . وتوجه الجنرال « جور » بسؤال إلى « كيسنجر » قال فيه : « هل يمكن أن تعطينا وكالة المخابرات المركزية ، والمخابرات العسكرية الأمريكية كل ما لديكم من معلومات عن أوضاع الجبهة ؟ » وقام « كيسنجر » بمساعدة الجنرال « سكوكروفت » وطلب منه أن تستجيب الوكالات المختصة بالمخابرات لكل الطلبات الإسرائيلية .

وفي هذه اللحظة طلب « دينتز » أن يخاطب « كيسنجر » وحده لمدة خمس دقائق . وخرج « جور » و « سكوكروفت » . وفوجيء « كيسنجر » بالسفير الإسرائيلي في واشنطن بغضبي إليه ممساً برغبة رئيسية الوزراء « جولدا مائير » بالقدوم إلى واشنطن في زيارة سرية لمقابلة الرئيس « سكسون » ولتشرح له بنفسها خطورة الموقف .

( نكر « كيسنجر » في مذكراته ( صفحة ٤٩٢ ) أنه لم يكن يعرف أنه في نفس هذه اللحظة كان « ديان » في حالة انهيار كامل . وقد تقدم يطلب من مجلس الوزراء الإسرائيلي إننا بالانصرام إلى الخط الدفاعي الثاني في سيناء وراء خط المضائق ، وهو خط قريب من الحدود المصرية ) .



في الساعة ٩:٤٠ صباحاً ( يوم ٩ أكتوبر ) دعا « كيسنجر » إلى اجتماع عاجل لمجموعة العمل الخاصة . وعرض على أعضائها بعض ما سمع من السفير ومن الملحق العسكري الإسرائيليين . ونشب خلاف داخل المجموعة : ذلك أن « ويليام كولبي » مدير المخابرات المركزية قال إن طلبات إسرائيل من السلاح كما شرحها « دينتز » و « جور » مبالغ فيها ، وقد يكون الدافع إليها هو الرغبة في تدعيم موقف إسرائيل بعد انتهاء القتال . وقد أبدى في ذلك نائب وزير الخارجية « كينيث راث » . واقترح وزير الدفاع « شليزنجير » استجابة جزئية لمطالب إسرائيل . وأوصى بشكل خاص بالأمر في الوقت الحاضر أية أسلحة يحتاج تشغيلها إلى خبراء أمريكيين ، ثم ملق بملاحظة قال فيها : « إن الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن حدود إسرائيل كما كانت قبل

## ٩ أكتوبر في موسكو :

كان الاتحاد السوفيتي في هذه الساعات على علم بتفاصيل التطورات على الجبهة المصرية . وكان واضحاً له - حتى الآن - أن الأمور تسير في اتجاه ملائم للعرب بصفة عامة . وبشكل ما قلن حالة من الإشباع النووي السياسي والنفسي ، الذي أحدثه الانفجار الهائل في المنطقة - كانت قد وصلت إلى موسكو . فإذا العاصمة السوفيتية تخرج عن حذرنا إلى درجة أن الزعماء السوفييت ، بمن فيهم « بريجنيف » ، قاموا بإجراء اتصالات مع بعض الدول العربية ، وبينها العراق والجزائر والأردن ، لسؤالها عما تفعله في هذه المرحلة الحاسمة من معركة العرب مع إسرائيل .

وكتب السفير المصري في موسكو « يحيى عبد القادر » برقية رمزية برقم ٧١٢٨ (\*) قال فيها بالنص :

« نذكر لى سفير العراق اليوم في وجود كل من سفيرى الجزائر وسوريا ما يلى :

١ - أنه قد جاء إلى موسكو مبعوث خاص فود بدء القتال وقابل بوجدورنى ، وذلك حتى يتسحل الاتحاد السوفيتى لدى إيران لتخفيف حدة التوتر بينهما ليتسنى للعراق دخول المعركة .

٢ - أنه قد بوجدورنى أنهم سيضعفون على الحكومة الإيرانية وأن الأمير يقضى المعركة من الطرفين حتى يمكن الوصول إلى تقاهم بينهما ، مشيراً إلى أن إيران لن تجوز على إتخاذ أى موقف عدائى حيال العراق والاتحاد السوفيتى قائل على إلزامها بذلك ( صدر بعد ذلك بيان إعادة العلاقات والمفاوضات ) .

٣ - أبدى بوجدورنى تعجبه من أن الدول العربية لم تقدم حتى الآن كل ما تملكه من معدات عسكرية إلى مصر وسوريا ، متسائلاً عن السبب في حصول العراق أو الجزائر على كل هذا العتاد الحربي من الاتحاد السوفيتى .. هل لمحاربة الكويت أم المغرب !! وإذا لم تقدمه اليوم لمساندة مصر وسوريا فمتى ستستخدمه ؟

٤ - قال إن الحكومة الإسرائيلية تعلم أنها لن تستطيع الحرب على جبهتين ، ولذلك تركز جهودها اليوم لتحطيم الجبهة السورية لإخراج سوريا من المعركة ولتفترغ بعد ذلك لجبهة مصر ، وأعرب عن أمله في أن تتمكن القوات المصرية من التكلم بصورة أسرع حتى تخفف الضغط على الجبهة السورية ، متسائلاً عن السبب في عدم فتح جبهة ثالثة .

٥ - ويضيف بوجدورنى أن حكومته اتصلت بحكومة المغرب لاحتها على مشاركة قواتها الموجودة في سوريا في المعركة .

٦ - يشك بوجدورنى في تدخل أمريكا مباشر .

ويضيف السفير العراقي أن العراق سيتشارك في المعركة بقوات حدها ارتاح لها الجانب السوفيتى ،

(\*) أصل البرقية موجود في محفوظات وزارة الخارجية ، وتوجد صورة للصلفة الأولى منها في ملحق صور الوثائق تحت رقم (٢١٣) - على صفحة ٨٠٢ من الكتاب .

حرب ١٩٦٧ ، ولكنها ليست ملتزمة بالدفاع عن الأراضي المحتلة بعد ذلك . . . . . وفقد « هري كيسنجر » أعصابه قائلاً بحدة : « إن الوقت قد فات والحوادث نهجت مثل هذه التعريفات القبيحة » . ثم واصل كلامه قائلاً : « إن إسرائيل قد تلقت هزيمة استراتيجية ، بصرف النظر عما يمكن أن يحدث بعد ذلك ، "no matter what happens" ، Israel has suffered a strategic defeat بالوصول إلى مداها » (٣) .

وتوتر جو المناقشة ، وطرح اقتراح بتأجيل الجلسة لمدة نصف ساعة للاستراحة .

(٣) ومن الملاحظات المبررة أن ذلك اليوم ٩ أكتوبر . كان هو اليوم المقرر لتطوير الهجوم شرقاً والوصول إلى المضائق ويورى المنير . محمد عبد الفتى الجيسى ، في مذكراته (ملحة ٢٨٣) التماسيل التالية بالحرف :

« وحان الوقت يوم ٩ أكتوبر لتقرر مصر متى يستأنف الهجوم وتطويره شرقاً في اتجاه المضائق لتتخذ خطة الحرب . كان ترك العدو الإسرائيلي بدون ضغط مستمر عليه معناه انتقال المبادأة له . ولا ينبغي أن تتخذ القوات الإسرائيلية أيضاً دفاعية حتى نهاية الحرب ، بل إنها ستحاول اختراق أحد القواعد بالجبهة حتى يكون دفاعها إيجابياً نشطاً . ولا تعمل بعض قواتها إلى خط القذاة . وذلك يجب حذرمان العدو من القيام بهذا العمل بالمحافظة على المبادأة في أيدينا . لا ينبغي ذلك إلا بتطوير العمليات الهجومية شرقاً .

ولقد كانت القوات الإسرائيلية في سيناء في وضع سيئ من الناحية المعنوية والقدرة القتالية بعد الفشل الذي لحق بها ، والخصائر الكبيرة التي تحملتها . أما موقفها في الجولان فقد كان يشير إلى تطوره في صالحها تكتيكياً . وأصبح أيضاً للقيادة الإسرائيلية أن عملي رؤوس الكبارى المصرية وصل إلى ١٢ - ١٥ كيلومتراً ، وأن لدينا أعداداً كبيرة من البنادق والمدفعية والأسلحة المختلفة . كان ذلك يجبر إسرائيل على اتخاذ الأوضاع الدفاعية على مواجهة واسعة ، حادى سلة كيلومتر من القنطرة شمالاً حتى السويس جنوباً .

كان من رأى ضرورة استقلال الموقف لتطوير الهجوم شرقاً طبقاً للخطة دون أن تتوقف طويلاً حتى نخبر العدو من فرصة تدعيم مواقفه أمام قوات الجيش . وهذا يعنى أن استئناف الهجوم يتم في الظروف الأفضل لنا والأسوأ للعدو . تألفت الفريق أول أحمد إسماعيل في هذا الموضوع يوم ٩ أكتوبر خلال مقابلتين معه داخل مركز العمليات . وبينما كان الحذر الشديد من سرعة التقدم شرقاً ، فكان يرى الانتظار لتكيد العدو أكبر خسائر ممكنة من أوضاع قواتنا في رؤوس الكبارى قبل استئناف الهجوم . وكان الفريق أول أحمد إسماعيل يرى أيضاً أن القوات البرية القائمة بالهجوم ستعترض بشدة الطريق الإسرائيلي في وقت لا تتمكن فيه المكاتلات وصواريخ الدفاع الجوي من توفير الحماية الكافية لها .

وفي مناقشة معه أوضحت أن استئناف هجومنا يترتب عليه التزام قواتنا مع قوات العدو . الأمر الذي يجعل تأثير سلاح الجو الإسرائيلي أقل . وللمعد من تأثير السلاح الجوي المعادى ، يجب استقلال طاقة قواتنا الجوية التي أثبتت قوتها ضد طيران العدو خلال الأيام الأربعة ١ - ٩ أكتوبر .

بعض كتابات صواريخ الدفاع الجوي - بطيئة الحركة - على وثبات الأمام . خفيفة الحركة - برغم قلتها إلا أنها مؤثرة . وفي نفس الوقت بمتانة تجربة فضلاً عن ذلك فإن صواريخ الدفاع الجوي - خفيفة الحركة - على وثبات الأمام .

بعض كتابات صواريخ الدفاع الجوي - بطيئة الحركة - على وثبات الأمام . خفيفة الحركة - برغم قلتها إلا أنها مؤثرة . وفي نفس الوقت بمتانة تجربة ولقد أيضاً إن احتلالنا بالمبادأة باستئناف الهجوم استقلالاً للنجاح الذي تحقق وسطياً فرصة تحقيق الهدف الإسرائيلي بنجاح برغم أننا نتحمل الخسائر ، ولكنها خسائر مقبولة . وفي المقابل فإن طول الانتظار يعطى فرصة أفضل للعدو ليكن في موقف أقوى عندما نستأنف الهجوم . . . . .

## ٩ أكتوبر في واشنطن : ظهراً

وعلت مجموعة العمل إلى استئناف اجتماعاتها ، وكانت الساعة الثانية عشرة إلا ثلثاً . وبدأ « كينسنجر » الاجتماع بقوله « إنه خلال الاستراحة قرأ عدة برقيات واردة إلى وزارة الخارجية وإلى مجلس الأمن القومي ، تفيد أن الزعيم السوفيتي « ليونيد بريجنيف » بعث برسالتين إلى الملك « حسين » في عمان وإلى الرئيس « بومدين » في الجزائر ، يناشدهما فيها دخول المعركة بكل قوة » . وأضاف « كينسنجر » قائلاً « وإن فأمأنا الآن قضيتين :

- الأولى دعم إسرائيل فوراً .
- والثانية ردع الاتحاد السوفيتي فوراً . »

وزاد « كينسنجر » على ذلك قوله إنه أثناء الاستراحة « اتصل بالرئيس نيكسون الذي طلب إليه إبلاغ وزير الدفاع « شليزنجر » على لسانه ، بضرورة شحن طائرات الفانتوم لإسرائيل فوراً ، ومن خطوط الإنتاج مباشرة إذا اقتضى الأمر ، وتجهيزها بأحدث معدات الكترونية ، حتى ولو كانت هذه المعدات لم تسلم بعد لل قوات الأمريكية » (٤) .

وخرج « كينسنجر » من الاجتماع ليقوم بتحرركات سريعة وجدها ضرورية :

- ١ - بعث برسالة إلى الملك « حسين » يرجوه « أن يحافظ على مصداقيته كرجل دولة ، ، وواعدا بمساعدات أمريكية للأردن بعد الحرب .

( رد عليه الملك « حسين » بأنه سوف يمارس ضبط النفس طالما كان ذلك ممكناً - لكنه إذا لم يحدث وقف إطلاق نار سريع ، فإن يكون ذلك في مقدوره . وأشار الملك في رسالته - طبقاً لرواية « كينسنجر » - إلى أن استمرار الحرب سوف يؤدي إلى تقوية نفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة ) .

٢ - اتصل « كينسنجر » بـ « أناتولي دوبرينين » السفير السوفيتي في واشنطن ، ووجه إليه تحذيراً شديد اللهجة بأن « بريجنيف » يقوم بعملية تحريض لـ « بومدين » ، وأن ذلك سوف يؤدي إلى أزمة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ - اتصل « كينسنجر » بالسفير الإسرائيلي « دينتز » وطلب إليه أن تتحرك كل جماعات الصفط الإسرائيلية وتركز نشاطها على الكونجرس ، حتى يقوم الكونجرس بدوره بالضغط على الرئيس الأمريكي « نيكسون » !!

□

(٤) مذكرات « هنري كيسنجر » . الجزء الثاني - بعنوان « سنوات اللالال » . . . صفحة ٤٩٤ .

ولكن بعد من قدرتها على تنفيذ كل ذلك نقص عربات النقل ، وقد اتصلت حكومته بكل من حكومتى الكويت والأردن لتزويدهما بما لديها من عربات ولكنهما اعتذرتا .

## السفير

كان موقف الاتحاد السوفيتي علامة تستحق الاهتمام لو أن أحدا تنبه لها ، وقد نحى عن مشاعره بعيداً أية تعقيدات سابقة في العلاقات . كان الموقف السوفيتي يعني أن جزءاً مؤثراً ومهماً في السلطة الحاكمة قد أخذته الانتصارات العربية ، وأعطته مبرراً وفرصة لجعل صوته مسموعاً أكثر في الكرملين ، وفي الغالب فلعلها كانت المؤسسة العسكرية - الصناعية ، إلى جانب « بريجنيف » شخصياً .

وكان المعروف دوماً أن هناك أكثر من وجهة نظر فيما يتعلق بالعرب عموماً والمصريين خصوصاً ، وبالذات بعد قرار الرئيس « السادات » بطرد الخبراء السوفيت .

كان هناك من رأوا أن السياسة العربية للاتحاد السوفيتي مكلفة ، وفوق تكلفتها فإنها غير مضمونة ، وبصرف النظر عن التكلفة والضمان ، فقد كان واضحاً أن اختيار العرب للاتحاد السوفيتي ليس خيارهم الأول ، وإنما هو الخيار الذي بقى أمامهم بعد ظهور الانحياز الأمريكي والغربي عموماً ، لإسرائيل - أي أن الاتحاد السوفيتي كان « بديل ضروري » وليس « اختياراً حراً » - وكان ذلك يؤلم السوفيت دوماً .

ولكن مدرسة أخرى - والعسكريون على رأسها - كانت تنظر إلى المصالح والموازن الاستراتيجية ، وبالتالى فإن رهانها كان على العرب . ومع انتصارات العرب في ميدان القتال ، فقد راحت هذه المدرسة تطالب بما كاد يفلت منها قبل أن يبدأ القتال .

فالعرب الآن يبدون قوة صاعدة ، وجماهيرهم فيما يبدو قد أصبحت تياراً غالباً واحداً بصرف النظر عن سلطة الحكام ، وهم لأول مرة يقاتلون بجد ، وسلاحهم الوحيد الذى يستطيع قتال الإسرائيليين كبيرة ، وسوف يدرك العرب - بل هم أدركوا - أن سلاحهم الذى يستطيع به إسرائيل أمريكى ، وهذا سوفيتى ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، كما أن السلاح الذى قاتلهم به إسرائيل أمريكى ، ما كان لم يعد يحتاج إلى دليل . وإن كان العرب بعد الحرب سوف يكونون فى وضع يفعلون فيه ما كان السوفيت يرجونه دائماً ، وهو أن يميزوا بين صديقهم وعدوهم ، أو على الأقل صديق عدوهم . وهكذا تزايدت آمالهم ، وخف تردد عناصر فى القيادة كانت غالباً مترددة ( « كريسجين » و « بالاجورنى » ) - وربما زادت توقعاتهم بعد أن زادت الضغوط من العواصم والجماهير العربية تطالب بدخول البترول العربى سلاحاً من أسلحة الحرب - وإن فهم فى الشرق الأوسط مع الطرف الأخرى ، وتلك فرصة ما بعدها فرصة فى رأيهم .

ونحن ندرک انکم سوف تحتاجون إلى دبابات أكثر بعد هذه المعركة . ونحن نقدم لكم نهجنا بحسبها .

كذلك فنحن نقدم إليكم تأكيدنا الإضافي بأنه إذا نشأت ضرورة مفاجئة فإننا نتمهد بإرسال دبابات بالطائرات (٥) .



وقبل أن ينjam « هنري كيسنجر » هذه الليلة عاد « دينتز » إلى الاتصال به ليبلغه رسالة من « لدا مانير » تبدي فيها تقديرها للقرارات « العظيمة والشجاعة » التي اتخذها الرئيس الأمريكي ، « سدي شكرها وتقديرها للجهد « المخلص والهائل » الذي عرفت أن « هنري كيسنجر » قد قام بتحسينها في هذا الصدد .

وكان « كيسنجر » يتابع الاتصالات التي راحت تجري في مجلس الأمن بحثاً عن مشروع يصدره المجلس . ورأى قبل أن ينjam أن من المناسب له أن يقوم بعملية تخدير «الهاء للجانب المصري » . وهكذا بحث عن طريق القناة الثانية السرية برسالة جديدة إلى الرئيس « السادات » . « منه بالاسم إلى السيد » حافظ إسماعيل ، قال فيها بالنص : (\*)

من الدكتور كيسنجر إلى السيد حافظ إسماعيل  
يود الدكتور كيسنجر أن يعرب عن شكره للسيد إسماعيل ، لردده القوي . وما تضمنته رسالته المؤرخة ١٩٧٣/١/٩ من عبارات ودية .

إن الجانب الأمريكي على ثقة من أن الجانب المصري يفهم أن ما فعلته الولايات المتحدة حتى الآن في الأزمة الراهنة ، هو تصرف الحد الأدنى المطلق الذي استطاعت القيام به ، نظراً لضغط الشعبي الذي تعرضت له الحكومة الأمريكية . ونتيجة لما تضمنته رسالة السيد إسماعيل من إيضاح ، فإن الجانب الأمريكي يفهم الآن بجلاء الموقف المصري ، فيما يتعلق بتسوية سلام .

غير أن الجانب الأمريكي أقل استتارة بصدد آراء الجانب المصري بصدد كيفية إيمان وضع نهاية للقتال الراهن ، حيث ستكون هذه الآراء ملية جداً للجانب الأمريكي في صياغة موقفه في المناقشة الراهنة بمجلس الأمن . وعلى أمل سماع آراء الجانب المصري ، سوف يسلك الجانب الأمريكي أطول وقت ممكن عن إبداء موقف أمريكي نهائي في مجلس الأمن .

ويود الجانب الأمريكي أن يكرر إبداء استعداده للتشاور عاجلاً مع الأطراف المعنية ، من أجل تحقيق تسوية سلام عادل في الشرق الأوسط . ومن المهم في هذه الأوقات العصيبة ألا يبرح عن الحال منظور المدى الطويل هذا ، وتقادي المواجهات والنقاش المبرر ، حيث نسمى لحل الأزمة الراهنة .

(١) مذكرات . كيسنجر . . الجزء الثاني . بعنوان . سنوات اللالال . . . صفحة ٤٩٦ .

(٢) في ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه الرسالة . وهي تحت رقم (٦٩) - على صفحة ٨٠٣ من الكتاب .

وفي الساعة ٤:٤٥ ، كان الرئيس « نيكسون » قد عاد إلى واشنطن ، وعقد اجتماعاً في البيت الأبيض حضره « كيسنجر » ، ورئيس أركان حرب البيت الأبيض الجنرال « آل هيچ » ، والقائم بأعمال مستشار الأمن القومي الجنرال « برنت سكروكرافت » ( وكان « نيكسون » يومها مشغولاً ببعض خيول فضيحة « ووترجيت » ، كما أن استقالة « سبيرو أجنيو » نائب الرئيس كانت على وشك أن تعلن خلال ساعات ) . وقد بدأ الاجتماع بأن قام « كيسنجر » بإبلاغ « نيكسون » برغبة « جولدا مائير » في القيام بزيارة سرية لواشنطن لمقابلته . وعقب على ذلك قائلاً : « إنه إذا كانت مائير على استعداد لأن تترك إسرائيل في وقت حرب وتجيء إلى واشنطن سراً ، فمعنى ذلك أن الموقف العسكري سييء جداً » . ثم واصل « كيسنجر » كلامه قائلاً : « إذا أحسن العرب بأن إسرائيل قد تعرضت لهذا الحجم من الخسائر ، فإن ذلك قد يغريهم بالاندفاع أكثر . وفي هذه الحالة فإن إسرائيل لن تكون في وضع يسمح لها بقبول قرار لوقف إطلاق النار » .

كان ضغط الكونجرس ( بتعريض من وزير خارجيته ! ) قد أصبح محسوساً على الرئيس الأمريكي . وطالت المناقشات حتى الساعة السادسة وعشر دقائق . وطرح « كيسنجر » مشروع قرار يتضمن موافقة الرئيس الأمريكي على كافة طلبات إسرائيل . ووافق « نيكسون » قائلاً : « إنه يظن أن الولايات المتحدة لا ينبغي أن تسمح لإسرائيل أن تخسر الحرب » . وقد وافق على مشروع القرار الذي عرضه « كيسنجر » ، وخوله إبلاغه إلى « دينتز » بالنيابة عنه ، راجياً منه في نفس الوقت أن ينقل إلى السفير الإسرائيلي شعوره « بأن الوقت قد لا يكون مناسباً لزيارة سرية تقوم بها « جولدا مائير » ، لواشنطن . فمثل هذه الزيارة لن تظل سراً ، ثم إن من شأن إعلانها في هذا الوقت إعطاء انطباع للعرب بأن إسرائيل تواجه موقفاً مثيراً منه . وهذا خطر بالنسبة لإسرائيل ، كما أنه قد يكون محرراً بغير داع للولايات المتحدة . »

وقام « كيسنجر » باستدعاء « دينتز » إلى البيت الأبيض ، وأبلغه بنص القرار . وكان على النحو التالي :

« إن الرئيس قد استجاب لكل طلباتكم الخاصة ، ووافق على كل قائمة الأسلحة التي تقدمتم بها . وبالنسبة لقائمة الذخائر والمعدات الالكترونية ، فإنها سوف تصل إليكم بالطائرات . وكذلك سوف تصل إليكم تمويزات كاملة عن كل ما خسرتموه في الطيران . وأما فيما يتعلق بالمعدات الثقيلة كالديابات ، فإنكم سوف تحصلون على عدد كاف من دبابات « م ٦٠ » ، وهي أحدث ما لدينا . وسوف يجري تمويزكم بالناوتم - فوراً . كما أننا نستطيع بعد ذلك أن نعمل على مهل لتزتيب جنود شحيحة ما قد تطلبوه .

كذلك سوف تصل إليكم ذخيرة الأسلحة المضادة للديابات ، وقد تلقى وزير الدفاع الأوامر الخاصة بذلك . وإن صادقكم عراقل في وزارة الدفاع فيمكنكم الاتصال مباشرة بالجنرال سكروكرافت . إن ذلك يستجيب لجميع طلباتكم فيما عدا بند واحد . وهو قتال الليزر .

ولسوف يكون هذا المبدأ المرشد للجانب الأمريكى ، ونحن نأمل أنه سيعطز بالمثل تصرفات الجانب المصرى .

مع تحياتى الشخصية الحارة . . .

وكانت الرسالة مجرد كلمات إنشائية وأسئلة نظرية عن التفاوض وعن التسوية ، بالإضافة إلى كلام مانع يصف المساعدات الأمريكية لإسرائيل - وقد تسربت أنباء عنها إلى وكالات الأنباء - بأنه تصرف « الحد الأدنى المطلق نظراً للضغط الشعبى الذى تعرضت له الحكومة الأمريكية » . ولعلها أيضاً كانت عملية لعب وتلاعب واضحة الأهداف !

## الفصل السابع

### يوم ١٠ أكتوبر

١

#### ١٠ أكتوبر فى القاهرة :

بدأ الرئيس « السادات » ، يومه كالعادة بقراءة تقرير الموقف العسكرى . وكان نصه يوم ١٠ أكتوبر كما يلى :

« سرى جداً »

#### تقرير موقف رقم ( ٥ )

تقرير موقف اليوم الخامس قتال ١٠/١٠/١٩٧٣

□ العدو :

- يستمر العدو فى تنفيذ الدفاع التعطيلى ، ويجهز دفاع تعطيلى على المضائق .
- زج العدو معظم مدركاته إلى الجبهتين المصرية والسورية ، ويحتفظ باحتياط فى العمق .
- يركز العدو مجهوده الرئيسى على القطاع الأوسط والجندوى .
- يركز العدو أعمال القصف على منطقة بورسعيد .
- نفذ العدو عدة طلعات استطلاع جوية وبحرية .
- نفذ العدو عدة طلعات شبه مستمرة على مطارات وسط سيناء .
- يعيد العدو تجميع وتشكيل قواته السابق اشتراكها فى المعارك للاستمرار فى بناء احتياطه التعموى فى العمق .

### إجمالي خسائر العدو :

- ١٤٣ طائرة مقاتلة منهم ٥٣ على الجبهة الشمالية (\*) .
- ٢١٥ دبابة منهم ٢٦ مستولى عليهم ( سليمة ) .
- زوارق بحرية ( ٩ )
- قتلى وجرحى : عدد كبير .
- أسرى : ١٥٧
- معدات أخرى : كمية كبيرة من الأسلحة والمعدات .

### □ قواتنا :

- تقوم قواتنا بتوسيع رؤوس الكبارى مع القيام بمد الهجمات المضادة .
- استولت قواتنا على النقاط القوية فى نمرة ( ٦ ) ، وجارى حصار النقطة القوية فى تل سلام .
- تم دفع قواتنا للمغازز المتقدمة ونقط قتال أمامية .
- قامت قوات الصاعقة بالإغارة على بعض المواقع فى خليج السويس .
- تم دفع أحد التشكيلات جنوباً على الجانب الشرقى لخليج السويس .

### □ الجبهة السورية :

- تستمر قوات العدو فى الضغط بشدة على القوات السورية .
- عدلت القوات السورية أوضاعها الدفاعية شرقاً .
- تم تكبيد العدو خسائر جسيمة فى المدرعات .
- قصفت العدو أهداف مدنية فى قنقه .

### □ التعليق :

- من المنتظر فى حالة تمكن العدو من تثبيت الجبهة السورية أن يتحول مجهوده الرئيسى إلى الجبهة المصرية .
- يهدف العدو من هجماته المضادة تعطيل وإرهاق قواتنا حتى يتم خلق الظروف المناسبة لتوجيه ضربة جوية وبحرية قوية بغرض استعادة الأوضاع على الجبهة المصرية .
- تزداد احتمالات قيام العدو بالعمليات الخاصة فى مؤخرة وأجناب قواتنا وفى العمق .
- توضح بيانات العدو الرسمية وتصريحات المسؤولين الإسرائيليين مدى التضارب الذى يعكس موقف الإرتباك وعدم اتزان موقفه العسكري .

ولم يكن الرئيس « السادات » فى أحسن أحواله هذا اليوم ، فقد بدت ساحة الحرب أكثر اتساعاً من مقبرة رجل واحد على إدارتها . وقد فرغ من قراءة تقرير الموقف العسكري ، ثم جاءته بعدها رسالة « كيسنجر » التى وصلت قبل ساعات إلى السيد « حافظ إسماعيل » . وقرر أن يرد عليها . وكان رده على نحو ما بعيداً عن واقع اللحظة ومستنبطاً لتطورات الحوادث . وقد بدأ واضحاً فى

(\*) يبدو من مقارنة الأرقام المصرية بالأرقام الإسرائيلية - الأمريكية فى الخسائر أنه ربما كانت على الجانب المصرى مبالغة فى حساب الجانب الإسرائيلى من الطائرات ، مع عدم تنبه إلى ضخامة الخسائر الإسرائيلية الفعلية فى الدبابات .

سطور ما أن الرئيس ، السادات ، فى تلهمه على مواصلة الاتصال بـ « كيسنجر » - قد بدأ يقرب نبر وأكثر من منطقة حساسة لا تستوجبها . فى تلك اللحظات - ضرورات الموقف .

وكانت رسالته إلى « كيسنجر » كما يلي :

« رسالة من السيد حافظ إسماعيل

إلى الدكتور كيسنجر

يشكر السيد إسماعيل الدكتور كيسنجر على رسالته المؤرخة ١٠ أكتوبر . ويود السيد إسماعيل أيضاً الإعراب عن أنه بينما أخذ الجانب المصرى علماً بالحافز على الموقف الذى اتخذته الحكومة الأمريكية ، .....

وعلى ذلك فإن السيد إسماعيل يود أن يضع للنظر بمعرفة دكتور كيسنجر آراء مصر بمدد سبل تطوير موقف يودى إلى تحقيق السلام :

- ١ - إيقاف القتال وانسحاب القوات الإسرائيلية فى فترة محددة إلى خط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .
- ٢ - ضمان حرية الملاحة فى مضائق تيران ، بتواجد للأمم المتحدة فى شرم الشيخ ، لمدة محددة .
- ٣ - لدى الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية ، سوف تنتهى حالة الحرب .
- ٤ - يوضع قطاع غزة بعد جلاء القوات الإسرائيلية عنه ، تحت إشراف الأمم المتحدة ، لعين ممارسة سكانه لحكمهم فى تقرير المصير .
- ٥ - فى خلال فترة محددة من انتهاء حالة الحرب ، سوف يعقد مؤتمر سلام تحت إشراف الأمم المتحدة ، بمساهمة جميع الأطراف ذات المصلحة ، بما فى ذلك الفلسطينيين والموال الكورى ، ولسوف يعالج هذا المؤتمر بصفة جوهرية ، إعادة توكيد المسائل المتعلقة بالسعادة ، والأمن ، وحرية الملاحة .

ويأمل السيد إسماعيل فى أن الموقف المصرى السابق ذكره ، سوف يوضع موضع النظر بنفس الروح التى تم بها تفصيله ، بمعنى أنها مساهمة إيجابية فى الجهود المخلصة التى تبذل فى سبيل سلام عادل ودائم .

ومن المغارقات أنه عند تسليم هذه الرسالة إلى مندوب المخابرات المركزية فى القاهرة ، جرى إبلاغ المندوب بأن الرئيس ، السادات ، يتننى لو استطاع ، كيسنجر ، أن يقوم بزيارة القاهرة لبحث موضوعات الساعة مباشرة مع الرئيس ، الذى يسعده أن يوجه دعوة إلى وزير الخارجية الأمريكى ، إذا تلقى إشارة بأن الدعوة مقبولة .

وبلغت النظر أن « كيسنجر » حين قرأ رسالة الرئيس « السادات » ، استخلص منها (١)

سحين :

- ١ - أن الرئيس المصرى يدعو إلى تقديم مقترحات من عنده ، وذلك هو منلول عبارة « أن السيد حافظ إسماعيل يضع تحت النظر بمعرفة الدكتور هنرى كيسنجر ..... » .

(١) كانت استنتاجات ، كيسنجر ، صحيحة ، وأهم من ذلك فإنها منحت مرة أخرى أن الموقف التفاوضى المصرى مشهود سواء بالوعى أو بالفرصة إلى نفس الحوار الذى كان دائراً قبل الحرب ، وإلى ذات أسلوب التفاوض . وكان شيئاً لم يتغير من وقتها وإلى الآن .



٢ - أن الرئيس المصري لم يعد يطلب بتسوية شاملة ، وذلك هو مدلول المقترحات الواردة في رسالته والمتصلة بمراحل وجداول زمنية .

□

وكانت الضغوط شديدة على الرئيس « السادات » ، ولم يكن الضغط مقصوراً فقط على ما جرى في ميادين القتال ، ولا على مناورات « هنري كيسنجر » التي اختلفت فيها تصرفاته في واشنطن عن رسالته إلى القاهرة اختلافاً فاحشاً . وإنما زادت على ذلك ضغوط من العالم العربي . ذلك أن الرأي العام العربي على امتداد المنطقة من المحيط إلى الخليج ، بدأ يستشعر أن انتصاراً عربياً هائلاً قد تحقق ، أو هو على وشك أن يتحقق . وفي تلك الساعات فقد كان الرئيس « السادات » في وضع يسمح له بأن يطلب ما يشاء ممن يشاء في العالم العربي دون أن يملك أحد غير الاستجابة الكاملة راضياً أو مضطراً .

وربما عبرت عن ذلك بوضوح برقية شغرية تلقاها الرئيس « السادات » ، ظهر ذلك اليوم من العقيد « معمر القذافي » . وقد كان نص البرقية كما يلي (\*) .

« سرى جداً  
برقية رمزية

من : طرابلس رقم البرقية : ٩١ ( ش . م . م . )  
من : العقيد القذافي  
إلى : السيد الرئيس السادات  
بعد التحية ،

في الطريق اليكم الصواريخ الكرو탈 المطلوبة معها حامية طبرى ، ونحاول نقل كتيبة صواريخ سام إلى طبرى لتحل محل الكرو탈 .  
أصدرت الأمر بنقل اللواء المدرع بأفقه إلى مصر فوراً . سنحاول تشكيل لواء بدلاً منه . قد تحتاج طواقم تدريب قدر الإمكان تحت هذه الظروف . النقط تحت تصرفكم واعتبروه نطقكم . مرسل لكم قوافل من الأدوية قدر المستطاع والمؤمن بقدر ما تيسر لنا في السوق والمخازن . المدافع الـ ٤٠٠ MG . في الطريق إليكم .

سمعت أنك مستاء من بعض كلامي . أنا قلت حتى لو تغيرت نتيجة القتال في غير صالحنا لا سمح الله فذلك إذا حصل يرجع لتطور الأسلحة وليس لمعن الرجال ، يكفي أن الجندي الإسرائيلي يجر الآن أمام الجندي المصري ، إن هذا الكلام له معاني بعيدة خارج مصر ، وفيه إظهار لمصر ولا يمكن أن أقصد غير ذلك في

(\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه البرقية من العقيد . القذافي ، إلى الرئيس ، السادات ، . وهي منشورة تحت رقم (٦٥) على صفحة ٨٠٤ من الكتاب .

مثل هذه الظروف . إن شعبنا سيادة الرئيس مستاء هو الآخر من تجاهل دوره السياسي ، والإشادة بفضله في كل نشرة من نشرات القاهرة دون ذكر ليبيا ، وليس خافى ما جرى الآن في إفريقيا وأوروبا .

السف سيدى الرئيس لهذه الملحوظة . المهم تصنيفنا على القتال ووقفكم الله في مثل هذه الظروف .  
( معمر القذافي ) .

□

ووصلت الضغوط مداها بعد الظهر حين تلقى الرئيس « السادات » رداً على آخر رسالة بعث بها إلى « كيسنجر » ، وكان نص الرد كما يلي : (\*)

« من الدكتور هنري كيسنجر  
إلى السيد حافظ إسماعيل

إن لدى الجانب المصرى بناء على ذلك ، قراراً هاماً عليه اتخاذ ، بالإصرار على برنامجنا بالحد الأقصى ، بعض استمرار الحرب ، والإضرار المحتمل بكل ما تحقق ، ولسوف تحسم النتيجة عندنا بالإجراءات العربية ، وسوف لا يطلق الجانب الأمريكى العنان للتفكير في هذه النتيجة . ولكنه يشك فيما إذا كانت ستجىء واضحة المعالم ، وعلى أى حال فإن الظروف لجهد دبلوماسى أمريكى . قد لا تكون مواتية .

فإذا كان يراد إعطاء الدبلوماسية فرصة كاملة ، فيجب أن يسبقها إيقاف للقتال ، إذ في هذه الظروف لفظ ، يمكن تطوير الجهد الدبلوماسى الأمريكى الموعود ، ولسوف تجد مصر ضمانات جدية هذا الجهد . في الوعد الرسمى من الجانب الأمريكى ، بأنهما كلفة في الموقف الموضوعى على حد سواء .

ويجب أن يكون الهدف تحقيق وقف القتال ، وتحويله سريعاً إلى سلام حقيقى وعالمى ، يوفق ما بين مبادئ السيادة والأمن .

إن الجانب الأمريكى يعتقد أن تقدماً يمكن إحرازه على أساس إيقاف قتال في الموقع ، يصاحبه تعهد من جانب الأنظار ببدء محادثات تحت رعاية السكرتير العام ، بقصد تحقيق تسوية . طبقاً لقرار مجلس الأمن ٢٤٢٢ بجمهورية الجزائر ، بما في ذلك انسحاب القوات ، الذى تصوره ذلك القرار .

والدكتور كيسنجر شاكراً كثيراً للدعوة الكريمة من الجانب المصرى لزيارة مصر ، ويحذر أن يعلق ليلال للقتال ، فلسوف يسره أن يولى هذه الدعوة اعتباراً متعاطفاً متناهماً الجدية ، كطالب من جهد جدوى في سهل نعلق سلام دائم بالشرق الأوسط .

مع آخر التحيات . . .

كانت الرسالة كما هو واضح في نصوصها تحمل تهديداً مبطناً يحذر من استمرار الحرب . يبدو على نحو ما أن الرئيس « السادات » استخلص منها أنه مطالب بإبداء نوع من إشارات حسن النية أمام الجانب الأمريكى ، وقد قرر أن يعطى هذه الإشارة . وبعد اتصال بالفرق ، أحمده إسماعيل « كان من الواضح أن هناك قراراً مصيرياً مؤثراً على مجرى الحرب قد تقرر اتخاذ دون أن يكون واضحاً بالضبط ما سوف يترتب عليه من عواقب ومضاعفات .

(\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه الرسالة . وهي منشورة تحت رقم (٦٦) - على صفحة ٨٠٥ من الكتاب .

ففي نهاية ذلك اليوم الحافل - تم إعلان ذلك القرار الذي اشتهر بقرار « الوقفة التعبوية » .  
وبمقتضى هذا القرار أعلن القائد العام للقوات المصرية أن قواته - في واقع الأمر - سوف توقف ضغطها الذي كان متواصلًا حتى هذه اللحظة على إمداد جبهة القتال في سيناء .

كان القرار قد اتخذ بالأمس - ٩ أكتوبر - وبدون إعلان . وبمقتضى هذه « الوقفة التعبوية » فإن الجيش الذي كان ينتظر أمراً بالتقدم إلى المضائق - فرض عليه التزام الدفاع مرة واحدة . وعلى نحو ما قد كان ذلك - واقعياً - قراراً بوقف العمليات العسكرية من جانب واحد - مع إعلان هذا القرار للكافة : الأعداء والأصدقاء !

٢

## ١٠ أكتوبر في تل أبيب :

بدأت « جولدا مائير » يوم ١٠ أكتوبر بتحرير رسالة مكتوبة إلى الرئيس الأمريكي « ريتشارد نيكسون » - تعزز رسالتها الشفوية بشكره على ما قدمه لها . وجاء في الرسالة بالنص : « لقد أخطرت عند الفجر بقراركم بتأكيد إمداد إسرائيل فوراً بسلح من العتاد الأمريكي immediate flow of U.S. material . ولقد كنت أدرك أنني في لحظة الحاجة هذه أستطيع أن أتوجه إليكم بطلب المساعدة ، وأستطيع أن أعتمد على فهمكم الدقيق لضرورات الموقف إلى جانب مشاعركم العميقة تجاه إسرائيل » .

كانت رسالة « جولدا مائير » تعكس نوعاً من الاطمئنان ، ولكن مجلس الوزراء بكامله كان لا يزال في حالة انفعال من تأثير تقرير « ديان » ، ذلك أن الجنرال « ديان » كان يبدو - حسب تعبير الوزير « يزرافيل جاليلي » - « آمناً باستمرار نموذجاً حياً لجندى إسرائيل المقاتل - لكنه في هذه اللحظة الحاسمة تهاوى كأنه تمثال مصنوع من التراب ، وليس من الرخام » .

وقد قرر المجلس - وهو في حالة انعقاد دائم - تفويض الجنرال « بارليف » باستعمال قوات الاحتياطى لمواجهة احتمالات تقدم الجيشين المصريين الثاني والثالث . وكان تقدير المجلس أنه وقد تأكد الآن تدفق سبل المساعدات الأمريكية - فإن الاحتياطى الإسرائيلى يمكن دفعه إلى المعركة .

وقد وجه الجنرال « بارليف » دعوة إلى اجتماع للقيادة العامة لبحث ما يمكن عمله على الجبهة الجنوبية ( وكان قد أصبح مسئولاً عنها بعد عزل قائدتها الأصلي الجنرال « جوينين » ) . ودعى إلى المشاركة فيه كل من الجنرال « ديان » ، والجنرال « آلون » ، والجنرال « تال » ، والجنرال « زايرا » ، والجنرال « بيليد » ، وانضم إليهم وزير الدولة « يزرافيل جاليلي » .

كان أهم ما تقرر في هذا الاجتماع :

١ - وقف العمليات المحدودة التى تشترك فيها قوات الاحتياطى الواصله إلى الجبهة لأن هذه السياسة أدت إلى بعثرة القوات وتكبيدها خسائر فادحة . ثم إنها جعلت الجبهة كلها فى حالة اهزاز .

٢ - بما أن الجيش المصرى لم يتقدم بعد مساء ٧ أكتوبر عندما فرغ من تعزيز مواقع الحشيش ( الثانى والثالث ) - فإن هناك فرصة لانقطاع الأنفاس وحشد قوة كافية للقيام بهجوم كبير ، التفكير والتخطيط لوضع خطة تدفع هذا الهجوم الكبير إلى أية مواقع تتجاوز خطوط ١٩٦٧ . ذلك لمحاولة العبور إلى الناحية الأخرى من القناة لاحتلال أرض يمكن المساومة عليها فيما بعد .

٣ - ضرورة التحرك عسكرياً بسرعة لأن الضغوط فى نيويورك تتزايد من أجل اتخاذ قرار فى مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار .

٣

## ١٠ أكتوبر فى واشنطن :

كانت الضغوط بالفعل متزايدة فى مجلس الأمن ، وكان معظم أعضائه ، بؤدهم السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » ، يطالبون بضرورة صدور قرار عن مجلس الأمن بشأن العرب فى الشرق الأوسط . وكان الاتجاه العام بشدة هو أن مجلس الأمن لا يستطيع مواصلة معاناة العرب بأساليب إنشائية وخطابية دون أن يصدر عنه قرار محدد ليتصدى بعلاج لحالة ذلك فى أنها تهدد الأمن والسلام فى الشرق الأوسط ، بل وفى العالم بأسره .

وفى الساعة الثامنة صباحاً ( يوم ١٠ أكتوبر ) اتصل السفير السوفيتى فى واشنطن د . هنرى ديسحر « بيلغه تليفونياً رسالة مؤداها :

• إن الاتحاد السوفيتى لن يعترض على قرار يصدر عن مجلس الأمن ويطلب الأطراف بسبب لإطلاق النار - أى وقف إطلاق النار فى المواقع الحالية .

• ومن الضروري أن يطالب مثل هذا القرار بالبدء فى تسوية تفاوضية على أساس تحرير من العربية التى احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧ .

واستمع « هنرى كيسنجر » دون أن يعلق ، ثم قال إنه سوف يطرح « التفكير السوفيتى »

للبحث والدراسة . ودعا إلى عقد اجتماع لمجموعة العمل الخاصة ، وبدأ بأن طرح على أعضائه تحليله للموقف قاطعاً بذلك الطريق على أى مناقشة جادة .

وكان تحليل « كينسجر » على النحو التالي :

١ - إن العرض السوفيتي باقتراح مشروع قرار يعرض الآن على مجلس الأمن - بجيء في وقت غير مناسب للاستراتيجية الأمريكية التي تريد أن تكسب وقتاً تتغير فيه الموازين العسكرية على الأرض .

٢ - إذا طرح مشروع قرار بهذا المعنى ، فمن المرجح أن كل أعضاء مجلس الأمن - بما فيهم الحلفاء الأوروبيون وأمريكا - سوف يوافقون عليه .

٣ - إن إسرائيل لن تقبل الموافقة على قرار من هذا النوع - بينما الموقف العسكري في الجبهة على ما هو عليه الآن . والولايات المتحدة لا تستطيع أن تختلف مع إسرائيل في هذا الموضوع أو غيره في مثل هذا الوقت .

٤ - إن وقف إطلاق النار الآن بينما القوات المصرية في مواقعها الحالية معناه أن السلاح السوفيتي حقق نتيجة ، وأن الدبلوماسية السوفيتية تمكنت من حماية هذه النتيجة .

٥ - إن ذلك كله معناه أن أية مفاوضات سوف تجرى بعد ذلك سوف تتم تحت تهديد العودة إلى استعمال السلاح .

وقد أضاف « هنري كينسجر » إلى هذا التحليل تعقيلاً قال فيه : « إنه يبدو له أن الأخطاء على الجانب الآخر ( يقصد مصر وسوريا والاتحاد السوفيتي ) - لا تتسق مع بعضها . وهذا يعطينا الوقت الذي نطلبه لتغيير الموقف العسكري » (٢) .

وقرر « كينسجر » أن يمارس مع « دوبرينين » نوعاً من « لعبة القط والفأر » . وفي محاولة منه لكسب الوقت دون إثارة شكوك « دوبرينين » - فإنه اتصل به يقول له « إن الاقتراح السوفيتي بناء لكنهم يحتاجون بعض الوقت لدراسته » .

وألح « دوبرينين » بأن الوقت ضيق ، والضغط شديدة . ووعده « كينسجر » بأن يتصل به في أقل من نصف ساعة .

وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً ( بتوقيت واشنطن ) - لم يكن « هنري كينسجر » قد اتصل بـ « أناتولي دوبرينين » . ورأى « دوبرينين » أن يعاود الاتصال دؤوباً وملحاً . ورد « كينسجر » عليه بأنه « لم يستطع حتى الآن لسوء الحظ أن يتحدث مع الرئيس نيكسون ،

(٢) مذكرات . هنري كينسجر . . الجزء الثاني . بعنوان . سنوات اللالال . . صفحة ٤٩٨ . ومن الواضح أنه يقصد أن رسائل القادة السرية من مصر ليست داخلة في علم أحد خارجها !

ويعرض الأمر عليه لأن الرئيس كان مشغولاً مع ضيف من إفريقيا ، هو الجنرال موبوتو رئيس زائير .

ومرت ساعات . وقيل منتصف الليل بربع ساعة أحسن « كينسجر » أنه لا يستطيع أن يترك السفير السوفيتي معقلاً في الهواء دون رد على مقترحاته في الصباح . ولم يكن لديه حتى تلك الساعة رد على مقترحات « دوبرينين » لأن هدفه كان لا يزال كسب الوقت . وهكذا هداه تفكيره ، طبعاً لروايته هو ، إلى أن يقول لـ « دوبرينين » شيئاً - أى شيء . وهكذا فقد اتصل به تلفونياً قبل منتصف الليل بدقائق ليقول له « إن هناك موضوعاً سياسياً هاماً على وشك أن يعلن ، و « أردت أن أحيطك علماً به قبل إعلانه لكي تتصرف وفق ما تراه مناسباً . لقد تقدم سبيرو أجنير نائب الرئيس باستقالته ، وتم قبولها ، وسوف تعلن في مؤتمر صحفي بعد فترة قصيرة » . وربما أنه - أي السفير السوفيتي - يستطيع الآن أن يفهم لماذا تأخر كينسجر في الرد عليه ، ولماذا لم يستطيع أن يتحدث مع الرئيس نيكسون بشأن مقترحاته ( مقترحات السفير السوفيتي ) .

وفي نفس هذا الوقت ( الساعة ١٢،٠٥ ) كان « كينسجر » يستقبل السفير الإسرائيلي دينتزر . سائلاً عن « آخر ما لديهم من معلومات ؟ » وحين راح « دينتزر » يتحدث عن ضراوة الحال ، قاطعه « كينسجر » قائلاً بنفاذ صبر « إنه من الضروري على إسرائيل أن تسارع بهجومها المضاد ، وأن تحقق به نتائج حاسمة لأننا لا نستطيع تعطيل قرار بوقف إطلاق النار إلى الأبد .

وعند خروج « دينتزر » من مكتب « كينسجر » ، التقاه مساعد - القائم بأعمال مستشار الأمن القومي الجنرال « برنت سكروفت » - الذي رجاه « أن تقوم إسرائيل خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة بأقصى جهد ممكن لتغيير الميزان العسكري على الجبهة » . ومن المفارقات أن « دينتزر » رد عليه قائلاً إنه « لا يستطيع أن يربط حكومته بجدول زمني معين » .

وكان آخر اتصال تلقاه « كينسجر » تلك الليلة من وزير الدفاع « شليزنجر » الذي أبدى قلقه لوزير الخارجية من أن الضغوط الشعبية على حكومتي الأردن والسعودية تشتد . وقد طمأنه « كينسجر » بأنه سوف يبعث برسالة أخرى إلى الملك « حسين » بوجه ألا يتورط في القتال ، على الأقل في مدى الـ ٤٨ ساعة القادمة ، « لأننا نقوم بمسعى جاد من أجل وقف إطلاق النار ، واستراكم الآن في القتال سوف يؤدي إلى تعقيد المسائل » .

وفيما يتعلق بالسعودية فإن « كينسجر » طمأن « شليزنجر » أيضاً بأنه « يسعى بكل جهده لمرار بوقف إطلاق النار . ومع أنه يعرف أن هناك لواء سعودياً يتحرك في اتجاه سوريا ، إلا أن هذا اللواء سوف يحتاج إلى أيام حتى يصل ويشترك في المعارك . وعندما يحدث ذلك فسوف يكون الموقف قد تغير » .



وكان آخر ما فعله « كينسجر » فى ذلك اليوم أن كتب بعض خواطره قبل أن يأوى إلى فراشه . وقد سجل أنه يشعر بنوع من الرضا رغم سوء الموقف العسكرى بالنسبة لإسرائيل .

وسبب ذلك فى تقديره :

١ - أنه الآن على اتصال فى شأن الأزمة بجميع الأطراف : العربية ، والإسرائيلية ، والسوفيتية ، وحتى منظمة التحرير (٣) .

٢ - وهو يحقق خطته ويتحكم فى إيقاع الحركة الدبلوماسية الدولية فى مجلس الأمن .

٣ - وقد نجح بالكامل فى فتح الباب على مصراعيه لتدفقات السلاح إلى إسرائيل .

٤ - وهو يأمل أن يتمكن الجيش الإسرائيلى من تحويل الدفة ، فى ميدان القتال ، حتى يستطيع هو أن يمسك بالدفة بسرعة فى مجلس الأمن .

## الفصل الثامن

### يوم ١١ أكتوبر

١

#### ١١ أكتوبر فى القاهرة ( صباحاً ) :

كانت إشارات الخطر قد بدأت فى الظهور على أفاق ميادين القتال لكن أحدا لم يسه به بالمرصاد . وفى لملاحقة الإشارات وربطها معاً ، واستخلاص النتائج التى كان يجب استخلاصها منها ، ربما كانت أسباب ذلك القصور راجعة إلى مجموعة عوامل تكاثفت مما فطنت على بعض جوانب مسورة :

١ - أن الرئيس « السادات » فى ذلك الوقت بدأ يركز أكثر على اتصالاته مع « كينسجر » ، مما زاد من طين أن هذه الاتصالات هى النقطة التى يجب أن يكتف عليها جهده الرئيسى .

٢ - أن التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية كان يتلاشى ، وكل ما بقى منه هو إمكانية بعض المعلومات عن سير العمليات فى حدود ما يقوم به ضباط الاتصال بين الجبهتين .

٣ - أن قرار القائد الأعلى ( الرئيس « السادات » ) والقائد العام ( الفريق « أحمد ماضي » ) بأن تتخذ القوات المصرية على الجبهة « وقفة تعبوية » ، ثم إعلان هذا القرار - أدى نوع من البلبلة لم تعد القوات إزاءه وثقة بالضبط من طابع مهامها فى هذه المرحلة من القتال .

٤ - أن مدد السلاح الأمريكى لإسرائيل راح يحدث تأثيره على الجبهة .

وفى المحصلة ، فإن إدارة الحرب على كل الجبهات بدأت تهتز بطريقة محسوسة على مستوى لأول مرة .

(٣) ذكر « كينسجر » فى مذكراته أنه فى ذلك اليوم تلقى رسالة على لسان السيد « ياسر عرفات » . وقد ورد ذلك فى صفحة ٥٠٣ من الجزء الثانى من مذكراته بعنوان « سنوات اللقائل » .

وفي الصباح الباكر قرأ الرئيس « السادات » - كعادته في تلك الأيام - تقرير مكتبه للشئون العسكرية ، وكان نصه على النحو التالي :

« سرى جداً »

تقرير موقف رقم ( ٦ )

تقرير موقف اليوم السادس قتال ١٩٧٣/١٠/١١

□ العدو :

- تركزت هجمات العدو الجوية على بورسعيد وبعض المطارات المتقدمة والمعابر . وتكبد العدو خسائر جسيمة في الطائرات .
- بدأ العدو في تنشيط أعمال التخريب في العمق .
- قام العدو بعدة طلعات للاستطلاع وتصوير والتفريغ على الجبهة حتى الزعفرانة .

خسائر العدو :

- ٢٣ طائرة
- ١٢ دبابة
- ١٥٩ أسيراً حتى الآن
- عدد كبير من القتلى والجرحى
- عدد كبير من المعدات

□ قواتنا :

- تمكنت قواتنا من صد الهجمات المضادة .
- تقدمت قواتنا على الساحل الشرقي لخليج السويس بالرغم من تعرضها لنصف جوى شديد .
- استعادت منطقة بورسعيد موقف الدفاع انجوى حيث أسقطت ٤ طائرات .

□ الجبهة السورية :

- اخترق العدو في القطاع الشمالي من خط وقف إطلاق النار على الجبهة السورية وبمضي من ٣ - ٥ كم ، وتمكن من عمل ثغرة اختراق .
- قام العدو بقصف جوى على مطارات وقواعد وأهداف حول دمشق ، وأسقط للعدو ٢٣ طائرة في هذه الهجمات .

□ التعليق :

- يحاول العدو إتمام السيطرة على الموقف على الجبهة السورية للتفريغ للجبهة المصرية .
- من المنتظر أن يعيد العدو تجميع قواته ويحشد طاقاته لتوجيه ضربة جوية في حدود من ٢٤ - ٤٨ ساعة ، وضربة برية مضادة في حدود من ٤٨ - ٧٢ ساعة من الآن ضد رأس الكوبري .

- سيحصل العدو على استعادة المبادأة خلال هذه الفترة وتنشيط العمليات الخاصة واستمرار التركيز على قصف بورسعيد ودرارات الإنذار ، مع استمرار إجهاد القوات واستنزافها في منطقة رأس الشاطئ .

- يتضح من دراسة أساليب قتال العدو الجوى استخدام طيارين متطوعين جدد في المعركة .

□

وفي الوقت الذي كان الرئيس « السادات » فيه يفرغ من قراءة هذا التقرير ، كانت الصورة على الأرض في ميدان القتال قد أصبحت أكثر مدعاة للقلق . فالقوات التي أشار تقرير مكتب الشئون العسكرية إلى « تقدمها على الساحل الشرقي لخليج السويس بالرغم من تعرضها لقصف جوى مكثف » كانت تواجه موقفاً بالغ الحرج . ذلك أن الإشارات التي وصلت إلى القيادة العامة من ممرسة الجيش الثالث وقيادة الفرقة ١٩ مشاه ، رآحت تتحدث عن « أن الاتصال أصبح مقطوعاً تماماً مع اللواء الأول ، ولا أحد يعرف على وجه التحديد ماذا حدث له » . ثم تبين أن هذا اللواء ، قد « ٩٠٪ من رجاله وأسلحته ومعداته » (١) . وقد استدعى ذلك قيام رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية بزيارة سريعة للجبهة لكي يطمئن بنفسه على عملية إنقاذ ما يمكن إنقاذه من رجال ومعدات اللواء الأول ( الفرقة ١٩ مشاه ) . وبالفعل فقد نجحت إلى حد ما عملية إنقاذ أكبر عدد ممكن من الرجال والمعدات .

وعاد رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية من الجبهة ، وقدم تقريراً قال فيه : إن « فف على الجبهة مطمئن ، والقوات هناك قادرة على صد أى هجوم مدرع آخر » . لكن رئيس الأركان لاحظ ما أسماه في تقريره بـ « نقط ضعف خطيرة في مدى السيطرة على الكبارى ووسائل الهجوم المختلفة » (٢) .

□

وعند الظهر ، اتصل الدكتور « محمود فوزى » ، تليفونياً بالرئيس « السادات » ، قائلاً له إنه « لا يريد إزعاجه ، وأنه منذ بداية القتال حرص على أن يتابع من بعيد مجريات المعركة دون أن يعرب ، حتى لا يشكل اقترايه نوعاً من الإلحاح على الرئيس بينما هو يشعر أن زحام المعركة هو حوله شديد - لكنه الآن بدأ يحس بهواجس رأى معها - « وأمره الله » - أن يقول ما عنده » . وأسس الدكتور « فوزى » ، بعد ذلك مجموعة من الملاحظات :

- ١ - قال إن ما وصله من معلومات يظهر له أن الموقف على الجبهة السورية يزداد خطورة .
- ٢ - وفي نفس الوقت فإن إعلان « وقلة تعبوية ، للقوات المصرية قد زاد من قلقه ، فلكل كان يتصور أن الموقف على الجبهة السورية يدعو إلى تشديد الضغط بدلاً من وقلة سواء كانت تعبوية أو غير تعبوية .
- ٣ - إنه يشعر من متابعتها لما يجرى في مجلس الأمن ومن تقارير البعثة الدائمة هناك أن هناك

(١) من الإنارة كما أوردها الفريق . سعد الدين الشاذلى . في مذكراته عن حرب أكتوبر . صفحة ٢٤٣ .

(٢) من المصدر . صفحة ٢٤٤ .

محاولة لتعطيل صدور قرار عن المجلس ، وبطريقة يبدو أنها مرتبة لغرض في نفوس المديرين لها القربى .

وكان رد الرئيس « السادات » على ما سمع هو قوله للدكتور « فوزى » إنه « وافق على الوقفة التعبوية لنفس السبب الذى بدأ به الدكتور « فوزى » ملاحظاته ، وهو سوء الموقف على الجبهة السورية ، ذلك لأنه فى حرصه على سلامة القوات المصرية يريد لها أن تأخذ موقف دفاع تكون به فى وضع مناسب لها حينما يتحول الجهد الرئيسى لإسرائيل إلى الجبهة المصرية » .

وكانت الملاحظة الأخيرة للدكتور « فوزى » خلال هذا الحديث أنه ، إذا كان ذلك رأى العسكريين وتقديرهم ، فهو يحترمه لأنهم أدرى بضرورتهم من مدنى يتابع الموقف من بعيد .

وعقب الرئيس « السادات » بقوله للدكتور « فوزى » : « اطمئن .. اطمئن .. فأنا ماسك الأمور فى يدي » .

ولم يكن الشعور بالقلق مقصوراً على الدكتور « فوزى » ، فقد عاد مكتب الشؤون العسكرية يبلغ الرئيس تلقينياً بأن إعلان قرار « الوقفة التعبوية » قد أدى إلى إحداث ارتباط بين القوات ، وأصبح موضوعاً لمناقشات كثيرة بين الصباط على كل المستويات ومن مختلف الرتب . كما أن وزارة الداخلية ووزارة الإعلام أبلغته بأن هناك تساؤلات فى أوساط الرأى العام عن معنى وملول قرار « الوقفة التعبوية » !

واتصل الرئيس « السادات » بالفريق « أحمد إسماعيل » وتحدث إليه فى التأثير الناشئ عن « الوقفة التعبوية » . وكانت معلومات وزير الحربية متفقة مع غيرها من المعلومات عن وقوع « بلبلة » فى الجبهة بسبب إعلان القرار . ثم اتصل الرئيس « السادات » بأخريين فى القيادة وفى المخابرات العسكرية والمخابرات العامة . ثم بدأ يتردد .

ثم ما لبث بعد الظهر بقليل أن اتصل بالقائد العام الفريق « أحمد إسماعيل » ، يطلب منه أن يكون جاهزاً فور تلقى الأمر - لتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وذلك بالتقدم فى اتجاه المضائق !

٢

## ١١ أكتوبر فى تل أبيب :

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى عند الظهر تماماً ليستمع إلى تقرير مشترك قدمه وزير الدفاع « موسى ديان » ، والمسئول العام عن الجبهة الجنوبية الجنرال « بارليف » . وقد ركز بيان

على الجبهة الشمالية قائلًا ، إن الاستراتيجية العامة لإسرائيل قد أمكن تطبيقها ، ذلك أن القوات الإسرائيلىة تمكنت من احتلال أراضي جديدة للمساومة عليها مع السوريين . وقد أمكن تحقيق هذا التقدم بقوات جديدة استدعيت من الاحتياطي ولم تشارك حتى الآن فى أى قتال . وأضاف « ديان » أن القوات الطازجة (fresh) وتمكنت من احتلال جيب عمقه ١٠ كم . وأضاف « ديان » أن المخابرات الإسرائيلىة انتقلت إشارات من القيادة السورية موجهة إلى القائد العام للقيادة المشتركة فى مصر تلح عليه بالتحرك لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . كذلك وصلتهم معلومات بأن السوفيت بدورهم يلحون على مصر بأن تقوم بعمل من شأنه تخفيف الضغط على سوريا .

وأما الجنرال « بارليف » فقد تقدم للمجلس بمشروع خطة لعبور إسرائيل مضاد إلى الضفة الغربية من قناة السويس ، على أن يتم ذلك فى المفصل الحرج بين مواقع الجيشين الثانى والثالث . ودخله المجلس دراسة هذه الخطة وإعدادها للتنفيذ فور صدور قرار سياسى بالبدء فى تنفيذها .

٣

## ١١ أكتوبر فى واشنطن :

بعد ظهر هذا اليوم ( ١١ أكتوبر ) اتصل الرئيس « نيكسون » بـ « هنرى كيسنجر » مستغراً وساخطاً ، وقال له إنه رأى الآن على التلفزيون وقائع مؤتمر صحفي عقده الجنرال « ديان » وقد وقف فيه يقول « إن الجيش الإسرائيلى فى الطريق إلى دمشق » . وكان رأى « نيكسون » أن هذا التصرف من جانب « ديان » وفى هذا الوقت تصرف غير مسئول ، وهو محرج لـ « نيكسون » ، إزاء الاتحاد السوفيتى وإزاء غيره . وقد طلب الرئيس الأمريكى من وزير خارجيته أن يستدعى السفير الإسرائيلى ، وأن يبلغه غضبه الشديد على تصرفات الجنرال « ديان » الذى يريد الآن بالتفاخر الأجراف أن يصحح صورته المهزوزة أمام الرأى العام الإسرائيلى والرأى العام العالمى .

وقام « كيسنجر » بالفعل بالاتصال بـ « دينتز » ، وكان فى زيارة خارج السفارة ، فطلب إلى نائبه « شاليف » أن يجيء إلى مقابلة عاجلة معه ، وأبلغه برسالة على لسان الرئيس الأمريكى جاء فيها ( ٣ ) : « إنه ليس تصرفاً معقولاً من جانبكم أن تطالبونا من ناحية بتعطيل إجراءات الأمم المتحدة ، ومن ناحية أخرى تتركزون ديان لكي يعلن فى الإذاعة والتلفزيون أن قواتكم زاحفة إلى دمشق . كيف يتسنى لنا تعطيل إجراءات الأمم المتحدة إزاء تصرفات من هذا النوع بلى بها

(٢) مفترقات . هنرى كيسنجر . . الجزء الثانى . بعنوان . سنوات القلاقل . . . صفحة ٤٠٤ .



وزير دفاعكم ؟ إن هذه التصرفات تظهر أمام الآخرين أننا مواطنون معكم بشكل من الأشكال ، كما أنها تكشف وجود نوايا سيئة تستفز كل الناس .

وعاد « نيكسون » يطلب « كيسنجر » مرة أخرى ، ويطلب إليه السفير الإسرائيلي « ديتتر » أنه « سيقتدره شخصياً مسئولاً أمامه إذا تكررت مثل هذه التصريحات على لسان أحد من الرسميين في إسرائيل » . ثم أضاف « نيكسون » إلى ذلك طلبه من « كيسنجر » أن يتصل بالسفير السوفيتي « دوبرينين » وأن يحاول تهدئته ، وأن يخبر أعضائه بكل الوسائل .

□

وتلقى « كيسنجر » في الساعة الثالثة بعد الظهر تقريراً من موسكو يشير إلى « أن الاتحاد السوفيتي قد كلف مساعداته لسوريا ، وأن أمراً قد صدر من وزارة الدفاع في موسكو بوضع ثلاث فرق من القوات المحمولة جواً تحت حالة تأهب » . ودعا « كيسنجر » إلى اجتماع طارئ لمجموعة العمل ، وعرض أمامها آخر تطورات الموقف قائلاً « إنه سعيد بالأخبار الواردة من الجبهة السورية ، ولو أنه كان يتمنى لو أن إسرائيل لم تعلن ولم تتفاخر بما حققته قواتها من تقدم حتى لا تسبب قلقاً للاتحاد السوفيتي » .

وكان التقدير العام في اجتماع المجموعة الخاصة أنه حتى لو صحت الأخبار الواردة من موسكو عن وضع ثلاث فرق محمولة جواً في حالة تأهب - فإن أي تدخل سوفيتي مباشر في المعركة لا يزال أمراً مستبعداً ، إلا إذا أقدمت إسرائيل على عمل أحقق بدخول دمشق . وقد جرى استبعاد هذا النوع من الحماقة الإسرائيلية .

ثم انتهت مجموعة العمل بعد مراجعة مختلف جوانب الموقف ، إلى أن الأمور بدأت تتخذ منحني خطراً يؤثر دون شك على العلاقات بين القوتين الأعظم ، وأن دواعي الحرص تفرض على الولايات المتحدة الآن أن ترفع يدها عن الأمم المتحدة بما يسمح بصعود قرار بوقف إطلاق النار .

□

وفي الساعة السادسة مساءً تلقى « هنري كيسنجر » اتصالاً تليفونيا من « اندوارد هيث » رئيس الوزراء البريطاني . وكان « هيث » يريد أن يبلغ « كيسنجر » بأن « الملك حسين يضغط عليه طول اليوم لكي يسمح له بإرسال لواء للقتال على الجبهة السورية ، لأن الضغوط الشعبية والسياسية النازلة عليه وصلت إلى درجة يصعب احتمالها » . وقد رأى أن يطلب عن طريق لندن تأكيداً بأن الإسرائيليين لن يتخذوا من ذلك ذريعة لهجوم إسرائيلي على الأردن » .

ثم تطرق « هيث » إلى الموضوع الثاني الذي دفعه إلى الاتصال بـ « كيسنجر » وهو رأى الحكومة البريطانية بأنه « لم يعد ممكناً تعطيل دور مجلس الأمن بأكثر مما تعطل ، وأن الوفد البريطاني في نيويورك أصبح يرى أن تلك ضرورة لا تحتل التأجيل ، وإلا فقدت الولايات المتحدة ، وبريطانيا معها ، كل مصداقية لهما في المجتمع الدولي » .

وقد تتناول الائتان طويلاً في هذه النقطة ، واستقر الرأي بينهما على أنه قد يكون مناسباً أن يشرح الوفد البريطاني في إجراء مشاورات في الأمم المتحدة بقصد التوصل إلى مشروع وصيغة قرار يقدم إلى مجلس الأمن .

□

وفي المساء تلقى الدكتور « كيسنجر » من الرئيس « السادات » بتوقيع السيد « حافظ إسماعيل » - رسالة كانت لها دلالتها في التعبير عن الأوضاع المتغيرة في ساحات القتال . وكان نص الرسالة كما يلي (\*) :

عزيزي الدكتور كيسنجر

أبعث إليكم بهذه الرسالة العاجلة جداً لكي ألفت انتباهكم إلى تطور خطير جداً ، سوف يجعل الموقف أشد خطورة وميضاً على القلق إلى أقصى حد .

ففي يوم ١٠ و ١١ أكتوبر ، هاجمت الطائرات الإسرائيلية أهدافاً مدنية في داخل بلدنا النيل ، حيث بلغت الخسائر زهاء خمسمائة ما بين قتيل وجريح .

وأود أيضاً أن أعيد إلى الأذهان رسالتي المؤرخة ٩ أكتوبر ، التي وجهت فيها نظركم إلى قيام إسرائيل بقصف بورسعيد ، قصفاً دام من يوم ٩ أكتوبر إلى يوم ١١ أكتوبر .

وقد أمرني الرئيس بأن أبعث إليكم بهذه الرسالة على أمل أن التلويح الأمريكي سوف نهرو ممارسته لتجريح جناح إسرائيل عن مثل هذه التصرفات . يضاف إلى ذلك أنه أمرني بأن أوضح بهلاء إنه إذا استمرت عمليات القصف هذه ، فإن مصر ترى نفسها حرة في اتخاذ أي عمل تدعو إليه الحاجة .

مع أطيب تحياتي .

حافظ إسماعيل ،

كان الواضح في هذه الرسالة أمراً :

● الأمر الأول - أن مصر تشكو إلى الولايات المتحدة وتطلب تدخلها لدى إسرائيل لأول مرة منذ بدء القتال .

● والأمر الثاني - أن مصر في واقع الأمر تخطر الولايات المتحدة بأنها تعترم القيام بعمل آخر يتناقض مع تعهداتها في ثاني يوم من أيام القتال « بأنها لا تعترم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » .

وقد رد « كيسنجر » على رسالة الرئيس « السادات » إليه فوراً . واتخذ في رده طابعاً هجوماً ظهرت في بعض عباراته نبرة تهديد . وجاءت رسالته على النحو التالي (\*\*):

(\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة ، وهي منشورة تحت رقم (٦٧) - على صفحة ٨٠٦ من الكتاب .

(\*\*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة ، وهي منشورة تحت رقم (٦٨) - على صفحة ٨٠٧ من الكتاب .

شكراً لرسالتكم المؤرخة ١٩٧٣/١٠/١١، التي أبلغ محتواها فوراً بطبيعة الحال إلى رئيس نيكسون .

إنكم تتركون طبعاً حقيقة أن الولايات المتحدة على غير معرفة بتفاصيل أى عمليات عسكرية (إسرائيلية)، كما أنها لا تحاط علماً مقدماً بهذه العمليات .

ومع ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تستخدم أقصى حد من النفوذ لمنع أى هجوم على أهداف المدنية . وقد قدمت احتجاجات شديدة في هذا الشأن إلى الحكومة الإسرائيلية .

ومن المهم في هذا الصدد الإشارة إلى أن الأنابيب والآليات السافرة عن النشاط الأكبر في الأزمة الراهنة، تجعل الأمور صعبة جداً ، فأنباء القاهرة الصحفية القائلة بأن قوات الولاة لندة متورطة في العمليات العسكرية ، أنباء مختلفة بدرجة صارخة كلياً ، إذ ليس هناك قوات للولاة المتحدة مشتركة في عمليات عسكرية ، وما من قوات أمريكية سوف تشترك بأي سبيل ، ما لم تتدخل دول أخرى من خارج منطقة القتال .

وترغب الولايات المتحدة في أن تؤكد مرة أخرى أنها سوف تبذل غاية جهدها لانتهاج سبلتين لها القدرة على القيام بدور مفيد في حل مشاكل الشرق الأوسط ، بإنهاء القتال الحالي ليعمل إلى سلام دائم قائم على العدل ، على حد سواء .

والولايات المتحدة على استعداد للنظر في فهم ونية طبية ، لأية جهود مصيرية تبذل لإنهاء القتال، ولنسوف تحاول أن تكون ذات جدوى حين ينتهي القتال ، ومهما كانت الضغوط التي لا تأسر بها في الوقت الراهن ، فإن الولايات المتحدة تأمل في أن لا تغيب عن نظر كلا الجانبين ، هذه النية .

مع تحياتي الشخصية الحارة .

دكتور كيسنجر ،

وكان الرأي العام العربي في حالة هياج . فقد كانت صورة ما يجري على الجبهة لمريرة واضحة للناس إزاء خطر تتعرض له دمشق ، كما أن موضوع «الوقفة التعبوية» على الجبهة المصرية بدأ غير مفهوم ، ومثيراً لأشد دواعي القلق . وتعللت أصوات عربية تطالب باستعمال سلاح البترول كوسيلة للضغط على الغرب ، والولايات المتحدة في مقدمته .

ورأى «كيسنجر» أن يعقد مؤتمراً صحفياً يوضح فيه دوافع الموقف الأمريكي . وكان ينادي ما قاله في هذا المؤتمر : «إن الولايات المتحدة تقوم بجهد جاد لتسوية الأزمة في الشرق الأوسط، أخذة في اعتبارها آراء ومشاعر ومخاوف العرب . لكنها في نفس الوقت لا تقبل الانزواء بكرة النداءات عن استعمال سلاح البترول ، وهي مستعدة في هذا الصدد لمواجهة كل الاشدات .»

٤

١١ أكتوبر في القاهرة ( مساء ) :

لم تكن النذر التي بدت إشاراتها في ميدان القتال ظاهرة في قصر الطاهرة مساء، تلك اليوم

( ١١ أكتوبر ) . فقد وصل «محمد حسنين هيكل» إلى القصر ليجد السيدة «جيهان السادات» ومعها أولادها جميعاً ينتظرون أن يفرغ الرئيس «السادات» من مقابله مع وزير الدفاع الكويتي الشيخ «سعد العبد الله الصباح» ، لكي يجلسوا معه . وكانت ابنته الصغرى «جيهان» تقول إنها لم تر «بابا» منذ أسبوع . وقد راحت تنق قدميها مثلهذه للقاء أبيها . وانصرف الشيخ «سعد العبد الله» ، وودعه حتى باب القصر الفريق «أحمد إسماعيل» الذي حضر المقابلة معه ، ثم عاد إلى الصالون ، وصعد الجميع معه إلى الدور الثاني حيث كان الرئيس لا يزال جالساً وأمامه بعض الخراط ، وإلى جانبه المهندس «عبد الفتاح عبد الله» ووزير الدولة . وبينما كان يستعمل هذه الخراط أثناء حديثه مع وزير الدفاع الكويتي .

ودار حديث عن الصورة العامة . ولمح الفريق «أحمد إسماعيل» طبعاً من الفاكهة على مائدة في الغرفة ، وتذكر أنه جالس ، ققام وعاد بعنقود من العنب راح يأكل حباته . ونهض الرئيس «السادات» قائلاً إنه سوف يغير ملابسه ثم يعود ثانية . ومن غرفة نومه بعث فاستدعى «محمد حسنين هيكل» الذي دخل فوجده يخلع ملابسه العسكرية ويرتدى بيجامة ذات خطوط رمادية .

وكان الرئيس «السادات» في مزاج بدا مختلفاً بشدة عن الإشارات الواردة من ميادين القتال . فقد بدأ يتحدث عن ارتياحه للوضع في سوريا ، وكيف أن السوريين تمكنوا من تثبيت الجبهة . وأن الإمدادات تتدفق عليهم من الاتحاد السوفيتي ، وقد وصلتهم اليوم حمولة ٤٠ طائرة . ثم أشار إلى رسالة تلقاها من الملك «حسين» قائلاً : «حسين خايف بضربه على الجبهة الأردنية ، وعازوز يبعث قوات للجبهة السورية تساعد ... عامر حماش (رئيس الأركان الأرضي) كان عندي قبل الشيخ سعد (العبد الله) وجاب رسالة من الملك» .

ثم استطرد الرئيس : «فيه لواء سعودي في الطريق مغزاه سياسي ... بصرف النظر عن الناحية العسكرية» .

ثم واصل كلامه قائلاً : «بعثت رسالة اليوم للبكر أطلب منه السماح باستخدام طائرة الردع ال «تي يو» من بغداد ضد إسرائيل ... بعث البكر يقول لي حاضر» .

وواصل كلامه : «أحمد إسماعيل أول ما دخل كان عازز يقول لي إن السوريين استطاعوا تثبيت الهجوم المضاد الإسرائيلي . قلت له يا أحمد أنا عارف قبل ما تقول لي ، وأنا مطمئن» .

ثم قال : «حكمتك يارب . كل الناس في العالم العربي يباخذوا مني بلوطني أوامر . أقول أي شيء يقولوا حاضر يا فندم» .

ثم انتقل الرئيس بدون مقدمات إلى حكاية أخرى ، فقال : «تعرف أنا صليت الجمعة التي فاتت فين ؟ صليت في زاوية صغيرة كنت صليت فيها من خمسين سنة أول ما جيت القاهرة من السودان وعمرى أربع سنين ، وكنا ساكنين في منشية البكري . قبل الحرب يوم الجمعة الماضية ( ٥ أكتوبر ) صليت هناك فافلاً . والجمعة بكرة رايح أصلي هناك . غربية الزاوية زمان كان فيها لمبة جاز ، بلوطني بقت لمبة كهروء ، لكن ما زالت زى ما هي» .

٤٢٧

ثم عاد إلى حديث الموقف الراهن ، فقال : « فيصل ماشى كويس ويتصرف بطريقة معقولة وهادية . وشيخ أبو ظبي بعث لى النهاردة من لندن شيك بمائة مليون دولار .. الصبح كان عندى عزيز ( يقصد الدكتور « عزيز صدقى » ) جالى بمشروع عن إعادة التعمير بعد المعركة ، وكانت عينيه بتلعب وهو بيتكلم . وكدت أكلفه بمسئولية التعمير لكن افكرت أنه جيعمل مجلس وزراء تانى غير مجلس الوزراء الموجود ، وسوف ندخل فى مشاكل أنا فى غنى عنها الآن » .

ثم استورد: « شوف يا محمد ، أنا حاطب من العرب بليون دولار . وعابز أحجز منها ١٠٠ مليون لمطالب ما بعد المعركة » .

ولم تكن هذه الآمال والمشاعر السياسية والإنسانية منسقة بالكامل مع النذر الظاهرة فى سماء ميدان القتال تلك الليلة .

## الفصل التاسع

### يوم ١٢ أكتوبر

١

#### ١٢ أكتوبر فى القاهرة :

كان الرئيس « السادات » متعباً هذا اليوم ومرهقاً . وقد قال لـ « محمد حسنين هيكل » حين اتصل به فى الصباح - كما كان يفعل كل يوم - إنه لم يتم بالأمس لأن الغارة على مدينة بورسعيد ، والإصابات التى حدثت للمدنيين - رجالاً ونساء وأطفالاً - ضابطته . واختار « محمد حسنين هيكل » أن يذهب إليه بنفسه فى قصر الطاهرة ، وكان عادة لا يفعل ذلك فى الصباح مكتفياً بزيارة مسانية أصبحت شبه عادة تقليدية طوال تلك الأيام . وقد كان يذهب إلى قصر الطاهرة بعد انتهاء عمله فى « الأهرام » ، ويجد الرئيس « السادات » جالساً فى الشرفة المطلة على حديقة القصر وقد ارادى بيجامته وتنتثر فوقها بعباءة سمكية سوداء ، لأن تسمات الليل فى هذا الوقت من أكتوبر كانت نعى ، معها بيواند برد الخريف . وفى العادة فقد كانت هذه الجلسة تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص من الذين يستريح إليهم الرئيس « السادات » ، وفى مقدمتهم زوجته السيدة « جيهان » ، والمهندس سيد مرعى « ، وينضم إليهم أحياناً الدكتور « أشرف مروان » سكرتير الرئيس للمعلومات حاملاً معه باستمرار مجموعة من آخر التقارير والأخبار . وفى بعض المرات كان يجرى إلى الشرفة المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية حينما تطرأ حاجة تدعوه ، يستدعيه إلى إبلاغ الرئيس بشئء .

□

وفي ذلك اليوم ( ١٢ أكتوبر ) وصل « محمد حسين هيكل » إلى قصر الظاهرة بعد حديثه التليفوني مع الرئيس « السادات » وقد استعشر ضيقه - فوجده ما زال في فراشه لم يغازله حتى هذه الساعة ( العاشرة والرابع ) .

ودار الحديث عن تطورات المعركة وضرورة تطوير الجانب الشعبي منها . وكان المهندس « سيد مرعى » قد حمل التقرير الذي أعده الدكتور « مصطفى خليل » عن استعمال البترول في المعركة ، وسلمه للملك « فيصل » مع رسالة شخصية من الرئيس « السادات » قبل ساعات . والان كان « هيكل » يحمل نسخة من تقرير ثان كتبه الدكتور « عزيز صدقي » عن طريقة العمل للإضرار بالمصالح الأمريكية في المنطقة .

وكان رأى « هيكل » بعد حوار طويل جرى فيه استعراض الموقف من جميع جوانبه :

« أن الوقت قد حان لممارسة نوع من الضغط على الولايات المتحدة وعلى مصالحها . فالمساندة الأمريكية لإسرائيل ظاهرة ، والرأي العام العربي ضاغط ، ومسار الأحداث على جبهات القتال يستدعى جهداً مضافاً .

ولقد مضى الآن أسبوع كامل على بدء القتال ، وقامت القوات العربية المسلحة طوله بأداء واجبها وزيادة على كل الجبهات ، كما أن كل الناس وراء الخطوط يعملون ، والاتحاد السوفيتي يتحرك كما لم يتحرك في أي أزمة من قبل - ونحن فهي اللحظة المناسبة لدخول البترول العربي لأداء دوره ، وإلا فإنه إنا تأخر عن الوقت المناسب قل تأثيره وضعت فاعليته . .

ولم يظهر الرئيس « السادات » حماسة شديدة للبحث في هذه التفاصيل . وكان واضحاً أن غارة بورسعيد ما زالت تلح على أعصابه .

□

وقرأ الرئيس « السادات » تقرير مكتب الشؤون العسكرية عن اليوم السابع قتال . وكان نصه كما يلي :

« سرى جداً »

تقرير موقف رقم ( ٧ )

تقرير موقف عن اليوم السابع قتال ١٢/١٠/١٩٧٣

□ العدو :

- يستمر العدو في تركيز مجهوده الرئيسي وخاصة الجوى على الجبهة السورية لليوم الرابع على التوالي ، مع استمرار محاولاته لإشغال قواتنا على الجبهة المصرية .
- يحافظ العدو على الاتصال بقواتنا البرية والقيام بهجمات مضادة .
- يستعد العدو للقيام بمجهوده الرئيسي للجبهة المصرية خلال ٢٤ - ٤٨ ساعة .
- ما زال العدو محتفظاً ببعض النقاط القوية ، وطلبت المنطقة القوية في لسان بورتوفيق التسليم .

- انخفاض نشاط العدو البحري مع إصابة زورق في منطقة مرسى السادات .
- تدمير للعدو عدد ٢ طائرة هليكوبتر حاولت الاختراق .
- قام العدو بعدة طلعات للاستطلاع وركز نصف منطلة بورسعيد .

□ خسائر العدو :

- ٢٢ طائرة مقاتلة
- ٧ طائرة هليكوبتر
- ٢٨ دبابة
- قتلى وجرحى ٢١٤

□ قواتنا :

- تعزز قواتنا في منطقة رأس الشاطئ .
- قامت قواتنا بصد عدة هجمات مضادة .
- تمكنت وحدات الصاعقة من صد وإيقاف مدرعات العدو في وادي سدر .
- تم قصف مدرعات وتجمعات العدو .
- قامت قواتنا بعدة عمليات استطلاع للمنطقة التكتيكية شرق القناة .
- أصابت قوات الدفاع الجوى عدد ١٢ طائرة مقاتلة و ٣ طائرة هليكوبتر في قطاع بورسعيد والجبهة .

□ الجبهة السورية :

- استمر العدو في تطوير هجومه في شقرة الاختراق في القطاع الشمالي والأوسط .
- أسقط العدو كتيبة مظلات في منطقة العسيرة / كفر الماسخ .
- اشترك اللواء العراقي المدرع في تثبيت العدو وتوجيه ضربة مضادة ، ومنعه من تطوير هجومه شرقاً ، ومنع قوات العدو من الاتصال بكتيبة مظلات العدو . واستعاد الأوضاع .
- معركة بحرية بين عدد ٩ قطع بحرية للعدو وعدد من زوارق الصواريخ السورية في مواجهة ميناء اللاذقية وتكبد العدو خسائر جسيمة .

□ التعليق :

- من المنتظر أن يستمر العدو في تركيز مجهوده الرئيسي ضد الجبهة السورية ( وخاصة بعد تدعيمها ) في محاولة لتصفية الموقف عليها ، ثم التحول للعمل ضد جبهتنا ، مع استمرار محاولة قاعلية الطيران المصري بضرب المطارات الأمامية وكذا في شمال القناة والبدء في التعامل ضد أجناب شبكة الصواريخ د / جو باستغلال إمكاناته الجديدة في الإحالة والشوشرة .
- يستمر العدو في إعادة تجميع قواته في العمق التكتيكي والتعبوي في سناء استعداداً للضربة المضادة - مع استمرار إتباع أسلوبه السابق في تنفيذ هجمات مضادة محدودة بغرض الإحراج والإجهاذ والاستنزاف لقوات رأس الكوبري .
- من المنتظر أن يتوسع العدو في تنفيذ العمليات الخاصة بأعمال الإبرار البحري والجوى ضد

## ١٢ أكتوبر في تل أبيب :

دعت « جولدا مائير » إلى اجتماع لمجلس الوزراء المصغر انعقد في الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، ليستمع من الجنرال « بارليف » المسئول عن الجبهة الجنوبية - إلى تقرير عن مسطحة للعمل (٢) . وكان تقرير « بارليف » كما يلي :

● لقد تم التخطيط والإعداد لهجوم إسرائيلي مضاد يخترق نفرة المفصل بين الجيشين الثاني ، الثالث ويعبر قناة السويس إلى الضفة الغربية ، ويحتل أكبر مساحة ممكنة من الأراضي المصرية على هذه الضفة .

● إن المخابرات الإسرائيلية ( وفي الغالب عن طريق التسمع الالكتروني ) علمت أن فريق « أحمد إسماعيل » يرتب لهجوم مصري في اتجاه المضائق ، وبالاتفاف حول منطقة «عاسية» متقدماً نحو مضيق الجدي . ومعلوماتهم أن الهجوم غداً - أي يوم ١٣ أكتوبر ( ويبدو أنهم لم يستطيعوا معرفة قرار تأجيله لمدة ٢٤ ساعة ليكون يوم ١٤ بدلاً من ١٣ ) .

● إنه مع وجود خطط واستعدادات إسرائيلية جاهزة للبدء في العملية - فلن الجنرال « بارليف » يقترح تأجيل الهجوم الإسرائيلي لمدة ساعات حتى يبدأ « أحمد إسماعيل » هجومه وبهم صريه - فإذا ما تحقق ذلك وتم ضرب الهجوم المصري ، فإن عملية التقدم للنفاذ من نفرة ما بين العسنيين سوف تكون أسهل وأضمن .

## ١٢ أكتوبر في واشنطن :

في الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم ( الجمعة ١٢ أكتوبر ) ذهب « هنري كيسنجر » - وهذا للتقليد المتبع - إلى البيت الأبيض ليقيم للرئيس « نيكسون » تقريراً وتحليلاً لحواث أسبوع مأكمله ، ( فيوم الجمعة هو نهاية أيام العمل ، ويعد السبت والأحد يومى إجازة في الظروف

(١) لقاء مع الجنرال « بارليف » أجراه الدكتور « مايكل بريشر » .

بعض الأهداف الحيوية والاستراتيجية ومراكز القيادة ومراكز السيطرة والمطارات ووسائل الإخبار ، وخاصة من اتجاه خليج السويس - تتم بغرض الإرباك وتشديد الجهود مستغلا الفترة القمرية الحالية .

- من المنتظر أن يعمل العدو على بث الذعر في الجبهة الداخلية بواسطة استخدام الشراك الخداعية وبث الإشاعات والقيام ببعض العمليات الخاصة القربية ( مثل اغتيالات - أعمال عنف - تخريب - قتال في مناطق التجمع العامة .. الخ ) مما يتطلب التأكد على سلامة الإجراءات المضادة لمقاومة أعمال العدو في هذا الاتجاه .



كانت الضغوط المتعددة الواقعة على الرئيس « السادات » سياسياً وشعبياً - شديدة وقوية . وعاد مرة أخرى إلى الاتصال بالقائد العام الفريق « أحمد إسماعيل » طالباً منه الآن أن يستأنف تطوير الهجوم ، ويعود إلى الخطة الأصلية ويتقدم إلى المضائق . ونتيجة لذلك ، فإن الفريق « أحمد إسماعيل » عقد اجتماعاً أقيامته عند الظهر ، وبدأ بقوله : « إن هناك قراراً سياسياً يحتم علينا ضرورة تطوير الهجوم نحو المضائق ، ويجب أن يبدأ ذلك صباح غد ١٣ أكتوبر » . وحين حاول بعض القادة مناقشته استمع إلى وجهات نظرهم ، ثم كان قوله في النهاية « إن القرار سياسى » .

وفي الساعة الواحدة والنصف كانت التعليمات الخاصة بتطوير الهجوم قد تم إعدادها . وتحرك اللواء « غنيم » إلى الجيش الثاني ، واللواء « المجذوب » إلى الجيش الثالث ، حاملين معها الأوامر إلى قائد الجيشين (١) . وحوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر اتصل اللواء « سعد مأمون » قائد الجيش الثاني بالفريق « سعد الشاذلى » رئيس الأركان - عارضاً استقالته وقائلاً « إنه لا يستطيع أن يقوم بتنفيذ التعليمات التي أرسلت إليه مع اللواء « غنيم » . ولم تمض بضعة دقائق حتى كان اللواء « عبد المنعم واصل » قائد الجيش الثالث يتصل هو الآخر بالفريق « سعد الشاذلى » مبدئياً معارضته الشديدة للتعليمات التي وصلت إليه مع اللواء « طه المجذوب » . وتقرر عقد مؤتمر بالقيادة في الساعة السادسة مساء ، دعى إلى حضوره كل من قائد الجيشين الثاني والثالث اللواتين « سعد مأمون » و « عبد المنعم واصل » . وامتد المؤتمر إلى قرب منتصف الليل . واستمع القائد العام إلى كل وجهات النظر ، ثم أبدى في النهاية رأيه وهو « ضرورة تطوير الهجوم لأن ذلك قرار سياسى ويتحتم الالتزام به » . وبعد مناقشات لاحقة قبل القائد العام تأجيل موعد الهجوم ليصبح فجر ١٤ أكتوبر بدلاً من ١٣ أكتوبر .

(١) مقررات الفريق « سعد الدين الشاذلى » بغوان ، حرب أكتوبر . - صفحة ٢٤٥ .

الطبيعية) - وقد لاحظ هنري كيسنجر « أن الرئيس « نيكسون » مستغرق بالكامل في مشاكله الخاصة بفضيحة « ووترجيت » . ثم إنه في ذلك اليوم بالذات كان مشغولاً أكثر باختيار نائب رئيس جديد له يعرض اسمه على الكونجرس بعد استقالة « سبيرو أغنيو » . وقد شعر « كيسنجر » أنه في حقيقة الأمر يستطيع أن يتصرف كما يشاء في الأزمة عارفاً أن الرئيس ليس لديه وقت كاف لها .

وعند الظهر التقى « كيسنجر » و « دوبرينين » على غداء عمل في وزارة الخارجية الأمريكية . وقد جاء « دوبرينين » إلى الغداء ومعه فكرة بملاحظات للقيادة السوفيتية عن تصرفات وأقوال صدرت عن « كيسنجر » . وكانت بدايتها ملاحظة عن تصريحات قالها « كيسنجر » في أحاديث صحفية اتهم فيها السوفيت بتشجيع العرب على البدء بهجوم ضد إسرائيل . ودارت بين الاثنين مناقشة حول هذه النقطة .

قال « كيسنجر » : إن « الاتحاد السوفيتي بالفعل يؤيد تصرفات العرب ، وهذا التأييد يحمل معنى التشجيع ، وذلك ما قصده » .  
وسأله « دوبرينين » : « أستم أنتم من جانبكم تؤيدون إسرائيل وتصرون بتصريحات مؤيلاً لها ؟ »

ورد « كيسنجر » قائلاً : « صحيح ، ولكنكم تتسبون من الذي بدأ القتال » .  
وكانت النقطة التالية في المناقشة السوفيتية : تساؤل عن السبب الذي دعا إلى تحريك الأسطول الأمريكي الساس إلى قرب « كريت » ؟

ورد « كيسنجر » بقوله « إن السوفيت وضعوا ٣ فرق محمولة جوا تحت الإنذار » .  
ورد « دوبرينين » قائلاً « إن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي إزاء تهديد موجه إلى دمشق » .

وهنا انفعل « كيسنجر » وراح يحدّر « دوبرينين » من عواقب تدخل سوفيتي سافر في الأزمة ، ويقول « إنه يرى أن خطورة الموقف تتصاعد وتهدد العلاقات بين القوتين الأعظم » . □

وفي الساعة الثالثة والربع ( بتوقيت واشنطن ) ، وبعد انتهاء الغداء بين « كيسنجر » و « دوبرينين » مباشرة ، اتصل « كيسنجر » بالمفارة الإسرائيلية ووجد السفير « دينتز » وزير الخارجية « أبا إيلان » في نيويورك . وهكذا دعا القائم بالأعمال « شاليف » إلى مقابلته فوراً ، ولكنه بأن « الموقف يتخرج بين القوتين الأعظم ، وأنه يوشك أن يدخل في مرحلة خطيرة » . وأن تأثير صدور قرار بوقف إطلاق النار من مجلس الأمن أصبح صعباً للغاية . « وأصناف « كيسنجر » : إننا قد نستطيع التعميل لساعات أخرى بحجة إجراء مشاورات لازمة للتوصل لمشروع قرار . ولكن ليس أكثر من ساعات » .

وبعد خروج « شاليف » اتصل « كيسنجر » بنفسه بـ « أبا إيلان » في نيويورك ليطلب منه إيلاخ « جولدا مائير » بأنه يحاول تأخير صدور قرار بقدر الإمكان ، « ولكننا لم نعد نستطيع أن نتأخر أكثر من ٢٤ ساعة » .

وقد اتصل « أبا إيلان » بـ « جولدا مائير » في تل أبيب ، وكان معه « دينتز » . وكان العنصر السوفيتي هو العنصر الضاغط على حديث الثلاثة . وأبنت « جولدا مائير » على مضض استعدادها لقبول وقف لإطلاق النار يصدر بعد ٢٤ ساعة . وفي هذه الحالة فإنه يمكن أن يكون وقف إطلاق نار ثابت . ( وكان في ذهنها بالطبع أن هجوماً مصرياً على وشك أن يبدأ صباح اليوم التالي ١٣ أكتوبر - طبقاً للمعلومات التي أدلى بها الجنرال « بارليف » أمام مجلس الوزراء المصغر ) .

وكان ذلك يتفق مع رأي « كيسنجر » الذي فضل أن يتصرف على مهل حتى لا تقصر أي هرولة باعتبارها نزولاً على ضغط سوفيتي . □

وفي المساء ( الجمعة ١٢ أكتوبر ) توجه « أبا إيلان » ومعه « دينتز » بطائرة خاصة من نيويورك إلى واشنطن لمقابلة « هنري كيسنجر » . وقد جاء معهما إلى مقابلته الوزير المفوض « شاليف » . وكان الثلاثة يحملون رسالة من « جولدا مائير » تحوى تقصيلاً للظروف والشروط التي قبلت على أساسها ببدء وقف إطلاق النار . وكانت على النحو التالي :

١ - إنها على استعداد لقبول وقف إطلاق النار في المواقع في ظرف ٢٤ ساعة من الآن . ( وبالطبع كان في ذهنها موضوع الهجوم المصري المصري ، وإمكانية ضربه ، وفتح الطريق بعد ذلك إلى عبور مضاد لقناة السويس يصل إلى ضفتها الغربية ) .

٢ - إن عمليات شحن الإمدادات العسكرية لا تتم بالسرعة الواجبة ولا بالحجم الضروري . وهناك وقت بضيق في عملية النقل بسبب الصعوبات الفنية التي تبديها وزارة الدفاع الأمريكية ، متأثرة في ذلك بمنطق وزيرها « جيمس شليزنجير » الذي اعتبر أن قيام الطائرات العسكرية الأمريكية بالعمل على الحصر الجوي صراحة يؤثر على مصداقية الولايات المتحدة ، سواء في مجلس الأمن أو في العالم العربي ، لأنها حينئذ سوف تظهر كطرف فعلى في الحرب ، وليس حكماً ظاهرياً في الأزمة .

٣ - ضرورة استمرار شحن المعدات والذخائر حتى إذا صدر قرار بوقف إطلاق النار .

٤ - إن « جولدا مائير » ، لا هي ولا الحكومة ، ولا الكنيسة ولا شعب إسرائيل ، ولا يهود العالم - على استعداد لقبول باحتمال هزيمة إسرائيل . ( كانت في ذهنها بالطبع مخاوف خسائر الأيام الأولى في القتال وتقاير « ديان » المنشأمة في تلك الفترة - وربما أيضاً الاحتمالات المجهولة للهجوم المصري المقرر له صباح الغد ١٣ أكتوبر ) . □



وذهب « كينسجر » بعد اجتماعه بالثلاثة إلى مقابلة « نيكسون » . وكان دافعه الأساسي أن يشكو من وزير الدفاع « شليزنجر » ومن العقبات التي تثيرها وزارته في وجه قيام الطائرات العسكرية الأمريكية بالعمل على الجسر الجوي صراحة من الولايات المتحدة إلى إسرائيل . والغريب أن « نيكسون » في هذه اللحظة كان أكثر اندفاعاً من وزير خارجيته « كينسجر » ( ربما لاحتياجه إلى العنصر اليهودي في أزمته الداخلية الناشئة عن فضيحة « ووترجيت » ) . وهكذا فإن « نيكسون » قال لـ « كينسجر » طبقاً لرواية « نيكسون » نفسه (٣) : « إننا سوف نتلقى لوما من العرب سواء أرسلنا ثلاث طائرات أو مائة طائرة . ولهذا فلن التردد لم يعد له معنى . قل لهم ( يقصد وزارة الدفاع ) أن يتحركوا بسرعة وبدون حرج ، وأن يبعثوا حمولاتهم في وضع النهار على أي شيء يمكن أن يطير من هنا إلى إسرائيل » .

□

وانتبه « كينسجر » باهتمامه بعد ذلك إلى الأمم المتحدة ، فأعطى الإشارة للوفد الأمريكي بأن يكثف اتصالاته ومشاوراته من أجل التوصل لمشروع قرار بوقف إطلاق النار . والغريب أنه فكر في استطلاع رأي إسرائيل في مشروع القرار أثناء استكمال صياغته ، ولم يفكر في استطلاع رأي مصر فيه رغم أن القناة السرية بينه وبين السيد « حافظ إسماعيل » كانت تعمل بنشاط منذ ٧ أكتوبر . وكان ظنه أنه إذا قام بعرض مشروع القرار على مصر فقد تنشكك في نواياه . ومن المفارقات أن الاتحاد السوفيتي أيضاً لم يكن يريد عرض مشروع القرار على مصر قبل إنتهاء صياغته ، بسبب حساسيتهم ومخافة اتهامهم مصرياً وعربياً - بالتفريط .

وهكذا بدأ « كينسجر » يبحث عن طرف آخر يعرض مشروع القرار على مصر . وقد استعبد فرنسا من أول لحظة لشكوكه في أنها تحاول القيام بدور مستقل . واستقر رأيه على أن تقوم بريطانيا بهذا الدور .

(٣) مقابلة صحفية أجراها الرئيس « نيكسون » مع المعلق البريطاني الأشهر « دافيد فروست » . . . وقد أُنِمت في لندن ١٩٧٧ مايو ١٢

## الفصل الحاششر

### يوم ١٣ أكتوبر

١

#### ١٣ أكتوبر في القاهرة ( صباحاً ) :

في الساعة السابعة والربع من صباح يوم السبت ١٣ أكتوبر ، كان « محمد حسنين هيكل » في مكتبه في الأهرام يحاول وضع الخطوط العريضة لخطاب سوف يلقيه الرئيس أمام مجلس الأمة بعد ثلاثة أيام ( يوم ١٦ أكتوبر ) . وفوجيء « هيكل » بأن اللواء « حسن البدرى » موجود في الغرفة الخارجية لمكتبه يطلب مقابلته على وجه الاستعجال . وقد ادهشه مجيء اللواء « البدرى » في تلك الساعة من الصباح ، ولم يكن قد سمع منه خلال الأيام السابقة . وقد قدر أنه كان مشغولاً بالكامل مع رفاقه : اللواء « حسن طلعت » واللواء « مصطفى الجمل » ( في المركز رقم « ١١ » ) يتابعون مجرى العمليات عن بعد ، متحررين من ضغوط المعركة ، باعطين بما يعين لهم من توصيات إلى القائد العام .

ودخل اللواء « حسن البدرى » ، وكان بادياً من أول لحظة أنه رجل منقل بالهموم . وقد بدأ حديثه مع « هيكل » داخلاً بدون مقدمات إلى الموضوع الذي دعاه إلى ترك شواغله في هذا الوقت والمجيء إلى الأهرام . كان كلام اللواء « البدرى » خطيراً ، وكان مؤداه كما يلي :

١ - إن الموقف في قيادة القوات في المركز رقم « ١٠ » ليس كما ينبغي له أن يكون . فهناك اختلافات وتوترات وضغوط لا داعي لها في هذا الوقت تؤثر على أخطر القرارات .

٢ - إنهم ( في المركز رقم ١١ ) لم يقصروا فيما طلب منهم ، وقد بحثوا بتوصياتهم باستمرار إلى المركز رقم ١٠ ، ولكن يبدو أن الكل هناك مستغرق فيما يفعله وليس لديه وقت لسماع رأي من خارج هذا المركز . وهم يشعرون بالاحباط لإهمال توصيات بحثوا بها إلى القيادة ولم يكن لها أثر على القرار ، في حين أثبتت تطورات المعارك أن كثيراً منها كان صائباً ومفيداً لو أنه أخذ في الاعتبار . ومن ذلك مثلاً أنهم نصحو بالتقدم إلى المضائق ابتداء من يوم ٧ أكتوبر ، ولم يستجب لهم أحد ولا حتى برد يناقش وجهة نظرهم . بل وقد حدث يوم ٨ أكتوبر أن اللواء « حسن طلعت » الذي رأى فرصة سانحة توشك أن تضيق كتب بنفسه ويخطه على ورقة أمامه رسالة إلى القائد العام من ثلاث كلمات : « اطلق المدرعات للمضائق » . وقد وصلت الرسالة فعلاً إلى القائد العام ، ولم يظهر لها أثر .

٣ - لقد توصلوا جميعاً إلى إستنتاج ملخصه أن النجاح الذي حققته القوات في عملية العبور كان مفاجئاً للقيادة السياسية والقيادة العسكرية التي لم تتوقعه بهذه السرعة ، ولم تتحرك لاستغلاله في الوقت المناسب .

٤ - إن هناك الآن عملية إعداد لتطوير الهجوم إلى المضائق . وهذه العملية لسوء الحظ فأت وقتها ، والإقدام عليها مخاطرة كبيرة ما لم تكن هناك عوامل عسكرية موجودة على الأرض تعلم بها القيادة ، ولا يعلم بها الآخرون ! وإذا تقرر المعنى في الهجوم الذي يترتب له الآن والمنظر خلال ساعات - فإن نتائجه قد تكون خطيرة ليس فقط بالنسبة لهذه الخطوة من المعركة ، ولكن كذلك بالنسبة للخطوة التالية . فإذا لم ينجح هذا الهجوم - وفرص نجاحه لا تزيد على ما بين ٢٠ - ٣٠٪ فإن العدو سوف يستغل نجاحه هو في تعميق هجومه المضاد وتشديد ضغطه على رؤوس كبارى العبور .

٥ - إن هناك معارضة شديدة في مركز القيادة العامة لهذه العملية . وقد قيل للمعارضين إن نوعى تطوير الهجوم هي نوعى سياسية بالدرجة الأولى . وهم يخشون من دخول اعتبارات سياسية في تنفيذ عمليات عسكرية ، خصوصاً إذا كان الوقت المناسب لهذه العمليات قد فات فعلاً .

وكان طلب اللواء « البدرى » بعد هذه الصورة الخطيرة هو « أن يتوجه » هيكل « الآن لمقابلة الرئيس « السادات » ، ويتحدث إليه في الأمر » .

وأبدى « هيكل » تردده مستنداً في ذلك إلى حجتين :

● أولاًهما - أنه لم يتدخل أبداً في أمور العمل العسكرى ، وكان أقصى ما وصل إليه هو اقتراح مجموعة عمل ( في المركز رقم ١١ ) تفكر وتتصور ، وأمامها كل المعلومات دون أن تكون عليها أفعال وأعباء المعركة .

● وثانيتهما - أنه لا ينبغي لأحد في هذا الوقت - خصوصاً إذا كان مديناً - أن يتدخل في شيء يمس العلاقة بين القائد الأعلى للسلطة وبين قيادتها العامة .

وبعد مناقشة امتدت إلى أكثر من ساعة برز اقتراح مؤداه أن يقوم الصباط الثلاثة الكبار المكلفون بالتفكير والمناقشة والاقتراح - بكتابة وجهة نظرهم للرئيس « السادات » . . ولم يتحسب اللواء « البدرى » ، وكان قوله في النهاية أنه أدى واجبه ونبه إلى خطورة الحالة ، وطرح ما لديه مام رجل يعرف أنه قريب من الرئيس « السادات » ويستطيع الوصول إليه في أى لحظة .

□

وصل « هيكل » إلى قصر الطاهرة في الساعة العاشرة وخمس دقائق . وكان الرئيس « السادات » قد فرغ من قراءة تقرير مكتب الشؤون العسكرية . وكان نصه :

« سرى جداً »

تقرير موقف رقم ( ٨ )

١٩٧٣/١٠/١٣ قتال الثامن

□ العدو :

- اقتصرت أعمال العدو على القيام بهجمات مضادة محدودة قوة سرية نهبات .
- قام العدو بعمليات استطلاع بقوة لمنطقة الشط وكبريت .
- أجرى العدو إعادة تجميع لقواته في العمق .
- يقوم العدو بتجهيز خط دفاعى عن منطقة المضائق .
- يستخدم العدو الإعاقة والشوشرة على أجهزة الاتصال .
- قامت النقطة القوية للعدو في بور توفيق بالتسليم .
- قام العدو بنشاط استطلاع بحرى في منطقة سجايا وقوبل بمدفعية ساحلية واضطر للاسحاب .
- نشاط زائد للطائرات الهليكوبتر .

□ خسائر العدو :

- ١٠ طائرات مقاتلة
- ٢ طائرة هليكوبتر
- ٣٨ دبابة
- ١٠ عربة مصفحة
- ٣٣ جريح
- ٣٧ أسير

□ قواتنا :

- دفعت قواتنا مطارز متقدمة ونقط قتال خارجية .
- تمكنت قواتنا من صد هجمات العدو المضادة .
- أسقطت قوات الدفاع الجوى ١٠ طائرات مقاتلة .

## □ التعليق :

- من الواضح أن العدو قد قرر التحول إلى الدفاع النشط على خط المضائق ، وهو على اتصال بقواتنا لحين تصفية الموقف على سوريا ، مع تنفيذ ضربات مضادة قوية عند رؤوس الكبارى ، محاولاً احتلال أجزاء من رؤوس الكبارى أو على أجنابها يستغلها كقاعدة لتهديد أجناب التسهيلات أثناء تنفيذه للضربات المضادة الرئيسية المنتظرة أو لاستغلال النجاح من خلالها .
- من المنتظر أن يزداد حجم مجهودات الجوى المخصص للعمل ضد الجبهة المصرية اعتباراً من صباح باكر . وينتظر أن يتركز مجهوده ضد القوات البرية في رؤوس الكبارى والاختناقيات ، وضد وسائل الإذثار والدفاع الجوى ، والاستمرار في قصف منطقة بورسعيد .
- ما زالت احتمالات العمليات العسكرية ضد الأهداف الحيوية العسكرية والمدنية بأعمال الإبرار البحرى والجوى قائمة .



وقد وجد « محمد حسنين هيكل » أن المعلومات الواردة في التقرير تعطيه مدخلا إلى ما سمعه من اللواء « حسن البدرى » من ساعة واحدة . وكان تعليق الرئيس « السادات » ، وهو يطلب من محدثه أن يطمئن : « إن الذين يتابعون الموقف من خارج القيادة يتحدثون بطريقة نظرية بعيدة إلى حد كبير عن الضرورات التى تحكم القرار في هذه اللحظات » . ثم أشار إلى أنه يحاول تخفيف الضغط على سوريا . ولم يكن هناك داع للإحراج أكثر (١) .



(١) فيما بعد ظل هذا الموضوع يشغلتى ، وأعله كان وراء سؤالى المبائر للفرق ، أحمد اسماعيل على ، الذى نشر في حديث أجرته معه في الأهرام بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٧٣ . وكان سؤالى له بالنص ، وكما نشر في ذلك الوقت : « أريد أن أسألك - وقد تأذن لى أن أكون صريحا - عن السبب الذى من أجله لم يجر تطوير هجومتنا الشامل بالسرعة الواجبة في رأى بعض الخبراء ؟ وهناك تساؤلات كثيرة في هذا الصدد :

- هل كان تخطيطنا المسبق لافتتاحية العبور العظيم وحدها ؟
- هل لم نستطع أن نرى الفرصة المتاحة لنا ؟
- هل كنا أكثر بطنا مما يجب ؟ ... أو ماذا حدث بالضبط ؟
- إن الفرق ، أحمد اسماعيل على ، رد على هذه الأسئلة رداً خذراً ربما اقتضته الظروف وقتها ، ولكن المشير ، محمد عبد القنى الجيسى ، فى مذكراته عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كتب فى صفحة ٢٩١ يرد على أسئلتى بالتحديد . بعد أن استشهد بها وعرض إجابات القائد العام فى ذلك الوقت عليها .
- وقد كتب المشير ، الجيسى ، فى مذكراته بالحرف وتحت عنوان « وآلى أقول » :
- إن خطة الحرب التى لا خلاف عليها عسكرياً وسياسياً قد وضعت للوصول إلى خط المضائق كهدف نهائى للحرب . ولم تحتم هذه الخطة عمل ، وقلة تنبؤية ، بعد اقتحام القناة وإنشاء رؤوس كبرى الجيوش . بل نصت على تطوير الهجوم شرقاً للاستيلاء على المضائق حسب الموقف .
- وكان توقيت تطوير الهجوم من أهم عوامل نجاحه لسرعة استغلال النجاح الذى تحقق . وكلما كانت فترة الانتظار أقصر كان ذلك أفضل لنا .
- لقد كان القائد العام للفرق ، أحمد اسماعيل ، خذراً أكثر مما يجب وأيضاً مما يجب . الأمر الذى دعاه إلى الانتظار الطويل . عمل وقلة تنبؤية من يوم ١٠ حتى يوم ١٣ أكتوبر . وكان يربى كما قال فى حديثه (لهيكل) ، على أن لا أغامر ... .

وفى الساعة الواحدة والنصف وقع حادث خطير كان لا بد له أن يلفت الأنظار . فقد قامت طائرة أمريكية من طراز SR 71 A بعملية استطلاع واسعة لم تقتصر على الجبهة ، وإنما امتدت إلى كل الدلتا وراء منطقة قناة السويس . وكانت تطير بسرعة ثلاثة أمثال سرعة الصوت ( مع ٣ ) . وبذلك فقد كانت بعيدة عن مجال عمل كل أنواع الصواريخ المتاحه لمصر .

وقد عرفت القيادة على الفور أنها عملية استطلاع أمريكى شاملة لجبهة القتال وما وراءها ، أن صورها سوف تكون فى إسرائيل خلال أقل من ساعة واحدة (٢) .



## ١٣ أكتوبر فى تل أبيب :

طوال يوم ١٣ أكتوبر كانت القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية مشغولة بالكامل فى أمرين :

- انتظار الهجوم المصرى المتوقع فى هذا اليوم والتأهب لردده ، واستغلال ذلك لضمان نجاح هجوم مضاد واسع هدفه اختراق مفضل ما بين الجيشين الثانى والثالث ، واحتلال أى مساحة من الأرض على الضفة الغربية للقناة يمكن استعملها فى المساومة إذا ما صدر عن مجلس الأمن قرار بوقف إطلاق النار خلال الماعات القادمة .

• استقبال الأسلحة والذخائر الواسلة من الولايات المتحدة على الجسر الجوى الأمريكى

المبائر إلى إسرائيل . وكانت الطائرات الأمريكية العملاقة من طراز « جاكسى ، C5 و C141

الحة غادية عليه (٣) .

وكان عليه أن يخامر بعد أن ضاعت منا فرصة استغلال النجاح بسرعة لتحقيق الهدف الاستراتيجى .

• ولحق عبء إدارة العمليات الحربية لتنفيذ الخطة على القيادة العسكرية دون تدخل من القيادة السياسية ، وهو الأسلوب الصحيح لإدارة العمليات .

وقد حاولت خلال الحرب معرفة مبررات البدء فى تطوير الهجوم شرقاً ، وهل كان هناك قيد سياسى على القائد العام

بطلب ذلك ، إلا أن الفرق أول أحمد اسماعيل لم يقصح لى عن هذا القيد لو كان موجوداً .

وما أصغر الرئيس السادات قراراً بذلك إلى القائد العام فى الماعات الأولى من يوم ١٢ أكتوبر لتطوير الهجوم بعد تدهور

الموقف العسكري فى الجبهة السورية ، أسرع الفرق أول أحمد اسماعيل بإصدار الأوامر لى نفس اليوم للتطوير بحيث يبدأ

صباح اليوم التالى ١٣ أكتوبر . وقد تأجلت اعتبارات عسكرية ليكون صباح يوم ١٤ أكتوبر . واتضح من هذا التصرف أن

الوقلة التنبؤية ، من ١٠ - ١٣ أكتوبر كانت بتاتلى وموافقة الرئيس السادات والقائد العام أحمد اسماعيل ، مما أن قرار

تطوير الهجوم بعد الوقلة التنبؤية كان قراراً سياسياً .

(١) مذكرات الفرق ، سعد الدين الشاذلى - - صفحة ٢٥٠ .

(٢) بلول المشير ، محمد عبد القنى الجيسى ، فى مذكراته عن حرب أكتوبر - صفحة ٢٩٧ - أن الولايات المتحدة الأمريكية

استخدمت على هذا الجسر الجوى لإسرائيل ٢٢٨ طائرة ، منها ٥١ طائرة من طراز ، مى ٥١ و ١٧ طائرة من طراز ، سى ١١١ . وقد غلفت هذه الطائرات ٥٩٩ رحلة تم فيها نقل ٢٢٤٩٧ طناً من الأسلحة والمعدات والذخيرة - هذا غير الجسر

البحرى الذى قام بنقل حمولة مقدارها ٣٢٢١٠ طناً من المعدات والمدايح والمرتبات .

### ١٣ أكتوبر في واشنطن :

في الساعة التاسعة صباحاً اتصل « هنري كيسنجر » من مكتبه في البيت الأبيض باللورد « كرومر » (٤) السفير البريطاني في واشنطن ، طالباً منه أن يتقدم الوفد البريطاني لدى الأمم المتحدة بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار في المواقع . وكان تقدير « كيسنجر » أنه عندما يتم إعداد وطرح هذا القرار المناقشة ، ومن ثم للتصويت ، فإن إسرائيل تكون حققت هجوماً منتظراً على الجبهة المصرية . وعلى فرض أن ذلك لم يحدث فإن وجود دمشق في مرمى المدافع الإسرائيلية يمكن أن يكون كفيلاً لوحده بتقوية مركز إسرائيل في المرحلة التالية لوقف إطلاق النار .

وقال لورد « كرومر » لـ « كيسنجر » إنه سوف يبحث باقتراحه إلى رئيس الوزراء « إدوارد هيث » ، وإلى وزير خارجيته « دوجلاس هيويم » .

وما كاد « كيسنجر » يفرغ من حديثه مع لورد « كرومر » حتى تلقى اتصالاً من السفير السوفيتي « أناتولي دوبرينين » يطلب لقاءه « الآن وفوراً » . وقد وصل « دوبرينين » إلى البيت الأبيض في ظرف دقائق ، يحمل معه مذكرتين :

● الأولى - احتياج سوفيتي على الغارات الهجومية التي يقوم بها الطيران الإسرائيلي على أهداف مدنية مصرية وسورية . وكان من ضمنها ميناء اللاذقية السوري حيث تعرضت إحدى البواخر السوفيتية التجارية إلى إصابة مباشرة من صاروخ إسرائيلي . وكان أكثر ما أقلق « كيسنجر » في هذه المذكرة الأولى عبارة وردت قرب نهايتها وقالت بالنص : « إن المراكز السكانية الأهلة في إسرائيل قد لا تكون آمنة إلى الأبد » . وكان مبعث قلق « كيسنجر » أن العبارة حوت تهديداً صريحاً لإسرائيل .

كذلك أحس « كيسنجر » بالقلق حينما قالت المذكرة السوفيتية في معرض حديثها عن إصابة باخرة تجارية سوفيتية - ما نصه : « إن الاتحاد السوفيتي سوف يقوم باتخاذ الإجراءات التي يراها ضرورية لحماية بواخره وكافة وسائل نقله الأخرى » .

● وكانت المذكرة الثانية احتجاجاً آخر ضد جسر الإمداد الجوي المستمر لإسرائيل . وقد توصلت المذكرة إلى القول : « إن الاتحاد السوفيتي كان يتوقع بدلاً من ذلك أن تبذل الولايات المتحدة جهودها لتوجيه الأمور نحو تحقيق وقف لإطلاق النار في الشرق الأوسط » .

(٤) حليف للورد كرومر الشهير في التاريخ المصري الحديث .

وأضاف « دوبرينين » إلى ذلك أنهم في موسكو مندشون لأنهم سبق لهم منذ يومين أن لتفوا بطن واشنطن إلى أن الوقت مناسب للحرك نحو مشروع قرار يقضى بوقف إطلاق النار ، ويصدر عن مجلس الأمن .

وانتهز « كيسنجر » هذه النقطة من الحديث ليخطر « دوبرينين » أنه « قبل دخوله إلى هذا المكتب بدقائق ، كان هو ( أي « كيسنجر » ) قد اتصل فعلاً بالسفير البريطاني في واشنطن اللورد كرومر » يطلب إليه أن تتقدم الحكومة البريطانية بمشروع قرار بوقف إطلاق النار بحري الصويت عليه في مجلس الأمن » .



وقبل الظهر عاد اللورد « كرومر » ، يتصل بـ « كيسنجر » يبلغه باستفسار من لندن « عما إذا كانت إسرائيل موافقة على اقتراح بوقف بسيط لإطلاق النار ، لأنه لا فائدة من مشروع يقدم ، برفض ، خصوصاً وأنهم في لندن يظنون أن مصر لن تقبل بالمشروع إذا عرضوه عليها ما لم فيه نص أو إشارة إلى استعداد إسرائيل للاستحباب إلى خطوط سنة ١٩٦٧ » .

وقال « كيسنجر » للورد « كرومر » إنه سوف يبحث الموضوع أثناء احتفال يقام مساء اليوم في البيت الأبيض ، ويقوم فيه الرئيس ، نيكسون « بتقديم ثابته المختار الجديد » : « جبريل فوردي » .

وفي المساء ، وقبل احتفال العشاء المقام لـ « جبريل فوردي » ذهب « كيسنجر » إلى حيث كان يقف « سيمحا دينتز » السفير الإسرائيلي ، وأخطره بتفاصيل لقائه مع « دوبرينين » في الصباح ، بما في ذلك منكرنا الاحتجاج المقدمان من الاتحاد السوفيتي ، وما فيهما من نبرات «تهديد » ثم أبلغه - بدون الرجوع إلى الرئيس « نيكسون » - أن عليه أن يطمئن إلى أن الولايات المتحدة سوف تتدخل مباشرة إذا ظهرت دلائل على وجود أو نشاط قوات سوفيتية في المنطقة » . واتفق الاثنان - « كيسنجر » و « دينتز » - على اللقاء بعد حفل العشاء ، وأن يكون لقاءهما في الساعة الحادية عشرة مساءً في مكتب « كيسنجر » في البيت الأبيض .

ولمح « كيسنجر » وجود « دوبرينين » في ناحية من قاعة الاحتفال ، فقص إليه مباشرة « طرح عليه الاستفسارات التي وجهتها لندن حول ما يمكن أن يكون عليه رد فعل القاهرة تجاه مشروع قرار بوقف إطلاق النار » ورد « دوبرينين » بأنه لا يستطيع أن يتحدث بالنيابة عن الرئيس «سادات » ، وإن كان يظن أن خطورة الموقف تسمح لكل بأن يقوموا برهان معقول .



بعد احتفال العشاء عاد « كيسنجر » ليقضى ساعة في وزارة الخارجية . وهناك وصلته المعلومات عن الجبهة المصرية ، بما في ذلك الصور التي التقطتها طائرة الاستطلاع SR 71 A - كما أنه قرأ تحليلاً لما تقول به الصور . وكان أهم ما فيه أن فرقتين مصريتين ،

ورد عليه الرئيس : السادات ، يقول - طبقاً لروايته : « أنا مستعد لموقف إطلاق النار في حالة موافقة إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية » (٦) .

ولم تدم المواجهة أكثر من ثلاث ساعات . وربما أخطأ السفير البريطاني بإشارته إلى مشاورات مع الاتحاد السوفيتي . لأن هذه الإشارة تكفلت بإثارة أعصاب الرئيس « السادات » ، الذي كان موقفه من الاتحاد السوفيتي يتذبذب بسرعة بين الرضا والسخط .

ومن المحتمل أيضاً أن الرئيس « السادات » ، الذي كان يعرف أن هجوماً مصرياً في اتجاه المصالح على وشك أن يبدأ بعد ساعات قليلة - لم يكن مستعداً لأن يلزم نفسه بشيء قبل المعركة .

(٦) كتاب الرئيس . السادات ، بعنوان . البحث عن الذات . ( قصة حياتي ) ص ٢١١ .

وهما الفرقة المدرعة ٢١ ، والفرقة المدرعة الرابعة تتحركان إلى داخل سيناء . وكان « كينسجر » يعرف أن هاتين الفرقتين تمثلان الاحتياطي الاستراتيجي المصري (٥) . وقد أبدى دهشته مما تقول به الصور .

كانت دلالة هذه التحركات أن القيادة المصرية تعزم تطوير الهجوم فعلاً في ظرف ساعات .

وكانت دهشته أن القوات المصرية دفعت باحتياطها الاستراتيجي إلى المعركة ، ومعنى ذلك أن هذه القيادة استغنت عن هذا الاحتياطي الاستراتيجي في وقت خرج من المعركة ، ولعمل سوف يتم على الأرجح خارج نطاق حماية حائط الصواريخ المصري .

وكانت استنتاجات « كينسجر » صحيحة ، وكانت دهشته مبررة .

## ٤

### ١٣ أكتوبر في القاهرة ( مساء ) :

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ( بتوقيت القاهرة ) ، طلب السفير البريطاني في مصر السير « فيليب آدمز » موعداً فورياً مع الرئيس « السادات » . واستقبله الرئيس « السادات » بالقصر . في الساعة الواحدة والنصف صباحاً ( صباح ١٤ أكتوبر ) . وشرح السفير البريطاني في هذه المواجهة للرئيس « السادات » تفاصيل الاتصالات الدائرة بين الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن للتوصل إلى مشروع قرار ، وقد ركزوا في مشاوراتهم على الاتحاد السوفيتي باعتباره الطرف الذي يحتمل أن يعرف أكثر من غيره عن التفكير المصري . وعندما وصل السير « فيليب آدمز » لهذه النقطة فاطمه الرئيس « السادات » قائلاً له بغضب : « إن الاتحاد السوفيتي لا يعرف شيئاً عن أفكارى ، وهو لا يملك أن يتحدث باسمي . وعندما تزيدون أن تعرفوا وجهة نظري فلا بد أن تتصلوا بى أنا وليس بالاتحاد السوفيتي » . وقال له السير « فيليب آدمز » إن « ذلك ما يفعلونه الآن . وقد طلب إلى المستر « أموارد هيث » رئيس الوزراء أن أعترف منكم مباشرة على رأيكم في قرار يقدم إلى مجلس الأمن ويطلب من الأطراف التوقف عن إطلاق النار .

(٥) كانت هاتين الفرقتين - إلى جانب وجودهما في الاحتياطي تحت تصرف القيادة العامة - مكافئتين أيضاً بتنفيذ الخطة الدفاعية رقم ٢٠٠ والتي تنص على اختراق إسرائيل إلى الجبهة الغربية من قناة السويس ، وترتب لضرب هذه المحاولة .

الأمريكية في مطار العريش، ودخلت فور العمل في المعركة التي بدأت تحتم وقته. وقد أضيف إلى ذلك عنصر آخر، وهو أن تدفق العدد العسكري الأمريكي على إسرائيل دفعها مطمئنة إلى استعمال مخزون احتياطياتها الاستراتيجية في المعركة بدون تردد.

وكان الرئيس « السادات » يتابع تطورات المعركة منذ الصباح. وفي الساعة الواحدة ظهر أ توجه بنفسه إلى المركز رقم « ١٠ » ليعرف على خرائط العمليات كيف تسير الأمور. ولم يكن ما رآه مشجعاً. فعندما جاءت الساعة الثالثة بعد الظهر، كانت خسائر القوات المصرية في الدبابات قد وصلت إلى ٢٤٠ دبابة. وكان ذلك فوق الاحتمال. وقد استأنده الفريق « أحمد اسماعيل »، في إيقاف الهجوم، وأذن، وعاد إلى قصر الطاهرة وهو في حالة من الاكتئاب النفسى استولت عليه، ولم يستطع أن يحجبها حتى عن ملامح وجهه.

وفي قصر الطاهرة كان في انتظاره تقرير مكتب الشؤون العسكرية. وقد جاء فيه:

« سرى جداً »

تقرير موقف رقم ( ٩ )

١٩٧٣/١٠/١٤ قتال

□ العدو:

- أبرزت المعارك التي جرت صباح اليوم أن العدو قد أعاد تنظيم دفاعه على الجبهة المصرية على أساس فكرة الدفاع المتحرك مستخدماً الستائر المضادة للدبابات بكفاءة، وبالتعاون مع الهليكوبتر بستائر طائرة مضادة للدبابات.
- هدف العدو هو استنزاف القدرة الهجومية لقواتنا بأحداث أكبر خسائر في مدرعاتنا خلال نطاق الأمن، وهو يحتفظ باحتياطياته لاستخدامها بعد إعادة البناء في ضربات مضادة بطورها ضد رؤوس الكبارى لاستعادة الموقف على القناة.
- يدفع العدو عناصر مضادة للدبابات إضافية في اتجاه الجبهة.
- قام العدو بقصف جوى ضد تشكيلاتنا البرية ومطارات المعاونة المباشرة ووسائل الدفاع الجوى.
- قام العدو بطلمة استطلاع وتمرت له طائرتان استطلاع من طراز فانتوم.

□ قواتنا:

- تعرضت قواتنا المدرعة لمقاومة شديدة من مدرعات العدو، والأسلحة المضادة للدبابات ( ستائر مضادة للدبابات + صواريخ مضادة للدبابات تطلق من الهليكوبتر ).
- قامت قواتنا الجوية بقصف أهداف حتى عمق ١٠٠ كم شرقاً، وقامت بمعاونة التشكيلات المدرعة أثناء التقدم.
- قامت قواتنا الجوية بالاعتراض لطائرات العدو وأسقطت له ١٥ طائرة في معارك جوية.
- قامت قوات الدفاع الجوى بتأمين قواتنا في رأس الكوبرى حيث أسقطت العدو ٢٩ طائرة منها ٢ طائرة استطلاع.

## الفصل الحادى عشر

### يوم ١٤ أكتوبر

١

#### ١٤ أكتوبر فى القاهرة:

كانت أجواء ميدان القتال مزدهمة بإشارات الطر مع شروق الشمس صباح يوم ١٤ أكتوبر. فقد بدأ الهجوم المصرى المنتظر نحو المضائق فى الساعة السادسة صباحاً.

وكانت خطة الهجوم (١) تتضمن استخدام ٤ ألوية مدرعة ولواء مشاة ميكانيكى فى أربعة اتجاهات مختلفة على النحو التالى:

- ١ - لواء مدرع فى اتجاه ممر متلا ( القطاع الغربى ).
- ٢ - لواء مشاة ميكانيكى فى اتجاه ممر الجدى ( القطاع الغربى ).
- ٣ - لواءان مدرعان فى اتجاه الطاسمة ( القطاع الأوسط ).
- ٤ - لواء مدرع فى اتجاه بالوظة ( القطاع الشمالى ).

وكان ظاهراً منذ البداية أن القوات الإسرائيلية مستعدة لمقاومة الهجوم، ومزودة بمعلومات مسبقة عن اتجاهاته الأساسية. كذلك فإن سبل الإمداد الأمريكى لإسرائيل بدأ يصل إلى الجبهة، وأهم بنوده صواريخ « تاو » « TOW »، المحملة على طائرات ليوكوير. وقد نزلت بها الطائرات

(١) مذكرات الفريق. سعد الدين الشاذلى، صبعة ٢٤٦.



## □ الجبهة السورية :

- تمكنت القوات السورية من إيقاف تقدم العدو وتكبيده خسائر فادحة .
- أصيب العدو زورقي بحرى بالمدفعية الساحلية السورية .



في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم وصل « محمد حسنين هيكل » إلى قصر النازية يحمل معه مشروع الخطاب الذي كان من المقرر أن يلقه الرئيس « السادات » أمام مجلس الشعب بدءاً ( يوم ١٦ أكتوبر ) . وكان الرئيس « السادات » قد سيطر على أعصابه رغم كل الأنباء التي تنم عن الجبهة ، وكانت سيئة ، وربما أسوأها أن اللواء « سعد مأمون » قائد الجيش الثاني أصيب بجولة قلبية ، وقرر الأطباء « إخلاءه » ونقله إلى المستشفى العسكري في القاهرة . وكانت إصابة اللواء « سعد مأمون » بهذه النوبة راجعة بلا شك إلى الصدمة التي تلقاها قواته في هجوم الصباح . وكان على الرئيس « السادات » أن يختار قائداً بديلاً للجيش الثاني .

وبرغم هذا كله ، فقد بدأ الرئيس « السادات » متمسكاً . وقد جلس مع « محمد حسنين هيكل » في إحدى القاعات حيث أستمع إليه وهو يقرأ عليه نص الخطبة . وأقرأها بدون تعديل . ثم تروى الاثنان إلى الشرفة ، وانضمت إليهما بعد ذلك السيدة « جيهان السادات » والدكتور « أنور مروان » والمهندس « سيد مرعى » .

وكان معظم الحديث بالطبع حول تطورات ما جرى في ميدان القتال هذا الصباح . وكان الرئيس « السادات » يتحدث بثقة ، وفي بعض اللحظات بدت معنوياته عالية إلى درجة إبناءة لامة بالرضا عن الاتحاد السوفيتي . فقد لمح في السماء ضوء طائرة ، ثم لاح ضوء طائرة ثانية . وطائرة ثالثة . وعلق الرئيس « السادات » على ما رآه بقوله بالنص : « نحن أحياناً نش السوفيت ... ولكن ... » . وصمت لحظة مشيراً إلى الأضواء المتحركة وراء بعضها في السماء ، واستأنف حديثه : « ولكن ماذا كنا نفعل لو لم يكن هذا الجسر السوفيتي يواصل إمدادنا بالذخائر ؟ ولم ينشأ أن يترك رضاء عن السوفيت مطلقاً ، فاستطرد يقول : « ولكنهم مع سوريا أكثر استجابة » !

## ١٤ أكتوبر في تل أبيب :

كان الجنرال « بارليف » يقوم بنفسه على إدارة المعركة المحتمدة على مشارف المضائق . وفور انتهائها بتوقف الهجوم المصري في الساعة الثالثة بعد الظهر وتراجع قواته إلى مواقعها الأصلية - قام الجنرال « بارليف » بنفسه بتبليغ نتائجها تليفونياً لرئيسة الوزراء « جولدا مائير » . وقد طلب منها في نفس الوقت إعطاء الإذن ببدء الهجوم الإسرائيلي المضاد ، والعبور إلى الغرب إذا أمكن . وكان تقديره يستند إلى عدة أسباب : (١)

- ١ - الاحتفاظ بالمبادأة في يد القوات الإسرائيلية .
- ٢ - استغلال اهتزاز معنويات القوات المصرية نتيجة لفشل هجومها .
- ٣ - انتهاء فرصة أن القوات العائدة إلى مواقعها الأصلية من الجيش الثاني والثالث ( المصري ) لم تستقر بعد في المواقع التي عادت إليها ، وبالتالي فإن المفصل بين الجيشين مفتوح بأكثر من أي وقت - الآن .
- ٤ - أن المسرح مهيأ لأن فرقتي الاحتياطيتين اللتين كانتا تحت تصرف القيادة العامة المصرية في الغرب ، قد تم استخدامهما في تطوير الهجوم المصري صباح اليوم . وبالتالي فإن عمق الجبهة المصرية مكشوف ، وتوازنها بصفة عامة قلق .

ووافقت « جولدا مائير » على تقديرات « بارليف » ، وأعطته الإذن الذي طلبه . والغريب أن وزير الدفاع الجنرال « ديان » كان متردداً .

## ١٤ أكتوبر في واشنطن :

في الصباح الباكر كانت لندن لا تزال في انتظار تقرير سفيرها في القاهرة السير « فيليب آدمز » عن مقابلته للرئيس « السادات » قبل ساعات قليلة . ومع ذلك فإن السير « أليك دوجلاس هيوم » وزير الخارجية البريطاني اتصل تليفونياً بـ « هنري كيسنجر » يتشاور معه في احتمالات الموقف . وكان تقدير « دوجلاس هيوم » :

(٢) حديث للجنرال « بارليف » مع الدكتور « مايكل بريشر » .

ولإلحسان فإن الملك « فيصل » رد عليها كتابة في نفس اليوم . وجاء في رده بالنص : (٤) « فخامة الرئيس

لقد استلمت رسالتكم الشفوية الأخيرة اليوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ . كما استمعت إلى تصريحات فخامتكم العديدة التي تؤيدون فيها حق كل دولة في الشرق الأوسط في الحفاظ على أمنها واستقلالها . كما سمعت الكثير عن رغبة الولايات المتحدة في نشر لواء السلام الدائم في العالم . فهل هذا الحق يقتصر على دولة واحدة في المنطقة ، أم يسرى على جميع دولها ؟

فخامة الرئيس

لقد انحسر المد الشيوعي انحساراً كان يبشر بالخير نتيجة للجهود التي بذلت في سبيل ذلك ، وقد أمكن الوصول إلى نتائج إيجابية تشهدون بها ، ومنها تخفيض عدد الروس في مصر ، وإعادة العلاقات مع الجمهورية العربية اليمنية . ولكننا نقول - وبمزيد من الأسف - أن الولايات المتحدة لم تستند من هذه الخطوات الإيجابية معتقدة بأنها سيطرت على الوضع في العالم بعد أن نسقت سياسياً مع الاتحاد السوفيتي تجنباً للمواجهة ، متجاهلة أن الأهواء والمطامع لا يمكن السيطرة عليها بالاتفاقيات والمعاهدات التي سوف تتميز عند أول فرصة سانحة ، كما حدث في مستهل الحرب العالمية الثانية بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي .



وكان « كينسينجر » قد أطلع على تقرير يشير إلى الدور الذي تقوم به القوات العراقية في قطاع سمع ، وهو آخر خط دفاعي قبل دمشق . وقرر أن يقوم بمسعى لدى شاه إيران « محمد رضا بهلوي » يقعه بممارسة أي نوع من ضغط عسكري على العراق حتى يضطر إلى تحديد دوره على الجبهة السورية ، ويتوقف عن إرسال أية إمدادات جديدة يعترض إرسالها هناك . وقد برر « هنري كينسينجر » طلبه بأن قال في رسالته للشاه بالحرف :

« إنني أمل أن توافقوا جلاتكم معي على أن انتصاراً عربياً في المعركة الدائرة الآن سوف يكون منسوباً إلى السلاح السوفيتي . فإذا أضفتم جلاتكم إلى ذلك انتصاراً عسكرياً سابقاً تحقق بقوة السلاح السوفيتي ، وهو انتصار الهند على باكستان في حرب ١٩٧١ بينهم ، فإنكم سوف ترون بلا شك أن مثل هذا الانتصار العربي الآن سوف يؤدي إلى زيادة نظرف الأنظمة في المنطقة .

إن الرئيس نيكسون بالطبع يقدر لكم شجاعة قراراتكم القلادي برفضكم طلب الاتحاد السوفيتي بمرور إمداداته من السلاح إلى العراق وإلى سوريا عبر الأجواء الإيرانية ، .

كانت إسرائيل على وشك أن تلقى بكل قواتها في المعركة .

وكان « هنري كينسينجر » قد ألقى فعلاً بكل نفوذ الولايات المتحدة وتأييدها السياسي

والعسكري - وراء إسرائيل .

(٤) محفوظات الديوان الملكي - المكتب الخاص - المملكة العربية السعودية - ملف واحد يحتوي على كل مراسلات الملك مع الإدارة الأمريكية في ظروف حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد أعده السيد ، عمر السكاف . .

## الفصل الثالث عشر

### يوم ١٥ أكتوبر



#### ١٥ أكتوبر في القاهرة :

كان يوم ١٥ أكتوبر واحداً من تلك الأيام التي يصدق عليها الوصف المشهور : « ضباب الحرب » ، والمقصود به هو تلك الأيام التي تلي أو تسبق المعارك الكبرى التي ينشغل فيها الأطراف بإعادة حساباتهم ويتأمل خططهم ، وفي التفكير فيما يجب أو يمكن أو يحتمل .

وكان الرئيس « السادات » صباح ذلك اليوم قد استوعب الصدمة العسكرية التي تلقاها في الأسس ، وراح يقلب أموره على وجوها مختلفة . وقد راوده تصور - لم له كان سابقاً لأوانه - أن دور السلاح في الحرب قد تراجع ، وأن دور السياسة هو الذي يتقدم . والحاصل أن ذلك كان مناقضاً مع منطق ونظرية الحرب المحدودة في صميمها . ذلك أن الحرب المحدودة لكي تحقق نتائجها لا بد لها أن تركز على أن يكون تأثير السلاح عند النهاية أكثر مما كان عند البداية . وبالتالي فإن ما يستطيع أي طرف أن يصل إليه في الساعات الأخيرة من القتال هو الذي يمكن ظله على الأرضية السياسية التي تجري فوقها أية جهود للبحث عن حلول للأزمات .

كان الرئيس « السادات » مهتماً بالمشاورات التي تجري في مجلس الأمن بشأن مشروع قرار « وقف إطلاق النار » وكانت وقائع مقابله للسير « فيليب آدمز » ، السفير البريطاني في القاهرة - مار الت حية في ذهنه . ومع أنه رفض خطط مشروع القرار التي عرضها عليه السير ، فيليب آدمز ، فقد كان عملياً إلى درجة جعلته يحس :

● أن خسارة معركة الأمس - وهي طارئ، جديد بعد رفضه للمشروع البريطاني - سوف تقلل من تقدير الآخرين لهذا الرفض .

● أن التوترات الظاهرة في العلاقات بين القوانين الأعظم سوف تدفعها أكثر إلى سرعة العمل على الوصول إلى مشروع قرار ، تجنباً لاحتكاكات بينهما قد تؤدي إلى مضاعفات لا يريدناها .

وقد خطر له أن يضمن خطابه في الفد - ١٦ أكتوبر - أمام مجلس الشعب ، خطوط مشروع يتقدم به هو ، ويفتح الباب إلى مجلس الأمن على زاوية تناسبه أكثر .

وأتصل بـ محمد حسنين هيكل ، يدعو لمقابلته ، ويقترح إدخال تعديل على مشروع الخطاب يتضمن في واقع الأمر خطوط مشروع قرار يقدم لمجلس الأمن . ودارت مناقشة بين الاثنين حول صياغة الفقرة الجديدة التي رأى إدخالها . وطلب « هيكل » أفضلية التشاور في الأمر مع الدكتور « محمود فوزى » . ولم يعترض الرئيس « السادات » ، فقد كان المهم لديه التوصل بسرعة إلى صياغة يقيها . وتصور « هيكل » أن الفرصة ملائمة لاقتراح آخر ، فتساءل عما إذا لم يكن مناسباً إيفاد الدكتور « محمود فوزى » إلى نيويورك بسرعة لكي يقوم معركة مجلس الأمن بنفسه ، وهو أكبر الخبراء العارفين بدخائل هذا المسرح الدولي الهام . وبشكل ما ، فإن الرئيس « السادات » وإن أبدى عدم اعتراضه على الاقتراح ، لم يبد حماساً شديدة له ، وإن كان قد طلب إلى « هيكل » أن يتصل بالدكتور « فوزى » عارضاً عليه الأمر .

وتوجه « محمد حسنين هيكل » من قصر الطاهرة إلى مبنى وزارة الخارجية القديم حيث كان الدكتور « محمود فوزى » قد اتخذ مقراً لمكتبه هناك . ومن المثير للملاحظة أن الدكتور « محمود فوزى » استمع بهدوء كعادته إلى ما سمعه من زائره ، ثم كان رده على مهل هو الاعتذار عن السفر إلى نيويورك . ثم كان سؤاله المباشر بعد ذلك لزاره هو « هل جاء هذا الاقتراح من الرئيس أم جاء منك ؟ » وبدأ السؤال مفاجئاً . ورد زائره عليه بقوله « إن الرئيس هو الذى طلب منى أن أجيء إليك الآن ، وأنا قائم إلى هنا مباشرة من قصر الطاهرة » . وكان تعليق الدكتور « فوزى » أنه « استنتج من هذه الإجابة ما يتصور أنه صحيح . وهو آخر من يتردد في الاستجابة لنداء بلده إذا دعاه الواجب إلى أداء دور . لكنه بكل أمانة يشعر أن الوقت متأخر جداً لكي يستطيع عمل شيء . فالأمور قد اتخذت مساراً بعيداً عنه منذ البداية ، وهو يسمع من بعيد « طرايطش كلام » عن اتصالات وصياغات ، وهذا كله قطع شوطاً طويلاً بحيث تحتم الضرورات أن يكمل الطريق من بدأ بالسير عليه . وهو لا يرى داعياً ، لتغيير جياذ العربية أثناء عبور النهر . . . »

في حالة تمرق حقيقى .

ولم يتأثر الرئيس « السادات » حين علم باعتذار الدكتور « فوزى » ، عن الذهاب إلى مجلس الأمن ، ولم يزد ما قاله عن تعليق في جملة واحدة قال فيها « أحسن » . ولم يخبر رأيه حين قيل

#### □ قواتنا :

- تستمر قواتنا في تعزيز الخط التى وصلت إليه مع تعديل أوضاعها ودفع ملازم تامين نقط قتال خارجية ، مع إعادة تجميع القوات المدرعة فى منطقة رأس الكوبرى .
- قامت قواتنا بمحاولة الاستيلاء على النقطة القوية للدعو شرق بورفؤاد بالتعاون مع القوات البحرية والجوية .

#### خسائر العدو :

- ٢٥ طائرة مقاتلة
- ٣٦ دبابة
- ٣ طيار أسير
- ١ زورق حربي
- ٢ كتاب صواريخ هوك

#### تقرير موقف عن اليوم العاشر قتال ١٠/١٥/١٩٧٣

##### □ العدو :

- يعيد العدو تجميع قواته واستمواض الخسائر .
- يقوم العدو بالتعزيز على خط أمام الحد الأمامى لقواتنا ١ - ٣ كم ، مركزاً مجهوده الرئيسى فى المحور الأوسط .
- يقوم العدو بتنفيذ عدة هجمات مضادة لاستنزاف قواتنا وتأميناً لإعادة التجميع والاستمواض والإصلاح .
- نفذ العدو (غارة بحرية بعدد ٢ زورق بطليح السويس وأصيب له زورق فى هذه الغارة .
- تلاحظ أن اتجاه طائرات المقاتلات فوق سيناء وإسرائيل تاتى من اتجاه الشمال مباشرة ( بدرجة حاملة طائرات ) . جارى المتابعة والتأكد .
- وردت أخبار تفيد بعبور ٢١ طائرة فانتوم قادمة من لشبونة فى اتجاه إسرائيل . كما سبق أن وردت أخبار تفيد بوصول ٢٠ طائرة فانتوم من قاعدة أمريكية فى تركيا إلى إسرائيل .

#### تقرير موقف رقم ( ١٠ )

##### « سرى جداً »

وكان الموقف على الجبهة العسكرية مشوشاً هو الآخر . فالهجوم المصرى بالأمس لم ينجح ، والهجوم الإسرائيلى لم يكن قد بدأ بعد . وكان تقرير مكتب الشؤون العسكرية فى ذلك اليوم ( ١٥ أكتوبر ) على النحو التالى :



له إن عدم ذهاب « فوزى » ، بل أكد رأيه قائلاً : « من المستحسن أن نبت فى كل الأمور من هنا من القاهرة ، وأن يجنبوا إلى شخصياً كلما أرادوا إدخال أو تغيير كلمة أو حرف . . »

- نقلت قواتنا الجوية مهام المظلات وأعمال تأمين المطارات والقوات ، ولصفت أرتال مدرعة للعدو في مواجهة القطاع الأوسط ، وأسقطت للعدو ٦ طائرات .

#### □ الجبهة السورية :

- وصلت قوات العدو في ثغرة الاختراق إلى الخط العام فكر ناسخ / تل شمس / مزرعة بيت جان / تل المال بمعنى حوالي ٢٠ كم .
- استخدم العدو طائرات استطلاع بدون طيار .
- قام العدو بصف مستودعات البترول في اللاذقية وطرطوس .
- تقوم القوات السورية بالتعاون مع القوات العراقية في تثبيت العدو والقيام بعدة هجمات مضادة محدودة .

#### □ التعليق :

- من الواضح أن مجهود العدو الجوي قد تأثر بحجم الخسائر الكبيرة التي أصيب بها منذ بدء العمليات - رغم ما يتردد من استعراض لخسائره الجوية حتى الآن . ويتضح ذلك من الشواهد التالية :
- متوسط حجم الطلعات اليومية للعدو يبلغ من ١١٠٠ - ١٢٠٠ طلعة في الوقت الذي تشير فيه التقديرات إلى إمكان العدو تنفيذ ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ طلعة - طائرة - يوم .
- عدم قدرة تركيز العدو لأعماله الجوية على الجبهتين المصرية والسورية في وقت واحد . ولذلك نجد أن العدو يركز على تنفيذ مهمة رئيسية واحدة بغواته الجوية خلال اليوم .

ويوضح هذا الأسلوب :

- قيام العدو بتركيز مجهوده الرئيسي يوم ١٤ أكتوبر على قطاع الجيش الثالث .
- وتركيز مجهوده الرئيسي اليوم ١٥/١٠ على قطاع الجيش الثالث .
- موقف العدو البري وخاصة قواته المدرعة - رغم تحقيقها لبعض أهدافها على الجبهة السورية ( اختراق خط وقف إطلاق النار ) ، وعلى الجبهة ( تثبيت القوات المدرعة في منطقة رأس الكوبري ) إلا أن مدرعات العدو قد أصيبت بخسائر كبيرة وأجهت في أعمال القتال خلال الفترة السابقة . ولذلك فهي تلجأ إلى تعزيز الخطوط التي تتمسك بها . وذلك في صورة دفاع مجهز وعلى اتصال بالقوات . وهذا الموقف لا يمكن العدو من تجميع طاقته لتنفيذ ضربة مضادة قوية تحقق له أهدافه على إحدى الجبهتين .

- ومن ذلك فإن نوايا العدو من وجهة النظر التعويية يمكن أن نوجزها في أحد الاحتمالات التالية :

- تركيز جهوده على التمسك بالأوضاع الحالية على الجبهتين مع اتخاذ الإجراءات اللازمة

لمنع تدهور الموقف العسكري بالنسبة له على أحدهما . وذلك انتظاراً لتسوية يمكن أن

تتم عن طريق مجلس الأمن .

وفي هذه الحالة فإن موقف العدو يكون متزاناً وغير ضعيف ، حيث أن مكاسبه على الجبهة السورية تنوّض له ما خسرته من أرض على الجبهة المصرية .

- العمل بسرعة على رفع قدراته القتالية وخاصة في مجال القوات الجوية والمدركة تحته

من استئصال الموقف على إحدى الجبهتين ، وبصورة تحقق له أحد أهدافه التالية :

- تهديد دمشق بالاحتلال أو

- توجيه ضربة مضادة لاستعادة الأوضاع على الجبهة المصرية . .

وكان الرئيس « السادات » قد وضع بقلمه خطاً تحت الاحتمال الأول من تقديرات نوايا العدو ، بما يظهر أن ذلك الاحتمال هو ما يريجه هو شخصياً ، أي أن العدو سوف « يركز جهده على التمسك بالأوضاع الحالية لمنع تدهور الموقف العسكري وذلك انتظاراً لتسوية يمكن أن تتم عن طريق مجلس الأمن » .



وقد تعزز هذا الاعتقاد لدى الرئيس « السادات » عندما تلقى في الساعة الواحدة والربع بعد الظهر رسالة عن طريق القناة السرية من « كيسنجر » بحث بها باسم السيد ، حافظ إسماعيل . . . . . وكان نصها كما يلي :

« من الدكتور هنري كيسنجر إلى السيد حافظ إسماعيل

إن الولايات المتحدة ، كما أشار الدكتور كيسنجر للسيد إسماعيل ، قد تصرفت بغير بالغ من ضبط النفس . إزاء الأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط ، والسيد إسماعيل على إقرار بأن الولايات المتحدة لم توجه أي انتقاد للتصرفات العربية ، سواء كان ذلك في الأمم المتحدة ، أو في البيانات العلنية التي صدرت عن كبار موظفي حكومتها ، يضاف إلى ذلك أنه لم يجر استئناف إرسال إمدادات إلى إسرائيل ، طوال أسبوع ، بالرغم من الطلبات الإسرائيلية المتتمة بالإصرار ، بإرسال إمدادات وعائد . وقد احتفظت الولايات المتحدة بضبط النفس هذا حتى في مواجهة عملية نقل جوي سوفيتية ضخمة للعائد الحربي ، إلى المحاربين العرب .

غير أن الولايات المتحدة قد أرغمت الآن على إعادة النظر في موقفها فيما يتعلق بالعودة إلى الإمداد الجوي ، لسببين رئيسيين :

(١) في يوم ١١ أكتوبر ، أخطرت الولايات المتحدة بواسطة الاتحاد السوفيتي بأن مصر على استعداد لإيقاف القتال في الموقع ، إذا كان سيجري التصويت على ذلك في مجلس الأمن ، وأن الاتحاد السوفيتي سوف يمتنع عن التصويت على مثل هذا القرار ، وعندئذ قضت الولايات المتحدة بومن تبذل جهوداً دبلوماسية محاربة تدبير تصويت على إيقاف القتال ، وإيجاد من يتبنى مشروع القرار ، وقد تكلفت في هذا الصدد ثمناً غالياً فيما يتعلق بالموقف الداخلي في أمريكا ، وبصعوبة بالغة حصلت الولايات المتحدة على موافقة إسرائيل على هذا التهج ، وإذا بها تتلقى في اللحظة الأخيرة عن طريق بريطانيا العظمى ، وأخيراً عن طريق الاتحاد السوفيتي ، (خطراً ملهاده أن الفتح وقف القتال هذا لن يكون مقبولاً لدى مصر .

(٢) إن عملية النقل الجوي السوفيتية الضخمة التي كانت جارية لمدة أكثر من أربعة أيام الآن ، قد أرغمت الولايات المتحدة على البدء في عملية استئنافها إرسال إمدادات ، مؤكدة أنها في معظمها أصناف استهلاكية .

ويود الجانب الأمريكي إخطار الجانب المصري بأنه على استعداد لإيقاف جهوده في استئناف إرسال الإمدادات جواً ، فور الوصول إلى إرياف للقتال .

وتعود الولايات المتحدة أن تؤكد مرة أخرى أنها تعترف بعدم قابلية الجانب المصري للأوضاع التي كانت قائمة فيما قبل نشوب القتال الأخير ، ولسوف يبذل الجانب الأمريكي جهداً بالغاً بمجرد إنهاء القتال ، في المساعدة على إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، وهو يواصل الأمل في أن قناة الاتصال هذه مع مصر ، والتي أقيمت بكثير من الصعوبة ، سوف تجرى المحافظة عليها ، حتى تحت ضغط الأحداث .

ولسوف تعمل الولايات المتحدة كل ما يمكنها في هذا المفهوم .

وبعد ساعة واحدة من وصول هذا الخطاب إلى الرئيس « السادات » حدث شيء كان لا بد أن يلتفت للنظر . فقد أبلغت قيادة الدفاع الجوي عن قيام طائرة استطلاع أمريكية من طراز (SR-71 A) بمهمة جديدة واسعة دارت فيها فوق الجبهة المصرية ومؤخرتها الخلفية . وكانت طائرة الاستطلاع الأمريكية تطير على ارتفاع شاهق بتعدى بكثير مدى الصواريخ المصرية . وكان مؤكداً أن صور الاستطلاع سوف تصل إلى إسرائيل في أقل من ساعة .

٢

## ١٥ أكتوبر في تل أبيب :

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر في الساعة السابعة من صباح هذا اليوم ( ١٥ أكتوبر ) . وكان أمام المجتمعين تقرير من الجنرال « بارليف » يقول فيه إن القوات جاهزة ، وأن الموعد الذي تقرّر لبدء الهجوم الإسرائيلي المضاد هو الساعة مساءً ، وأن اختراق المفصل ما بين الجيشين الثاني والثالث لفتح ثغرة بينهما إلى الغرب - سوف يجري في منطقة الدفرسوار .

وتقرر دعوة مجلس الوزراء إلى اجتماع في نفس هذه الساعة حتى تكون القيادة السياسية جاهزة لاستقبال المعلومات الواردة من الجبهة ، واتخاذ أية قرارات قد تدعو إليها ظروف العمليات .

وكان الجو العام في الجبهة محموراً باستعدادات التنفيذ ، كما أن الجو السياسي العام كان متوتراً في انتظار بدايته .

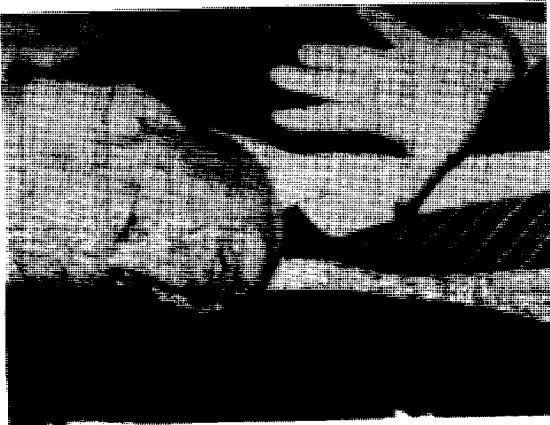
وتقدمت المدرعات الإسرائيلية بالفعل في منطقة المفصل ، واقتربت من خط المياه ، لكن القوات المصرية تنهت إلى تحركاتها وتصدت لها ، مما تسبب في تأخير العملية بحيث لم يبدأ نزول القوارب المطاطية لعبور القناة إلا في الساعة الواحدة والنصف صباحاً . ومع ذلك فقد كانت المقارمة

المصرية شديدة إلى درجة حالت دون تمكن قوات الجنرال « برين » الإسرائيلي من تركيب وتأمين موقع جسر تعبر عليه القوات الإسرائيلية .

وفي لحظة من اللحظات كان احتمال فشل العبور مائلاً أمام مجلس الوزراء الإسرائيلي الذي مثل مجتمعاً منذ الساعة السابعة مساءً حتى فجر . وقد وصلت إليه توصية من الجنرال « ديان » ، مخرج وقف العملية وصرف النظر عنها . ولكن الجنرال « بارليف » أبدى معارضة شديدة لوقف العملية . وانحازت « جولدا مائير » ووزارها

مجلس الوزراء بالكامل إلى « بارليف » في مسرورة الاستمرار لاحتلال وتأمين جسر تعبر منه المدرعات لحماية مجموعات من قوات نهرماندورز سبقت إلى العبور بالقوارب المطاطية . وعهد الجنرال « بارليف » إلى مله الجنرال « أرييل شارون » بالتقدم مسرحاته مهما كانت المقاومة أمامه ، بحيث يحقق تأمين رأس جسر يمد عليه ولو « نهرى » متحركاً ( Pontoon bridge ) حتى يمكن المدرعات من العبور .

وعند فجر ( الساعة الرابعة والنصف مسيحا ) انفض اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي بعد أن تأكد أن عملية « شارون » مضمونة في طريقها .



شارون

## ١٥ أكتوبر في واشنطن :

دعا « هنري كيسنجر » إلى اجتماع لمجموعة العمل الخاصة في الساعة السادسة صباحاً من هذا اليوم ( ١٥ أكتوبر ) ، وذلك لاستعراض الموقف وتقدير الخطوات التالية في ظرف كان يعتبره « كيسنجر » معيلاً بالاحتمالات . وكان أول المتحدثين في الاجتماع هو الأميرال « مورر » الذي قال : « إنه وقد فشل الهجوم المصري - فإن إسرائيل أمامها يومين أو ثلاثة لكي تكسر الجبهة المصرية » . وقد خالفه « كيسنجر » في تقديره مبدئياً نوعاً من التحفظ لخصه بقوله : « إن إسرائيل يمكن أن تخترق الجبهة المصرية دون أن تكسر ما » .

وانشغل « كينسجر » بعد أن انتهى اجتماع مجموعة العمل الخاصة - في اتصالات مع الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة . ثم اتصل بالجنرال « جور » الملحق العسكري الإسرائيلي في واشنطن يسأله إذا كانت لديه معلومات عن الهجوم الإسرائيلي المضاد المنتظر . وأبلغه « جور » بأنه سوف يتلقى أبناء مؤكدة في طرف دقائق ، وسوف يعود للاتصال به . وبالفعل عاد للاتصال به بيلغه أن مجلس الوزراء الإسرائيلي منعقد في تل أبيب ، وأن الكل في انتظار تطورات هامة من الجبهة . ثم أبلغه باعتقاده أن إسرائيل بدأت في الحركة (we are on the go) .

□

وقبل الظهور ( بتوقيت واشنطن ) تلقى « هنري كينسجر » رداً عاجلاً على رسالته الأخيرة إلى الرئيس « السادات » ، وقد أدهشته هذه الرسالة . وسجل دهشته قائلاً بالنص : (١)  
« لقد كنت أتوقع غضباً عربياً عارماً بعد أن ظهر تأثير الأسلحة الأمريكية عملياً في الميدان - ولكن الرسالة التي تلقيتها من حافظ اسماعيل مساء يوم ١٠/٥ جاءت بطريقة لا يمكن وصفها - في الملاحظات التي وصلت فيها - إلا بأنها شيء خارق للعادة » .  
وقد لخص « كينسجر » أهم نقاط الرسالة في مذكراته على النحو التالي :

- ١ - إن مصر ( برغم كل شيء ) « ترغب في إبقاء قناة الاتصال الخاصة مفتوحة » .
- ٢ - إن الإشارة بالتعرض بالاتحاد السوفيتي واضحة في قول الرسالة « إنه لا أحد يتحدث باسم مصر » .
- ٣ - إن مصر تريد التوصل إلى « شروط لا تؤدي إلى إهانة إسرائيل لأن مصر نفسها عانت معنى الإهانة (!) » .
- ٤ - « إن مصر تقدر جهود أمريكا » من أجل الوصول إلى وقف إطلاق نار كمقدمة لتسوية سياسية .

- (كما لاحظ « كينسجر » أيضاً : (٢))
- ١ - أن « حافظ اسماعيل » كان يتكلم مع « مورد السلاح لعدو مصر » كما يتحدث رجل متحضر من رجال الأعمال مع زميل له .
- ٢ - أن السيد « حافظ اسماعيل » لم يشير إلى الجسر الجوي الضخم الذي يحمل السلاح من أمريكا إلى إسرائيل إلا في آخر الرسالة ، وأنه أشار إلى ذلك بطريقة مهينة .
- ٣ - أنه بدا له أن الرئيس « السادات » يحاول إبعاد نفسه عن الاتحاد السوفيتي ، والترجحه إلى الولايات المتحدة .
- ٤ - أنه في هذا الوقت بالذات تلقى تأكيداً بدعوته لزيارة مصر « تقديراً لجهود » .

(١) مذكرات الدكتور « هنري كينسجر » - الجزء الثاني بعنوان « سنوات القلاقل » - - صفحة ٥١٧ .  
(٢) مذكرات الدكتور « هنري كينسجر » - الجزء الثاني بعنوان « سنوات القلاقل » - - صفحة ٥١٧ .

وكان النص الكامل والحرفي للرسالة على النحو التالي :

« من حافظ اسماعيل  
إلى الدكتور كينسجر »

١ - لقد تلقى السيد اسماعيل رسالة الدكتور كينسجر المؤرخة ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، وهو يود إعادة تأكيد عزم الجانب المصري على إبقاء قناة الاتصال هذه مفتوحة . كما يرغب أيضاً في إعادة تأكيد أنه فيما يتعلق بالمسائل الأساسية بصدده موقفه أزاء الموقف الراهن في الشرق الأوسط ، ليس هناك من طرف آخر يتكلم باسم مصر ، ولعل هذا واضح بجلاء منذ صيف ١٩٧٢ (٣) .

٢ - ويود السيد اسماعيل الإعراب عن تقديره للتصرف الأمريكي الذي تضمنت وصلته رسالة الدكتور « كينسجر » ، تجاه الأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط ، ومثل ضبط النفس هذا ، أمر جوهري ، إذا كان يراد للسلام أن يتحقق .

٣ - وتود مصر أن توضح بجلاء أنها لا تسعى إلى إلحاق المهانة بإسرائيل ، لأن مصر ذات معنى المهانة ، وبالرغم من حقيقة أن الولايات المتحدة ساهمت في ذلك عن طريق تزويد إسرائيل المستمر بالسلاح ، والحرب النفسية الشواء التي وجهت ضد مصر ، وفي هذا الصدد ، كان من شأن إرسال الطائرات الأمريكية (SR-71 A) فوق مصر ، أنها ( مصر ) اضطرت إلى أن تطلب من الاتحاد السوفيتي إمكانية مماثلة .

٤ - يقدر الجانب المصري الجهود الأمريكية المبذورة في سبيل إيقاف القتال ، كتمهيد لتسوية سياسية ، غير أنه يجب ملاحظة أن دروس الماضي لا تشجع على اتخاذ مثل هذا النهج ، إذ لا يمكن أن يتحقق السلام بينما الأراضي المصرية محتلة . إن مصر في حاجة إلى سلام نهائي فورياً . وهي تعمل لهذا الهدف عن طريق إصرارها على انسحاب القوات الإسرائيلية انسحاباً كاملاً ، وطلبها بين رغبتها في سلام حقيقي ، وإلا فإن مناقشة السلام بينما إسرائيل تحتل الأراضي المصرية معناها عدم التوازن بين الجانبين ، ولا يمكن أن تنفي سوى إلقاء إسرائيل لشروطها .. وكما قال الدكتور كينسجر عن صواب في رسالته ، فإن الموقف على ما كان قبل ٦ أكتوبر ، كان غير مقبول لدى مصر . ولا يزال كذلك .

٥ - لقد تحدث الدكتور كينسجر عن القرار الأمريكي باستئناف إرسال الإمدادات جواً إلى إسرائيل ، وهذا موقف غير مقبول لدى مصر ، لسبب بسيط ، هو أن الإمدادات الأمريكية لإسرائيل تسهل مواصلة احتلال الأرض المصرية ، وإملاء شروطها ، أما إمدادات الاتحاد السوفيتي لمصر بأصناف استهلاكية ، فمن أجل تحرير أرضها .

ويود السيد اسماعيل لفت نظر الدكتور كينسجر إلى تنسيق المتطوعين المستمر على إسرائيل من الخارج ، ومن الولايات المتحدة بصفة رئيسية . وبينما يجري الزعم بأن هؤلاء المتطوعين أصحاب جنسية مزدوجة ، فإن مصر سوف لا تعاملهم فيما يتعلق بجنسيتهم ووضعهم ، إلا على أساس القواعد المعترف بها قانوناً .

٦ - وقد تحدث الدكتور كينسجر في رسالته عن جهد أمريكي كبير ، يبذل للمساعدة على تحقيق سلام عادل ودائم بمجرد إنهاء القتال ، ومصر تتعامل عما هنالك من ضمانات ، لضمان سلام عادل ودائم ، إذ أن إسرائيل فيما قبل ٦ أكتوبر ، لم تأبه قط بقرارات الأمم المتحدة ، أو الرأي العام

(٣) يشير إلى تاريخ طرد الخبراء السوفيت من مصر .



الدولى ، أو حتى بممارسة النفوذ الأمريكى ، كما اعترف الدكتور كينسجر بذلك شخصياً . أليس من الأفضل خلق موقف تكافؤ ، يصوره انسحاب القوات الإسرائيلية الكامل ، كضمان قوى لتحقيق السلام ؟

٧ - مع هذه الاعتبارات ، والنقاط الغفس التى وضعت تحت نظر الدكتور كينسجر فى رسالة السيد اسماعيل المؤرخة ١٠ أكتوبر ، من المنتظر أن يجد الدكتور كينسجر أن الموقف يستحق جهداً كبيراً كالتى بئله يوم ١٦ أكتوبر ، للحصول على موافقة إسرائيل على إيقاف القتال ، وفى هذه المرة سيكون إيقافاً للقتال مصحوباً بانسحاب كامل ، ونهاية لحالة الحرب بينما يرحل آخر الإسرائيليين عن أرض مصر . وهذا سلام حقيقى يستحق تأييد الدكتور كينسجر الكامل .

٨ - ولسوف ترحب مصر بالدكتور كينسجر تقديراً لجهوده . وسوف يكون الجانب المصرى على استعداد لبحث أى موضوع ، أو اقتراح ، أو مشروع ، فى داخل نطاق مبادئ ، لا يعتقد أن الدكتور كينسجر أو أحد غيره ، يعارضهما ، وهما أن مصر لا يمكنها تقديم أى تنازلات ، فى الأرض والسيادة .

مع أحر التحيات .

١٩٧٣/١٠/١٥

حافظ إسماعيل ،

## الفصل الثالث عشر

### يوم ١٦ أكتوبر

١

#### ١٦ أكتوبر فى القاهرة ( صباحاً ) :

كانت الشواغل السياسية هى العنصر الطاغى على عملية صنع القرار فى القاهرة صباح ذلك اليوم الخطير ( ١٦ أكتوبر ) .

كان الرئيس « السادات » يتأهب فى الصباح لخطابه المنتظر أمام مجلس الشعب . وكانت تلك أول مرة يتحدث فيها إلى الأمة منذ بدأت الحرب . وقد طلب إلى الفريق « أحمد اسماعيل ، أن يمر عليه فى قصر الطاهرة ، وأن يخرج معه فى سيارة مكشوفة وموكب رسمى من قصر الطاهرة إلى مجلس الشعب .

وفى انتظار الموعد فقد انشغل بقراءة مشروعه خطابه مرتين لكى يعود نفسه على السياق وعلى الألفاظ ، ويختار الإيقاع الذى يستعمله فى إلقائه . وفى ذلك الوقت قاطعته رسالتان :

- خبر نقلته وكالات الأنباء من تل أبيب يقول إن السيدة « جولدا مائير » سوف تلقى خطاباً أمام الكنيست لأول مرة منذ بدأ القتال . وكان موعد خطابه متفقاً مع الموعد المقرر لإلقاء خطابه .
- هذا اعتبر الرئيس « السادات » ، ذلك محاولة من رئيسة وزراء إسرائيل « للتشويش » على خطابه .
- وأما الرسالة الثانية ، فقد أبلغتها إليه السفير السوفيتى ، فلاديمير فينوجرنوف ، ، وكان



الرئيس السادات عند وصوله إلى قاعة مجلس الشعب لينقى خطابه في الجلسة الطارئة يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

مؤادها أن القيادة السوفيتية قررت إرسال رئيس الوزراء « اليكسي كوسجين » على رأس وفد عال إلى القاهرة اليوم لبحث تطورات الموقف معه شخصياً .

□

كان استقبال الرئيس « السادات » في شوارع القاهرة مظاهرة شعبية رائعة . وكان استقباله في مجلس الشعب عاصفة مدوية من الحماسة والكبرياء . وكان أهم البنود في خطابه هو أنه عرض مشروعه للسلام . وقد جاءت الفقرة الخاصة بهذا المشروع على شكل رسالة مفتوحة إلى الرئيس « نيكسون » أوردها الخطاب بالنص التالي : (١) «

أيها الأخوة والأخوات .. لقد فكرت أن أبعث إلى الرئيس « ريتشارد نيكسون » بخطاب نحدد فيه موقفنا بوضوح ، ولكنني ترددت خشية إساءة التفكير . ولذلك فأنني قررت أن أستعيض عن ذلك بتوجيه كلمة مفتوحة إليه من هنا ... رسالة لا يملها الخوف ولكن تملئها الثقة ... رسالة لا تصدر عن ضعف ولكن تصدر عن رغبة حقيقية في صون السلام ودعم الوفاق .

(١) كانت الفتاة السرية قد نقلت حتى الآن وإلى الجانبين أكثر من عشر رسائل !

أريد أن أقول له بوضوح أن مطلبنا في الحرب معروف لا حاجة بنا لإعادته ، وإذا كنتم تريدون معونة مطلبنا في السلام ، فإليك مشروعتنا للسلام :

□ أولاً - إننا قائلنا وسوف نقاقل لتحرير أراضينا التي أمسك بها الاحتلال سنة ١٩٦٧ ، ولإيجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . ونحن هنا نقبل التزاما بقرارات الأمم المتحدة .. الجمعية العامة .. ومجلس الأمن .

□ ثانياً - إننا على استعداد لقبول وقف إطلاق النار على أسس انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة فوراً ... وتحت إشراف دولي إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ .

□ ثالثاً - إننا على استعداد فور إتمام الانسحاب من كل الأراضي أن نحضر مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة . وسوف أحاول جهدي أن أقنع به رفاقي من القادة العرب المسؤولين مباشرة عن إدارة صراعنا مع العدو . كما أنني سوف أحاول جهدي أن أقنع به ممثلي الشعب الفلسطيني ، وذلك لكي يشاركوا معنا ومع مجتمع الدول في وضع قواعد وضوابط لسلام في المنطقة يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

□ رابعاً - إننا على استعداد هذه الساعة ، بل هذه الدقيقة ، أن نبدأ في تطهير قناة السويس ، فصحها أمام الملاحة العالمية لكي تعود إلى أداء دورها في خدمة رخاء العالم وازدهاره . ولقد أصدرت الأمر بالفعل إلى رئيس هيئة قناة السويس بالبدء في هذه العملية غداً إتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة .

□ خامساً - إننا لسنا على استعداد في هذا كله لقبول وعود مهمة أو عبارات مطاطة نقبل كل تفسير وكل تأويل ، ونستنزف الوقت فيما لا جدوى فيه ، وتعيد قضيتنا إلى جمود لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب لدى غيرنا أو التضحيات بالنسبة لنا . فما نريده الآن هو الوضوح ... الوضوح في الغايات والوضوح في الوسائل .

□

كان الرئيس « السادات » قبل أن يتوجه إلى مجلس الشعب قد اتصل بـ « محمد حسين هيكل » يطلب إليه أن يقابله في صالون رئيس الجمهورية في مجلس الشعب فور انتهاء إلقاء الخطاب . وأبدى له « هيكل » أنه لن يحضر جلسة المجلس ، « وهو في العادة لا يحضر هذه المناسبات » . ورد الرئيس « السادات » بحزم قائلاً : « ولكن هذه ليست مناسبة عالية » . ثم اقتنع بعد ذلك حين قال له محدثه إنه « يفضل أن يظل في مكتبه ، على الأقل لكي يرى خطاب الرئيس « السادات » على التلفزيون ، ويمكن في نفس الوقت من متابعة خطاب « جولدا مائير » في الكسبت عن طريق ما تحمله بوقيات وكالات الأنباء أولاً بأول » .

وقد بدأت وكالات الأنباء مع الظهور تماماً تحمل بولدر خطاب رئيسة وزراء إسرائيل . وقد أشارت جميعها إلى الجو المتوتر الذي يسود أروقة وقاعات الكنيست . كما أشارت إلى اجتماع

منلق اللجنة الأمن والدفاع في الكنيست جرى عقده مباشرة قبل انعقاد المجلس الرسمي المقترح .

ثم راحت أقوال « جولدا مائير » تترى نقطة بعد نقطة :

١ - بدأت « جولدا مائير » بالتركيز الشديد والمبالغ فيه على ما وصفته بال « دور الشرير للاتحاد السوفيتي » ، وكان قصدها من ذلك بالطبع هو استئثار الرأي العام الأمريكي ، والمساعدة على خلق جو من المواجهة بين القوتين الأعظم .

٢ - وأعلنت « جولدا مائير » رفضها لوقف إطلاق النار وفق المشروعات التي كانت تناقش في ذلك الوقت في مجلس الأمن ( وكان ذلك لاعتقادها أن المعركة تسير لصالح إسرائيل بالنجاح الذي تحقق عند الفجر بواسطة قوات الجنرال « شارون » ) .

٣ - وكان أكثر ما يلفت النظر هو إعلانها بالنص « أن القوات الإسرائيلية تحارب بشجاعة على صنفى القناة شرقاً وغرباً » وكانت هذه هي المفاجأة الكبرى في الخطاب .

وعاد الرئيس « السادات » من مجلس الشعب إلى قصر الطاهرة في مكتب أكثر حماسة وعاطفية من ذلك الذي لقيه ذاهباً إليه .

وأُتصل تليفونياً بـ « محمد حسنين هيكل » ، وكان أول ما قاله هو عبارة « رائع يا محمد » . ثم أضاف إلى ذلك قوله « ألف ألف شكر » - وكان بذلك يعبر عن تقديره ورضاه عن الخطاب الذي انتهى من إلقائه قبل نصف ساعة أمام مجلس الشعب .

وكان خطاب « جولدا مائير » يلح على الاهتمام أكثر من أى شاغل آخر . وقام « هيكل » بإبلاغ الرئيس « السادات » بما قالته « جولدا مائير » في خطابها . وقرأ عليه برفقة من وكالة « الأسوشيتد برس » نصها :

« أعلنت جولدا مائير أمام الكنيست الآن أن القوات الإسرائيلية تحارب شرق وغرب قناة السويس » .

وبدا أن الرئيس « السادات » مستنكر لما يسمع . وكان رد فعله القوي هو أن ما قالته « جولدا مائير » هو مجرد محاولة لإضعاف تأثير خطابه على العالم . وكان رأى « هيكل » أن الموضوع لا بد أن يكون له أساس بشكل ما ، لأنه لا يتصور أن تقف رئيسة وزراء إسرائيل أمام الكنيست وتقول كلاماً مختلفاً بالكامل .

ورد الرئيس « السادات » بأنه سوف يسأل الفريق « أحمد اسماعيل » ويعود للاتصال بـ « هيكل » مرة ثانية . وفي ذلك الوقت ، كان المسئول في « الأهرام » عن متابعة خطاب « جولدا مائير » - وهو الأستاذ « عبد الحميد سرياء » - قد جاء بمجموعة من برقيات وكالات الأنباء تتحدث كلها بالتفصيل عن قتال شديد يجري في غرب القناة .

وبعد عشر دقائق عاد الرئيس « السادات » يتصل بـ « هيكل » ورأيه أنه يظهر أن « الأمور معقدة في إسرائيل » ، وقد عملوا اليوم مسرحية فبعثوا بشوية دبابات تيرجس » . ولما أبدى

« هيكل » عدم فهم لكلمة « تيرجس » ، ترجمها الرئيس « السادات » ، بقوله : « يعنى فوتوا شوية دبابات بيسلوا للغرب ويستخبوا في وسط الشجر علشان تقدر تقول إن عندها قوات في الغرب » . ثم أبدى الرئيس « السادات » اقتناعه بـ « أنها مسرحية قصد بها إبطاء « جولدا مائير » شيئاً تنكلم عنه في خطابها لكي تغطي خطابه هو وتشوش عليه » . ثم عبر عن يقينه بأن هذه الدبابات دخلت في مصيدة لن تخرج منها .

ثم قال الرئيس « السادات » ، إنه سوف يحاول أن يشرح بعض الوقت من انفعالات الصباح ليكون جاهزاً في المساء لمقابلة « كوسبيج » ، الذي وصل إلى القاهرة حوالي هذا الوقت .

ولم تكد المكالمات مع الرئيس « السادات » تنتهي حتى دق التليفون ، وكان المتحدث هو الفريق « أحمد اسماعيل » ، الذي بدأ على الفور بكلمة عتاب أبدى فيها أنه « ليس من الضروري إزعاج الرئيس بأى خبر تنقله وكالات الأنباء » . ثم أضاف أن « كل ما هناك هو ٧ أو ٨ دبابات تيرجس » . وسأله « هيكل » : « إذن ، فلا بد أن تكون أنت صاحب تعبير البرجسة الذي سمعته الآن من الرئيس السادات ؟ » ورد الفريق « أحمد اسماعيل » قائلاً : « هل تريد أن تقول إنك لا تعرف شيئاً عن برجسة الخيل ؟ ... الخيل عندما تتراقص ؟ » وكان تقدير القائد العام بعد ذلك « أن ما قامت به إسرائيل هو محاولة من محاولات الحرب النفسية أكثر منها عملاً عسكرياً » . فهي تريد استغلال مؤلة إهم يقاتلون في الغرب بقصد إعطاء قوة لخطاب « جولدا مائير » ، وأيضاً للتأثير على رأى العام الإسرائيلي الذي أصبح على علم كامل بحجم الخسائر الإسرائيلية في الحرب » .

وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانت وكالات الأنباء ملأى بأخبار عن العمليات العسكرية الإسرائيلية غرب القناة ، عاد « هيكل » ، فاتصل بالفريق « أحمد اسماعيل » ، قائلاً له إنه سيعبر بالقلق لسببين :

● أن برقيات معظم وكالات الأنباء القادمة من منطقة القتال معزونة كلها (detailed) من عرب القناة . وهذا معناه أن هناك مراسلين لوكالات الأنباء العالمية موجودون فعلاً في المنطقة .

● أن برقيات وكالات الأنباء تتحدث عن وجود جنرال إسرائيلي مع القوات في الغرب . وإذا كان هناك جنرال إسرائيلي في مواقع بهذه الخطورة ، فمعنى ذلك أن هناك قوات إسرائيلية لا يمكن أن يقل حجمها عن مجموعة لواء .

وكان الفريق « أحمد اسماعيل » على استعداد لأن يقول « أن حجم المدرعات الإسرائيلية التي وصلت إلى الغرب أكبر مما جرى تقديره سابقاً » . ثم كان قوله بعد ذلك أنه « سوف يتم القضاء هذه الليلة على كل الدبابات الإسرائيلية التي عبرت للغرب » . ثم عاد الفريق « أحمد اسماعيل » ، بعد ساعة واتصل قائلاً « إن تقديرنا هو أن هذا نوع من حرب العصابات بالدبابات ، وسوف يتم نكسها على هذه القوة الليلة حتى لو اضطررنا إلى حرق كل مزارع الفاكهة التي نخشى فيها هذه الدبابات » .

وكانت صورة الموقف ظاهرة في خطوطها العامة من تقرير مكتب الشؤون العسكرية عن ذلك اليوم . وكان نصه :

« سرى جداً »

تقرير موقف رقم ( ١١ )

تقرير موقف عن اليوم الحادى عشر قتال ١٩٧٣/١٠/١٦

□ عام :

- يستمر العدو فى تركيز مجهوده الرئيسى التبعوى على الجبهة المصرية .
- ويسعى العدو إلى استعادة المبادرة أو المحافظة عليها ، وذلك بتنفيذ عدد من العمليات الخاصة والهجمات المضادة مع محاولة تحقيق اختراق فى منطقة الثغرة بين الجيشين الثانى والثالث ، وتنفيذ إغارة غرب قناة السويس .

□ الجبهة المصرية :

□ العدو :

القوات البرية :

- ركز العدو مجهوده الرئيسى على المحور الأوسط حيث قام بتنفيذ عدد من الهجمات المضادة بواسطة وحداته المدرعة . وتمكنت قوة تقاتل بسرية مشاة ميكانيكية + ٢ فصيلة دبابات برمائية من التسلل غرباً حيث قامت بتنفيذ عدد من الإغارات على وحدات الصواريخ المضادة للطائرات فى المنطقة ، وحاولت السيطرة على بعض تقاطعات الطرق فى المنطقة .
- يتجمع للعدو قوة تقاتل بعدد ١٨ هليكوبتر بمطار ، المليز ، .

□ القوات الجوية :

- ركز العدو هجماته الجوية على الأهداف التالية بالأسبقية .
- × رادارات بطليم - الزعفرانة - رأس البر .
- × قطاع بورسعيد
- × التشكيلات البرية
- استخدم العدو الصواريخ شريك ضد مواقع الصواريخ فى بورسعيد .
- نفذ العدو استطلاع جوى فى قطاع الجيش الثالث والساحل الغربى لخليج السويس من السفينة إلى شرق القطامية مع اختراق خط الجبهة .

خسائر العدو على الجبهة المصرية :

- بلغ اجمالى خسائر العدو اليوم على الجبهة المصرية :
- تدمير ٤٠ دبابة + تدمير ١٢ عربة نصف جنزير + ٤٤٥ قنبل وجريح + ٢١٥ أسير + عدد كبير من المعدات .

- خسر العدو عدد ٢ زورق سريع + إصابة عدد ١ زورق (محتمل سحر) (١) .
- بلغ اجمالى خسائر العدو طبقاً لبلاغات الدفاع الجوى ١٣ مقاتلة منها طائرة استطلاع موجهة باللاسلكى من طراز رايان .

□ الجبهة السورية :

- تمكنت قوات العدو المدرعة من القيام بهجوم مضاد ناجح استمرت فيه معظم الأجزاء التى تمكنت من استردادها فرقة ٣ مشاة العراقية .

□ التعليق :

- تهدف هجمات العدو المضادة إلى تصفية أحد رؤوس الكبارى وتطوير الهجوم المضاد فى الضفة الغربية .
- ما زالت احتمالات عزل قطاع بوزفواه وبوزسعيد قائمة بغرض التهديد بالاستيلاء عليها .
- يتوسع العدو فى تنفيذ العمليات الخاصة فى عمق قواتنا ضد الأهداف العسكرية والعنينة .

٢

١٦ أكتوبر فى تل أبيب :

كانت القيادة الإسرائيلية فى ذلك اليوم مشغولة بالكامل بأمرين :

- متابعة تطور الهجوم الذى قامت به قوات الجنرال « شارون » .
- التحسب من زيارة رئيس الوزراء السوفيتى « كوسيجين » إلى القاهرة وما يمكن أن سفر عنه ، وقد ساد فى اجتماع مجلس الوزراء المستمر الذى عاد إلى الانقطاع - اعتقاد بأن الموازن قد انتقلت من المستوى الإقليمى بين العرب وإسرائيل ، إلى المستوى الدولى الأعلى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

(٢) طراز من الزوارق الإسرائيلية المزودة بالصواريخ .

## ١٦ أكتوبر في واشنطن :

دعا « كينسجر » إلى اجتماع في البيت الأبيض لمجموعة العمل الخاصة تحدد له الساعة العاشرة صباحاً .

ولاحظ « كينسجر » أن الروح المعنوية لأعضاء مجموعة العمل الخاصة قد تحولت بطريقة سحرية ، وأصبحت عالية جداً نتيجة وصول التقارير الأولى عن الاختراق الإسرائيلي في منطقة الدفرسوار . وطلب « كينسجر » إلى وزير الدفاع « شليزنجر » تكثيف شحنات الجسر الجوي العسكري لإسرائيل ، لأن حسم الموقف بات قريباً . كما طلب إبلاغ كل المتحدثين الرسميين في البيت الأبيض ووزارة الخارجية بوقف تصريحاتهم وبياناتهم عن الجسر الجوي لإسرائيل ، لأنه يفضل الآن أن تكون لهجة الولايات المتحدة هادئة (low key) .

وقد تلقى أثناء الاجتماع تقريراً من موسكو يفيد بأن رئيس الوزراء « أليكسي كوسيجين » ألغى موعداً مقرراً بينه وبين رئيس وزراء الدانمرك الذي كان يزور العاصمة السوفيتية . ثم تلقى إشارة بأنه تم رصد طائرة خاصة ( هامة جداً ) في طريقها الآن من موسكو إلى القاهرة ، ولم يلبث أن عرف شخصية راكبها بعد رسالة موجهة إلى الرئيس « نيكسون » من الزعيم السوفيتي « ليونيد بريجنيف » ، وكانت تحمل ثلاث نقاط يود « بريجنيف » إخطار « نيكسون » بها :

١ - أن رئيس الوزراء « كوسيجين » في طريقه الآن إلى القاهرة .

٢ - أن الموقف في الشرق الأوسط خطير ، ولا ينبغي ترك تداعياته تقود إلى مواجهة بين القوتين الأعظم .

٣ - أنه إذا انسحبت إسرائيل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧ فإن الاتحاد السوفيتي على استعداد لأن ينضم للولايات المتحدة في ضمان أمن إسرائيل داخل حدودها .

وقد عرض « كينسجر » تحليله لزيارة « كوسيجين » للقاهرة ، واستنتج أن هدف لقائه مع « السادات » هو محاولة إقناعه بوقف إطلاق النار ، وأن محادثات الاثنين ( « كوسيجين » و « السادات » ) لن تسفر إلا عن أحد بدلين كلاهما مناسب للولايات المتحدة الأمريكية :

- إما أن ينجح « كوسيجين » في إقناع « السادات » بقبول وقف إطلاق النار الآن وفي المواقع - وهذا يناسبهم طالما أن القوات الإسرائيلية موجودة الآن على الضفة الغربية للقاء .

- وإما أن يفشل « كوسيجين » في إقناع « السادات » وحينئذ تنفجر الخلافات بينه وبين « السادات » - وهذا أيضاً يناسبهم من حيث يجعل اتصالات حل الأزمة محصورة فيهم .

ورأى « كينسجر » أن الفرصة مناسبة لتشنيد قبضته على الموقف ، ولاستباق مهمة

« كوسيجين » ، وتعزيز دوره فيها . وهكذا كسب إلى الرئيس « السادات » عن طريق السيد « حافظ اسماعيل » رسالة قال فيها بالنص :

« من الدكتور هنري كينسجر  
إلى السيد حافظ اسماعيل

إن الدكتور كينسجر يود أن يقدم تقييمه الصريح للموقف الحالي .

إن هدف الجانب الأمريكي لا يزال البحث عن طريقة لإنهاء القتال الجاري في ظروف يمكنها تسهيل التقدم نحو تسوية نهائية . إن القوات المصرية قد حققت نجاحات كبيرة . وقد زال الشعور بالمهانة الذي كان يشعر به المصريون والعرب بعد سنة ١٩٦٧ . واتضح . وقد نشأ موقف جديد يتأكد فيه أن اعتماد أي قوة على التفوق العسكري الدائم هو نوع من الوهم . وبالتالي ، فقد برزت حقيقة سياسية ظاهرة أمام جميع الأطراف بأنه لا بد من الحل السلمي .

ما الذي تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم به في هذه الظروف ؟ إن الدكتور كينسجر قال لمراراً إنه لا يستطيع أن يعد إلا بما يستطيع أن يفعله ، ولكنه يفعله بكل ما يدر به . إن النقاط الخمسة التي تضمنتها رسالة السيد اسماعيل بتاريخ ١٠ أكتوبر تعني أن الجانب المصري يطلب في واقع الأمر من الطرف الإسرائيلي أن يوافق - كجزء من وقف إطلاق النار - على الشروط المصرية لتسوية دائمة . وفي رأي الدكتور كينسجر أن هذا لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق حرب ممتدة . وليس هناك قدر من التفوق الأمريكي يستطيع أن يحقق هذا الهدف في الظروف الراهنة .

إن كل ما يستطيع الطرف الأمريكي أن يعد به وأن ينفذه هو بذل أقصى جهد في تحقيق الهدف النهائي بتسوية شاملة ، فور التوصل إلى وقف لإطلاق النار . ويعتقد الدكتور كينسجر أن العوائق الأخيرة سوف توضح أكثر كيف يستطيع الجانب الأمريكي في المستقبل أن يمارس نفوذه البناء في صالح تسوية سلمية .

في الدكتور كينسجر يكرر ما سبق له قوله وهو أن الجانب المصري عليه قرار مهم لا بد أن يتخذه .

إن الإصرار على الحد الأقصى يعني استمرار الحرب ، ويعني تضيق كل ما أمكن تحقيقه . إن النتيجة في ذلك الوقت سوف تتقرر بالخيار العسكري . والولايات المتحدة لا تريد أن تدخل في تصورات عن النتيجة المحتملة ، لكنها تشك في أن هذه النتيجة سوف تكون فاشلة . وعلى كل الأحوال فإن جهود الولايات المتحدة الدبلوماسية سوف تكون في تلك الحالة موقوفة .

ومن أجل إعطاء الدبلوماسية فرصة كاملة ، فإن وقف لإطلاق النار يجب أن يسبقها . وفي هذه الحالة وحدها تستطيع الولايات المتحدة أن تعد بتوسيع جهودها . إن مصر سوف تجد ضماناً لاجبة ذلك الجهد في استعداد الولايات المتحدة لربط نفسها ببطاً كاملاً بحل الأزمة بطريقة موضوعية .

إن الهدف الآن يجب أن يكون تحقيق وقف لإطلاق النار وتحويله بسرعة إلى سلام حقيقي وعادل يوفق بين رغبة الأطراف في السيادة والأمن . ويعتقد الطرف الأمريكي أن التقدم يمكن أن يتحقق على أساس وقف إطلاق نار في المواقع ، مصحوباً بتعهد من جميع الأطراف بالبدء في محادثات تحت إشراف السكرتير العام تؤدي إلى تسوية تتفق مع قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بكل أجزائه ، بما في ذلك انسحاب القوات الوارد ذكره في القرار .

إن الدكتور كينسجر يكرر تقريراً عاماً الدعوة المصرية الكريمة إليه بزيارة مصر . ولقد التوصل